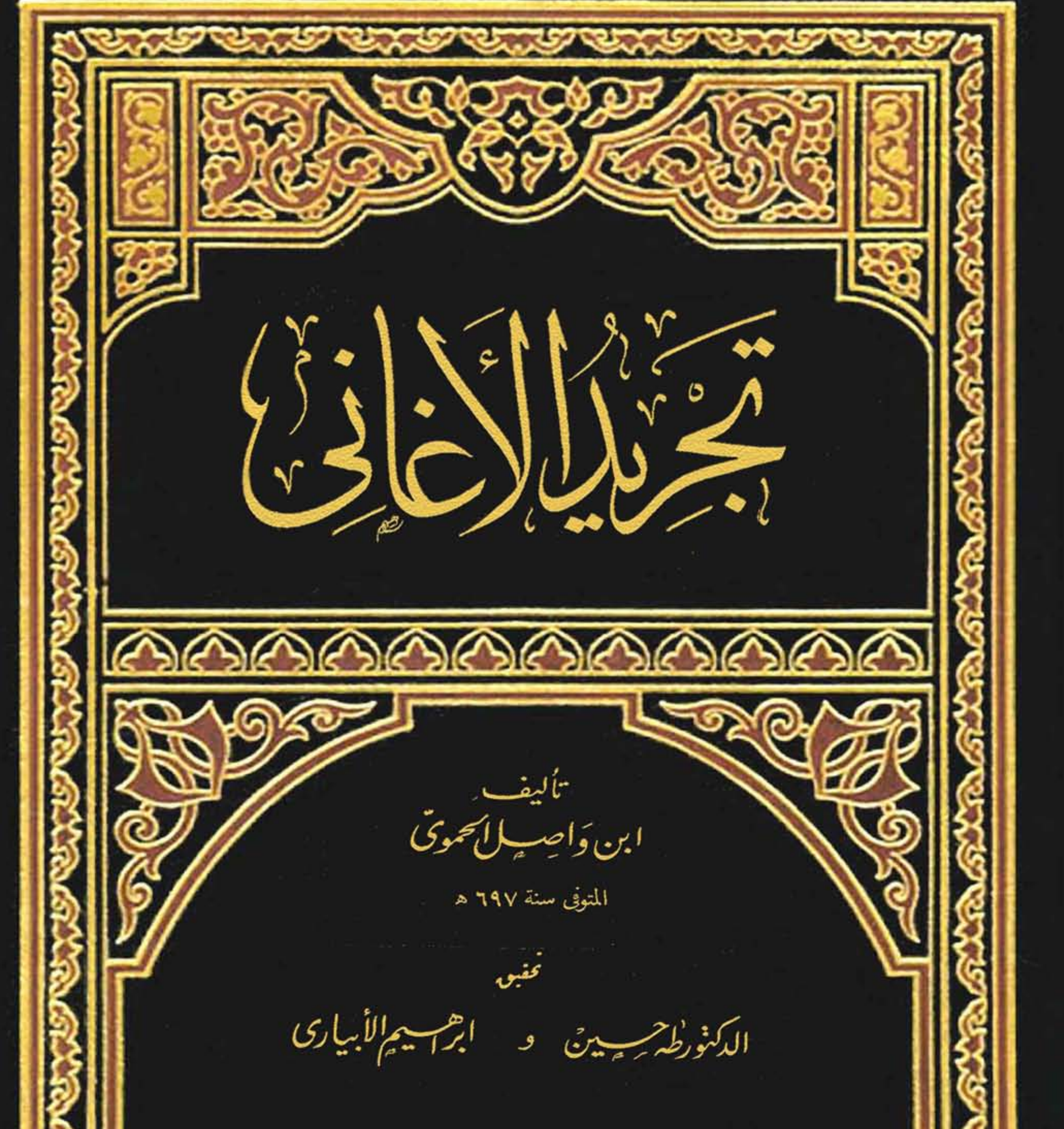


تجريد الأغانى

تأليف

ابن واصل الحموى

المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

تحقيق

الدكتور طه حسين و ابراهيم الأبيارى

القاهرة

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٤٠ شارع نوبار باشا (سابقا شارع الدواوين)

١٣٧٤ — ١٩٥٥



تأليف

ابن واصل الحموي

المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

القسم الأول - الجزء الأول

تحقيق

الدكتور طه حسين و ابراهيم الأبياري

القاهرة

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٤٠ شارع نوبار باشا (سابقا شارع الدواوين)

١٣٧٤ — ١٩٥٥

تقـــديم

بقـلم

الدكتور طه حسين

هـذا كتاب من كتب القرن السابع للهجرة ، ننشره للناس لأنه بعض تراثنا القديم ؛ الذى يجب إحياؤه وتمكين الأجيال المعاصرة من الانتفاع به ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً .

وننشره كذلك ؛ لأن أوساط المثقفين فى هـذا العصر أشد ما يكونون حاجة إليه ، فهو يقرب إليهم من الأدب العربى القديم بعيداً ، وييسّر لهم منه عسيراً ، ويتيح لأكثر عدد ممكن منهم أن يقرءوا أشياء ما كان لهم أن يقرءوها أو يذوقوها لو لم يذع فيهم مثل هذا الكتاب .

وعنوانه ينبىء عن موضوعه وعن قيمته وعن شدة الحاجة إليه فى هذه الأيام . فالمثقفون جميعاً يسمعون عن كتاب أبى الفرج الأصبهانى ، وهم يعرفون هذا الكتاب أكثر مما يعرفون اسم صاحبه، على شهرته و بعد صوته فى الشرق والغرب منذ قرون طوال . وأى مثقف لم يسمع بكتاب الأغانى ، ولكن معرفة اسم الكتاب شىء وقراءته شىء آخر . والذين يقرءون كتاب الأغانى و يستقصون ما فيه أفراد قليلون يمكن إحصاؤهم ، وهم الذين يفرغون للأدب القديم و يقفون جهودهم ووقتهم على درسه واستقصاء حقائقه .

والذين يقرءون كتاب الأغانى ملمين به غير ممعنين فيـــه قليلون أيضاً ، وهم لا يكادون يلمون به حتى ينصرفوا عنه ضائقين بخصال فيه لا تلائم العصر الحديث وما يحتاج إليه أهله من التيسير والتقريب ، لأنهم محتاجون إلى السرعة ، ولأن وقت

كثير منهم محسوب عليهم ، ولأن جهد كثير منهم لا يثبت لما تحتاج إليه القراءة في هذا الكتاب من الأناة والصبر وفراغ البال .

وقد ألف كتاب الأغانى فى القرن الرابع لقوم لم يكن مقترًا عليهم فى الوقت ولا فى الجهد ولا فى الفراغ ، لم تكثر حاجاتهم ، ولم يشتد اضطرابهم فيها ، ولم تعجلهم المنافع والضرورات عن الفراغ للعلم والجد فى سبيل المعرفة .

وأين تكون حياة الذين كانوا يعيشون فى العالم العربى منذ ألف سنة من حياتنا فى هذه الأيام ! وأين يكون استقرارهم من اضطرابنا ! وهدوؤهم من قلقنا ! وفراغهم من امتلاء أوقاتنا ! وقد ألف الكتاب كذلك لقوم لم يكن طول الكتب يزعجهم ، ولم يكن ترديد الأخبار والأنباء يملهم ، ولم يكونوا يكرهون الاستقصاء كما يكرهه المعاصرون ، ولم يكونوا يطمئنون إلى الأحاديث التى تساق إليهم غير مسندة إلى أصحابها ، ولا مردودة إلى أصولها ومصادرها ، ولم يكونوا يحبون شيئاً كما كانوا يحبون أخذ العلم بالسماع عن رواته والمتخصصين فيه . فكانت تسمية الرواة على كثرتهم تغريهم وتحبب إليهم ما يقرءون ، وكانوا يعرفون الغناء العربى القديم والموسيقى العربية القديمة ويحققون معانيها وأسماءها فى نفوسهم . فلم يكونوا يستوحشون إذا ذكرت لهم أسماء الألحان وعرضت عليهم وقائعها .

ومن أجل ذلك كله آثروا كتاب الأغانى وكلفوا به وتنافسوا فيه ورأوه صرحاً منيفاً من صروح الأدب العربى قد جمع لهم جمعاً متقناً ، فوفر عليهم كثيراً من الجهد فى طلب العلم ، ويسر لهم تحصيله وهم قارون وادعون . ثم لم تلبث ظروف الحياة أن تغيرت ، وإذا ملك من ملوك الأيوبيين يذكر هذا الكتاب فيشكو من طوله وكثرة أسانيده وكثرة أسماء الأصوات والألحان فيه ، وكثرة ما فيه من التكرار

والاستطراد ، ويتقدم إلى عالم جليل من أصحابه ، هو محمد بن سالم الواصلى ، فى حذف ما كان يرى فيه من الفضول . ويتم له الشيخ ماتقدم إليه فيه دون أن يعرف أو يقدر أن عصراً من العصور سيُظل العالَم العربىَّ ، وإذا أهله جميعاً يشبهون أشد الشبه وأقواه ذلك الملكَ من ملوك الأيوبيين فى بُغض الإطالة والضيق بالأسانيد والنفور مما لا يفهمون من أسماء الأصوات والألحان . فهو إذن قد ألف كتابه لذلك الملك ومعاصريه ، فلم يرض أولئك وحدهم وإنما أرضى أجيالاً لا تحصى بعد ذلك العصر الذى عاش فيه بقرون .

ستجد فيه أدباً كثيراً قيما ، وقصصاً كثيراً رائعاً ، وتاريخاً كثيراً نافعاً ، وستجد هذا كله فى غير جهد ولا إضاعة للوقت ولا تكلف لما لا تحب .

ولست أخفى على القراء أنى أضيق باختصار الكتب ولا أطمئن إليه ، وأرى فيه ازوراراً عما أراد المؤلفون ، وانحرافاً عما رسموا لأنفسهم من طريق ، وجحوداً لما احتملوا من سلوك هذه الطريق من ألوان المشقة والعناء .

ولست أخفى على القراء أيضاً أنى أقرأ كتاب الأغانى فأستمتع بأسانيده كما أستمتع بما يروى فيه من الشعر والأحاديث . ولكن لا بد مما ليس منه بد ، فليس كل الناس قادراً على أن يفرغ للأغانى وأمثاله من كتب القدماء . ونحن بين اثنتين : إما أن ننشر مثل هذا الكتاب ليقرأه وينتفع به من لا يملك من الوقت والجهد لقراءة كتاب الأغانى ، وإما أن نخلى بين الأدب العربى القديم وبين النسيان يلقى عليه أستاره الكثاف ، ويقصر العلم به على الذين يفرغون له ويتخصصون فيه .

وواضح أنى أؤثر الأولى ، فقراءة مختصرة لكتاب الأغانى خير من أن يُجهل الكتاب ويجهل مختصره ويجهل الأدب العربى كله .

ومن أجل هـذا أقبلنا على نشر هذا الـكتاب ليقرأه أوساط المثقفين للعلم من جهة ، ويقرأه خاصتهم للموازنة بينه وبين الأصل الذى اختُصر منه . وهو بعد ذلك تراث قديم لا ينبغى أن يضاع .

وقد اكتفينا بأن نحقق نصه ونخرجه صحيحاً مستقيما وأرجأنا ما يحتاج إليـه من درس وبحث واستقصاء حتى نفرغ من إخراج النص للناس .

وأكثر مافى هذا الجهد من فضل يرجع إلى الأستاذ الصديق ابراهيم الأبيارى ، فهو الذى نهض بالعبء المادى كله . ولم أشارك أنا إلّا فى القراءة والمراجعة وإسداء النصح ، فعسى أن يلقى هذا الجهد من إقبال المثقفين على مصاحبة الأدب العربى القديم ساعات من النهار أو ساعات من الليل . فهـذا خير ما ننتظر من مكافأة على ما أنفقنا من وقت وما تكلفنا من عناء ؟

طه حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسّر وأعِن بفضلك

[مقدمة الكتاب]

قال الشيخُ الإمام العالم الفاضل العلّامة مَجْموع الفضائل ، جمالُ الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله بن واصل الحمويّ . أدام الله أيّامه :

أحمد الله على آلائه المُتواترة ، وأَشكره على نِعَمه المُتضافرة ، وأُصلِّي على رسوله محمد ذى المُعجزات الباهرة والآيات القاهرة ، وعلى آله وأصحابه الأَنْجُم الزاهرة ، وعلى التابعين لهم بإحسان أُولى الرُّتب الفاخرة ، صلاةً نُبلغهم بها أعلى مراتب الآخرة . و بعد :

فإنى لمّا أَوَيْتُ من الإحسان السلطانى الملكيّ المَنْصورى [1] — خلَّد الله سُلطانه، وأذلّ شانيه وأعلى شانه — إلى ظلّه الظَّليل ، وفاض عليّ صيِّبُ إنعامه الوافر الجزيل؛ فُزْت بخدمة مَلِكٍ كَمَّل الله خَلْقه كما كَمَّل أخلاقه ، وزكَّى ذاته الشريفة كما زكَّى أُصوله وأعراقَه ؛ فهو — أعز الله أنصاره — مُغْرًى با كتساب الفضائل ، مُغرم

---

(١) يريد الملك المنصور محمد بن عمر المظفر الأيوبى ، صاحب حماه . وكان عالماً بالتاريخ والأدب . توفى بقلعة حماه سنة ٦١٧ هـ . (انظر تاريخ حماه ص٤٨ — وفوات الوفيات ٢ : ٢٥٢) .

بأهلها ، لهجٌ باقتناء المحامد مؤثرٌ نظمَ شملها . واتّفق أنّه ذُكر بمقرّه العالى — الذى هو محطُّ الفضل والإفضال ، وإليه يَشُدُّ الرِّحالَ ذوو الآمال — كتابُ أبى الفرج الأصفهانىّ المعروف بالأغانى الكبير(١) ، وما احتوى عليه من الفضل الغزير والعِلْم الكثير ؛ غير أنّه قد شانه بذكر الأصوات ، وما احتوت عليه من أنواع النَّغم والإيقاعات ، ممّا لا فائدة فى ذكره ؛ إذ كان المُباشِرون لهذه الصناعة فى زَمَننا هذا إنما يعرفونها عَمَلًا لا عِلْماً ، وغيرُهم فلا ينتفعون بشىء مماذُكر ولا يُحيطون به فَهْماً . فخرج أَمْرُه المُطاع — أعلاه الله — بأن يُجرَّد من ذلك كلِّه ومن الأسانيد والتّكْرارات ، ومما لا فائدةَ فى ذكره من الأخبار والأشعار المُشتركات ؛ ويُقتصر على غُرر فوائده ، ودُرر فرائده . فبادر المَملوك إلى امتثال مرسومه العالى ، وأضاف إليه فوائد أُخَر تتعلّق به ، وشَرح بعض المُستغلق من ألفاظه ، والله المُستعان .

ونُقدِّم على ذلك بعضَ ما قيل فى هذا الكتاب وفضل مُصنفه :

مصنف الكتاب

أبو الفرج الأصفهانى

وهو عليّ بن الحُسين بن محمد بن أحمد بن الهَيْثم بن عبد الرحمن(٢) بن عبد الله ابن مَروان بن الحكم بن أبى العاص بن أُمية بن عبد شمس بن عَبْد مناف الأَموى القرشى . وكان مع أمويّته متشيِّعاً(٣) .

(١) وكذا فى ياقوت . وذكر ابن النديم أن كتاب الأغانى الكبير لإسحاق الموصلى .

(٢) رواية ابن خلكان وياقوت وابن شاكر وابن الأثير وابن الجوزى والثعالبى : «..بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان» .

(٣) قال التنوخى فى كتابه نشوار المحاضرة : «ومن المتشيعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصبهانى» . وقال ابن شاكر فى عيون التواريخ عنه : «إنه كان ظاهر التشيع» . وقال ابن الأثير فى الكامل : «وكان أبو الفرج شيعيا . وهذا من العجب» .

وُلد سنة أربع وثمانين ومائتين . وتُوفِّى فى ذى الحجة سنة ست وخمسين وثلثمائة. فكان عمره نحو أثنتين وسبعين سنة . وكان عالماً بأيّام النّاس والأنساب والسِّيَر ، شاعراً مُحسناً . والغالب عليه رواية الأخبار والآداب . وله مصنَّفات كثيرة ، منها: كتاب الأغانى ، هذا الذى لم يُصنَّف مثلُه . ومَقاتل الطالبيين . وأخبار الإماء[١] الشَّواعر . والحانات . والديارات . وآداب الغُرباء . ونَسب بنى عبد شمس . والتعديل والانتصاف، فى مآثر العرب . وجَمهرة النَّسب . ونسب بنى شَيْبان. وأيّام العرب . ونسب بنى تغلب . ونسب المَهالبة .ونسب بنى كِلاب. وكتاب القِيان[٢] . وكتاب الغِلْمان المُغَنين . ومُجرَّد الأغانى[٣] . وغير ذلك من المصنَّفات البديعة .

وذُكر أنه جمع كتاب الأغانى الكبير فى خمسين سنة ، وكَتب به نسخة واحدة وأهداها إلى سيف الدولة بن حَمْدان[٤] فأجازه بألف دينار . ولما بلغ ذلك الصاحبَ أبا القاسم بن عَبَّاد[٥] ، قال : لقد قصَّر سيف الدولة و إنه ليستأهل أضعافَهَا ، إذ كان كتابه موشَّحاً[٦] بالمحاسن المُنتخَبة والفقر الغريبة ، فهو للزاهد فكاهة وعِبْرة ، وللعالم مادّة وزيادة ، وللكاتب والمتأدّب بضاعة وتجارة ، وللبطل رُجْلة[٧] وشجاعة ،وللمتظرِّف رياضة وصناعة، وللمَلِك طِيبة ولذاذة. ولقد أشتملت

---

(١) فى الأصل : «الإماء والشواعر» . وما أثبتنا عن ابن خلكان وياقوت .

(٢) ذكره ياقوت باسم «كتاب أخبار القيان » .

(٣) خصه بكل ما غنى فيه دون الأخبار .

(٤) هو أبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان ممدوح المتنبى .ويقال : لم يجتمع بباب أحد من الملوك ما اجتمع بباب سيف الدولة من شيوخ العلم ونجوم الدهر . ولد فى ميافارقين سنة ٣٠٣ هـ. ملك واسط ودمشق وحلب . وتوفى سنة ٣٥٦ هـ . (انظر وفيات الأعيان ، يتيمة الدهر) .

(٥) هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس.وزير غلب عليه الأدب.استوزره مؤيد الدولة بن بويه الديلمى ، ثم أخوه فخر الدولة. ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة من صباه . ولد سنة ٣٢٦ هـ. وكانت وفاته سنة ٣٨٥ هـ . (انظر إرشاد الأريب ، ووفيات الأعيان) .

(٦) فى تصدير الأغانى طبعة دار الكتب : «مشحونا »

(٧) الرجلة ، بالضم : القوة على المشى .

خِزانتى على مائة ألف وسَبعة عشر ألفَ مجلَّد[١] ، ما منها ما هو سَميرى غيرُه .
ولقدعرّفنىأبو القاسم عبد العزيز بن يُوسف أنّ هذا الكتاب لم يكن يفارق الملكَ عَضُدَ الدولة بن بُويه[٢] فى سَفَره ولا حَضَره ، وأنه كان جليسَه الذى يأنس به ، وخِدْنَه الذى يرتاح إليه ، فزاده ذلك فى نفسِى شرفاً إلى شرفه ، ونُبْـلًا إلى نُبله .

ولما وَلِى ابنُ المَغربى[٣] الوزارة اختصره وأحبَّه، وصار له به غرام عظيم ، وأفرط فى تقريظه ومدحه فى خطبةِ مختصره وقال : « إنه لم يقف على مُصنَّف لأحدٍ أحسنَ منه ، وأنه اُختصره لأجل سفره ليصغُر حجمه » .

وقال أبو القاسم التَّنوخىّ[٤] : « من الرُّواة المتشيّعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأَصفهانى . كان يحفظ من الشعر والأغانى والأخبار والأحاديث المُسندة والنَّسب والآثار ، ما لم أَرَ قطُّ أحفظ منه ، وكان يحفظ دون ذلك من الطبّ والنُّجوم والنَّحو واللغة والُخرافات وآلة المنادمة ، مثل علم الجَوارح والبَيْطرة والأشربة[٥] » .

واختلفوا فى جَرْحه وتَعْديله، فمِمّن قَدح فيه أبو محمد الُحسين بن الحسين[٦] ،

---

(١) الذى فى ياقوت : «مائتين وستة آلاف مجلد» .

(٢) هو أبو شجاع فناخسرو ، الملقب عضد الدولة بن ركن الدولة أبى على الحسن بن بويه الديلمى . وهو أول من خوطب بالملك فى الإسلام . توفى سنة ٣٧٢ ﻫ ببغداد .

(٣) هو أبو القاسم الحسن بن على بن الحسين ، المعروف بابن المغربى . مولده بمصر سنة ٣٧٠ ﻫ . قتل الحاكم أباه فهرب إلى الشام . ثم تنقل فى بغداد والموصل. واستوزره مشرف الدولة البويهى أشهرا ثم عزله . وكانت وفاته سنة ٤١٨ ﻫ . (انظر ابن خلكان) .

(٤) هو أبو القاسم على بن محمد . كان عالماً بأصول المعتزلة ، ومن أهل الأدب . ولد سنة ٢٧٨ ﻫ . وتوفى سنة ٣٤٢ ﻫ . وأما ابنه أبو على صاحب نشوار المحاضرة ، والفرج بعد الشدة ، وغيرهما، فقد ولد سنة ٣٢٧ ﻫ . وتوفى سنة ٣٨٤ ﻫ . (انظر ابن خلكان) .

(٥) روى العبارة ابن خلكان فى ترجمة أبى الفرج باختلاف يسير .

(٦) هو أبو محمد الحسين بن الحسين بن محمد بن الحسين بن رامين القاضى ، لقى الشيوخ الصوفية . ومات ببغداد سنة ٤١٢ ﻫ .

فقال : « كان أبو الفرج أكذبَ الناس . كان يدخل سُوق الورّاقين فيشترى شيئاً كثيراً من الصُّحف فيروى منها » .

وممن عدَّله أبو الحسن[١] ، قال : « لم يكن أحدٌ أوثقَ من أبى الفرج الأصفهانى . وقد رُوى له شِعر حسن » .

قال أبو الفرج الأصفهانى : « بلغ جَحظة البرمكىّ أن مُدركَ بن شيبان[٢] ذكره بسوء وأنا حاضر ، فكتب إلىَّ :

أبَا فَرَجٍ أُهْجَى لديك ويُعْتدى ... علىَّ فلا تَحْمَى لذاك وتَغضبُ
لَعَمْرُكَ ما أنصفتَنى فى مودَّتى ... فكن مُعْتِباً إنَّ الأكارم[٣] تُعْتِبُ

فكتبتُ إليه :

عَجِبتُ لما بُلِّغْتَ عنِّىَ باطلًا ... وظَنُّك بى فيه لعمرُكَ أعْجَبُ
ثَكِلْتُ إذن نفسى وأهْلى[٤] وأسْرتى ... وعِزِّى[٥] ولا أدركتُ ما كنتُ أطلبُ
فكيف بمَنْ لا حَظَّ لى فى لقائه ... وسِيَّانِ عِنْدى وصلُه والتجنُّبُ
فثِقْ بأخٍ أصْفاكَ مَحْضَ مودَّةٍ ... تشاكَل منها ما بَدا[٦] والمُغيَّبُ

وهذا حين الشروع فيما قصدنا له ، وبالله التوفيق .

---

(١) هو أبو الحسن أحمد بن جعفر جحظة البرمكى أديب راوية . توفى سنة ٣٢٦ هـ . (انظر إرشاد الأريب . وابن خلكان) .

(٢) هو أبو القاسم الشيبانى مدرك بن محمد . ترجم له الخطيب فى تاريخ بغداد ولم يذكر سنة وفاته .

(٣) فى الأصل : « المكارم » . وما أثبتنا عن ياقوت .

(٤) فى ياقوت : « وعزى » .

(٥) فى ياقوت : « بفقدى » .

(٦) فى ياقوت : « والتغيب » .

أخبار أبي قطيفة

نسبه

هو عمرو بن الوليد بن عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط . واسم أبي مُعَيط أَبَانُ بن أبي عمرو ابن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب ابن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر — وإليه تعود قبائل قريش [1] — بن مالك بن النَّضر ابن كِنانة بن خزيمة بن مُدْركة بن اليأس [2] بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان .

قلتُ : إلى هنا أنتهى المعلوم من عَمود النَّسب ، وما بعد ذلك إلى إسماعيل ابن إبراهيم فغير معلوم . وقد اختلف النّسابون فيه اختلافاً كثيراً . وقد ذكر أبو الفَرج بعضَ ما قِيل ، فلا حاجةَ إلى ذكره ، إذ كان غير موثوق به .

شيء عن أبي عمرو ابن أمية

قال أبو الفَرَج : ذكر الهيثم بن عَديّ [3] في كتاب المَثَالب [4] أنَّ أبا عَمرو بن أُميّة كان عبداً لأُمية ، واسمُه ذَكْوان ، فاستَلْحقه .

وذكَر أنَّ دَغْفَلاً [5] النَّسابة دَخل على مُعَاوية فقال : مَن رأيتَ من عِلْيَةِ

(١) هذا رأى القلة من النسابين . أما كثرتهم فعلى أن النضر هو أصل قريش .

(٢) قال الزبيدى : «يحمل بعضهم» «اليأس بن مضر» على «إلياس» النبى فى همز أوله . والصواب فى «اليأس بن مضر» أن تعتبر فيه الألف واللام زائدتين ، كزيادتهما فى الفضل والعباس ، وأنهما داخلتان على المصدر الذى هو اليأس ، وقد تسهل همزته الثانية ، فيقال فيه : الياس . أما «إلياس» النبى ، فهو بقطع الهمزة الأولى مفتوحة أو مكسورة . وعبارة ابن منظور : «وإلياس اسم أعجمي ، وقد سمت به العرب» .

(٣) هو أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدى بن عبد الرحمن . إخبارى راوية . ولد بالكوفة قبل سنة ثلاثين ومائة . ومات سنة تسع ومائتين . وقيل : سبع . (انظر إرشاد الأريب) .

(٤) هو كتاب المثالب الكبير . ذكره ياقوت كما ذكره ابن النديم بين مصنفات كثيرة للهيثم .

(٥) هو دغفل بن حنظلة — وقيل حجر — بن زيد بن عبدة بن عبد الله بن ربيعة بن عمرو بن شيبان . اختلفوا فى صحبته . مات غريقاً فى يوم دولاب . (انظر الاستيعاب ، والإصابة والطبقات لابن سعد ، والفهرست لابن النديم) .

قُريش ؟ قال: رأيتُ عبدَ المطلب بنَ هاشم ، وأُمية بنَ عبد شَمس . قال : صِفْهما لى. قال : كان عبدُ المطلب أبيضَ مديدَ القامة حَسَن الوجه ، فى وجهه[١] نُور النُّبوة وعزُّ المُلْك، يُطيف به عَشْرة من بَنِيه كأنهم أُسْدُ غَاب . قال :فصِفْ أُمية . قال : رأيتُه شيخاً قصيراً نحيفَ الجسم ضَرِيراً يقُوده عبدُه ذَكْوان . فقال : مَهْ ! ذلك ابنُه أبو عمرو . قال:هذا شيء قُلتُموه بعـدُ وأَحدثتموه، فأمّا[٢] الذى عرفتُ فهو الذى أخبرتُك به .

خندف

وولدُ اليأس بن مُضر يُقَال لهم : خِنْدِف، وسُمُّوا بأُمهم خِنْدِفَ ، وهو لقبُها. واسمُها لَيْلى بنت حُلْوان[٣] بن عِمْران بن الحْافِ بن قُضاعة . وهى أُم مُدْرِكة ، وطابِخة ، وقَمَعَة[٤] ، بَنِى الْيأس .

الأعياص والعنابس

وكان لأُمَيَّة بن عبد شَمس أحدَ عشرَ ولداً ، وهم : العاص ، وأبو العاص، والعِيص ، وأبو العِيص ، والعُوَيص — ويقال لهؤلاء : الأعياص — وحَرْب ، وأبو حَرْب ، وسُفْيان ، وأبو سفيان، وعَمرو، وأبو عمرو . ويقال لهم العَنابس؛ لأنهم ثبتوا مع أخيهم حَرْب بن أُمية بعُكَاظ وعَقَلوا أنفسَهم وقاتلوا قتالاً شديداً ، فشُبِّهوا بالأُسد . والأُسْـد يقال لها : العَنابسُ، واحـدها عَنْبَسَة . وفى الأعياص يقول عبد الله بن فَضَالة :

وفود ابن فضالة على ابن الزبير

مِنَ الأَعْياصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ ... أَغَرَّ كغُرَّة الفَرَسِ الجَوادِ

قيل : أَتَى عبدُ الله بن فَضالة الوَالبِىّ ثم الأَسدىّ، من أسد بن خُزَيمة ، عبدَالله ابن الزُّبير ، فقال: نَفِدَتْ نَفَقَتى ، ونَقِبتْ راحِلَتى[٥] . فقال: أَحْضِرها. فأَحْضرها.

(١) رواية بعض أصول الأغانى : «فى جبينه» .

(٢) رواية بعض أصول الأغانى : « ولما» .

(٣) فى السيرة لابن هشام : «وخندف بنت عمران » .

(٤) اسم مدركة : عامر . واسم : طابخة : عمرو . واسم قمعة: عمير . وقد ذكر ابن هشام العلة فى تلقيبهم بهذه الألقاب .

(٥) نقبت الراحلة : رقت أخفافهـا وحفيت ، حتى يتمزق فرسنها . وفى حديث أبى موسى : «فنقبت أقدامنا» أى رقت جلودها وتنقطت من المشى .

فقال : أَقْبِل بها ، أَدْبِر بها . ففعل . فقال : أَرْقَعْها بسِبْتٍ[١] ، واخصِفْها بِهُلْب[٢] ، وأَنْجِد[٣] بها يَبْرُدْ خُفُّها، وسِرْ بها البَرْدَيْن[٤] تَصِحّ . فقال : إنى أتيتك مُستحمِلاً ولم آتك مُسْتوصفاً ، فلعن الله ناقةً حملتْنى إليك . فقال : إنَّ وراكبها . فانصرف عنه ابنُ فَضالة ، وقال :

أَقـول لغِلْمَتى شُـدُّوا رِكابى ... أُجاوِزْ بَطْنَ مكةَ فى سَوَادِ[٥]
فمالى حينَ أَقْطع ذاتَ عِرْقٍ ... إلى ابن الكاهليّة من مَعَاد[٦]
سيُبْعد بيننـا نَصُّ المَطايا ... وتَعْليقُ الأَداوَى والمَـزاد[٧]

---

(١) السبت ، بالكسر : كل جلد مدبوغ ، وخص بعضهم به جلود البقر ، مدبوغة كانت أم غير مدبوغة . قال الأزهرى : كأنها سميت سبتية ، لأن شعرها قد سبت عنها ، أى حلق وأزيل .

(٢) الهلب ، بالضم : الشعر كله ، وقيـل : هو فى الذنب وحده ، وقيل : هو ما غلظ من الشعر . وزاد الأزهرى : كشعر ذنب النـاقة . وقال الجوهرى : هوشعر الخنزير الذى يخرز به . واخصفها ، أى ضمها واخرزها .

(٣) أنجد الرجل : ارتفع وأتى النجد من الأرض ، وهو المرتفع ، وهو أبرد من الغور .

(٤) البردان : الغداة والعشى ، كالأبردين . والرواية فى الأغانى : « وسر البردين ».

(٥) نسب البغـدادى فى الخزانة (٢ : ١٠٠ ــ ١٠٣) هـذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدى . وذكره أبوالفرج فى الأغانى (١٠ : ١٧٣ طبعـة بلاق) منسوبا لفضالة ابن شريك .

(٦) ذات عرق : مهل أهل العراق ، وهو الحد بين نجد وتهامة . وقيل : عرق : جبل بطريق مكة ، ومنه : ذات عرق . وقال الأصمعى : ما ارتفع من بطن الرمة ، فهو نجد إلى ثنايا ذات عرق . وعرق : هو الجبل المشرف على ذات عرق . والكاهلية : زهراء بنت خثراء ، امرأة من بنى كاهل بن أسد ، وهى أم خويلد بن أسد بن عبد العزى . (انظر معجم البلدان ، والأغانى ١٠ : ١٧٣ طبعة بلاق) .

(٧) النص : ضرب من السير سريع . وهو فى الأصل : منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها . والأداوى : جمع إداوة ، وهى إناء صغير من جلد يتخذ للماء ، وقيل : إنما تكون إداوة ، إذا كانت من جلدين قوبل أحدهما بالآخر . وكان قياس الجمع : أدائى ، مثل رسالة ورسائل ، فتجنبوه وفعلوا به ما فعلوا بالمطايا والخطـايا ، فجعلوا فعائل فعالى وأبدلوا هنـا الواو ليدل على أنه قـد كانت فى الواحد واوا ظاهرة ، فقالوا : أداوى . فهذه الواو بدل من الألف الزائدة فى إداوة ، والألف التى فى آخر الأداوى بدل من الواو التى فى إداوة ، وألزموا الواو هاهنا كما ألزموا اليـاء فى مطـايا .

أَرى الحاجاتِ عنـد أبى خُبَيْب ... نَكِدْن ولا أُميَّةَ فى البـلاد

مِن الأَعْياص أو من آل حَرْب ... أغرَّ كغُرة الفرَس الجَوَاد

كان عبد الله بن الزُّبير يُكْنَى أبا خُبيب ، وأبا بكر ، وأبو بكر هو المعروف . ولم يكن يَكْنِيه أباخُبيب إلّا من أراد ذمَّه ، فيجعله كاللَّقب له[١] . فقال ابن الزُّبير، لمَّا بلغه الشعرُ : عَلِم أنها شرُّ أمّهاتى فعيّرنى بها ، وهى خيرُ عَمّاته[٢] .

ولفظة « إن » هاهنا بمعنى نعم .

مقتل ابن أبى معيط والنضر

وكان عُقبة بن أبى مُعَيط أحدَ الأُسَراء يوم بدر ، فأَمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بقَتْله . فقُتِل بين يديه صَبْراً[٣] .وكان الذى تولّى قتله علىُّ بن أبى طالب رضىالله عنه ؛ وقيل : بل قَتله عاصم بن ثابت بن أبى الأَقْلح الأنصارىّ . ثم أقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالصَّفْراء[٤] أَمر علىَّ بن أبى طالب ، فَضرب عُنق النَّضْر بن الحارث بن كَلَدة ، أحدَ بنى عَبْد الدَّار ، فقُتـل بين يديه صَبْراً .

قلتُ : لم يقتل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من الأسرى غير هذين ، وكانا شديدَى العداوة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فأَمّا عُقبة فإنه أَتى النبىَّ صلّى الله عليه وسلّم ، وهو يصلى فى الحِجْر ، فوضع ثوبه فى عُنقه وخَنقه به خَنْقاً شديداً .

(١) قال الثعالبى فى لطائف المعارف : « كان لابن الزبير ثلاث كنى : أبو خبيب ، وأبوبكر ، وأبوعبد الرحمن . وكان إذا هجى كنى بأبى خبيب » .

(٢) فى الخزانة (٢ : ١٠٠) : «لوعلم أن لى أما أحسن من عمته الكاهلية لنسبنى إليها».

(٣) الصبر : نصب الإنسان للقتل . يقال : قتله صبرا ، وقد صبره عليه . وقيل للرجل يقدم فيضرب عنقه : قتل صبرا ، يعنى أمسك على الموت . قال أبو عبيد : وكل من قتل فى غير معركة ولا حرب ولا خطأ ، فإنه مقتول صبرا . وأصل الصبر الحبس . وفى الحديث : إنهصلى الله عليه وسلم نهى عن قتل شىء من الدواب صبرا . قيل: هو أن يمسك الطائر أو غيره من ذوات الروح يصبر حياً ، ثم يرمى بشىء حتى يقتل .

فأَقْبل أبو بكر رضى الله عنـه ، وقال : أتقتلون رجلاً أنْ يقولَ ربّىَ الله !

وأمّا النَّضر فكان إذا تلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على قُريش القرآن قال : إنَّ ما يأتيكم به محمد أَساطير الأوّلين ، ويقوم فيحدّثهم بأخبار ملوك الفُرس وغيرهم .

ولما قُدِّم عُقبة بن أبى مُعَيط للقَتْل قال : يا محمد ، أنا خاصّةً من قُريش ؟ قال : نعم . قال: فمن للصِّبْية بعدى ؟ قال : النار . فلذلك سُمِّى بنو أبى مُعيط :صِبْيَةَ النار.

وقال عُمَر بن شَبَّةَ : قُتل النَّضر بالأُثَيْـل[1] .

ولمـا قُتل النَّضر قالتْ أُختهُ[2] قُتَيلةُ بنت الحارث تَرْثيه :

يا راكباً إنَّ الأُثيْـل مَظِنَّـةٌ ... من صُبْح خامسةٍ وأَنْتَ مُوَفَّقُ

بَلِّغْ[3] به مَيْتاً فإن[4] تحيّـةً ... ما إنْ تَزال بها الرَّكائبُ تَخفق

منِّى إليـه وعَـبرةً مَسْفوحَةً ... جادتْ بَوادرها[5] وأُخرى تَخْنُق

هَلْ يَسْمَعنّ[6] النَّضْرُ إنْ ناديتُه ... إنْ كان يَسمع هالكٌ أو يَنْطق

ظَلَّتْ سُيوفُ بنى أبيـه تَنُوشُه ... لله أَرْحامٌ هُنـاك تُشَـقَّق

صبراً[7] يُقادُ إلى المنيّـة مُتْعَباً ... رَسْفَ[8] المُقيَّد وهو عانٍ مُوثَق

---

(١) الأثيل : موضع قرب المدينة ، بين بدر ووادى الصفراء . (انظر ياقوت) .

(٢) قال ياقوت : هى ابنته . وكذا فى حماسة أبى تمام والبحترى .

(٣) فى حماسة البحترى : : «أبلغ» .

(٤) فى حماسة البحترى : «بأن» .

(٥) فى حماسة أبى تمام : «جادت لمائحها» . وفى حماسة البحترى : «جادت بوابلها».

(٦) فى حماسة أبى تمام : «فليسمعن» .

(٧) فى حماسة البحترى : « قسرا» . والبيت ساقط من حماسة أبى تمام .

(٨) فى حماسة البحترى : «رتك» . والرتك : مشـية فيها اهتزاز ، يستعمل فى الإبل وفى غيرها ، إلا أنه فى الإبل أكثر.

أمحمــدٌ ولأنتَ نَسْلُ(١) نَجيبةٍ ... فى قومها والفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِق

ما كان ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ وربما ... مَنَّ الفتى وهو المَغِيظ المُحْنَق

لو كنتَ قابِلَ فِدْيَة فلنأتينْ(٢) ... بأعزِّ ما يَغْلو لديك وينفُق

فالنَّضْرُ أقربُ مَن أخذتَ بزَلّةٍ(٣) ... وأحقُّهم إنْ كان عِتْقٌ يُعْتَق

قال : فبلغنا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : لو سمعتُ هــذا قبل أن أقتُلَه ما قتلتُه . فيقال : إنّ شعرها أكرمُ شعرِ مَوْتورة(٤) وأعفُّه .

وقال ابن إسحاق : إنّ قَتْل عُقْبة كان بِعِرْق الظُّبْية(٥) .

من خبر الوليد ابن عقبة

وكان الوليدُ بن عُقْبة بن أبى مُعَيط ، أخا عُثْمان بن عفّان رضى الله عنه لأُمه ، أُمهما أَرْوَى بنتُ عامر بن كُرَيز ، وأُمها أُم حَكيم ، البَيْضاء بنتُ عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مَناف . والبيضاء وعبدُ الله أبو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تَوْأمان . وكان عُقْبة تزوّج أَرْوَى بعد وفاة عفّان ، فولدت له الوليدَ، وخالداً ، وعُمارة ، وأُمّ كُلْثوم ، كُل هؤلاء إخوة عثمان لأُمه .

وولّى عثمانُ رضى الله عنه الوليدَ بن عُقْبة فى خلافته الكوفةَ ، فَشرب الخمرَ وصلّى بالناس وهو سَكْران فزاد فى الصلاة . فشُهِد عليه بذلك عند عثمان ، فجَلَده الحدّ . وسيأتى خبرُ ذلك فى موضعه .

اسم أبى قطيفة وكنيته ولقبه

وأبو قَطيفة بن الوليــد بن عُقْبة اسمُه عمرو ، ويُكنى أبا الوليد . وأبو قَطيفة لقبٌ له . والشعر الذى لأبى قطيفة المُصدَّر به ذِكْره ، هو :

(١) فى حماسة أبى تمام : «ضنء» . والضنء : الولد . وفى حماسة البحترى : «صنو» .
(٢) فى حماسة البحترى : «لفديته» . والبيت ساقط من حماسة أبى تمام .
(٣) فى حماسة البحترى : «أخذت وسيلة» . وفى حماسة أبى تمام : «أصبت وسيلة» .
(٤) الموتور : من قتل له قتيل فلم يدرك بدمه .
(٥) الظبية ، بضم الظاء وسكون الباء : موضع على ثلاثة أيام مما يلى المدينة . (انظر ياقوت) .

القَصْر فالنَّخْلُ فالجَمّـــاء بينهما   أَشْهَى إلى القلب من أكناف جَيْرونِ
إلى البَـــلاط فما حازت قَرائنُـــه   دُورٌ نَزَحْن عن الفحشاء والهُون
قد يكتُمُ النـــاسُ أسراراً فأعلمُهـــا   ولا يَنالون حتى الموتِ مكْنونى

خبر قصر سعيد ابن العاص

القصر، الذى عناه: قصرُ سَعيد بن العاص بالعَرْصَــة. والنخل: نخل كان لسعيد هُناك بين قَصْره وبين الجمّاء. والجماء: هى أرض كانت له، فصار جميعُ ذلك لمعاوية بن أبى سُفيان بعد وفاة سَعيد.

ذُكر أنّ سَعيد بن العاص لمـا حضرتْه الوفاةُ وهو فى قصره هذا قال له ابنُه عمرو: لو نزلتَ إلى المدينة! فقال: يا بُنىّ، إنّ قَوْمى لن يَضَنّوا علىّ بأن يَحملونى على رِقابهم ســاعةً من نهار، فإذا أنا مِتُّ فآذِنْهم، وإذا واريتنى فانطلق إلى معاوية فانْعَنى له وانظُر فى دَيْنى، واُعلم أنه ســيَعْرِض عليك قَضاءه فلا تَفْعل، وأعْرِض عليه قَصْرى هــذا فإننى إنما اتخذتُه نُزهة وليس بمال. فلما مات آذن به الناسَ، فحملوه من قَصره حتى دُفن بالبَقيع. ورواحلُ عمرو بن سعيد مُناخة، فعزّاه الناسُ على قبره وودّعوه. وكان هو أوّلَ من نعاه لمعاوية، فتوجّع له وترحّم عليه، وقال: هل ترَك دَيْناً؟ قال: نعم. قال: كم هو؟ قال: ثلثمائة ألف [درهم][1]. قال: هى علىّ. قال: قــد ظَنّ ذلك وأمرنى ألّا أَقبلَه منك، وأن أَعرضَ عليك بعضَ ماله فتبتاعَه فيكونَ قضاءُ دينه منه. قال: فاعرضْ. قال: قَصْره بالعَرْصة. قال: قد أخذتُه بدَيْنه. قال: هو لك على أن تَحْملها إلى المدينة وتجعلها بالوَافية[2]. قال: نعم. فحملها له إلى المدينة وفرّقها فى غُرمائه. وكان أكثرها عِداتٍ.

عمرو بن سعيد وقرشى كان يدين أباه

فأتاه شابٌّ من قُرَيش بصَكٍّ فيه عشرون ألف دِرْهم بشهادة سَعيد على نَفْسه

(١) زيادة من الأغانى عن نسخة.

(٢) الوافى: درهم وأربعة دوانق. والدانق: سدس الدرهم.

وشهادة مولًى له عليه . فأرسل إلى مولاه فأقرأه الصكّ . فلما قرأه بكى وقال : نعم ، هذا خطُّه وهذه شهادتى عليه . فقال له عمرو : ومن أين يكون لهذا الفتى عِشْرون ألفَ دِرْهم ، و إنما هو صُعلوك من صعاليك قُريش ! قال : أُخبرك عنه : مرَّ سَعيدٌ بعدعَزْله فاعترض له هذا الفتى يمشى معه حتى صار إلى منزله ، فوقف له سَعيد فقال : ألك حاجة ؟ قال : لا ، إلّا أنى رأيتُك تمشى وحدَك فأحببتُ أن أمشىَ معك لأَصِل جَناحك . فقال لى : أْتنى بصحيفة . فأتيته بهذه، فكتب له على نفسه هذا الدَّينَ وقال : إنك لم تُصادف عندنا شيئاً فخُذْ هذه ، فإذا جاءنا شىء فأْتنا . فقال عمرو : لا جَرم واللهِ ، لا تأخذُها إلّا بالوافية ، أعطه إيّاها . فَدفع إليه عشرين ألف درهم وافيةً .

من جود سعيد

وقيل : كان الرّجلُ يأتى سَعيداً يسأله ولا يكون عنده ، فيقول : ما عندى ، ولكن اكتُب علىّ به . فيكتُب عليه كتاباً ، فيقول : تُرَوْنِى أخذتُ منه ثمنَ هذا ؟ لا ، ولكنه يجىء فيسألنى ، فيَنْزو دمُ وجهه فى وجهى فأكره ردَّه . فأتاه مولًى لقريش بابن مَوْلاه ، وهو غلام ، فقال : إنّ أبا هذا قد هَلك وقد أردنا تَزْويجَه . فقال : ما عندى ، ولكن خُذ ما شئت فى أمانتى . فلما مات سعيدُ ابن العاص جاء الرجل إلى عمرو ، فقال : إنى قد أتيتُ أباك بابن فلان ، وأخبره القصة . فقال له عمرو : فكم أخذتَ ؟ قال : عشرة آلاف . فأقبل عمرو على القوم فقال : مَن رأى أعجز من هذا ؟ يقول له سعيد : خُذ ما شئت فى أمانتى ، فيأخذ عشرة آلاف . والله لو أخذتَ مائة ألف لأديتُها عنك .

و« القرائن » المذكورة فى شعر أبى قطيفة حيث يقول :

* إلى البلاط فما حازت قَرائنُه *

هى دُور كانت لبنى سعيد بن العاص مُتلاصقة ، سُمِّيت بذلك لاقترانها .

ذكر نَفْي بنى أُمية عن المدينة

قيل: لمّا سار الحُسين بن علىّ عليهما السلام إلى العراق شَمَّرَ ابن الزُّبير للأَمر الذى أراده ، و لَبِس المَعَافِرِىّ[1] وشَبَرَ بَطْنه وقال : إنما بَطْنى شِبْر ، وما عسى أن يَسع الشِّبر[2] . وجعل يُظْهِر عَيْب بنى أُميــة و يَدْعو إلى خِلَافهم . فأَمهله يزيدُ ابن معاوية سنةً ، ثم بعث إليه عشرةً من أهل الشام، عليهم النُّعمان بن بَشير الأَنصارىّ[3] . وكان أهل الشام يُسمُّون أولئك النَّفر العَشْرة الركْبَ ، وهم: عبدالله ابن عِضَاه الأَشْــعرى[4] ، ورَوْح بن زِنْباع الجُذَامِىّ[5] ، وسَــعْد بن حَمْزة الهَمْدانى ، ومالك بن هُبــيرة السَّــكُونى[6] ، وأبو كَبْشــة السَّــكْسَكى[7] ،

(١) المعافرى : نوع من الثياب ينسب إلى معافر ، قبيلة من اليمن عرفت به .

(٢) يشير إلى زهده واجتزائه بالقليل .

(٣) هو أبو عبد الله النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة . له ولأبويه صحبة . وأمه عمرة بنت رواحة . ولد على رأس أربعة عشر شهرا من الهجرة . وهو أول مولود ولد فى الأنصار بعد قدوم النبى صلى الله عليه وسلم . وكان من أخطب الناس . أمره معاوية على الكوفة ثم عزله وولاه حمص . بايع لابن الزبير بعد موت يزيد، فلما تمرد أهل حمص خرج هاربا، فأتبعه خالد بن خلى الكلاعى فقتله. وكان ذلك سنة ست وستين . (انظر تهذيب التهذيب).

(٤) هذه رواية ابن عساكر . وأما ابن حجر فى كتابه «الإصابة» فقد ذكر أنه عبد الله ابن عصام . ثم قال: شامى . وعرض لرواية ابن عساكر ونقل عنه أنه شهد صفين مع معاوية . وكان رسول يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن الزبير فى طلب البيعة ، فإنه كان ممن استخلفه مسلم بن عقبة لما فرغ من وقعة الحرة . وقصد مكة فأدركته الوفاة .

(٥) هو أبو زرعــة روح بن زنباع بن روح بن سلامى الجذامى . قال ابن حجر : ذكره بعضهم فى الصحابة، ولا تصح له صحبة، بل يجوز أن يكون ولد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم، فإن لأبيه صحبة ورواية . وكان أميرا على فلسطين . ومات سنة اربع وثمانين.

(٦) هو أبو سعيد مالك بن هبيرة بن خالد بن مسلم بن الحارث السكونى . قال البخارى : له صحبة . وقال البغوى : سكن مصر وكان فيمن شهد فتحها . وذكر ابن حجر له صحبة. مات فى زمن مروان بن الحكم . والسكونى ، نسبة إلى سكون ، بفتح السين وضم الكاف : بطن من كندة .

(٧) قال السمعانى : هو عريف السكاسك ، بطن من الأزد . روى عن أبى الدرداء . وذكر ابن حجر فى التهذيب نقلا عن الحاكم فى المدخل أن اسمه : البراء بن قيس . وقيل : إن البراء بن قيس كنيته أبو كيسة ، بياء مثناة من تحتها وسين مهملة .

وزَمْل (١) بن عمرو العُذْرِىّ (٢)، وعبدالله بن مَسْعود، وقيل: ابن مَسعدة الفَزارىّ (٣)، وأخوه عبد الرحمن ، وشَريك بن عبد الله الكِنانىّ (٤)، وعبد الله بن عامر الهَمْدانىّ (٥) . فأقبلوا حتى قَدِموا مكةَ على ابن الزُّبير . فكان النعمانُ يخلو به فى الحِجْر كثيراً ، فقال له عبدُالله بن عِضاه يوماً : يا بن الزُّبير ، إنّ هذا الأنصارىّ والله ما أُمِر بشىء إلّا وقد أُمرنا بمثله ، إلّا أنه قد أُمِّر علينا ، و إنى لأدرى والله ما بين المُهاجرين والأنصار . فقال ابنُ الزبير : ما لى ولك ! إنما أنا بمنزلة حَمامةٍ من حمام مكة ، أفكنت قاتلاً حماماً من حمام مكة ؟ قال : نعم ، و ما حُرمة حمام مكة ! يا غلام ، ائتنى بقوسى وأسْهمى . فأتاه بقوسه وأَسهمه . فأخذ سَهماً فوضعه فى كَبِد القوس ثم سدّده نحو حمامة من حمام المَسجد، ثم قال : يا حمامة، أيشرب يزيد بن معاويةَ الخمرَ؟ قُولى : نعم ، والله لئن فعلت لأرمينّك . يا حمامة، أتخلعينَ يزيد بن معاوية وتفارِقين أُمَّةَ محمد وتقيمين فى الحرم حتى يُستحلَّ بك ؟ والله لئن فعلت لأرمينّك . فقال ابنُ الزُّبير : و يحك ! أو يتكلّم الطائر؟ قال : لا ، ولكنك يابن الزُّبير تتكلّم ، وأُقسم بالله لتبايعنّ طائعاً أو مُكْرهاً ، أو لتتعرّفَنّ رايةَ الأشعريّين فى هذه البطحاء ، ثم لا أُعظِّم من حقها ما يُعظَّم . فقال ابن الزبير :

(١) هو زمل ، وقيل زميل ، بن عمرو بن عنز العذرى . وفد على النبى صلى الله عليه وسلم . وشهد صفين مع معاوية ، وكان أحد شهود التحكيم بها . واستعمله يزيد بن معاوية على خاتمه ، وشهد بيعة مروان بالجابية . وقتل يوم مرج راهط سنة أربع وستين .

(٢) ذكر ابن حجر فى الإصابة أنه عبد الله بن مسعدة بن حكمة بن مالك . والذى ذكره ابن عبد البر : عبد الله بن مسعدة بن مسعود بن قيس . ونقل ابن حجر عن ابن حبان : عبد الله بن مسعدة بن مسعود . وكان عبد الله فى سبى بنى فزارة . فوهبه النبى صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة فاعتقته . وكان صغيراً فتربى عندها. ثم كان عند على، ثم كان بعد ذلك عند معاوية ، وصار أشد الناس على علىّ . ثم كان على جند دمشق بعد الحرة، وبقى إلى خلافة مروان .

أو تَستَحلّ الحرم ؟ قال : إنما يَستحلّه من أَلْحَد فيه . فَحبَسهم شهراً ثم رَدَّهم إلى يزيدَ بنِ معاوية ، ولم يُجبْه إلى شىء .

وقال أبو العبَّاس الأعمى (١) فى شَبْر ابن الزُّبير بَطْنَه :

ما زال فى سُورة الأعراف (٢) يدرسُها
حتى بدا لىَ (٣) مثلَ الخزّ فى اللّين
لو كان بطنُك شِبراً قد شَبِعتَ وقد
أفْضلت فضلاً كثيراً للمساكين

ومضى ابنُ الزُّبير إلى صفيّة بنت أبى عُبيد ، زوجةِ عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، فذكر لها أن خُروجَه كان غضباً لله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والمهاجرين والأنصار ، من أَثَرة معاويةَ وابنِه يزيدَ بالفَىء ، وسألها مَسْألته أن يبايَعه . فلما قدّمت له عِشاءه ذكرت له أَمْر ابن الزبير واُجتهادَه وأثْنت عليه ، وقالت : ما يدعو إلاّ إلى طاعة الله عزّ وجل ، وأكثرت القولَ فى ذلك . فقال لها : أما رأيتِ بَغَلاتِ معاوية التى كان يحُجّ عليهن الشُّهْبَ ؟ فإن ابنَ الزُّبير ما يريد غيرَهن .

وأقام ابنُ الزُّبير على خَلْع يزيدَ بن معاوية ، ومالأه الناس على ذلك، فدخل

---

(١) هو أبو العباس السائب بن فروخ المكى . شاعر هجاء من أنصار بنى أمية . أكثر شعره فى هجاء آل الزبير، غير مصعب، لأنه كان يحسن إليه . (انظر نكت الهميان، ومعجم الشعراء للمرزبانى) .

(٢) لعله أراد الإشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأعراف (يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) .

(٣) فى الأصل : «فؤادى» مكان « بدالى » . وهى رواية أكثر أصول الأغانى .

عليه عبدُ الله بنُ مُطيع[١]، وعبد الله بن حَنْظلة ، [٢]وأهلُ المدينة ، المسجدَ وأتَوْا المِنْبر وخلعوا يزيدَ . فقال عبد الله بن أبى عمرو بن حَفْصِ بن المُغيرة المخزوميّ: خلعتُ يزيد كما خلعتُ عمامتى ، ونزعها عن رأسه ، وقال : إنى لأقول هذا وقد وصلنى وأحسن جائزتى، ولكنّ عدوّ الله سكّير . وقال آخر : خلعتُه كما خلعتُ نَعلى . وقال آخر : خلعتُه كما خلعتُ ثوبى . وقال آخر : خلعته كما خلعت خُفِّى . حتى كثُرت العمائم والنِّعال والخِفاف ، وأظهروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك . وامتنع منه عبدُ الله بن عُمر ، ومحمّد بن علىّ بن أبى طالب . وجرى بين محمدٍ خاصةً و بين أصحاب ابن الزُّبير فيه قولٌ كثير ، حتى أرادوا إكراهه على ذلك . فخرج إلى مكة . وكان هذا أولَ ما هاج الشرَّ بينه و بين ابن الزُّبير .

وقعة الحرة

واجتمع أهلُ المدينة لإخراج بنى أُمية عنها ، وأخذوا عليهم العهُود ألا يُعينوا عليهم الجيش وأن يردُّوهم عنهم ، فإن لم يقدروا على ردّهم لا يرجعوا إلى المدينة معهم . فقال لهم عثمان بن محمد بن أبى سُفيان : أَنْشدكم الله فى دمائكم وطاعتكم ، فإنّ الجنود تأتيكم وتَطؤكم ، وأُعْذِر لكم ألاّ تُخرجوا أميرَكم ، إنكم إن ظَفرتم وأنا مُقيم بين أظهركم فما أيْسر شأنى وأَقْدَركم على إخراجى، وما أقول هذا إلاّ نظراً لكم،

---

(١) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود الكعبى القرشى العدوى ، من رجال قريش جلدا وشجاعة . ولد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم . وكان على قريش يوم الحرة ، فلما انهزم أصحابه توارى فى المدينة . ثم سكن مكة . واستعمله ابن الزبير على الكوفة ، فأخرجه المختار ابن أبى عبيد منها . فعاد إلى مكة ، فلم يزل بها إلى أن قتل مع ابن الزبير فى حصار الحجاج له ، وأرسل رأسه إلى الشام مع رأس ابن الزبير وصفوان . (انظر الإصابة، وتهذيب التهذيب).

(٢) هو أبو عبد الرحمن — وقيل أبو بكر — عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر الأنصارى . وأبوه حنظلة المعروف بغسيل الملائكة . ولد عبد الله سنة أربع . وقتل يوم الحرة . وكان أمير الأنصار يومئذ ، وذلك سنة ثلاث وستين . حكى ابن حجر أن ممن وفد إلى يزيد بن معاوية : عبد الله بن حنظلة معه ثمانية بنين له ، فأعطاه مائة ألف وأعطى بنيه كل واحد عشرة آلاف . فلما قدم المدينة أتاه الناس فقالوا : ما وراءك ؟ قال : أتيتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بنى هؤلاء لجاهدته بهم .

أُريد به حَقْن دمائكم . فشَتموه وشَتموا يزيدَ، وقالوا : لا نبدأ إلاَّ بك ، ثم نُخرجهم بعدك . فأتى مروانُ بن الحكم عبدَ الله بن عُمر رضى الله عنهما ، فقال : يا أبا عبد الرّحمن ، إن هؤلاء القوم قد ركبونا كما (١) ترى ، فما ترَى فى ضَمّ عيالنا؟ فقال : لستُ من أمركم وأمر هؤلاء فى شىء . فقام مروان وهو يقول : قبَح الله هذا أمراً وهذا ديناً ! ثم أتى علىَّ بن الحسين عليهما السلام ، فسأله أن يضم أهلَه وثَقَلَه ، (٢) ففعل ، ووجّهم وامرأته أُمَّ أَبان بنت عثمان إلى الطائف، ومعها أبناه : عبدُ الله ، ومحمد . فعرض حُرَيث رَقَّاصة ، وهو مولى لبنى بَهْز من سُلَيم ــ كان بعضُ عُمّال المدينة قطع رِجْله ، فكان إذا مَشى كأنه يرقُص ، فسمِّى رقّاصة ــ لثَقَل مروان ، وفيهم أُم عاصم بنت عاصم بن عُمر بن الخطاب ، فضربتْه بعصاً فكادت تدق عُنقه ، فولّى . ومضَوْا إلى الطائف .

قلت : أُم عاصم هذه ، أُم عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .

قال : وأَخْرجوا بنى أُمية ، فمضوا إلى ذى خُشُب (٣) ، وفيهم عثمان بن محمد بن أبى سفيان ، والوليد بن عُتْبة بن أبى سُفيان . وأَتْبعهم العبيدُ والصِّبيان والسَّفِلة يَرْمونهم . وأقامت بنو أُمية بذى خُشُب عشرةَ أيام، وسيَّروا حَبيب بن كُرّةَ إلى يزيد بن معاوية يُعلمونه ، وكتبوا إليه : الغَوْثَ! الغوثَ! و بلغ أهلَ المدينة أنهم وجّهوا رجلاً إلى يزيد . فخرج محمد بن عمرو بن حَزْم ، ورجل من بنى سُلَيم، من بَهْز، وحُرَيث رقّاصة، وخمسون راكباً، فأزعجوا بنى أُمية منها ؛ فنخس حُرَيثٌ بمروان فكاد يسقط عن ناقته ، فتأخّر عنها وزَجرها وقال : أَعْلَىْ وأَسْلمى . فلما كانوا

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بما » .

(٢) الثقل : المتاع والحشم .

(٣) ذو خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة .

بالسُّويداء [١] عَرَض لهم مولًى لمروان ، فقال : جُعلتُ فِداكَ ! لو نزلتَ فأرحْتَ وتغدَّيت ، فالغَداء حاضر . فقال : لا يَدَعُنى رقَّاصةُ وأشباهُه ، وعسى الله أن يمكِّن منه فتَقْطعَ يَدُه . ونظر مروان إلى ما له بذى خُشُب ، فقال : لا مالَ إلا ما أحرزتْه العِياب . فمضَوْا فنزلوا حَقِيلاً [٢]، أو وادى القُرى . [٣] وفى ذلك من فعلهم يقولُ الأحوص :

لا تَرْثِيَنّ لِحَزْمىٍّ رأيتَ به ضُرًّا ولو أُلْقِى الحزمىّ فى النَّارِ
الناخسين بمَرْوانٍ بذى خُشُب والُمقْحمين على عُثمانَ فى الدّار

فدخل حبيب بن كرّة على يزيد بن معاوية ، وهو واضع رجلَه فى طَسْت لوَجَع كان يجدُه ، بكتاب بنى أُمية ، وأخبره الخبر . فقال : أما كان بنو أمية ومواليهم ألفَ رجل ؟ قال : بلى ، وثلثةَ آلاف . قال : أفعجزوا أن يقاتلوا ساعةً من نهار ؟ قال : كَثَرَهم الناسُ ولم تكن لهم بهم طاقةٌ .

فندب الناسَ وأمَّر عليهم صَخْر بن أبى الجهْم . فمات قبل أن يَخْرج الجيشُ . فأمَّر مُسلم بن عُقْبة الذى يُدعى مُسْرِفاً . فقال ليزيد : ما كنتَ مُرسلاً إلى المدينة أحداً إلا قَصّر ، وما صاحبُهم غيرى ، إنى رأيتُ فى منامى شجرةَ غَرْقد تَصيح : على يدىْ مُسلم . فأقبلتُ نحو الصوتِ فسمعتُ قائلا يقول : أدرك ثأرك أهلَ المدينة قتلةَ عُثمان . فخرج مُسلم ، وكان من قصة الحرّة ما كان على يده ، وليس هذا موضعَه .

قلت : إنّ مُسلماً أتى المدينةَ فقاتل أهلَها فهزمهم ودخلها ، وقتل المهاجرين والأنصار ، وأباحها ثلاثة أيام ، ثم أخذ البيعة على مَن بقى ، أنهم خَوَلٌ ليزيد

(١) السويداء : موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام . (عن ياقوت) .
(٢) حقيل : موضع .
(٣) وادى القرى : واد بين المدينة والشام ، كثير القرى . (عن ياقوت) .

ابن معاوية ، وكل مَن امتنع مِن أن يبايع كذلك ضرب عُنقه . ثم توجّه إلى مكة لمحاربة ابن الزبير ، فمات فى الطريق، فقام بأمر الجيش الُحصين بن نُمير السَّكونى[(١)] . فتقدّم بالجيش إلى مكة وحاصرها ورمى الكعبة، شرّفها الله، بالمنْجنيق والنار حتى تهدّمت الكعبة . ولم يزل مُحاصراً مكة حتى وصل إليه نَعْىُ يزيد بن معاوية ، فرجع بالجيش إلى الشام ، وبايع ابنُ الزبير لنفسه بالخلافة .

شعر أبى قطيفة فى حنينه إلى المدينة

قال أبو الفرج : فقال أبو قطيفة فى ذلك :

بَكَى أُحُد لما تحمّل أهلُه ... فكيف بذى وَجْد من القوم آلِفِ

من أُجْل أبى بكر جلَت عن بلادها ... أُميةُ والأيّام ذاتُ تَصَارِف

وقال أيضاً :

بكى أُحُد لما تحمّل أهلُه ... فَسَلْع[(٢)] فدارُ المال أَمست تَصدَّعُ

وبالشام إخوانى وجُلّ عَشيرتى ... فقد جَعلت نفسى إليهم تَطَلّع

ولما طال مقامُه بالشام[(٣)] قال :

ليت شِعْرى وأين منّىَ ليتُ ... أعَلَى العَهْد يَلْبَنٌ[(٤)] فبِرَامُ

أم كعهدى العَقيقُ أم غَيّرتْه ... بعدىَ الحادثاتُ والأيام

وبأهلى بُدِّلْت عَكّاً ولَخْماً ... وجُذَاما وأين منّى جُذام

وتبدّلْتُ من مساكنِ قَوْمى ... والقُصورِ التى بها الآطامُ

كُلَّ قَصْر مُشيَّد ذى أَوَاسٍ[(٥)] ... يتغنَّى على ذُراه الحَمام

(١) هو الحصين بن نمير الكندى، ثم السكونى الحمصى . ترجم له صاحب : تهذيب التهذيب .

(٢) سلع : موضع بقرب المدينة (عن ياقوت) .

(٣) كان ابن الزبير قد نفاه مع من نفى من بنى أمية عن المدينة إلى الشام .

(٤) يلبن : جبل قرب المدينة . وبرام ، بفتح أوله وكسره : جبل فى بلاد بنى سليم عند الحرة من ناحية البقيع (عن ياقوت) .

(٥) الأواسى : جمع آس ، وهو الأصل . ويروى : «ذى أواش» بشين معجمة ، كأنه أراد أن هذه القصور موشية ، أى منقوشة .

قرَ منِّى السلامَ إن جئتَ قَوْمى ... وقليلٌ لهم لدىَّ السلامُ
أَقْطَعِ الليلَ كُلَّه بزفـــيرٍ ... واكتئابٍ فما أكادُ أَنَام
نحو قومِى إذ فرّقت بيننا الدا ... رُ وجارت عن قصدها الأحلام
خَشْيةً أنْ يُصيبهم عَنَتُ الدّهـ ... ـرِ وحَرْبٌ يَشِيب منها الغُلام
فلقد حان أن يكونَ لهذا الـــدَّهرِ عَنَّا تَبـاعُدٌ وانصِرام

عفو ابن الزبير عن أبي قطيفة

قيل: إنَّ عبد الله بن الزُّبير لما بلغه شعرُ أبي قطيفة قال : حَنَّ والله أبو قطيفة، وعليه السلامُ ورحمة الله ، من أتاه فَلْيخبره أنه آمن فَلْيرجع . فأُخبر بذلك ، فأنكفأ راجعاً إلى المدينة ، فلم يصل إليها حتى مات .

خبر زهرية سمعت من شعره

وذُكر أن امرأة من بنى زُهْرة خرجتْ فى خِفٍّ ، (١) فرآها رجلٌ من بنى عبد شَمْس من أهل الشام ، فأعجبته ، فسأل عنها ، فنُسبت له . فخطبها إلى أهلها ، فزوّجوه إياها بكُرْهٍ منها . فخرج بها إلى الشام، فخرجتْ مَخْرجاً ، فسمعت متمثِّلا يقول : والأبيات لأبي قطيفة :

ألا ليتَ شِعْرى هل تَغير بعدنا ... جَبُوبُ المُصلَّى أم كعهدى (٢) القرائنُ
وهل أدْؤرٌ حول البَلاط عَوامِرٌ ... من الحىّ أم هل بالمدينة ساكِنِ
إذا برقتْ نحو الحجاز سحابةٌ ... دعا الشوقَ منّى برقُها المُتيامِنِ
فلم أَترُكنْها رغبةً عن (٣) بلادها ... ولكنّه ما قدَّر اللهُ كائن
أَحِنُّ إلى تلك الوجوه صَبابةً ... كأنى أسيرٌ فى السَّلاسل راهِنِ

فتنفسّت بين النساء فوقعتْ ميتةً .

قيل: إن هذه المرأة هى حُميدة بنت عمر بن عبد الرحمن بن عَوْف، رضى الله عنه.

---

(١) يقال : خرج فلان فى خف من أصحابه ، أى فى جماعة قليلة . والذى فى الأصل « فى حق » تحريف .

(٢) الجبوب : الحجارة والأرض الصلبة . والذى فى الأصل : « جنوب » . وما أثبتنا عن ياقوت .

(٣) وفى رواية : «وما أخرجتنا رغبة عن بلادنا» .

شعره فى طلاق امرأته

وذُكر أن أبا قطيفة طلّق امرأته ، فقال :

فيا أسفاَ لفُرْقة أُم عَمْرو ورِحْـلةِ أهلِها نحوَ العِراقِ
فليس إلى زِيارتها سَبِيلٌ ولا حتَّى القيامةِ من تلاقِ
وعَلَّ اللهَ يَرْجِعها إلينـا بموتٍ من حَلِيل أو طَلاق
فأَرْجِعَ شامتاً وتقرَّ عَيْنِى ويُجْمَعَ شَمْلُنا بعد افتراق

مقتل سعيد ابن عثمان

وذُكر أنّ معاوية بن أبى سفيان استعمل سَعيد بن عثمان بن عفّان على خُراسان ، فلما عزله ، قدم المدينةَ بمال وسلاح وثلاثين عَبْداً من السُّغْد[1] ، فأمرهم أن يَبْنوا له داراً . فبينا هو جالسٌ فيها ومعه ابنُ سَيْحان ، وابن زِينَة ، وخالد ابن عُقبة ، وأبو قَطيفة ، إذ تآمر العبيدُ بينهم فقتلوه . فقال أبو قطيفة يرثيه ، وقيل إنها لأخيه خالد بن عقبة[2] :

يا عينُ جُودِى بدَمْع منكِ تَهْتانَا وأَبكى سعيدَ بنَ عثمانَ بن عفّانَا
إنّ ابنَ زِينَة لم تصدُقْ مودّتُه وفرَّ عنه ابن أَرْطاةَ بنِ سَيْحانا

(١) السغد بالسين ، ويقال بالصاد : ناحية ، من قراها بخارى ، وسمرقند قصبتها . (عن ياقوت) .

(٢) هو أخو عثمان لأمه ، أمها أروى بنت عامر بن كريز . وكان عقبة بن أبى معيط تزوج أروى بعد وفاة عفان ، فولدت له الوليد ، وخالدا ، وعمارة ، وأم كلثوم . كل هؤلاء إخوة عثمان لأمه .

بعض أخبار مَعْبَد

نسبه

هو مَعْبَد بن وَهْب. وقيل: ابن قَطنِيّ. وقيل: ابن قَطَن، مولى العاص ابن وَابصة المخزوميّ: وقيل: بل مولَى مُعاويةَ بن أبي سُفْيان.

كان أبوه أسودَ، وكان هو خِلاَسيًّا [1] مديدَ القامة أَحْوَلَ.

نشأته ووفاته

ذكر ابن خُرْدَاذْبَه أنه غنّى أول أيام بنى أُمية، وأدرك دولةَ بنى العباس. وقد أَصابه الفَالِجُ وأُرتَعش، فكان إذا غَنّى يُضْحَك منه ويُهزأ به.

قال أبو الفرج: وأبن خُرْدَاذْبه قليلُ التحصيل لما يَرْويه ويُضمِّنُه كُتُبَه. والصَّحيح أنّ معبداً مات فى أيام الوليد بن يَزيد بدِمشْقَ وهو عنده. وقد قيل إنه كان أصابه الفالِجُ، وأُرتعش وبَطَل صوتُه. فأما إدراكُه دولةَ بنى العبَّاس فلم يرْوه أحدٌ سوى أبن خُرْدَاذ به، ولا رواه هو عن أحد، وإنما جاء به مُجازفةً.

قال كَرْدَم بن مَعْبَد: مات أبى وهو فى عسكر الوليد بن يَزيدَ وأنا معه، فنظرتُ حين أُخْرِج نَعشُه إلى سَلاَّمةِ القَسِّ، جاريةِ يزيدَ بن عبد الملك، وقد أضرب الناسُ عنه ينظرون إليها وهى آخذةٌ بعمود السرير وهى تَنْدُب [2] أبى وتقول:

قد لَعَمْرى بِتُّ لَيْلى ... كأخى الداء الوَجِيعِ
ونَجِيُّ الهَمِّ منِّى ... باتَ أدْنَى من ضَجِيعِى

---

(١) الخلاسى: الولد بين أبوين: أبيض وأسود.

(٢) فى بعض أصول الأغانى: «تبكى».

كلما أبصرتُ رَبْعاً خالياً فاضتْ دموعى
قد خلا من سيّدٍ كا ن لنا غَيْرُ مُضيع
لا تَلُمْنا إنْ خَشَعنا أو هَمَمْنا بخُشُوع

قال كَردم : وكان يزيدُ أمرَ أبى أن يُعلّمها هذا الصوت ، فعلّمها إياه فندبَتْه به يومئذ .

قال :

فلقد رأيتُ الوليدَ بنَ يَزيدَ وأخاه الغَمر متجرِّدَيْن فى قميصين ورِداءين يمشيان بين يدى سريره حتى أُخرج من دار الوليد ؛ لأنه تولّى إخراجه من داره إلى موضع قَبره .

منزلته فى الغناء

وكان معبدُ أحسنَ الناس غِناءً ، وأجودهم صَنعة ، وأحسنهم حَلْقاً . وهو فحل المُغنِّين ، وإمام أهل المدينة فى الغناء .

أخذه جائزة لابن صفوان

قال معبدُ : قَدِمْتُ مكة فقيل لى : إن ابن صَفْوان قد سَبَّق بين المغنِّين جائزةً . فأتيتُ بابَه وطلبتُ الدُّخول . فقال لى آذِنُه : قد تَقدَّم إلىَّ ألَّا آذَنَ لأحد عليه ولا أُوذِنه به . قال : فقلت : دَعْنى أَدْنُ من الباب فأُغنِّىَ صوتاً . فقال : أمّا هذا فنَعَم . فدنوتُ من الباب فغنّيتُ صوتاً . فقالوا : معبد ! وفتحوا لى ، فأخذتُ الجائزة يومئذ .

مبدأ غنائه

وقال معبد : كنتُ غلاماً مملوكا لآل قَطَن مولى بنى مَخْزوم ، وكنتُ أتلقّى الغَنَم بظَهْر الحَرّة ، وكانوا تِجَاراً أُعالج لهم التِّجارة فى ذلك ، فآتى صخرةً مُلْقاة بالحَرّة باللّيل فأَستند بها[1] ، فأسمع وأنا نائم صوتاً يجرى فى مَسامعى . فأقومُ من النوم فأَحْكيه . فهذا كان مبدأ غِنائى .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : «إليها» .

حديث رجوع ابن سريج والغريض عن المدينة

وذكر أن ابن سُريج والغَريض قَدِمَا المدينةَ يتعرَّضان لمعروف أهلها ويَزُوران صَدِيقهما من قُريش وغيرهم . فلما شارفاها تَقدَّما ثَقَلَهما لِيرتادا منزلاً ، حتى إذا كانا بالمَغْسِلة ، وهى الجبانة على طَرف المدينة تُغْسل فيها الثياب ، وإذا هما بغُلام مُلْتحف بإزار وطَرَفُه على رأسه ، وبيده حِبَالة يتصيّد بها الطيرَ وهو يتغنَّى :

القصرُ فالنَّخْل فالجمَّاء بينهما أَشْهَى إلى القلب[1] من أبواب جَيْرونِ

وإذا الغلام مَعْبد . فلما سَمع ابن سُريج والغَريض معبداً مالَا إليه واستعاداه الصوتَ ، فأعاده ، فسمعا شيئاً لم يَسْمعا مثلَه قطُّ . فأقبل أحدهما على صاحبه فقال : هل سمعتَ كاليوم قطُّ ؟ قال : لا والله ، فما رأيُك ؟ قال ابن سُريج : هذا غناء غلامٍ يتصيَّد الطيرَ ، فكيف بمَنْ فى الجوْبة ![2] — يعنى المدينة — فأمّا أنا فثَكِلَتْه والدتُه إن لم أرْجع . فكَرَّا راجعين .

نادرة له فى طريقه إلى الحجاز

وقال مَعْبد : بَعث إلىَّ بعضُ أمراء الحجاز — وقد كان يُجمع له الحَرَمان — أنِ اُشْخَص إلى مكة . فشَخَصْتُ . قال : فتقدَّمتُ غُلامى ، فاشتدَّ علىَّ الحرُّ فى ذلك اليوم والعطشُ ، فانتهيتُ إلى خِباء فيه أسودُ ، وإذا حِبَابُ[3] ماء قد بُرِّدتْ ، فمِلْتُ إليه فقلتُ : يا هذا ، اسْقِنى من هذا . فقال : لا . فقلتُ : فأْذَن لى فى الكِنِّ ساعةً . قال : لا . فأنختُ ناقتى ولجأتُ إلى ظلِّها فاستترتُ به ، وقلت : لو أحدثتُ لهذا الأمير شيئاً من الغناء أَقْدَمُ به عليه ، ولعلِّى أيضاً إن حرَّكتُ لسانى أن يَبُلَّ حلقى فيُخفِّفَ عنى بعض ما أجدُ من العطش . فترنمتُ بصوتى :

القَصْر فالنَّخْلُ فالجمَّاء بينهما أشهى إلى القَلْب من أبوابِ جَيْرُونِ

(١) فى بعض الأصول الأغانى : «النفس» .

(٢) يريد المدينة ، لأن الجوبة الموضع ينجاب فى الحرة ، والمدينة بين حرتين تكتنفانها .

(٣) حباب : جمع حب ، بالضم ، وهى الجرة ، صغيرة كانت أم كبيرة .

فلما سمعه الأسودُ، ما شَعرتُ به إلاَّ وقد احتملنى فأدخلنى خباءه ، ثم قال: بأبى أنت وأمى ! هل لك فى سَوِيق السُّلْت[١] بهذا الماء البارد ؟ فقلت : قد منعتنى أقلُّ من ذلك ، وشربةٌ من ماء تجزئنى . قال : فسقانى حتى رَوِيتُ ، وجاء الغلامُ، فأقمتُ عنده إلى وقت الرَّواح . فلما أردتُ الرِّحْلة قال : بأبى أنت وأمى ! الحرُّ شديد، ولا آمَن عليك مثلَ الذى أصابك ، فأْذَنْ لى أحملْ معك قربةً على عُنقى وأسعَى بها معك ، فكلما عطشْتَ سقيتُك صَحْنا وغنَّيتَنى صوتا . فقلتُ : ذلك لك . قال ، :فوالله ما فارقنى يَسْقِينى وأُغنِّيه حتى بلغتُ المنزل .

هو وابن سريج فى بطن مر

وقيل : كان معبد خارجاً إلى مكة فى بعض أسفاره ، فسمع فى طريقه غناءً فى بَطْن مَرٍّ[٢] ، فقَصد الموضع ، فإذا رجلٌ جالسٌ على حَرْف بِرْكة فارقٌ شعْرَه ، حسنُ الوجه ، عليه دُرَّاعة[٣] قد صَبغَها بزَعْفران ، و إذا هو يتغنّى :

حَنَّ قلبى من بعد ما قد أنابا ودعَا الهمَّ شَجْوُه فأَجابَا
ذاكَ مِنْ منزلٍ لسَلْمَى خَلَاء لابسٍ من خَلَائه جِلْبَابا
عُجْتُ فيه وقلتُ للرَّكْب عُوجُوا طَمَعاً أن يَرُدَّ ربعٌ جوابا
فاستثار المَنْسىَّ من لَوْعة الحُبِّ وأَبدى الهمومَ والأَوْصَابا

فقال له ابن سُرَيج : أنت معبد والله ؟ قال : نعم . وأنت ابنُ سُرَيج ؟ قال : نعم ، والله لو عرفتُك ما غنَّيتُ بين يديك .

هو والجوارى المغنيات فى طريقه إلى الأهواز

وذُكر أن معبداً كان قد علَّم جاريةً من جَوارى الحجاز الغِناءَ . تُدْعى ظَبْيةَ، وعُنِى بتخْريجها . فاشتراها رجلٌ من العراق وأَخرجها إلى البَصرة و باعها هناك . فاشتراها رجلٌ من أهل الأَهْواز وأُعْجِب بها . وذهبتْ كلَّ مذهب وغلبتْ عليه.

(١) السلت : شعير لا قشر له ، أجرد .
(٢) بطن مر : من نواحى مكة . عنده يجتمع وادى النخلتين فيصيران واديا واحدا . وقيل: انه موضع على مرحلة من مكة، يقال له مر الظهران . (انظر معجم البلدان، والقاموس)
(٣) الدراعة : جبة مشقوقة المقدم .

ثم ماتت بعد أن أقامت عنده بُرْهةً من الزمان ، وأخذ جواريه أكثر غنائها عنها ، فكان لمحبّته إياها وأسفه عليها لايزالُ يسألُ عن أخبار مَعْبد وأين مُسْتَقَرُّه ، ويُظْهِر التعصُّبَ له والميلَ إليه والتقديمَ لغنائه على سائر أغانى عصره ، إلى أن عُرِف ذلك منه . وبلغ معبداً خبرُه . فخرج من مكة حتى أتى البصرةَ . فلما وردها صادَف الرجلَ وقد خرج عنها فى ذلك اليوم إلى الأَهواز ، فلم يجد غيرَ سفينة الرَّجُل ، وليس يعرف أحدُهما صاحبه . فأمر الرجلُ الملّاحَ أن يُجْلسه معه فى مؤخَّر السفينة، ففعل ، وانحدروا . فلمّا صاروا إلى فَم نهر الأُبلَّة(١) تغدَّوا وشَربوا ، وأمر جواريه فَغَنَّيْن ، ومعبدٌ ساكت وهو فى ثياب السَّفر ، وعليه فَرْوٌ وخُفَّان غَليظان وزىٌّ جافٍ من زِىّ أهل الحِجاز ، إلى أن غنَّت إحدى الجوارى بصوت غِنائه وشعر النابغة ، وهو :

بانتْ سُعادُ وأمْسى حبلُها انصرما   واحتلَّتِ الغَوْرَ والأَجْراعَ من إضَمَا(٢)
إحْـــدَى بَلِيٍّ وما هامَ الفُؤادُ بها   إلا السَّفَاهَ وإلّا ذِكْرةً حُـلُمَا(٣)

فلم تُجِدْ ، فصاح بها مَعْبد : إنّ غِناءكِ هذا ليس بمُستقيم . فقال له مولاها ، وقد غَضِب : وأنت ما يُدْريك الغناء ما هو ؟ ألا تُمْسك وتَلْزم شأنَك ! فأمسك . ثم غنَّت أصواتاً من غنـاء غيره ، وهو ساكتٌ لا يتكلم . ثم غنَّت بصوت من غنائه وشعر عبد الرحمن بن أبى بكر ، وهو :

يابنةَ الأَزْدِىِّ قلبى كَئِيبُ   مُسْتهامٌ عنـدها ما يُنيبُ
ولقد لامُوا فقلتُ دَعُونى   إنّ من تَنْهون عنه حَبِيب

(١) الأبلة : بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى فى زاوية الخليج الذى يدخله إلى مدينة البصرة . ويقال فيها : الأبلة ، بفتح الهمزة والباء .

(٢) الأجراع : جمع جرع ، وهو مفرد ، أو جمع جرعة ، وهى الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها . وإضم ، بكسر ففتح : واد بجبل تهامة ، أو هو الوادى الذى فيه المدينة .

(٣) بلى ، كغنى : اسم قبيلة . والسفاه : الطيش وخفة الحلم . والذكرة ، بالكسر والضم : نقيض النسيان .

إنما أَبْلَى عِظامِي وجِسْمِي حُبُّها والحبُّ شيءٌ عَجِيبُ
أيّها العائب عندي هَوَاها أنت تَفْدِي مَنْ أراكَ تَعِيب

فقال لها معبد : يا جارية ، قد أَخْلَلْت بهذا الصوت إخلالاً شديداً . فغضب الرجلُ وقال : ويلك ! ما أنت والغناء ! ألا تكُفُّ عن هذا الفُضُول ! فأمسك ، وغنت الجوارى مَلِيًّا ، حتى غنَّت إحداهن بصوت من غنائه وشِعْر كُثيِّر ، وهو :

خليلَيَّ عُوجا ساعةً منكما مَعى على الرَّبْع نَقْضى حاجةً ونُودِّعِ
ولا تُعْجِلانى أَنْ أُلِمَّ بدِمْنَةٍ لِعزَّةَ لاحتْ لى بَبَيْداءَ بَلْقَعِ
وقُولا لِقلْبٍ قد سَلَا راجِعِ الهوَى وللعيَنِ أَذْرِى من دموعك أو دَعى
ولا عيشَ إلا مثلُ عيشٍ مضى لنا مَصيفاً أَقَمْنا فيه من بعد مَرْبَع

فلم تصنع شيئاً . فقال لها معبد : يا هذه ، أما تَقُومينَ على أداء صوت واحد ! فغضب الرجلُ ، وقال : ما أراكَ تَدَع الفضولَ بوجهٍ ولا حيلةٍ ! وأُقسم بالله لئن عاودتَ لأُخْرِجنَّك من السفينة. فأمسك معبدٌ ، حتى إذا سكت الجوارى سكْتة، اندفع فغنَّى بالصوت الأول ، حتى إذا فَرغَ صاح الجوارى : أحسنتَ والله يا رجُل ! فأعدْه . فقال: لا والله ولا كرامةَ . ثم اندفع يُغنى الثانى .فقلْن لسيدّهن: هذا والله أحسنُ الناس غناءً ،فسَلْه أن يُعيده علينا ولو مرَّة واحدة ، فإنه إن فات لم نجِدْ مثله أبداً . قال : قد سمعتنّ سوء ردِّه عليكن وأنا خائف مثلَه منه ، وقد أسلفناه الإساءة ، فاصبرْن حتى نُداريَه .ثم غنَّى الثالثَ ، فزَلْزل عليهن الأرضَ. فوثَب الرجُل فخرج إليه .وقال : يا سيدى ، أخطأنا عليك ولم نعرِف قَدْرك . قال : فهَبْ أنّك لم تعرف قدرى ، قد كان ينبغى لك أن تتثبَّت ولا تُسرع إلى سوء العشْرة وجفاء القَوْل . فقال له : قد أخطأتُ ، وأنا أعتذر إليك . فلم يزل يرفُق به حتى نزل إليه . فقال له الرجلُ : ممّن أخذتَ الغِناء ؟ قال : من بعض أهل الحجاز . فمن أين أخذه جواريك ؟ قال : أخذْنه من جارية كانت لى أُبتاعها رجلٌ من

أهل البصرة من مكة، وكانت قد أخذت من أبى عبّاد مَعْبد، وعُنى بتَخْريجها، وكانت تحُل منى محلّ الرُّوح من الجسد، ثم اُستأثر الله بها، و بقى هؤلاء الجوارى وهُنّ من تعليمها. فأنا إلى الآن أتعصّب لمعبد وأُفضله على المغنّين جميعاً، وأفضّل صنعته على كل صنعة. فقال له معبد: و إنك لأنت هو! أفتعرِفنى؟ قال: لا. فصكّ مَعْبد بيديه صَلْعته، ثم قال: فأنا والله مَعْبد، و إليك قَدِمْتُ من الحجاز، ووافيتُ البصرَةَ ساعةَ نزلتَ السفينةَ لأقْصِدَكَ بالأهواز. ووالله لا قصَّرتُ فى جواريكَ، ولأجعلنّ لك كل واحدة منهن خلفاً من الماضية. فأكبّ الرجلُ والجوارى على يديه ورجليه يقُبلونها و يقولون: كتمتَنا نفسكَ طولَ هذا اليوم حتى حقَرْناك[1] فى المُخاطبة وأسأنا عِشْرتَك، وأنت سيّدنا ومَن نَتمنى على الله أن نَلْقاه. ثم غيّر الرجلُ زِيَّه وحالَه، وخلع عليه عِدّة خِلع، وأعطاه فى وقته ثلثمائة دينار وطيباً وهدايا مثلها، وانحدر معه إلى الأهواز. وأقام عنده حتى رَضى حِذْق جواريه، وانصرف إلى الحجاز.

هو فى حضرة الوليد بن يزيد

وذُكر أنَّ الوليد بن يزيد اشتاق إلى معبد فوجّه إليه إلى المدينة، فأُحضِر. و بلغ الوليدَ قدومُه، فأمر ببركة بين يديه فملئت بماء وَرْد قد خُلط بمسك وزَعْفران، ثم فُرش للوليد فى داخل البيت على حافّة البِرْكة، و بُسط لمَعبد مقابلَه على حافة البركة، ليس معهما ثالث. وجىء بمَعبد. فرأى ستراً مُرْخًى ومجلسَ رجل واحد، فقال له الحُجّاب: يا معبد، سلِّم على أمير المؤمنين فى هذا الموضع. فسلَّم، فردّ عليه الوليد السلامَ من خلف السِّجْف[2]. ثم قال له: حيّاكَ الله يا معبد، أتدرى لِمَ وجّهتُ إليك؟ قال: الله أعلم وأميرُ المؤمنين. قال: ذكرتُك فأحببتُ أن أسمع منك. فقال له معبد: أُغنِّى ما حَضر أو ما يَقْترحه أميرُ المؤمنين؟ قال غنِّنى:

---

(١) فى بعض أصول الأغانى: «جفوناك».
(٢) فى بعض أصول الأغانى: «الستر».

لَهْفى على فِتْيَةٍ ذلَّ الزمانُ لهم ... فما أصابهمُ إلّا بما شاءوا
مازال يَعْدو عليهم ريبُ دَهْرِهمُ ... حتى تفانَوْا وريبُ الدهر عَدَّاء
أَبْكى فِراقَهمُ عَيْني فأَرَّقها ... إنَّ التفَّرق للأحباب بَكّاء

فغنَّاه . فما فرغ حتى رفَع الجوارى السِّجْف ، ثم خرج الوليدُ فألقى نفسه فى البركة فغاص فيها ، ثم خرج منها ، فاستقبله الجوارى بثياب غيرِ الثياب الأُولى . ثم شَرب وسقى مَعبداً ، ثم قال له : غنِّنى يا مَعبد :

يا رَبْعُ مالك لا تُجيبُ مُتيَّماً ... قد عاج نحوكَ زائراً ومُسلِّماً
جادتْك كلُّ سحابةٍ هطَّالةٍ ... حتى ترَى عن زَهرةٍ(١) متبسِّما
لو كنتَ تَدرى مَنْ دعاك أَجبتَه ... و بكيتَ من حُرَق عليه إذاً دَمَا

قال: فغنَّاه .وأَقبل الجوارى فرفعن السِّتْر، وخرج الوليد فألقى نفسَه فى البركة فغاص فيها ، ثم خرج فلبس ثياباً غيرَ تلك . وشرب وسقى معبداً ، ثم قال : غنى . قال : بماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال :

عَجبَتْ لَمّا رأتْنى ... أندبُ الرَّبْعَ المُحيلَا(٢)
واقفاً فى الدار أَبكى ... لا أرى إلّا الطُّلولا
كيف تَبكى لأُناس ... لا يَمَلُّونَ الذَّميلَا(٣)
كُلَّما قلتُ اطمأنَّت ... دارُهم قالوا الرَّحيلا

قال : فلما غنَّاه أَلقى نفسَه فى البركة ثم خَرج ، فردّوا عليه ثيابَه . ثم شَرب وسَقى معبداً . ثم أَقبل عليه الوليدُ فقال له : يا معبد ، مَن أراد أن يزداد حِظْوة عند

(١) الزهرة : البهجة والنضرة .
(٢) المحيل : الذى أتت عليه أحوال وغيرته .
(٣) الذميل : ضرب من سير الابل لين . وقال أبو عبيد : إذا ارتفع السير عن العنق قليلا فهو التزيد ، فاذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ثم الرسيم . وفى حديث قس : يسير ذميلا . أى سيرا سريعاً لينا .

الملوك فليكتم أسرارَهم . فقلتُ : ذلك ممّا لا يحتاج أميرُ المؤمنين إلى إيصائى به . فقال : ياغُلام ، أحمل إلى معبد عشرة آلاف دينار تُحصَّل له فى بلده ، وألفَىْ دينار لنفقة طريقه . فَحُملت إليه كُلُّها ، وحُمل على البريد من وقته إلى المدينة .

وفى رواية أخرى : إنّ البِرْكة كانت مملوءة خمراً ، وإن الوليد قَذف نفسه فيها ونَهل منها نَهلة وخرج .

قلت : ووجدتُ فى بعض التواريخ : أنّه نهل منها حتى تبيّن نُقصانها .

خبره مع شامى

وقال معبد: أرسل إلىّ الوليد بن يزيد، فأُشخصت إليه . فبينا أنا يوماً فى بعض حمّامات الشام إذ دخل علىّ رجلٌ له هَيبة ومعه غِلمان ، فاطَّلَى ، واشتغلَ به صاحبُ الحمّام عن سائر الناس . فقلتُ : والله لئن لم أُطْلعه على بعض ما عندى لأكونَنّ بمَزْجر الكلب . فاستدبرتُه حيث يرانى ويسمع منّى ، ثم ترنّمت . فالتفتَ إلىّ وقال للغلمان : قدِّموا إليه جميعَ ما هاهنا . فصارَ جميع ما كان بين يديه عندى . ثم سألنى أن أسيرَ معه إلى منزله ، فلم يدَع من البرِّ والإكرام شيئاً إلا فعله ؛ ثم وُضع النَّبيذ ، فجعلْتُ لا آتى بحَسن إلا خرجتُ إلى أحسن منه ، وهو لا يرتاح ولا يَحفل لما يرى . فلما طال عليه أمرى قال : ياغلام ، شَيْخَنا ، شيخَنا . فأُتى بشيخ ، فلما رآه هَشَّ إليه . فأخذ الشيخُ العُود ثم اندفع يغنى :

سِلَّورٌ[1] فى القِدْر ويْلِى عَلُوه[2] جاء القِطُّ أكلَهْ وَيْلِى عَلُوه

فجعل صاحبُ الدار يصفِّق ويضرب برجله طرباً وسُروراً . ثم غنّاه :

---

(١) السلور : نوع من السمك يكون بنيل مصر ، طويل أملس ليس له فصوص . وله رأس إلى الطول وفم مستطيل كالخرطوم . (عن ابن البيطار) .

(٢) ظاهر أنه يريد « عليه » .

وتَضربنى[١] حَبيبةُ بالدُّرَاقِنْ[٢] وتَحسبنى حبيبـــةُ لا أَراها

قال : فكاد يخرج من جِلْده طرَباً . قال: فانسللتُ منهم وانصرفتُ ولم يُعلَمَ بى .
فما رأيتُ مثل ذلك اليوم قطُّ غِناءً أضيعَ ولا شيخاً أجهلَ .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : «ترمينى» .

(٢) الدراقن ، كعلابط ، وقد تشدد الراء : المشمش . وذكر الزبيرى أن عرب الشام يسمون الخوخ الدراقن ، وقال : ان تفسيره بالمشمش غير معروف .

اخبار عمر بن أبى ربيعة

نسب عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة

واسم أبى ربيعة حُذيفة بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخزوم بن يَقظة بن مُرَّة بن لُؤىّ بن غالب. ويُكنى عمر: أبا الخطّاب. وكان أبو ربيعة جدُّه يُسمَّى ذا الرُّمحين، سُمّى بذلك لطُوله. كان يقال: كأنه يَمشى على رُمحين[1]. وفيه يقول عبدُ الله بن الزِّبعْرَى:

ألاَ لله قـومٌ[2] و | لَدَتْ أختُ بنى سَهْمِ
هِشَامٌ وأبو عَبـــدِ | مَنافِ مِدْرَهُ[3] الخَصْمِ
وذو الرُّمحين أَشْباكَ | من القُوة[4] والحزْم
فهـذان يذُودان | وذا عن[5] كَثَبٍ يَرْمى
أسُودٌ تَزْدَهى[6] الأقْرا | نَ مَنَّاعُون للهَضْم

(١) وقال ابن منظور: سمى بذلك لأنه قاتل برمحين. وقيل: لطول رمحه. وقال ابن حبيب فى المحبر عند ذكر من ولدت ريطة بنت سعيد بن سهم: «وأبا ربيعة، وهو ذو الرمحين، قاتل يوم الفجار برمحين».

(٢) فى المحبر: «ألا لله ماذا».

(٣) المدره: المقدم فى اللسان واليد عند الخصومة والقتال.

(٤) كذا أورد القالى البيت فى النوادر (ص ٢٠٨). وقال قبله: «ويقال: أشباك بفلان، كما يقال: حسبك بفلان». ثم أنشد البيت. وروايته فى المحبر:

وذو الرمحين أشبال | من الأقوام ذو الحزم

وروايته فى الأصل والأغانى:

وذو الرمحين أشبال | على القوة والحزم

(٥) فى بعض أصول الأغانى والمحبر: «من».

(٦) ازدهاه: استخف به وتهاون.

وهم يومَ عُكاظٍ مَـ ... نعوا النَّاسَ من الهَزْم

وهم مَن ولدُوا أَشْبَوْا ... بسِرِّ الحَسَبِ (١) الضَّخْم

فإنْ أَحلِفْ وبيتِ الله لا أحلفْ على إثْم

لَمَا مِنْ إخوةٍ بين ... قُصورِ الشأم (٢) والرَّدْم

بأزْكى من بنى رَيط ... ةَ أو أَوْزَن فى (٣) الحِلْم

أبو عبد مناف : الفاكهُ بن المُغيرة . ورَيطة ، هى أم بنى المُغيرة ، وهى بنت سُعيد (٤) بن سَهْم . ولدت من المُغيرة : هِشَاماً ، وهاشماً ، وأبا ربيعة ، والفاكه .

وقد قيل: إنّ هذه الأبيات ليست لابن الزِّبَعْرَى. فإن أبا بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام بن المغيرة أمر من وَضعها ، ونُسبت إلى ابن الزِّبعرى .

شىء عن عبد الله ابن أبى ربيعة

وكان اسم عبد الله بن أبى ربيعة فى الجاهلية بَحِيراً (٥) ، فَسماه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدالله . وكانت تلقِّبه قُريشُ العِدْلِ ؛ لأن قُريشاً كانت تكسو الكعبة فى الجاهلية سنةً ، ويكسوها عبدُ الله من ماله سنة . فأرادوا بذلك أنه وحدَه عِدْل لهم جميعاً فى ذلك .

(١) أنشد شمر بيت ذى الإصبع الهمدانى ، ويكاد يكون هو لولا رويه :

وهم إن ولدوا أشبوا ... بسر الحسب المحض

وقال : وأشبى : إذا جاء بولد مثل شبا الحديد ، وقال ابن الأعرابى : رجل مشب : ولد الكرام .

(٢) رواية البيت فى النوادر (١٩٦) والمحبر :

ما إن إخوة بين ... قصور الشام والردم

(٣) رواية البيت فى الأمالى :

كأمثال بنى ريط ... ة من عرب ولا عجم

(٤) كذا فى نسب قريش للزبيرى : وفى الأصل : « سعد بن سهم » وفى الأغانى : « سعيد بن سعد بن سهم » وكلا هما تحريف .

فقد ولد سهم بن عمرو بن هصيص : سعدا وسعيدا . ومن ولد سعيد ريطة ، أم بنى المغيرة. وفى نسل سهم سعيد آخر هو ابن لسعد ، ولكنه ليس أبا ريطة أم بنى المغيرة . (انظر نسب قريش ص ٤٠٠ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨)

(٥) فى الأصل : « بجيرا » بالجيم ، تصحيف . (انظر تاج العروس : بحر) .

وقد قيل : إنّ العِدْلَ : الوليدُ بن المُغيرة .

وكان عبدُ الله بن أبى ربيعة تاجراً موسراً ، وكان مَتْجره إلى اليمن . وكان من أكثرهم مالاً . وأُمه أسماء بنت مُخَرِّمة [١] ، وكانت عَطَّارة يأتيها العِطْر من اليمن ، وكان تزوّجها هشامُ بن المغيرة أيضاً ، فولدت له : أبا جَهْل ، والحارث ، أبنى هشام . فهى أمهما ، وأُم عبدِ الله ، وعيَّاش ، أُبنى أبى ربيعة .

وكان لعبد الله بن أبى ربيعة عَبِيدٌ من الحَبشة يتصرّفون فى جميع المِهَن ، وكان عددهم كثيراً . فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى حُنين : هل لك فى حَبَش بنى المُغيرة تستعين بهم ؟ فقال : لا خيرَ لى فى الحبش ، إن جاعوا سَرقوا ، وإن شَبِعوا زَنَوْا ، وإنّ فيهم لخلّتين حسنَتين : إطعامَ الطَّعام ، والبأسَ يوم البأس .

واستعمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن أبى ربيعة على الجَنَد [٢] ومَخاليفها [٣] ، فلم يزل عاملاً عليها حتى قُتل عُمر رضى الله عنه .

وقيل : إنّ عثمان رضى الله عنه استعمله أيضاً عليها .

أمه

وأُم عمر بن عبدالله بن أبى رَبيعة أُمّ ولد ، يقال لها : مَجْد ، سَبِيّة من حَضْرَموت . وقيل : من حِمْير . ومن هناك أتاه الغزَل . يقال : غزَل يمانٍ ، ودَلٌّ حِجازىّ .

وقيل . أُمه أُم ولد سَوْداء ، يقال لها : فرشان [٤] .

وقد ردّ أبو الفرج هذا القولَ وقال : إنها أُم أخى « عُمر » الحارثِ ، الذى

(١) ويقال : مخربة ، أيضاً .

(٢) الجند : من ولايات اليمن الثلاث ، وهى : الجند ، وصنعاء ، وحضرموت .

(٣) المخاليف : الأطراف والنواحى ؛ الواحد مخلاف ، وهو عند اليمن كالرستاق .

(٤) فى أكثر نسخ الأغانى : « فرسان » . وفى سائرها : « مرسان » . والذى وجدناه نقلا عن ياقوت : « وفرسان قبيلة من تغلب ، كانوا قديماً نصارى ، ولهم فى جزائر فرسان كنائس قد خربت . ويحملون التجارة إلى بلد الحبش » .

يقال له القُبَاع . وكان شريفاً كريماً ديِّنا ، وسيِّداً من سادات قريش .

وكانت أُمّه هذه نَصْرانية . وذُكر أنها ماتتْ نصرانيّة ، وكانت تُسِرذلك منه ، َفحضر الأشراف جِنازتها ، وذلك فى عَهْد عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه . فسمع الحارثُ من النِّساء لَغَطاً ، فسأل عن الخبر ، فعُرِّف أنها ماتت نصرانية ، وأنه وجِد الصليبُ فى عنقها ، وكانت تكتُمه ذلك ، فخرج إلى النـاس وقال : انصرفوا رحمكم الله ، فإنّ لها أهلَ دين، هم أَوْلى منا ومنكم . فاستُحسن ذلك منه، وعَجِب الناسُ من فعله .

ابنـه جوان

وكان لعمر بن أبى ربيعة ابنٌ يقال له : جُوَان ، وفيه يقول العَرْجِيّ :

شَهِيدى جُوَانٌ على حُبِّها ... أليس بعَدْلٍ عليها جُوَانُ

فذُكر أنّ جُوَان هذا جاء إلى العَرْجِيّ وقال : يا هذا ، مالى ولك تُشهِّرنى فى شعرك ، حتى أَشْهدتنى على صاحبتك هذه ! متى كنتُ أشهد فى مثل هـذا ! وكان أمرأً صالحاً .

مولده

وذُكر أنّ عمر بن أبى ربيعة وُلد فى الليلة التى قُتل فيهـا عمر بن الخطّاب ، فقال فى ذلك الحسن : أى حقّ رُفع ، وأىّ باطل وُضع !

قدومه على ابن عباس المسجد

قيل: بينا ابنُ عبّاس فى المسجد الحرام ، وعنـده نافع بن الأزْرق ، وناسٌ من الخوارج يسألونه، إذ أقْبل عمر بن أبى ربيعة فى ثوبين مَصْبوغين مُحصَّرين[1] حتى دخل وجلس ، فأقبل عليه ابنُ عبّاس فقال : أنْشِدنا . فأنْشده :

أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنْت غادٍ فمُبـكِرُ ... غـداةَ غـدٍ أو رائحٌ فمُهجِّرُ

حتى أتى على آخرهـا . فأقبل عليه نافعُ بن الأزرق وقال : اللهَ ياابن عبـاس !

(١) المحصر من الثياب : التى فيها شىء من صفرة ليست بالكثيرة .

إنّا نضرب إليك أكبادَ المطىّ من أقاصى البلاد نَسألك عن الحلال والحرام ، وتتثاقل عنّا ، ويأتيك مُتْرفٌ من مُتْرَفى قريش فيُنشدك :

رأت رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضت فَيخْزَى وأمّا بالعَشىّ فيخسرُ

فقال : ليس هكذا . قال : فكيف قال ؟ قال :

رأتْ رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ فيضْحَى وأمّا بالعشىّ [١] فيَخْصرُ

فقال : ما أراك إلا قد حَفِظتَ . قال : أجل ، وإن شئتَ أن أُنشدك القصيدةَ أنشدتك إياها . قال : فإنى أشاء . فأنشده القصيدةَ حتى أتى على آخرها .

وفى رواية : أن ابن عباس أَنشدها من أوّلها إلى آخرها ، ومن آخرها إلى أولها مقلوبةً ، وما سمعها قطُّ إلا تلك المرة صَفْحًا [٢] . وهذا غايةُ الذّكاء . فقال له بعضُهم : ما رأيتُ أذكى منك ! قال : لكنّى لم أرَ أذكى من أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

وكان ابنُ عبّاس يقول : ما سمعتُ شيئاً قَطُّ إلّا رويتُه ، وإنّى لأسمع صوتَ النائحة فأسُدّ أُذنىّ كراهية أن أحفظ ما تقول .

ولامَه بعضُهم فى حفظه هذه القصيدة فقال : إنا نَسْتجيدها . وكان بعد ذلك كثيراً ما يقول : هل أَحْدث هذا المُغيرىّ شيئاً بعدنا ؟

وفى رواية : ثم أقبل ابنُ عبّاس على ابن أبى ربيعة فقال : أنشدنا . فأَنشد :

* تشُطُّ غداً دارُ جِيرانِنا *

ثم سكت . فقال ابنُ عبّاس :

* وللدّارُ بعد غدٍ أبعدُ *

---

(١) يضحى : يظهر للشمس . وعارضت ، أى قابلت . يريد : عارضته . ويخصر : يبرد .
(٢) صفحا ، أى مرورا .

فقال له عمر : كذلك قلتُ ! —أصلحك الله — أَسمِعتَه ؟ قال: لا ، ولكن كذلك يَنْبغى .

مكانته فى الشعر

قيل : وكانت العربُ تُقِرّ لقُريش بالتقدّم[1] فى كل شىء عليها إلّا فى الشعر، فإنها كانت لاتُقِرّ لها به، حتى كان عمرُ بن أبى ربيعة ، فأَقرّت لها الشعراء بالشعر أيضاً ، ولم تنازعها شيئاً .

وقال نُصَيب : عمر بن أبى ربيعة أوصفُنا لربّات الحِجَال .

وقال سُليمان بن عبد الملك لعُمر بن أبى ربيعة : ما يَمنعك من مَدْحنا ؟ قال إنى لا أمدح الرجالَ ، إنما أمدحُ النساء .

وقال ابن جُريج : ما دَخل على العَواتق[2] فى حجابهنّ[3] شىء أضرُّ عليهنّ من شعر عمر بن أبى رَبيعة .

وسمع الفرزدقُ شيئاً من نَسب عمرَ بن أبى ربيعة ، فقال : هذا الذى كانت الشعراء تَطلبه فأخطأته ، وبكت الديار ، ووَقع هذا عليه .

وقال أبو المقوّم الأَنْصارىّ : ماعُصىَ الله بشىء كما عُصى بشعر ابن أبى ربيعة.

من خلقه

وقال عمر بن أبى رَبيعة : لقد كنتُ أُعشَق ولا أَعْشق ، فاليومَ صرتُ إلى مُداراة الحِسان حتى الممات . ولقد لَقِيَتْنى فتاتان مرةً ، فقالت إحداهما : أُدْنُ منى ياابن أبى ربيعة أسِرَّ إليك شيئاً . فد نوتُ منها ، ودنتْ الأخرى فجعلت تَعَضُّنى، فما شَعَرتُ بعضّة هذه من لذّة سِرار هذه .

---

(١) فى الأصل : «فى التقدم» . وما أثبتنا من بعض أصول الأغانى .

(٢) العواتق : جمع عاتق ، وهى الشابة أول ماتدرك . وقيل : هى التى لم تبن من والديها ولم تتزوج وقد أدركت وشبت .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « حجالهن » .

ويقال : أَشرف عُمر بن أبى ربيعة على أبى قُبَيْس[١] ، وبنو أخيه معه وهم مُحْرِمون ، فقال لبعضهم : خُذْ بيدى ، فأخذ بيده فقال : وربِّ هذه الكعبة[٢] ، ما قلت لامرأة قطّ شيئاً لم تقُلْه لى ، وما كشفت ثوباً عن حرام قط .

ولمّا مَرِض عمرُ مرضَه الذى مات فيه جَزِع أخوه الحارثُ جزعاً شديداً ، فقال له عمر : أحْسَبك إنّما تجزع لما تظُنُّه بى ! والله ما ركبتُ فاحشةً قطُّ . فقال : ما كنتُ أُشفِق عليك إلا من ذلك ، وقد سلَّيتَ عنى .

وذُكر أن عمر بن أبى ربيعة عاش ثمانين سنة ، فَتَك منها أربعين سنة ، ونَسك أربعين .

هو وامرأة فى الطواف

وقيل : قدمتْ امرأةٌ مكةَ وكانت من أجمل النساء ، فبينا عمرُ بن أبى ربيعة يطوف إذ نظر إليها فوقعت فى قلبه ، فدنا منها فكلّمها ، فلم تلتفت إليه . فلما كان فى الليلة الثانية جعل يطلُبها حتى أصابها . فقالت : إليك عنِّى فإنك فى حَرَم الله وفى أيّام عظيمةِ الحرمة . فألحّ عليها فكلَّمها حتى خافت أن يُشهِّر بها . فلما كان فى الليلة الأُخرى قالت لأخيها : أُخرُج معى يا أخى وأَرِنى المَناسك، فإنى لستُ أعرفها . فأقبلتْ وهو معها . فلمّا رآها عمر أراد أن يَعْرِض لها ، فنظر إلى أخيها معها فعدَل عنها ، فتمثّلت المرأةُ بقول النابغة :

تَعْدو الذِّئابُ على مَن لا كِلَابَ له وتَتَّقِي صَوْلَةَ المُسْتَنفر[٣] الحامِي

ولما حُدِّث المَنْصورُ بهذا الحديث قال : وددتُ أنه لم تبقَ فتاةٌ من قريش إلا سمعتْ بهذا الحديث .

هو وابن عباس

وذُكر أنّ عُمر بن أبى ربيعة أتَى عبدَ الله بن عبّاس رضى الله عنه ، وهو فى

(١) أبو قبيس : جبل مشرف على مسجد مكة .
(٢) فى بعض أصول الأغانى: « البنية » . وهما بمعنى .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « المستأسد » .

المسجد الحرام، فقال له : متَّعنى الله بك، إنَّ نفسى قد تاقتْ إلى قول الشِّعر ونازعتْنى إليه، وقد قلتُ منه شيئاً أحببتُ أن تَسمعه وتستُره علىَّ . قال : أنشِدْنى . فأنشده :

أمِن آل نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ ... غداةَ غدٍ أو رائح فمُهجِّرُ

فقال له : أنت شاعرٌ ياابن أخى، فقُل ماشئت . ومن هذه القصيدة :

أشارتْ بمِدْراها وقالتْ[1] لِترْبِها ... أهذا المُغيرىّ الذى كان يُذْكَرُ
فقالت نَعم لا شكَّ غيَّر لونَه ... سُرَى اللَّيْلِ يَطْوِى نَصَّه والتَّهجُّر
رأتْ رجلاً أمَّا إذا الشَّمْس عارضتْ ... فيَضْحَى وأمّا بالعَشِىِّ فيَخْصَر
أخَا سَفرٍ جوَّابَ أرضٍ تَقاذَفَتْ ... به فَلَواتٌ فهو أشعثُ أغْبَر
قليلاً على ظهر المَطيّة ظِلُّه ... سِوَى ما نَفَى عنه الرِّداءُ المُحبَّر
وأعجَبها مِن عَيْشها ظِلُّ غُرْفةٍ ... ورَيَّانُ مُمتدٌّ[2] الحَدائق أخْضَر
ووَالٍ كَفَاها كلَّ شىءٍ يَهُمُّها ... فليستْ لِهَمٍ[3] آخرَ اللَّيل تَسْهر

يزيد ورجل من أهل الشام معه ترس

ويقال : إنه لمَّا عَرض يزيدُ بن معاويةَ جيْش أهلِ الحَرَّة، مرَّ به رجلٌ من أهل الشام معه تُرْس خَلَقٌ سَمْجٌ، فنظر إليه يزيدُ وضَحِك، وقال له : ويحك ! تُرْس عُمَرَ بن أبى رَبيعة كان أحسنَ من تُرسك . يريد قولَه من هذه القصيدة :

فكان مِجَنِّى دون مَن كنتُ أتَّقِى ... ثلاثُ شخوص كاعبان ومُعْصِرُ

لابن المسيب فى بيت له

وأنشد سعيد بن المسيِّب قول عُمر بن أبى ربيعة من هذه القصيدة :

وغابَ قُمَيْرٌ كنتُ أرجو غُيُوبَه ... ورَوَّح رُعْيَانٌ ونَوَّم سُمَّر

(١) فى بعض أصول الأغانى : «لأختها» .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : «ملتف» .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : «لشىء» .

فقال : ما له قاتلَه الله ! لقد صغَّر ما عظَّم الله ، يقول الله عزّ وجلّ : (والقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حتى عادَ كالعُرْجُونِ القَدِيمِ) .

هو وفاطمة الكندية

وقيل: حَجَّت فاطمةُ بنت محمد بن الأشعَث بن قيس الكِنْدِيّة، فراسلها عُمر بن أبى ربيعة ، وواعدَها أن يلقاها مَساء الغد ، وجعل الآية بينه و بَيْنَها أن تسمع ناشداً يَنْشُد ، إن لم يُمكنه أن يُرسل رسولاً يُعلمها بمصيره إلى المكان الذى وعدَها . قال بُدَيح المغنّي :فلم أشعرُ به إلا مُتلثِّماً، فقال : يا بُدَيح ، إيت بنتَ محمد ابن الأشعث فأخْبرها أنّى قدجئتُ لموعدها . فأبيتُ أن أذهب،وقلتُ : مثلى لا يُعين على مثل هذا . فغيَّب عنّى بغلَته ثم جاءنى ، فقال لى : قد أضللت بغلتى فانشُدْها لى فى زُقاق الحاجِّ . فذهبتُ فنَشدتُها . فخرجتْ علىَّ بنتُ محمد بن الأشعث ، وقد فهمتْ الآيةَ ، فأتتْ لموعده ذلك .

قال بُدَيح : فلما رأيتُها مقبلةً عرفتُ أنه قد خَدعنى بنِشْدتى البغلة . فقلت له : يا عمر ، لقد صَدَقَت التى قالت لك :

فهذا سِحْرك النِّسوا نُ قد خَبَّرْنَنى خَبَرَكْ

قد سخرت منى (١) وأنا رجل ، فكيف برقَّة قلوب النِّساء وضَعْف رأيهنّ ! وما آمَنُك بعدَها ، ولو دخلتَ الطوافَ ظننتُ أنك دخلته لبَليّةٍ .

وحدَّثها حديثى ، فما زالا ليلتَهما يفصلان حديثَهما بالضحك منِّى .

وقيل: إنها لما حجَّت راسلها، فوعدتْه أن تزوره . فأعطى الرسولَ الذى بشَّره بزيارتها مائةَ دينار .

وقيل : إنها لما جاءت إليه أرسلت بينه و بينها سِتْراً رقيقاً تراه من ورائه ولا يراها ، فجعل يحدّثها حتى استنشدتْه ، فأنشدها قصيدته التى منها :

تَشُطُّ غداً دارُ جيرانِنا وللدَّارُ بعد غدٍ أبْعَدُ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « قد سحرتنى »

إذا سَلكتْ غَمْر ذِى[1] كِنْدةٍ   مع الصُّبْح[2] قَصْدُ لها[3] الفرْقَدُ
عِراقيَّةٌ ، وتهامِى الهوى   يَغورُ بمكّةَ أو[4] يُنْجِد
وحَثَّ الحُداةُ بها عِيرَها   سِراعاً إذا ما وَنَتْ تُطْرَد
هنالِكَ إمَّا يُعزَّى الفؤاد   وإمّا على إثْرهم[5] يَكْمَد
وليست تروع[6] إذاً دارُها   نأتْ والعزاء إذاً أجْلَد
وَجرَّبتُ من ذاك حتى عَرفْتُ   ما أتوقَّى وما أحْمَد
فلما دنَوْنا لجَرْسِ النُّباح   والضوء ، والحىُّ لم[7] يَرْقُدوا
بَعَثْنا لها باعثاً ناشداً   وفى الحىّ بُغيةُ من يَنْشُد
أتتنا تَهادَى على رِقْبَةٍ   من الخوْف أحشاؤها تُرْعَد
تقول وتُظهر وَجْداً بنا   ووجْدِى وإن أظهرتْ أوْجَد
لِمَّا شَقائى تَعلَّقتُكم   وقد كان لى عنكمُ مَقْعد
وكَفَّت سوابقَ من عَبْرةٍ   على الخدِّ يجرى[8] بها الإثْمِد
فإن التى شيَّعَتْنا الغَداةَ   مع الفجْر قلبى بها مُقْصَد

قال : فاستخفَّها الشعر ، فرفعتِ السِّجْفَ ، فرأى وجهاً حَسَناً فى جسم ناحل،

---

(١) غمر ذى كندة : موضع بينه وبين مكة مسيرة يومين .
(٢) فى الديوان : « مع الركب » . وفى بعض الأصول الأغانى : « مع الشمس » .
(٣) كذا فى الأصل والكثرة من نسخ الأغانى . والفرقد : أحد نجمين لا يغربان ، قريبين من القطب . وفى سائر أصول الأغانى : « والقرقد » بقافين : وقرقد : بالكسر : جبل قرب مكة .
(٤) يشير إلى أن موطنها العراق وهو فى تهامة ، لا حيلة له إلا أن يهبط ويصعد بين أغوارها ونجادها .
(٥) رواية بعض أصول الأغانى : « تعزى ... تكمد » .
(٦) فى الكثرة من أصول الأغانى : « ببدع » .
(٧) رواية الديوان :
فلما دنونا لجرس النباح   إذا الضوء والحى لم يرقدوا
(٨) فى الديوان : « جال »

فَخطبها وأرسل إلى أُمها خمسمائة دينار ، فأَبت وحجبته وقالت للرسول : تعود[١] إلينا . فكأن الفتاة غَمّها ذلك . فقالت لها أمها : قتلك الوَجْدُ به فتزوّجيه ! قالت : لا والله ، لا يتحدَّثُ أهلُ العراق عنّى أنّى جئتُ ابنَ أبى ربيعة أخطُبه ، ولكن إنْ أَتانى العراقَ تزوجتهُ .

هو وزينب بنت موسى

وشبَّب أيضاً عمر بنُ أبى ربيعةَ بزينبَ بنت موسى، أُختِ قُدامة بن موسى الجُمحىّ . فممّا قال فيها :

تَصابَى القلبُ وادَّكَرَا ... صِباهُ ولم يكن ظَهَرَا
لزينبَ إذ تُجِدُّ لنا ... صفاءً لم يكنْ كَدَرا
أليستْ بالتى قالت ... لمولاةٍ لها ظُهْرا
أشيرى بالسَّلام له ... إذا ما نحونا[٢] نظرا
وقولى فى مُلاطفةٍ ... لزينبَ نوِّلى عُمَرا
فهزَّتْ عِطفَها عَجباً ... وقالت مَنْ بذا أَمَرا
أهذا سحرُك النِّسوا ... نَ قد خبَّرننى الخبرا

ويُروى على غير هذا الروىّ ، هكذا :

لقد أرسلتُ جاريتى ... وقلتُ لها خُذِى حَذَرَكْ
وقُولى فى مُلاطفةٍ ... لزينبَ : نوِّلى عُمَرَكْ
فهزَّت رأسَها عَجباً ... وقالت : مَن بذا أمرَكْ
أهذا خَدْعُك[٣] النِّسوا ... ن قد خبَّرننى خَبَرَكْ

وقال فيها من قصيدة :

يا خليلىّ مِن مَلامٍ دَعانى ... وأَلِمَّا الغداةَ بالأظْعانِ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لا تعود إلينا » .
(٢) الرواية فى الأغانى : « إذا هو نحونا خطرا » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « سحرك » .

لا تلوما فى آل زينب إن الـ ... قلب رهن بآل زينب عانى
ما أرى ما بقيت أن أذكر المو ... قف منها بالخيف(١) إلا شجانى
لم تدع للنساء عندى حظا ... غير ما قلت مازحاً بلسانى
هى أصل(٢) الصفاء والود منى ... وإليها الهوى فلا تعذلانى
حين قالت لتربها(٣) ولأخرى ... من قطين(٤) مولد: حدثانى
كيف لى اليوم أن أرى عمر المر ... سل سراً فى القول أن يلقانى
قالتا: تبعثى(٥) رسولاً إليه ... ونميت الحديث بالكتمان
إن قلبى بعد الذى نلت منها ... كالمعنى عن سائر النسوان

قيل: وكان سبب ذكره لها أن ابن أبى عتيق ذكرها عنده فأطراها، ووصف من عقلها وأدبها وجمالها ما شغل قلب عمر وأماله إليها. فقال فيها الشعر ونسب بها. فبلغ ذلك ابن أبى عتيق، فلامه فيه وقال له: أتنطق الشعر فى ابنة عمى؟ فقال عمر:

لا تلمنى عتيق حسبى الذى بى ... إن بى يا عتيق ما قد كفانى
لا تلمنى وأنت زينتها لى ... أنت مثل الشيطان للإنسان
إن بى داخلاً من الحب قد أبـ ... لى عظامى مكنونه وبرانى
لو بعينيك يا عتيق نظرنا ... ليلة السفح قرت العينان
إذ بدا الكشح والوشاح من الدر ... ر وفصل فيه من المرجان

وأول هذه القصيدة:

إننى اليوم عاد لى أحزانى ... وتذكرت ما مضى من زمانى
وتذكرت ظبية أم رئم ... هاج لى الشوق ذكرها فشجانى

(١) الخيف: موضع بمكة. (٢) فى بعض أصول الأغانى: «أهل».
(٣) فى بعض أصول الأغانى: «لأختها». (٤) القطين: الخدم والحشم.
(٥) فى بعض أصول الأغانى: «نبتغى».

وحكى قُدامةُ بن موسى قال: خرجتُ بأختى زينبَ إلى العُمْرة ، فلمّا كانت بسَرِف[١] لقينى عمرُ بن أبى ربيعة على فرسٍ فسلّم علىّ . فقلت له : إلى أين أراك متوجِّها يا أبا الخطاب ؟ فقال : ذُكرتْ لى امرأةٌ من قومى بَرْزَةُ الجمال فأردتُ الحديثَ معها . فقلت : هل علمتَ أنها أُختى ؟ فقال : لا ، وثنى عِنان فرسه راجعاً إلى مكة .

وقيل: أُنشد ابنُ أبى عتيق قولَ عمر بن أبى ربيعة:

مَن لسَقيمٍ يكتمُ الناسَ ما به	لزينبَ نَجْوَى صدره والوَساوسُ
أقول لمن يبغى الشِّفاء متى تَجِيء	بزينبَ تُدْرِكْ بعضَ[٢] ماأنت لامِس
فإنّك إن لم تَشْفِ من سَقَمِى بها	فإنّىَ من طِبِّ الأَطبّاء آيِس
ولستُ بناسٍ ليلةَ الدارِ مجلساً	لزينبَ حتى يَعْلُوَ الرأسَ رامِس
فلمّا بدتْ أقمارُه وتكشّفتْ	دُجُنَّتُه وغابَ مَن هو حارِس
ومانِلْتُ منها مَحْرَماً غيرَ أنّنا	كِلَانا من الثَّوْب المَطارِف[٣] لابِس
نَجيِيّن نَقْضِى[٤] اللهو فى غير مأْثم	وإن رَغِمتْ للكاشِحين المَعاطِس

فقال ابنُ أبى عتيق : أمِنّا يَسخر ابنُ أبى ربيعة ؟ فأىّ مَحْرم بَقِى ! ثم أتى عمرَ ، فقال : يا عمر، ألم تُخبرنى أنّك ما أتيتَ حراماً قطّ ؟ فأخبِرْنى عن قولك :

* كلانا من الثّوب المَطارِف لابِس *

فما مَعْناه ؟ قال : واللهِ لأُخبرنّك ، خرجتُ أُريد المسجدَ وخرجتْ زينبُ

(١) سرف : موضع على عشرة أميال من مكة قرب التنعيم .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « نفس » .
(٣) المطارف : جمع مطرف ، بالضم والكسر ، وهو رداء من خز مربع ذو أعلام . وأصله الضم ، إذ المعنى من أطرف ، إذا جعل فى طرفيه العلمان ، ولكنهم استثقلوا الضمة فكسروا. وفى بعض أصول الأغانى : « المورد » .
(٤) فى الأصل : « فحين تقضى » . وما أثبتنا من بعض أصول الأغانى .

تُريده، فاتَّعدنا لبعض الشِّعاب ، فلما توسَّطنا الشِّعْب أخذتْنا السماء ، فكرِهتُ أن يُرى بثيابها بَلَل المَطر ، فيُقال لها : ألَا استترتِ بسَقائف المسجد أن كنتِ فيه ؟ فأمرتُ غِلْمانِي فستَرُونا بكساء خزّ كان علىّ ، فذلك حين أقول :

* كلانا من الثَّوب[1] المَطارِفِ لابِسُ *

فقال له ابنُ أبى عتيق : يا عاهرُ ، هذا البيتُ يحتاج إلى حاضنة .

وقال أيضاً فى زينب :

يا مَنْ لقلبٍ مُتيمٍ كَلِفٍ ... يَهْذِى بخَوْدٍ مَليحة[2] النَّظرِ
تَمشِى الهُوَيْنَى إذامشت[3] فُضُلاً ... فهى كمِثْل العُسْلُوج[4] فى[5] الشَّجر
ما زال طَرْفِى يحارُ إذ[6] برزتْ ... حتى رأيت النُّقْصان فى بَصَرِى
أبصرتُها ليلةً ونِسْوتَها ... يَمْشِين بين المَقامِ والحَجَر
بيضاً حِساناً خرائداً قُطُفاً[7] ... يَمْشِين هَوْناً كمِشْية البَقَر
قد فُزْن بالحُسْن والجمالِ معاً ... وفُزْن رِسْلاً[8] بالدَّلّ والخفَر
يُنْصِتْن يوماً لها إذا نَطقتْ ... كيْما يُشرِّفْنها على البَشَر
قالت لِتِرْبٍ لها تُحدِّثُها ... لنُفْسِدَنَّ الطَّواف فى عُمَر

(١) فى بعض نسخ الأغانى : « من اثواب المطارف » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « مريضة » .
(٣) كذا فى بعض أصول الأغانى . والفضل ، بضمتين ، التى قد تفضلت فى ثوبها، وذلك إذا توشحت به فخالفت بين أطرافه على عاتقها . وفى الأصل : « قطفاً » . « والقطف » : المشى البطىء ، فعله من باب ضرب ونصر وكرم .
(٤) العسلوج : الغصن لسنته ، وقيل : هو كل قضيب حديث .
(٥) فى الأصل : « مل يسر » . وما أثبتنا من الأغانى .
(٦) فى الديوان : «إذ نظرت » .
(٧) قطف ، بضمتين : جمع قطوف ، وهى البطيئة السير .
(٨) الرسل : بالكسر : اللين والتؤدة ، ويجوز أن يكون بالفتح ، أى قطيعاً . وهو بالتحريك ، وسكن للشعر .

قالت[1] تصــدَّىْ له لِيَعْرِفَنا ... ثم اُغْمِـزيه يا أُخْتَ فى خَفَر
قالت لهـــا قد غمزتُه فأَبَى ... ثم اسبطرَّتْ[2] تَسْعَى على أثرى
مَن يُسْقَ بعـد الـكَرى بريقتها ... يُسْقَ بكأْس ذى لذةٍ[3] خَصِر

وقال أيضاً فيها :

أيهـــا الـكاشحُ المُعَــيِّرُ بالصَّرْ ... م تَزحزَحْ فمالهـــا الهِجْرانُ
لا مُطـــاعٌ فى آل زينبَ فارجعْ ... أو تكلَّمْ حتى يَمَــلَّ اللســان
نَجعلُ الليــلَ موعداً حين[4] نُمسى ... ثم يُخْفِى حـــديثَنا الـكِتْمان
كيف صَبْرِى عن بعض نَفْسِى وهل يَصـ ... ـبِر عن بعضِ نفسِـه الإنْســان
ولقـــد أَشْهد المُحدَّثَ عند الـ ... قَصْر فيــــه تعفُّفٌ[5] وبَيـــان
فى زَمانٍ من المعيشـــة لَدْنٍ ... قد مضَى عَصْرُه وهـــذا زَمان

وقال أيضاً :

ألا يا بَـكْرُ قـــد طَرَقَا ... خَيــالٌ هـاج لى أَرَقَا
بزينب[6] إنهـــا همِّى ... فكيف بحَبْلهـــا خَلَقَـــا
خَدَلَّجَةٌ[7] إذا انصرفتْ ... رأيتَ وِشـــاحَها قَلِقـــا
وسَـــاقاً يملأ الخَلْخــا ... لَ فيـــه تراه مُخْتَنِقـــا

---

(١) فى الديوان وبعض أصول الأغانى : « قومى » . (٢) اسبطرت : أسرعت .
(٣) رواية الديوان :

من يسق بعد المنام ريقتها ... يسق بمسك وبارد خصر

والخصر : البارد
(٤) فى الأصل : « ثم نمشى » . وما أثبتنا من الديوان وبعض أصول الأغانى .
(٥) لعله يريد بالمحدث ، حيث وقفا يتحدثان عند القصر . يذكر أحاديث لهما ، فيها العفة وفيها البيان .
(٦) فى بعض أصول الأغانى : « لزينب » .
(٧) الخدلجة : الممتلئة الذراعين .

إذا ما زينبٌ ذُكرت سكبتُ الدمعَ مُتَّسقا
كأنْ سحابةً تَهْمِى بماءٍ حُمِّلَت غَدَقا

هو ونسوة تشوقن إليه

وقيل. اُجتمع نسوةٌ فذكرنَ عمرَ بن أبى ربيعة وشعْرَه وظَرْفه ومجلسه وحديثه، فتشوّقن إليه وتمنّيْنه. فقالت سُكينة: أنا لكُنّ به. فبعثتْ إليه رسولاً أن يُوافِىَ الصَّوْرَيْن[1] ليلةً سَمَّتْها. فوافاهنّ على رواحله، فحدَّثهن حتى طلع الفجر. وحان انصرافُهن، فقال لهن: والله إنى محتاجٌ إلى زيارة قَبْرِ النبىّ صلى الله عليه وسلم والصلاةِ فى مسجده، ولكنى لا أخلط بزيارتكن غيرَها، ثم انصرف إلى مكة، فقال فى ذلك:

أَلِمْ بزَينبَ إن الرَّكْبَ قد[2] أَفِدَا قَلَّ الثَّواءُ لئن كان الرحيلُ غدَا
قد حَلفَتْ ليلةَ الصَّوْرَيْن جاهدةً وما على المرْءِ إلا الحِلفُ[3] مُجتهدا
لأُخْتِها ولأُخْرى مِنْ[4] مَنَاصِفها لقد وجدتُ به فوقَ الذى وَجَدا
لو جُمِّعَ الناسُ ثم اُخْتِير صَفْوُهمُ شَخصاً من الناس لم أعدِلْ به أَحدَا

رأى جرير فى شعره

قيل: أُنشِد جريرٌ قولَ عُمرَ بن أبى ربيعة:

سائِلاَ الرَّبْعَ بالبُلَىِّ[5] وقُولا هِجْتَ شوقاً لِىَ[6] الغداةَ طويلاَ
أينَ حَىٌّ حَلُّوكَ إذ أنت مَحْفُو فٌ بهم أهلٌ أراكَ جميلا
قال: سارُوا فأَمْعَنُوا واستقلُّوا وبِرَغْمِي لو أَسْتَطيع[7] سَبيلا

(١) الصوران: موضع بالمدينة بالبقيع.
(٢) فى بعض أصول الأغانى: «البين» مكان.. «الركب». وأفد: عجل وأسرع.
(٣) فى الديوان: «الصبر». (٤) المناصف: الخدم.
(٥) البلى: تل قصير أسفل حاذة، بينها وبين ذات عرق.
(٦) فى الأصل: «إلى». وما أثبتنا من بعض أصول الأغانى. ورواية الديوان: «لنا».
(٧) فى بعض أصول الأغانى: «لواستطعت».

سَئِمونا وما سَئِمنا مُقاما وأحبُّوا دَماثةً وسُهُولا

فقال جرير : هذا الذى كُنّا نَدور عليه فأخطأناه وأصابه القُرشىّ .

رأى مصعب فى شعره

وقالت فاطمةُ بنت عُمر[١] بن مُصْعَب : سمعتُ خالى يقول ، وقد أُنشد قولَ عُمر : [٢]

يا ليتنى قد أجزْتُ الحبْلَ نحوكمُ حَبْلَ المُعرَّف أوجاوزتُ ذا[٣] عُشَرِ

إنّ الثَّواء بأرضٍ لا أراكِ بها فاْستيقنيه ثَواءٌ حَقٌّ ذى كَدَرِ

وما مَلِلْتُ ولكن زاد حُبُّكمُ ولاذَكرتُكِ إلاظَلْتُ[٤] كالسَّدِرِ

ولاجَذِلْتُ بشىء كان بعدكمُ ولا منحتُ سواكِ الحبَّ مِنْ بَشَرِ

أَذْرِى الدُّموعَ كذى سُقْمٍ يُخامره وما يُخامرنى سُقْمٌ سوى الذِّكرِ

كم قد ذكرتُكِ لو أُجْدى تَذَكُّركم يا أشبهَ الناس كلِّ الناس بالقَمرِ

قال[٥] : فقال جَدُّكِ : إن لِشعر عُمر بن أبى ربيعة موقعاً من القلب، ومُخالطة فى النفس، ليسا لغيره ، ولو كان شِعْرٌ يَسْحر كان شعرُه سِحْراً .

رأى ابن أبى عتيق فى شعره وشعر الحارث

وقيل : ذُكر شعرُ الحارث بن خالد وشعرُ عمر بن أبى ربيعة عند ابن أبى عَتيق فى مجلس رجل من وَلد خالد بن العاصِى بن هِشام ، فقال : صاحبنُا — يعنى الحارثَ — أشعرُهما . فقال ابنُ أبى عَتيق : بعضَ قولك يابْن أخى ! لِشعْر عُمر نَوطةٌ[٦] فى القلب ، وعلُوق بالنَّفس ، ودَرَكٌ للحاجة ، ليس[٧] لشعر . وما عُصِىَ الله جلّ ذكره بشعر أكثرَ مما عُصى بشعر عمر بن أبى ربيعة . فخُذْ عنّى

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عم مصعب » .

(٢) أصل الخبر مسندا فى بعض أصول الأغانى : « الزبير قال حدثتنى ظمياء مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت : سمعت جدك يقول ، وقد أنشد قول عمر » .

(٣) أجزت : جاوزت . والحبل : موضع بعرفات . والمعرف : موضع الوقوف بها . وذو عشر : واد بين البصرة والكوفة . (٤) السدر : المتحير.

(٥) فى بعض أصول الأغانى : « قالت » على أن المحدثة ظمياء .

(٦) النوطة : التعلق .

(٧) فى بعض أصول الأغانى : « ليست » .

ما أصف لك : أشعر قريش من دقّ معناه ، ولطف مدخله ، وسهل مخرجه ، ومتن حشوه ، وتعطّفت حواشيه ، وأنارت معانيه ، وأعرب عن حاجته . فقال المفضّل للحارث : أليس صاحبنا الذى يقول :

إنّى وما نحروا غداة منًى عند الجمار يؤودها[١] العقلُ
لو بُدّلت أعلى مساكنها سفلاً وأصبح سفلُها يعلو
فيكاد يعرفها الخبيرُ بها فيردّه الإقواء[٢] والمحل
لعرفتُ مغناها بما[٣] ضمنت منّى الضلوعُ لأهلها قبلُ

فقال له ابنُ أبى عتيق : يابن أخى ، استر على نفسك ، واكتم على صاحبك ، ولا تُشاهد المحافلَ بمثل هذا . أمَا تطيّر الحارثُ لها[٤] حين قلب ربعها فجعل أعاليه حجارةً من سجّيل ! ابنُ أبى ربيعة كان أحسنَ صُحبة للرّبع من صاحبك ، وأجملَ مُخاطبةً ، حيث يقول :

سائلاَ الرّبع بالبُلَىّ وقولا هِجْتَ شوقاً لىَ الغداةَ طويلاَ

وذكر الأبيات الماضية . قال : فانصرف الرجلُ خجلاً مُذْعِنا .

تلقيب الحارث بالقباع

قيل : وإنما لُقّب الحارث ، أخو عمر بن أبى ربيعة ، بالقُباع ، لأنّ عبد الله بن الزّبير كان ولّاه البَصْرة ، وكان رجلاً صالحاً ، فرأى مِكْيالا لهم ، فقال : إنّ مِكْيالكم هذا لَقُبَاع . وهو الشىء الذى له قعر . فلُقّب بالقُباع .

عمر وقد نهاه الحارث عن قول الشعر

وذُكر أنّ الحارثَ هذا نَهَى أخاه عُمر عن قوْل الشّعر ، فأبَى أن يقبلَ منه ، فأعطاه ألف دينار على ألاّ يقولَ شيئاً . فأخذ المالَ وخرج إلى أخواله بلَحْج

(١) يؤودها : يبهظها ويثقلها . والعقل : الحبس .
(٢) الإقواء : خلو الديار من أهلها . والمحل : الجدب .
(٣) فى بعض أصول الأغانى والديوان : «احتملت» .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : «عليها» .

وأَبْين، من اليمن، مخافةَ أن يَهيجه مُقامُه بمكة على قول الشِّعر . فطرب يوماً، فقال :

هيهاتَ مِن أَمَةِ الوَهَّابِ منزلُنا ... إذا حَلَلْنا بسِيفِ البحر من عَدَنِ
واحتلَّ أهلُكِ أجياداً فليس لنا ... إلا التذكُّرُ أو حظٌّ من الحَزَنِ [(١)]
لو أنّها أبصرتْ بالجَزْع عَبْرتَه ... من أن يُغرِّدَ قُمْرِيٌّ على فَنَنِ
إذا رأتْ غيرَ ما ظنّت بصاحبها ... وأيقنتْ أنّ لَحْجاً ليس من وَطَنى
ما أَنْسَ لا أَنْسَ يومَ الخَيْفِ [(٢)] مَوْقِفَها ... ومَوْقِفى وكلانا ثَمَّ ذو شَجَنِ
وقولَها للثُّريّا وهى باكيةٌ ... والدمعُ منها على الخدَّين ذو سُنَنِ [(٣)]
تاللهِ [(٤)] قُولى له فى غَيرِ مَعْتَبةٍ ... ماذا أردتَ بطول المُكْثِ فى اليمنِ
إن كنتَ صادفتَ [(٥)] دُنيا أو ظَفِرتَ [(٦)] بها ... فهل أخذتَ بفَوت [(٧)] الحجّ من ثَمَنِ

قال : فسارت القصيدةُ حتى سمعها أخوه الحارثُ ، فقال : هذا شعرُ عُمر ! وقد فَتك وغَدَر !

الوليد بن يزيد وأصحابه فى أغزل بيت

وقيل : إنّ الوليدَ بنَ يزيدَ بن عبد الملك قال لأصحابه ذاتَ ليلة : أىّ بيت قالته العربُ أغزل ؟ فقال بعضُهم : قولُ جَميل :

يموتُ الهَوى منّى إذا ما لقيتُها ... ويَحْيا إذا فارقتُها فيعودُ

وقال آخر : قولُ عمرَ بن أبى ربيعة :

كأنّنى حين أُمْسِى لا تُكلِّمنى ... ذو بُغيةٍ يَبْتغى ما ليس موجودَا

---

(١) أجياد : موضعان بمكة ، الكبير والصغير .
(٢) الخيف : موضع بمنى . والرواية فى الديوان :
* بل ما نسيت ببطن الخيف موقفها *
وفى الأصل : « الحى » .
(٣) سنن : طرائق ؛ الواحدة : سنة .
(٤) فى الديوان وبعض أصول الأغانى : « بالله » .
(٥) فى الديوان وبعض أصول الأغانى : « حاولت » .
(٦) فى الديوان : « نعمت » . وفى بعض أصول الأغانى : « رضيت » .
(٧) فى الديوان : «بترك» .

فقال الوليد : حَسْبك والله بهذا !

هو وجميل وقد تناشدا

وذَكر أبو الحارث ، مولى هِشام بن الوليد بن المُغيرة ، قال :

شهدتُ عمرَ بنَ أبى ربيعة وجميلَ بن عبد الله بن مَعْمر العُذْرىّ ، وقد اجتمعا بالأَبْطح ، فأَنشد جميلٌ قصيدتَه التى يقول فيها :

لقد فَرِح الواشُون أنْ صَرَمَتْ حَبْلى بُثَيْنَةُ أو أَبدتْ لنا جانبَ البُخْلِ

يقُولون مَهْلاً يا جَميلُ وإنَّنى لأُقْسِم مالى عن بُثَينةَ مِن مَهْل

ومن هذه القصيدة :

خليلىّ فيما عِشْتُما هل سَمِعتُما قتيلاً بكى من حُبِّ قاتله قَبْلى

أَبيتُ مع الهُلَّاك(١) ضَيْفاً لأهلها وأهلى قريبٌ مُوسِعون أولو فَضْل

أَفِقْ أيّها القَلْبُ اللَّجُوج عن الجَهْل ودَعْ عنك جُمْلاً لا سبيلَ إلى جُمْل

فلو تركتْ عَقْلى معى ما طلبتُها ولكنْ طِلَابِيها(٢) لِما فاتَ من عَقْلى

حتى أتى على آخرها . ثم قال لعمر : يا أبا الخطّاب ، هل قلتَ فى هذا الروىّ شيئاً ؟ قال : نعم .قال : فأَنشدنيه . فأنشده قولَه :

فلما تواقفْنا عرفتُ الذى بها كمثل الذى بى حَذْوَكَ النَّعْلَ بالنَّعْلِ

فَقُلْنَ لها هذا عِشاءٌ وأهلُنا قريبٌ أَلمّا تَسْأَمى مَرْكب البَغْل

فقالتْ فما شئْتنّ قُلْن لها انْزلى فَلَلأرضُ خيرٌ من وقوفٍ على رَحْل

فسلّمتُ واستأنستُ خِيفةَ أن يَرى عدوٌّ مُقامى أو يَرَى كاشحٌ فِعلى

فقالت وأَرْخت جانبَ السِّتْر إنما معى فتكلّم غيرَ ذى رِقْبة أهلى

فقُلْتُ لها مابى لَهم من ترقُّبٍ ولكنَّ سِرِّى ليس يَحمله مِثْلى

(١) الهلاك : الصعاليك .

(٢) طلابيها ، أى طلبى إياها .

فلما اختصرنا[(١)] دونهن حديثَنا ... وهُنَّ طَبيباتٌ بحاجة ذى[(٢)] الشَّكْل

عَرَفْن الذى تهْوى فقُلْن ائذنى لنا ... نَطُفْ ساعةً فى بَرْد ليلٍ وفى سَهْل

فقالتْ فلا تَلْبثْن قُلْن تحدَّثى ... أتيناكِ وانْسَبْن انْسِيابَ مَهَا الرَّمْل

فقُمْنَ وقد أفْهَمْن ذا اللُّبِّ أنما ... أتَيْن الذى يأتين ذلك من[(٣)] أجْلى

فقال جميل : هيهات يا أبا الخطاب ! لا أقول مثلَ هذا سَجِيسَ اللَّيالى[(٤)] ! والله ما خاطب النساءَ أحدٌ مخاطبَتك . وقام مُشمِّراً .

هو وابن أبى عتيق فى شعر له

وقال ابنُ أبى عَتيق لعُمر ، وقد أنشده قولَه :

بينما يَنْعتْنَنى أبصرْنَنى ... دونَ قِيدِ المِيلِ[(٥)] يَعْدُو بى الأغرّ

قالت الكُبْرى أتعرِفْن الفتَى ... قالت الوُسْطى نعم هذا عُمر

قالت الصُّغرى وقد تيَّمتُها ... قد عرَفناه وهل يَخْفى القمر

أنت لم تَنْسُب بها و إنما نَسبتَ بنفسك ، وكان ينبغى أن تقول : قلت لها فقالت لى ، فوضعتُ خدِّى فو طِئت عليه .

من شعره

ومن شعر عُمر السَّهلِ قولُه :

فلما تواقفْنا وسلَّمتُ[(٦)] أشرقتْ ... وجوهٌ زَهاها الحسنُ أن تتقنَّعا

تَبالَهْن بالعِرْفان لمّا[(٧)] عرَفْننى ... وقُلْن امرؤٌ باغٍ أكَلَّ[(٨)] وأوْضَعا

وقرَّبن أسبابَ الهَوى لمتيَّم ... يَقِيس ذراعاً كلَّما قِسْنَ إصْبَعا

---

(١) فى الديوان و بعض أصول الأغانى : « اقتصرنا » . (٢) الشكل : دل المرأة .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « من ذاك » . والرواية فى الديوان :

* فعلن الذى يفعلن فى ذاك من أجلى *

(٤) سجيس الليالى ، من كلمات التأبيد . تقول : لا أفعله سجيس الليالى ، أى لا أفعله أبداً .

(٥) قيد الميل : قدره .

(٦) فى بعض نسخ الأغانى : « وسلمت أقبلت » . وفى بعض آخر : « وسلمت أشرفت » .

(٧) فى الديوان و بعض أصول الأغانى : « لما رأيننى » .

(٨) أكل بعيره وأوضعه : أى أعياه وحمله على الإسراع .

ومن حُسن وصفه قوله :

لها من الخِشْف[١] عيناه وسُنَّته[٢] ونَخوةُ السابق الُمختال إذ صَهلاَ

ومن حسن عزَائه قولُه :

أألحقُّ إنْ دارُ الرَّباب تَبـاعدتْ أو اُنبتّ حَبْـلٌ أنّ قَلْبك طائرُ

أفِقْ قد أفاق العـاشقون وفارقُوا الْـ هوى واستمرَّتْ بالرِّجال[٣] المَرائر

زَعِ[٤] النَّفسَ واُستَبقِ الحياءَ فإنما تُبـاعد أو تُدْنِى الرَّبابَ المَقـادِر

أَمِتْ حُبَّها واجعـلْ قَديم وِصـالِها وعِشْرَتِها أمثالَ[٥] من لا تُعاشر

وهَبْها كشىءٍ لم يكن أو كنازحٍ به الدارُ أو مَن غَيَّبته المَقـابر

فكالنّاس عُلِّقْتَ الرَّبابَ فلا تكُن أحاديثَ مَن يَبْدو ومَن هو[٦] حاضِر

ومن بديع إنْطاقه للقلب قولُه :

قال لى فيهـا عَتيقٌ مقـالاً فجرتْ مّمـا يقول الدُّموعُ

قال لى ودِّعْ سُليمى ودَعْهـا فأجابَ القلبُ لا أَسْـتطيع

وقال مُصعبٌ الزُّبيرى : أَجمع أهلُ بلادنا، مّمن له عِلْم بالشعر، أنَّ هذه الأبيات أَغْزلُ ما سمعوا ، وهى قولُه :

تقولُ غـداةَ اُلتَقَيْنـا الرَّبابُ أيإذا أَفَلْتَ أُفُـولَ السِّماكِ

---

(١) الخشف : الظبى ، وقيل : هو أول مايولد . وقيل : أول مايولد الظبى فهو طلا،ثم خشف. والرواية فى الديوان وبعض أصول الأغانى : « الريم » .

(٢) السنة : الصورة . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « ولفتته » .

(٣) المرائر : العزائم ، الواحدة : مريرة . واستمرت : قويت .

(٤) زع النفس : ازجرها وانهها .

(٥) فى الديوان وبعض أصول الأغانى : « كشل » .

(٦) يقال : بدا ، إذا خرج إلى البدو . وحضر ، إذا نزل الحضر .

وفضّتْ[١] سوابقَ من عَــبْرةٍ كما انفضّ[٢] نَظْمٌ ضعيفٌ[٣] السِّلَاك
فقلتُ لهــا مَنْ يُطِع فى الصَّديـ ـق أعــداءه تجتنبْـه[٤] كذاك
أغــرّكِ أنّى عصيتُ المَــلا مَ فيــكِ وأنْـ هوانَا هواك
وألاّ أرى لذةً فى الحيــــاةِ تَقَرُّ بهــا العينُ حتى أراك
فكان من الذّنب لى عِنْــدكم مُـلازمتى[٥] واتّبــاعى رِضــاك
فليتَ الذى لامَ فى حُبّكــم وفى أنْ[٦] تُزارِى بقَرْنٍ[٧] وَقاك
هُمومَ الحيـــاةِ وأسقامَهــا وإن كان حَتْفٌ جَهِـيزٌ[٨] فَـدَاك

ومن عَفيف شعره قولُه :

طال لَيْلى واعتادَنى اليومَ سُقْمُ وأصابتْ مقاتلَ القَلْب نُعْمُ
حُرَّةُ الوَجـه والشَّمائِل والجوْ هَر تَـكْليمُها لِمنْ نَال غُنْمُ
وحَديث بِمثْـله تُـنْزَلُ العُصْـ ـمُ[٩] رَخِـيم يَشوبُ ذلكَ حِـلْمُ
هكذا وَصْفُ ما بَدا لِىَ منْهــا ليس لى بالّذى تغيَّبَ عِــلْمُ
إنْ تجُودى أو تَبْخلى فبِحَمْـدٍ ليس فيما أَتيتِــه لك ذمُّ

ومن بَديع شِعْره الذى يُرجِّح فيه الشكّ على اليقين قولُه :

نظرتُ إليهــا بالُمحصَّب من مِنًى ولى نظـرٌ لولا التَّحرُّج[١٠] عارمُ

---

(١) فى الديوان وبعض أصول الأغانى : « وكفت » . (٢) رواية الديوان : « ارفض » .
(٣) السلاك ، بالكسر : جمع سلك ، بالكسر أيضاً . مقيس غير مسموع . كما تقول فى الذئب : ذئاب .
(٤) فى الديوان والكثرة من نسخ الأغانى : « يجتنبه »
(٥) فى الديوان وبعض أصول الأغانى : « مكارمتى » . (٦) فى الأصل : « ولا أن » .
(٧) يريد بقرن : قرن المنازل ، وهو ميقات أهل نجد تلقاء مكة ، على يوم وليلة . قال أبو الفرج : وكثيراً ما يذكره فى شعره .
(٨) جهيز : سريع .
(٩) العصم من الظباء : ما فى ذراعيها بياض . (١٠) عارم : فيه شراسة وحدة .

فقلتُ أشَمْسٌ أم مَصابيحُ بِيعةٍ بدتْ لك خَلْفَ السِّجْفِ أم أنت حالم
بعيدةُ مَهْوَى القُرْطِ إمَّا لنوفَلٍ أبُوها وإمَّا عبدُ شمْس[1] وهاشم
ومَدَّ عليها السِّجْفَ يوم لقيتُها على عَجَلٍ تُبَّاعُها والخوادِم
فلم أستطعْها غيرَ أنْ قد بدا لنا عَشيّةَ راحتْ وجهُها والمعاصِم
إذا ما دعتْ أترابها فاكْتنَفْنها تمايَلْنَ أو مالتْ بهنَّ[2] المآكم
طَلَبْنَ الصِّبَا حتى إذا ما أصَبْنه نزَعْنَ وهُنَّ المُسلمات الظَّوالم

ومن بديع اعتذاره قولُه :

عاوَد القلبَ بعضُ ما قد شَجاه من حَبيبٍ أمْسَى هَوَانا هَواهُ
يا لَقَوْمى فكيف أَصْبر عمّن لا ترَى النَّفسُ طِيبَ عَيْشٍ سِواه
أرْسلتْ إذ رأتْ بعادِىَ ألاَّ يَقبَلن بى مُحرِّشاً[3] إنْ أتاه
دونَ أن يَسْمَع المقالة منّا وليُطْعنى فإنَّ عندى رضاه
لا تُطِعْ بى فدَتْك نفسى عدُوًّا لحديثٍ على هَوَاه افْتَرَاه
ما ضِرَارِى نَفْسى بهجْرة مَنْ ليـ ـسَ مُسيئاً ولا بَعيداً نَوَاه[4]
واجْتِنابى بَيْتَ الحبيب وما الخُلْـ ـدُ بأشْهَى إلىّ مِنْ أنْ أراه

ومن شِعْره فى صِدْق المودّة قولُه :

كلُّ وصْلٍ أمسى لديكَ لأُنثى غيرِها وَصْلُها إليها أداء
كلُّ أنثى وإنْ دنَتْ لِوِصالٍ أوْ نأتْ فَهْىَ للرَّبابِ الفِداء

وقولُه :

أُحِبُّ لحبِّك مَن لم يكُنْ صَفِيًّا لِنَفْسى ولا صاحِبَا

---

(١) بعيدة مهوى القرط : كناية عن طول العنق فى غير قبح ، وهو مما يمدح .
(٢) المآكم : جمع مأكمة ، وهى العجيزة . (٣) المحرش: المغرى.
(٤) نواه : داره .

وأَبْذُل مالِى لمرْضاتِكم وأُعتِب مَنْ جاءكم عاتِبا
وأرغبُ فى وُدِّ مَن لم أكُن إلى وُدِّه قبلكم راغِبا
ولو سَلك الناسُ فى جانبٍ مِنَ الأرْض واعتزلتْ جانبا
ليمَّمْتُ طِيَّتها[1] إننى أرى قُرْبها العَجبَ العاجبا

ومن شِعره ، الذى قَدَح فيه فأوْرى ، قوْله :

طال لَيْلِى وتَعنَّانى[2] الطَّرَبْ واعترانى طُولُ هَمٍّ ونَصَبْ
أرسلَتْ أسْماء فى مَعتَبةٍ عَتَبَتْها وهى أحْلَى مَنْ عتب
أنْ أتَى منها رسولٌ مَوْهِناً[3] وجَد الحىَّ نِياماً فانقلب
ضربَ البابَ فلم يَشْعُر به أحدٌ يَفتَح عنه إذ ضَرَب
قال أيقاظٌ ولكنْ حاجةٌ عرَضتْ تُكْتَم منّا فاحتَجب
ولعَمْداً ردَّنى فاجتهدتْ بيمينٍ حَلْفَةً عِنْد الغضب
شَهِد الرَّحمنُ لا يجمعُنا سَقْفُ بَيْتٍ رَجَباً بعد رَجَب
قلتُ حِلاًّ فاقبلى مَعْذِرتى ما كذا يجْزِى مُحِبٌّ مَنْ أَحَبّ
إنّ كفِّى لكِ رَهْنٌ بالرِّضَى فاقْبلى يا هندُ قالت قد وجب

هو وأسماء

ذُكر أنّ سَبب قوله هذه الأبيات أنه كان يَهْوى امرأةً يقال لها أسماء ، وكان الرسولُ يختلف بينهما زَماناً ، وهو لا يقدِر عليها ، ثم وعدته أنْ تَزُورَه ، فتأهّب لذلك وانتظرها، فأبطأت عليه حتى غلبتْه عَيْنُه فنام . وكانت عنده جاريةٌ

(١) طيتها : ناحيتها .
(٢) تعنانى : أوقعنى فى العناء والمشقة . والطرب : خفة تعترى الإنسان من شدة الفرح أو الحزن أو الهم .
(٣) موهناً : نحواً من نصف الليل . .

تخْدُمه . فلم تلبْث أن جاءت ومعها جاريةٌ لها . فوقفت مُتنحيةً وأمرت الجارية أن تَضْربَ البابَ ، فضربتْه فلم يَسْتيقظ . فقالت : تَطلَّعى فانْظُرى ما الخبر ؟ فقالت : هو مُضطجع و إلى جَنْبه أمرأةٌ . فحلفتْ ألاّ تزُوره حَوْلاً . و بعث إليها أمرأةً كانت تختلف بينه و بينَ معارفه ، وكانت جزْلةً [1] من النِّساء ، فصدَقتْها عن قِصتَّه ، وحَلفت لها إنه لم يكن عنده إلاّ جاريتُه ، فرضيتْ . و إياها عنى عُمر بقوله :

فأتتْها طَبَّةٌ [2] عالمةٌ تخْلِطُ الجِدَّ مِراراً باللَّعبْ
تُغْلِظ القولَ إذا لانتْ لها وتُراخِى عند سَوْراتِ الغَضب
لم تزَلْ تَصْرفها عن رأيها وتأنَّاها [3] برِفْقٍ وأَدَب

الوليد وحماد فى شعر عمر

قال حمّاد الرَّاوِيةُ : اسْتَنشدنى الوليدُ بن يزيد ، فأنشدتُه نحْواً من ألف قصيدةٍ ، فما استعادنى إلاّ قصيدةَ عُمر بن أبى ربيعة :

* طالَ ليْلي وتعنَّانِى الطَّرَبْ *

فلما أنشدتُه قولَه :

فأتتْها طَبَّةٌ عالمةٌ تَخْلِط الجِدَّ مِراراً باللَّعبْ

إلى قوله :

إنّ كفِّى لكِ رَهْنٌ بالرِّضَى فاقبلِى ياهِندُ قالت قد وَجَب

فقال لى الوليد : ويحك يا حمّاد ! أطْلُب لى مثلَ هذه أُرسلها إلى سَلْمَى . يعنى أمرأته سلمى بنتَ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، وكان طلّقها ليتزوّج أخْتَها ، ثم تَتَبَّعتْها نفسهُ .

(١) جزلة : عاقلة أصيلة الرأى .
(٢) طبة : حاذقة رفيقة .
(٣) تأناها ، أى تتأناها ، بمعنى تتمهل عليها .

ومن شعره فى تسهيل الأمر قولُه :

قالتْ على رِقْبةٍ يوماً لجارتها ... ما تأمُرينَ فإنّ القَلْبَ قد [(١)]تُبِلاَ

وهَلْ لِيَ اليومَ من أُختٍ مُواخِيةٍ ... منكُنّ أشكو إليها بعضَ ما فعلا

فراجعتْها حَصَانٌ غيرُ فاحِشَةٍ ... برَجْعِ قَوْلٍ ولُبٍّ لم يكن [(٢)]خَطِلا

لا تَذْكُرى حُبَّه حتّى أُراجِعَه ... إنّى سَأَكْفيكِه إنْ لم أمُتْ عَجِلا

فاقْنَىْ حَيَاءَكِ فى سِتْرٍ وفى كَرَمٍ ... فلستِ أوّلَ أُنثى عُلِّقتْ [(٣)]رَجُلا

هو ورجل يكلم امرأة فى الطواف

وذُكر أنّ عمر بن أبى ربيعة نَظر إلى رجل يُكلّم أُمرأةً فى الطَّوَاف ، فَعاب ذلك عليه وأنكره . فقال : إنها أبنةُ عمّى . فقال : ذلك أشْنع لأمرك ! فقال : إنّى خَطبتُها إلى عمّى فأَبَى علىّ إلّا بصَداقِ أربعمائة دينار ، وأنا غير مُطِيق ذلك . وشكا إليه من حُبّها وكَلَفه بها أمراً عظيما ، وتحمَّل [(٤)] به على عمّه . فصار معه إليه فكلّمه . فقال : هو مُمْلِق ، وليس عندى ما أُصلح به أمْرَه . فقال له عُمر : وكم الذى تُريده منه ؟ فقال : أربعمائة دينار . فقال له : هى علىَّ، فزوِّجه . ففعل ذلك .

هو وجارية له بعد ما أسن وحلف لا يقول شعرا

وكان عُمر حين أسنَّ حلَفَ ألّا يقُول بيتَ شِعْر إلّا أعْتقَ رقَبَةً . فانصرف عمرُ إلى منزله يُحَدِّثُ نفْسَه . فجعلتْ جاريةٌ له تُكلِّمه فلا يردّ عليها جواباً ، فقالت له : إنَّ لك لأمراً ، وأراك تُريد أن تقول شعراً . فقال :

تقُول وَليدتِى لمّا رأتْنى ... طَرِبْتُ وكُنتُ قد أقْصرتُ حِيناَ

أراكَ اليومَ قد أحدثتَ شَوْقاً ... وهاجَ لك الهوَى داءً دَفِينا

(١) تبل : أسقمه الهوى وغلبه الحب .

(٢) حصان : عفيفة . وخطلا : فاسداً مضطرباً .

(٣) اقنى حياءك : الزميه .

(٤) تحمل به : أستشفع به.

وكنتَ زعمتَ أنّك ذو عَزاء ... إذا ما شئْتَ فارقْتَ القرينا
بربِّك هل رأيْت لها رسولاً ... فشاقَكَ أمْ لَقيتَ لها[(١)] خَدينا
فقُلْتُ شكا إلىَّ أخٌ مُحبٌّ ... كبَعْض زَمانِنا إذ تَعْلَمينا
وقَصَّ علىَّ ما يَلْقَى بهِنْدٍ ... فذكَّر بَعْضَ ما كُنّا لقِينا
وذو الشَّوْق القَديم وإنْ تَعَزَّى ... مَشُوقٌ حِينَ يَلْقى العاشِقينا
وكَمْ من خُلَّةٍ[(٢)] أعرضتُ عنها ... لغَيرِ قِلًى وكنتُ بها ضَنِينا
أردتُ بِعادَها فصدَدْتُ عنها ... ولو جُنَّ الفؤادُ بها جُنُونا

ثم دعا بِتِسْعةٍ من رَقِيقه فأَعْتقهم، لكل بَيْتٍ واحدٌ.

هو وعروة فى ابنه محمد

وذُكر أنّ عُمر بن أبى ربيعة كان يُساير عُروة بن الزُّبَير ويُحدِّثه، فقال له: وأين زَيْنُ المواكب؟ يعنى ابنَه محمدَ بن عُرْوة، وكان يُسمَّى بذلك لجماله. فقال عُروة: هو أمامك. فركَض يطلُبه. فقال له عُروة: ياأبا الخطّاب، أولَسْنا أكْفاءً كِراماً لمحادثتك ومُسايرتك؟ فقال: بلى، بأَبى أنْت وأُمِّى! ولكنّى مُغْرًى بهذا الجمَال [أتْبعه] حيث كان. ثم التفت إليه وقال:

إنِّى امرؤٌ مُغْرمٌ بالحُسْن أتْبعه ... لا حَظَّ لى فيه إلّا لذَّةُ النَّظَرِ

ثم مَضى حتى لَحِقه، وجَعل عُرْوة يَضْحك من كلامه تعجُّباً منه.

هو ومالك بن أسماء فى الحج

وقيل: رأى عمرُ بن أبى رَبيعة رجلاً يطوف بالبيت، قد بَهر النّاسَ بجَماله وتَمامه، فسأل عنه، فقيل له: هذا مالكُ بن أَسماء بن خارجة. فجاءه فسلّم عليه وقال له: يابن أخى، ما زلتُ أتشوّقك منذُ بلغنى قولُك:

إنّ لى عند كلِّ نَفْحةِ بُستا ... نٍ مِن الوَرْدِ أوْ مِن[(٣)] الياسِمينَا
نَظْرةً والتفاتةً أتمنَّى ... أنْ تكونى حَلَلْتِ فيما يَلينا

(١) الخدين: الصديق الذى يكون معك فى كل ظاهر وباطن. وفى الأصل: «قرينا».
(٢) الخلة: الخليلة. (٣) الياسمين، جعله جمع «ياسم» وهوقول فيه.

ويُروى : « أترجّى * أن تكونى حَلّت » .

هو وأبو الأسود وقد عرض لامرأته فى الطواف

وذُكر أنه حَجَّ أبو الأسود الدِّيلى(١) ومعه امرأته ، وكانت جميلةً . فبينا هى تطوفُ بالبيت ، إذ عَرض لها عمرُ بن أبى ربيعة ، فأتتْ أبا الأسود فأخبرتْه . فأتاه أبو الأسْود فعاتَبه . فقال له عُمر : ما فعلتُ . فلمّا عادتْ إلى المسجد عاد فكلّمها . فأخبرت أبا الأسود . فأتاه فى المسجد ، وهو مع قوم جالسٌ ، فقال :

وإنّى ليَثْنِينى عن الجَهْل والخَنَا | وعن شَتْم أقوامٍ خلائقُ أرْبعُ
حَياءٌ وإسْلامٌ وبُقْيَا(٢) وأنّنى | كريمٌ ومثلى قد يَضُرُّ ويَنْفع
فشتّان ما بينى وبينك إنّنى | على كل حالٍ أستقيم وتَظْلع

فقال له عمر: لستُ أعود يا عَمّ لكلامها بعد هذا اليوم. ثم عاودتْ ، فكلّمها. فأتت أبا الأسود فأخبرتْه . فجاء إليه فقال له :

أنت الفَتى وابنُ الفَتى وأخو الفَتى | وسيّدنا لولا خلائق أربعُ
نُكولٌ عن الجُلّى وقُرْبٌ من الخَنا | وبُخْلٌ عن الجَدْوَى وأنّكَ(٣) تُبَّعُ

ثم خرجتْ وخرج معها أبو الأسودُ مُشتملاً على سيف . فلما رآهما عمرُ أعْرض عنهما . فتمثّل أبو الأسود :

تَعْدُو الذِّئابُ على مَنْ لا كِلَابَ له | وتَتَّقى صَوْلَةَ المُستأسِد الحامِى

هو والفرزدق

وقيل : قَدِمَ الفرزدقُ المدينةَ ، وبها رجلان ، يقال لأحدهما : صُرَيْم ؛ والآخر : ابنُ أسماء . وُصِفا له ، فقصدهما . وكان عندهما قِيَانٌ . فسلّم عليهما وقال : مَن أنتما ؟ فقال أحدهما : أنا فِرْعون . وقال الآخر : أنا هامان . فقال : أين منزلكما فى النّار

(١) الديلى : نسبة إلى « دئل » بضم الدال وكسر الهمزة ، قبيلة من كنانة . وتقول فى النسبة إليها أيضاً : دؤلى ، ودولى، بالتسهيل ، وديلى . (انظر شرح القاموس) .
(٢) بقيا ، أى شفقة ورحمة.
(٣) تبع : يتبع النساء ويجد فى طلبهن .

حتى أَقْصِدَ كما ؟ فقالا : نحن جيران الفرزدق الشاعر . فضحك ، ونَزل فسلَّم عليهما وسلّما عليه ، وتعاشروا مدةً ، ثم سألهما أن يَجْمعا بينه و بين عُمر بن أبى ربيعة ، ففعلا . واُجتمعا فتحادثا وتناشدا ، إلى أَنْ أَنشده قصيدته التى يقول فيها :

فلمّا اُلتقَينا واُطمأنتْ بنا النَّوى ... وغُيِّبَ عنّا مَنْ نَخافُ ونُشْفِقُ

حتى اُنتهى إلى قوله :

فقُمْن لكىْ يُخْلِينَنا(١) فترَقرَقتْ ... مَدامعُ عَينيْها وظلَّت تَدَفَّقُ

وقالت أَمَا تَرْحمنى لا تدَعْنى ... لدَى غَزِلٍ جَمِّ الصَّبابة(٢) يَخْرُق

فقلن اسْكُتِى عنَّا فلسْتِ مُطاعةً ... وخِلُّكِ مِنَّا فاعلِمى بك أَرْفَق

فصاح الفرزدق : أنت والله يا أبا الخطّاب أغزلُ الناس! لا يُحسن والله الشُّعراء أن يقولوا مثلَ هـذا التَّشْبيب ، ولا أن يَرْقُوا مِثْل هذه الرُّقْيـة ! ثم وَدّعه واُنصرف .

هو والحارث ابن عبد الله

وذُكر أنّه حجّ عبدُ الرحمن بن الحارث بن عبدالله بن عيّاش بن أبى ربيعة، مع أبيه الحارث، فأتى عُمَر بن أبى ربيعة ، وقد أسنّ وشاخ ، فسلّم عليه وساءله ، ثم قال له : أىّ شيء أَحْدثتَ بعدى يا أبا الخطّاب ؟ فأنشده :

تَقُولين إنّى لستُ أصدُق فى الهوى ... وإنِّىَ لا أَرْعاكِ حِين أَغيبُ

فما بالُ طَرْفى عَفّ عمّا تساقطت ... له أعينٌ من مَعْشر وقُلوب

عشيّةَ لا يستنكر القومُ أن يرَوْا ... سَفَاهَ اُمرئ ممّن يُقال لَبِيب

ولا فِتنةً من ناسك(٣) أَوْمَضَتْ له ... بعين الصِّبَا كَسْلَى القِيامِ لَعُوب

تروَّحَ يرجُو أن تُحَطَّ ذُنوبُه ... فآب وقد زِيدتْ عليه ذُنوب

وما النُّسك أَسْلانِى ولكنّما الهوى ... على العَينِ منّى والفُؤادِ رَقيب

(١) يخلينا : يجعلننا فى خلوة منهن .

(٢) يخرق : يحمق . فى الأصل : « أخرق » . (٣) أو مضت له : وسارقته النظر.

شعره فى قينتى ابن هلال

ويقال : إنّ عمر بن أبى ربيعة قَدِم الكوفةَ ، فنزل على عبد الله بن هِلال ، الذى كان يُقال له: صاحبُ إبليس ، وكانت له قَيْنتان حاذقتان . فكان عُمر يأتيهما فيسمع منهما ، فقال فى ذلك :

يا أهْلَ بابلَ ما نفِسْتُ[1] عليكمُ مِنْ عَيْشكم إلا ثلاثَ خِلالِ

ماءَ الفُراتِ وطِيبَ لَيْلٍ باردٍ وغِناءَ مُحْسنتين لابن هِلالِ

هو وبعض الشعراء فى وصف برق

وقيل: إنّ عُمر بن أبى رَبيعة، والحارثَ بن خالد، وأبا رَبيعة المُصْطَلِقىّ، ورجلاً من بنى مَخْزوم، خَرجُوا يُشيِّعون بعضَ خُلفاء بنى أُمية . فلما انصرفوا نزلوا بسَرِفَ، فلاح لهم بَرْق . فقال الحارث : كلُّنا شاعر ، فهلمُّوا نَصِفِ البرق . فقال أبو ربيعة :

أرِقتُ لبرقٍ آخرَ الليل لامعٍ جَرَى من سَناه ذو الرُّبَى[2] فيُنابِعُ

فقال الحارث :

أرِقْتُ له ليلَ التَّمامِ ودُونه مَهامِهُ مَوْماةٍ وأرضٌ[3] بَلاقِعُ

فقال المخزومىّ :

يُضىء عِضَاهَ[4] الشَّوْكِ حتى كأنه مَصابيحُ أو فَجْرٌ من الصُّبْح ساطِعُ

فقال عمر :

أيا ربِّ لا آلُو المودّةَ جاهِداً لأسماءَ فاصْنَعْ بى الذى أنت صانعُ

ثم قال : مالى وللبرق والشَّوك !

هو وليلى البكرية

وقيل : لقى عمرُ بن أبى ربيعة ليلَى بنت الحارث بن عمرو البَكْريّة ، وهى

---

(١) نفس عليه كذا : غبطه من أجله. (٢) ينابع : موضع فى بلاد هذيل .

(٣) المهامه : المفاوز البعيدة ، الواحدة: مهمه . والموماة : الواسعة من الفلوات . والبلاقع : جمع بلقع ، وهى الأرض القفرة . (٤) العضاه : الشجر العظيم له شوك .

تَسِير على بَغْلة لها ، وقد كان نَسَب بها ، فقال : جعلنى الله فِداكِ ، عَرِّجى ها هنا أُسمعْك بعضَ ما قُلْتُه فيكِ . قالت : أوَ قد فعلت ؟ قال : نعم . فوقفتْ ، وقالت : هات . فأنشدها :

ألاَ يا ليلُ إنَّ شِفاء قَلْبى نوالُكِ إنْ بَخِلتِ فَنوِّلينَا
وقد حَضَر الرَّحيلُ وحانَ منَّا فِراقُكِ فانظرى ما تأْمُرينا

فقالت : آمُرك بتَقْوى الله، و إيثارِ طاعته، وتَرْك ما أنْت عليه . ثم صاحت ببغلتها ومَضتْ .

وفيها يقول :

إن لَيْلى وقد بلَغْتُ المَشيبَا لم تَدَعْ للنِّساء عندى نَصيبَا
هاجرٌ بَيْتَها لا نَفِيَ عنها قَولَ ذِى العَيْب إن أرادالعيُوبا

هو و بنت مروان ابن الحكم

وذُكر أنه حَجّت أمُّ محمد بنت مروانَ بن الحكم ، فلمّا قضت نُسكَها أتت عُمر بن أبى ربيعة ، وقد أخْفت نَفسها فى نِسْوة ، فحدّثها مَليًّا . ثم لمّا انصرفتْ أتبعها رسولاً حتى عَرَف موضعها، وسأل عنها حتى أثْبَتها [(١)] . فعادتْ إليه بعد ذلك، فأخبرها بمعرفته إياها. فقالت : نَشَدْتُك الله أن تُشَهِّرنى بشِعْرِكَ [(٢)] ! و بَعثتْ إليه بألف دينار . فقَبلها وابتاع بها حُلَلا وطيباً وأهداه إليها . فردّته . فقال : والله لئن لم تَقْبليه لأُنْهبنّه [(٣)] فيكونُ مَشْهوراً . فقبلتْه و رحلت . فقال فيها :

أيّها الرَّاحلُ المُجِدُّ ابتكارَا قد قَضَى من تِهامةَ الأوطارَا
مَن يَكُن قَلْبُه سَليماً صَحيحاً ففُؤادى بالخَيْف أمسى مُعَارا

(١) أثبتها : تحققها وعرفها . (٢) أى سألتك بالله ألا تشهرنى فى شعرك . وهو من المواضع التى ينقاس فيها حذف « لا » النافية . (٣) لأنهبنه : أى لأبيحنه لمن شاء نهباً .

ليتَ ذا الدّهرَ كان حتماً علينا ... كلَّ يومين حِجّةً واعتمارا

وأنشد ابنُ أبى عتيق قولَ عمر هذا . فقال : الله سُبحانه أكرمُ بعباده من أن يجعل عليهم ما سألته لِيتمَّ لكَ فِسْقُك .

هو وحميدة

وكان عُمر يهوى حُميدةَ جاريةَ ابنِ تُفّاحة (١) ، وفيها يقول :

حُمِّل القلبُ من حُمَيْدَةَ ثِقْلاَ ... إنّ فى ذاك للفؤاد لشُغْلاَ

إن فعلتُ الذى سألتِ فقُولى ... حَمْدُ خيراً وأَتْبِعى القولَ فِعلا

وصلِينى وأُشْهِد الله أنّى ... لستُ أُصْفِى سواكِ ماعشتُ وَصْلا

وفيها يقول :

يا قَلْب هل لك عن حُمَيْدَةَ زاجرُ ... أمْ أنت مُدَّكِرُ الحيَاء فصابرُ

فالقلبُ مِنْ ذِكْرَى حُميدةَ مُوجَع ... والدَّمعُ مُنحدرٌ وعَظْمِىَ فاتِر

حتى بدا لى من حُمَيــدةَ خُلّتى ... بَيْنٌ وكنتُ من الفِراق أُحاذِر

هو وعراقية رآها فى الطواف

وحكى [علىُّ بن] طَرِيف الأسدىّ قال . سمعتُ أبى يقول :

بينما عمرُ بن أبى ربيعة يطُوف بالبيت إذ رأى امرأةً من أهل العراق ، فأعجبه جمالُها ، فمشى معها حتى عَرَف موضعها ، ثم أتاها فحادثهــا وناشدها وأنشدته ، وخطبها فقالت : إن هذا لا يصلُح ها هنا ، ولكنْ إن جِئْتنى إلى بلدى وخَطبْتنى إلى أهلى تزوجتك . فلما ارتحلوا جاء إلى صديق له من بنى سَهْم وقال له : إن لى حاجةً أريد أن تساعدنى عليها . فقال له : نعم ، وأخذ بيده . ولم يذكُرله ما هى . ثم أتى منزلَه فركب نَجيباً له وأركبه نَجيباً ، وأخذ معه ما يُصْلحه وسارا ، لا يَشُك السَّهمىُّ فى أنه سَفر يومٍ أو يومين. فمــا زال يَحُثّ حتى لحق بالرُّفْقَة ، ثم ســار بسَيْرهم يُحادث المرأةَ طُولَ طريقه ، ويُسايرها وينزل عندها إذا نزلت ، حتى ورد

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ابن ماجة » .

العراق . فأقام أياماً ، ثم راسلها يَتَنَجّزها وعدَها . فأعلمتهُ أنها كانت متزوّجة ابنَ عمٍّ لها وولدت منه أولاداً ثم مات ، فأوصَى بهم و بماله إليها ما لم تتزوّج ، وأنهــا تخاف فُرْقةَ أولادها و زوال النِّعمة ، و بعثت إليه بخمسة آلاف دِرْهم واعتذرتْ . فردّ عليها المالَ ورحل إلى مكة . وقال فى ذلك قصيدتَه التى أوّلُها :

نام صَحْبِى ولم أَنَمْ مِنْ خَيــالٍ بنــا أَلَمّْ
طاف بالرَّكْب مَوْهِناً بين خاخٍ إلى[1] عُظُم
ثم نَبَّهتُ صــاحباً طَيِّبَ الخِيم[2] والشِّيَم
أَرْيَحِيّــا مُســاعِداً غيرَ نِكْسٍ[3] ولا بَرَم
قلتُ يا عمرو شَــفَّنِى لاعجُ الحُبِّ والأَلم
إيتِ هِنْــداً فقل لهــا ليلة الخَيْفِ ذى السَّلَم

بينه و بين الخاطى وصاحب له وحديثه عن هند

وذكر عثمان بنُ إبراهيم الخاطبىّ قال :

أتيتُ عُمرَ بن أبى رَبيعةَ بعد أن نَسك بســنينَ ، وهو فى مَجْلس قومه من بنى مَخزوم ، فانتظرتُ حتى تفرّق الناسُ، ثم دنوتُ منه، ومعى صاحبٌ لى ظريف ، وكان قد قال لى : تعالَ حتى نَهيجه على ذِكْر الغزَل ، فننظرَ هل بقى فى نفسه منه شىء . فقال له صاحبى : يا أبا الخطّاب ، أكْرَمَكَ الله ؟ لقد أحسن العُذْرِىّ وأجاد فيما قال . فنظر إليه عُمر ثم قال :وما الذى قال ؟ قال : حيث قال :

لو جُذَّ بالسَّيفِ رأسى فى مَودّتها لمرَّ يَهْوِى سَرِيعاً نحوها راسِى

قال : فارتاح عمر إلى قوله وقال : هاهْ ! لقد أجاد وأحسن . فقلتُ : ولله دَرُّ

---

(١) خاخ : موضع بين الحرمين . وعظم، بضمتين، و بفتحتين أيضا : عرض من أعراض خيبر. وفى بعض أصول الأغانى : « إضم » . وهو واد بجبل تهامة .

(٢) الخيم : الطبيعة والسجية .

(٣) النكس : الضعيف . والبرم : الذى لا خير عنده .

جُنادة العُذْرِىّ! فقال عمر: فحيث يقول ماذا؟ ويحك! قلتُ: حيث يقول:

سَرَتْ لعَيْنك سَلْمَى بعد مَغْفَاهَا	فبِتُّ مُسْتَنَبِهاً مِن بعد مَسْرَاهَا
وقلتُ أهلاً وسَهلاً مَن هَداكِ لنا	إنْ كنتِ تِمْثالَهَا أو كنتِ إيّاها
من حُبِّها أتمنَّى أنْ يُلاقِيَنِى	مِن نحو بلدتِهـا ناعٍ فيَنْعاها
ولو تموتُ لَرَاعتْنِى وقلتُ ألَا	يا بُؤْسَ للموت ليتَ الدهْرَ أبقاها

قال: فضحك عمرُ ثم قال: وأَبيك، لقد أحسن وأجاد وما أساء! ولقد هيّجتما علىّ ساكناً، وذكّرتمانى ما كان عنّى غائباً، ولأحدّثنكما حديثاً حُلواً:

بينا أنا منذُ أعوام جالسٌ إذ أتانى خالدُ الخِرِّيتُ فقال لى: يا أبا الخطّاب، مرّت بى أربعُ نِسْوة قُبيل العشاء يُرِدْن موضعَ كذا وكذا، لم أر مثلَهن فى بَدْوٍ ولا حَضَر، فيهنّ هِنْد بنت الحارث المُرّيّة، فهل لك أن تأتيهنّ متنكِّراً تَسمع من حديثهنّ وتَستمتع بالنَّظر إليهنّ ولا يَعْلَمْنَ من أنت؟ فقلت له: ويحك! وكيف لى أن أُخْفِيَ نفسى؟ قال: تلبس لِبْسة أعرابىّ ثم تجلس على قَعُود، فلا يَشعرْن إلا بك قد هَجمت عليهنّ. ففعلتُ ما قال وجلستُ على قَعُود، ثم أتيتهنّ فسلّمت عليهن، ثم وقفت بقُربهن. فسألننى أن أُنشدهن وأُحدِّثهن. فأنشدتهن لكُثَيِّر وجَميل والأَحوص ونُصَيب وغيرهم. فقلن لى: يا أعرابىّ! ما أَمْلَحك وأظرفَك! لو نزلتَ فتحدَّثت معنا يومَنا هـذا! فإذا أَمْسيتَ انصرفتَ فى حِفْظ الله. قال: فأنَخْتُ بَعيرى وتحدّثتُ معهنّ. ثم إنهن تَغامَزْن وجَعل بعضُهن يقول لبعض: كأنّا نعرفُ هـذا الأعرابىّ، ما أَشبهه بعُمرَ بن أبى ربيعة! فقالت إحداهن: هو والله عُمر! فمدَّت هِنْد يدَها فانتزعت عِمامتى فألقتْها عن رأسى، ثم قالت: هِيهِ يا عمر! أتُراك خَدَعْتَنا منـذُ اليوم؟ بل نحن والله خَدَعناك واحْتَلْنا عليك بخالدٍ لتأتيَنا فى أَسوأ هَيْئةٍ، ونحن كما تَرى. قال عمر: ثم أَخذنا فى الحديث، فقالت هِنْد: ويحك يا عُمر! اسمع منِّى، لو رأيتَنى منذُ أيّام وأصبحتُ عند أهلى، وأدخلتُ

رأسِي فى جَيْبى، فنظرتُ إلى حِرِى فإذا هو مِلْءُ الكفّ ومُنْيَةُ المُتمنِّى فناديتُ : يا عُمراه ! يا عُمراه ! قال عُمر : فصِحْتُ : يا لَبَّيْكاه ! يالبَّيْكاه ! ثلاثاً ، ومددتُ فى الثالثة صوتى. فضحكت . وحادثتُهن ساعةً ثم ودَّعتُهن وانصرفتُ، فذاك قولى:

عرفتُ مَصِيفَ الحَىِّ (١) والمُتَرَبَّعَا ... ببَطْنِ حُلَيَّاتٍ دَوَارِسَ (٢) بَلْقَعَا
إلى السَّفْح من وادى المُغَمَّس بُدِّلت ... معالِمُه وَبْلاً وَنَكْباءَ (٣) زَعْزَعا
لِهِنْدٍ وأتْرابٍ لهِنْدٍ إذ الهَوَى ... جَميعٌ وإذ لم نَخْشَ أن يَتَصَدَّعا
وإذ نحن مِثْلُ الماء كان مِزاجُه ... كما صَفَّقَ (٤) الساقِى الرَّحيقَ المُشَعْشَعا
وإذْ لا نُطِيع الكاشِحين ولا نَرَى ... لواشٍ لدينا يطلبُ الصَّرمَ (٥) مَطْمَعا

وله فيها قصيدته التى أوَّلُها :

يا صاحِبَيَّ قِفَا نَسْتَخْبِر الدَّارَا ... أقوتْ وهاجتْ لنا بالنَّعْفِ (٦) تَذْكارَا
وقد أرَى مَرَّةً سِرْباً بها حَسَناً ... مثلَ الجآذِر لم يُمْسَسْن أبْكارا
فيهنّ هِنْدٌ وهِنْدٌ لا شبيهَ لها ... فِيمَن أقام مِن الأحياء أوْ سارا
تقول ليت أبا الخطّابِ وافَقَنا ... كى نَلْهُوَ اليومَ أو نُنْشَدَ أشْعارا

---

(١) المتربع : حيث ينزل القوم زمن الربيع . ورواية هذا الصدر فى الديوان :
* ألم تسأل الأطلال والمتربعا *
وكذا رواه القالى فى أماليه ثم قال : «وأملى علينا أبو عبد الله .«عرفت مصيف الحى والمتربعا » : وهو غلط ، لأن « عرفت مصيف الحى » أول قصيدة لجميل .

(٢) دوارس : عفت وامحت آثارها . وبلقع : خالية . يوصف به الذكر والأنثى . فإذا كان اسماً قلت : بلقعة ملساء .

(٣) المغمس : موضع قرب مكة فى طريق الطائف . والوبل : المطر الشديد الضخم القطر . والنكباء : كل ريح من الرياح الأربع انحرفت ووقعت بين ريحين . وهى تهلك المال وتحبس القطر. وزعزع : شديدة .

(٤) صفق الشراب : مزجه . (٥) الكاشح : المضمر للعداوة .

(٦) أقوت : خلت . والنعف : ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مجرى السيل . وظاهر أنه يريد موضعاً بعينه .

فلم يَرُعْهنّ إلّا العِيسُ طالعــةً ... بالقَوْم يَحْمِلْنَ رُكْباناً[١] وأَكْوارا
لّما وقفْنـا وعنَّينـا ركـائبَنا ... بُدِّلْن بالعُرْف بعـد الرَّجْع إنكارا

ومنها :

لّما ألّمتْ بأصْـحابى وقد هَجَعُوا ... حَسِبْتُ وَسْط رِجالِ القوم[٢] عطَّارا
فقلتُ مَنْ ذا الْمحيِّي وانتَبهتُ له ... ومَن مُحـدِّثُنـا هـذا الّذى زارا
تبَـدَّلَ الرَّبْعُ ممَّن كان يسكُنه ... عُفْرَ الظِّبـاء به يَمْشِين أسْـطارا

وقال فيها — قلتُ : وهو من ظريف الشعر — :

ليتَ هِنْـدًا أَنْجزَتْنـا ما تَعـدْ ... وشَـفَتْ أنفُسَـنا مما[٣] تَجِـدْ
وأُسـتبدَّت مَرَّةً واحـدةً ... إنمـا العـاجزُ من لا يَسْـتبدّ
ولقـد قالتْ لجـاراتٍ لهـا ... ذاتَ يوم وتَعَرَّتْ[٤] تَبْـتَرد
أكما ينْعتُنى تُبْصرننى ... عَمْرَكُنّ اللّهَ أم لا يقْتَصِـد
فتضـاحَـكْن وقد قُلن لهـا ... حَسَنٌ فى كلِّ عَيْنٍ مَن تَودّ
حَسَـداً حُمِّلْنَه من أَجْلِهـا ... وقَديماً كان فى النَّـاس الحسـد

وقال فيها :

يامَن لقَلْبٍ دَنِفٍ مُغْرَمِ ... هـامَ إلى هِنْـدٍ ولم يَظْلِمِ
هامَ إلى رِئْمٍ هَضِيم الحَشَى ... عَذْبِ الثَّـنايا طَيِّبِ الْمَبْسِم
لم أَحْسَب الشَّمْس بلَيْلٍ بَدَتْ ... قَبْلى لِذِى لَحْمٍ ولا ذِى دَم

---

(١) الأكوار : جمع كور ، وهو رحل الناقة بأدواته .
(٢) العطار : بائع العطر .
(٣) مما تجد ، أى مما قد تولهت به من الحب الشديد .
(٤) تبترد : تغتسل بالماء البارد .

قالت ألَا إنّك ذو مَلّةٍ يَصْرِفُكَ الأَدْنَى عن الأقْدم
قلتُ لها بل أنتِ مُعتلّة فى الوصل ياهندُ لكى تَصْرمى

هووفاطمة بنت عبد الله بن مروان

وذُكر أنّ عمر بن أبى ربيعة كان جالساً بمِنًى فى فِناء مِضْرَبِه، وغِلمانه حولَه، إذ أقبلت امْرأةٌ بَرْزَةٌ عليها أثر النِّعمة، فسلّمتْ. فردَّ عليها عمرُ. فقالت: أنت عمر بن أبى ربيعة؟ فقال: أنا هو، فما حاجتُك؟ قالت: حيّاكَ الله وقرّبك! هل لكَ فى مُحادثة أحسنِ الناسِ وجهاً، وأتمّهم خَلْقاً، وأكملهم أدباً، وأشْرفهم حَسباً؟ قال: ما أحبَّ ذلك إلىّ. قالت: على شَرْط. قال: قُولِى. قالت: تُمَكّننى من عَينيك فأَشدُّها وأَقُودكَ، حتى إذا توسّطت المَوضع الذى أُريده حلتُ الشَّدَّ، ثم أفعلُ بك ذلك عند إخراجك حتى أنتهى بك إلى مِضْرَبك. فقال: شأنك. ففعلتْ ذلك. قال عمر: فلما انتهتْ إلى المِضْرب الذى أرادت، كشفتْ عن وجهى، فإذا أنا بامرأة على كرسىّ، لم أر مثلها قطُّ جمالاً وكمالاً. فسلّمتُ وجلستُ. فقالت: أنت عُمر بن أبى ربيعة؟ قلت: أنا عمر. قالت أنت الفاضح للحرائر؟ قلت: وما ذاكَ؟ جَعلنى الله فِداكِ! قالت: ألستَ القائل:

قالت وعَيْشِ أخى ونِعْمة والدى لأُنبهنّ الحىَّ إنْ لم تخْرُجِ
فخرجتُ خوفَ يمينها فتبسّمت فعلمتُ أنّ يمينها لم [١] تَلْجَج
فتناولتْ رأسى لتعرفَ مَسّه بمُخَضّب الأطراف غير [٢] مُشَنّج
فلَثَمْتُ فاها آخذاً بقُرونها شُرْبَ النّزيف ببَرْد ماء [٣] الحَشْرج

ثم قالت: قُم فاخْرُج عنّى، وقامت من مَجْلسها. وجاءت المرأةُ فشدّت عَيْنى، ثم أخرجتْنى حتى انتهتْ بى إلى مِضْربى، وتركتنى وانصرفتْ. فخلتُ

(١) لم تلجج: أى لم تعزمها.
(٢) مشنج: منقبض.
(٣) النزيف: من عطش حتى يبست عروقه وجف لسانه. والحشرج: النقرة فى الجبل يجتمع فيها الماء فيصفو.

عينى، وقد دَخلنى من الكآبة والحُزن ما الله أعلم به ، و بِتُّ ليلتى . فلما أصبحت إذا أنا بها . فقالت : هل لك فى العَوْد ؟ قلت : شأنَكِ . ففعلت بى مثلَ فِعْلها بالأمس، حتى أُنتهتْ بى إلى الموضع . فلما دخلتُ إذا الفتاة على كرسىّ. فقالت : إيهِ يا فضّاح الحرائر ! قلت : ماذا ؟ جَعلنى الله فِداكِ أيضاً ! قالت : بقَولك :

وناهدةِ الثَّدْيَيْن قلت لها اتَّكى ... على الرَّمْل فى دَيْمُومة لم تُمَهَّدِ
فقالت على أسم الله أمرُك طاعةٌ ... و إن كنتُ قد كُلِّفتُ مالم أُعَوَّدِ
فلما دنا الإصباح قالت فَضَحْتنى ... فقُمْ غيرَ مَطْرود و إن شئتَ فازْدَدِ

ثم قالت : قُم فاُخرُج عنى . فخرجتُ. ثم رُدِدْتُ ، فقالت : لولا وَشْك الرَّحيل، وخَوْف الفَوت ، ومَحبَّتى لمُناجاتك والاستكثار من مُحادثتك لأقْصيتُك . هات الآن، كلِّمنى وحدِّثنى وأَنْشِدْنى . فكلَّمْتُ آدبَ الناس وأعلمَهم بكل شىء . ثم نَهضتْ . وأبطأتِ العجوزُ وخلا لى البيتُ ، فأخذتُ أنظُر ، فإذا بتَوْرٍ (١) فيه خَلُوق.(٢) فأدخلتُ يدى فيه ، ثم خبأْتُها فى رُدْنى.(٣) وجاءت تلك العَجوزُ فَشدَّت عَيْنى ونهضتْ بى تَقُودنى،حتى إذا صِرْتُ إلى باب المَضْرَب ، أخرجتُ يدى فضربتُ بها على المَضْرب . ثم صِرْتُ إلى مِضْربى،فدعوتُ غِلْمانى، فقلتُ : أيكم يَقِفُنِى على باب مِضْرَب عليه خَلُوق كأنه أثرُ كفٍّ فهو حُر وله خمسمائة دِرْهم؟ فلم ألبث أن جاء بعضُهم فقال :قُم. فنهضتُ معه، فإذا [أنا] بالكفّ طريَّةٌ ،و إذا المِضْرَب مِضْرَب فاطمة بنت عبد الملك بن مروان . فأخذتْ فى أُهْبَة الرَّحيل. فلما نَفَرتْ نفرتُ . فَبَصُرَتْ فى طريقها بقِباب ومَضارب وهيئة جميلة ، فقيل لها : هذا عمر بن أبى رَبيعة . فساءها أمْرُه وقالت للعجُوز التى كانت تُرسلها إليه :

---

(١) التور : إناء صغير .
(٢) الخلوق : نوع من الطيب .
(٣) الردن : الكم .

قولى : نَشَدْتُكَ اللهَ والرَّحِمَ أن(١) تَصْحَبنى، ويحك! وما شأنُك؟وما الذى تُريد ! أنْصرف ولا تَفْضَحنى وتُشِيطَ(٢) بدَمك . فصارت إليه العجوزُ فأدَّت إليه ما قالت لها فاطمةُ . فقال : لستُ بمُنْصَرِفٍ أو تُوَجِّهَ إلىّ بقميصها الذى يَلِى جِلْدَها . فأخبرتْها . ففعلتْ، ووجَّهت إليه بقَميص من ثيابها . فزاده ذلك شَغَفاً، ولم يَزَلْ يَتْبعهم ولا يُخالطهم، حتى إذا صاروا على أميالٍ من دِمَشْق أنصرف. وقال فى ذلك :

ضاق الغَداةَ بحاجَتى صَدْرِى ... ويَئِستُ بعد تَقَارُب الأمْرِ
وذكرتُ فاطِمَةَ الَّتى عُلِّقْتُها ... عَرَضاً فَيا لِحوَادثِ الدَّهْرِ

يقول فيها :

وكأنَّ فاها بعد ما رَقَدَتْ ... تَجْرِى عليه سُلافَةُ الخَمْرِ

ومنها :

وبِجِيدِ آدَمَ شادِنٍ خَرِقٍ ... يَرْعَى الرِّياضَ بِبَلْدَةٍ(٣) قَفْرِ
لمّا رأيتُ مَطِيَّهم(٤) حِزَقاً ... خَفَقَ الفؤادُ وكنتُ ذا صَبْرِ
وتبادرتْ عيناى بعدهمُ ... وأُنهِلَ مَدْمَعُها على الصَّدْرِ
ولقد عَصيتُ ذوى أقاربها ... طُرًّا وأهلَ الوُدِّ والصِّهْرِ
حتَّى لقد قالُوا وما كَذَبُوا ... أجُنِنْتَ أَمْ بِكَ داخلُ السِّحْرِ

وذُكر أنه لما قدمتْ فاطمةُ بنت عبد الملك بن مَرْوان مكةَ جعل عمرُ بن أبى رَبيعة يدُور حولها ويقول فيها الشعر ولا يذكُرها باسمها ، فَرَقاً من عبد الملك

(١) أى ، ألا تصحبنى . (٢) أشاط دمه وبدمه : أهدره وعرض نفسه للقتل .
(٣) الأدمة فى الإنسان : السمرة . وفى الظباء : لون مشرب بياضا . والشادن : الظبى شب وترعرع . والخرق : الخائف المتحير . (٤) حزقاً : جماعات .

ومن الحَجّاج ، لأنه كان كتب إليه يتوعّده إن ذكرها أو عرّض باسمها . فلمّا قضت حَجَّها وارْتحلت أنشأ يقول :

كِدْتُ يومَ الرَّحيل أَقْضِى حياتى ... ليتنى مِتُّ قبلَ يوم الرَّحيلِ

لا أُطِيق الكلامَ مِن شدَّةِ الخوف ... ودَمْعى يَسِيلُ كلَّ مَسِيل

ذَرَفَتْ عَيْنُها وفاضتْ دُموعى ... وكلانا يُلْفَى(١) بلُبٍّ أَصِيل

لو خَلَتْ خُلَّتِى أَصَبْتُ نَوالاً ... وحَدِيثًا يَشْفِى من التَّنْوِيل

ولظَلَّ الخلْخالُ فوق الحَشَايا ... مثلَ أَثْناء حَيَّةٍ(٢) مَقْتُول

ولقد قالتِ الحبيبةُ لولا ... كَثْرَةُ النَّاسِ جُدْتُ بالتَّقْبيل

وله فى فاطمةَ هذه :

يا خليلَيَّ شَفَّنِى الذِّكَرُ ... وحُمولُ الحىِّ قد صَدَرُوا

ضَرَبُوا حُمْرَ القِبَابِ لها ... وأُدِيرتْ حولها الحُجَر

سَلَكُوا شِعْبَ النِّقَابِ بها ... زُمَراً تَحْتَثُّها(٣) زُمَر

وطَرَقْتُ الحىَّ مُكْتَتِما ... ومَعِى عَضْبٌ به(٤) أُثُر

وأخٌ لم أَخْشَ نَبْوته ... بنَواحِى أمرهم(٥) خَبِر

فإذا رِيمٌ على فُرُشٍ ... فى حِجَال الخزِّ(٦) مُخْتَدِر

حَوْلَه الأَحراسُ تَرْقُبه ... نُوَّمٌ من طُول ما سهروا

شَبَهُ القَتْلَى وما قُتِلُوا ... ذاكَ إلّا أنَّهم سَمَرُوا

(١) فى بعض أصول الأغانى . « يلقى » .
(٢) أثناء الحية : مطاويها وتضاعيفها إذا تثنت .
(٣) النقاب : موضع من أعمال المدينة . وتحتثها : تستعجلها .
(٤) العضب : السيف القاطع .
(٥) خبر : خبير .
(٦) الحجال : جمع حجلة ، وهى قبة تجمل بالستور .

فدعَتْ بالوَيْل ثم دَعَتْ حُـرَّةً من شأنهـا الخفَر
ثم قالت للّتى معهـا ويْحَ نَفْسِى قد أَتَى عُمَر
ما لَه قـد جاءَ يطْرُقُنـا ويرَى الأعـداءَ قد حَضَروا
لِشَـقَائِى كان عُلِّقنـا ولحَيْنِى سـاقَه القَـدَر
قلتُ عِرْضِى دون عِرْضِكُمُ ولمن ناواكُمُ الحَجَـر

هو وعائشة بنت طلحة فى الطواف

وقيـل : بينا عُمرُ بن أبى ربيعـة يطوفُ البيتَ إذ رأى عائشةَ بنت طَلْحَة ابن عُبيد الله ، وكانت من أجمل أهلِ دَهرها ، وهى تُريد الرُّكْنَ تَسْتلمُه ، فبُهِت لما رآها . ورأتْه وعلمت أنها وقعتْ فى نفسه ، فبعثتْ إليـه بجارية لها وقالت لها : قُولى له : أتّقِ اللهَ ولا تَقُل هُجْراً ، فإنّ هـذا مَقَامٌ لا بُدَّ فيه ممّـا رأيتَ . فقال للجارية : أَقْرِئيها السلامَ وقُولى لها : ابنُ عمّك لا يقول إلّا خيراً ، وقال فيها :

لعائشةَ ابْنـةِ التَّيمىّ عِنـدى حِمًى فى القَلْب ما يُرْعَى حِمَـاهَا
يُذكِّرنِى ابنـةَ التَّيمىّ ظَبْىٌ يَرُودُ برَوْضَـةٍ سَهْلٍ رُبَاهَا
فقلت له وكاد يُرَاعُ قَلْبى فلم أرَ قَطُّ كاليوم اشْـتباها
سِوَى حَمْشٍ بسـاقِكَ مُسْتَبينٍ وأنَّ شَوَاكَ لم يُشْـبه[1] شَواها
وأنك عاطِلٌ عارٍ ولَيْسَتْ بعــاريةٍ ولا عُطْلٍ يَداها
وأنك غـير أسْحَمَ وهى تُدْنِى على المَتْنَيْن أسْحَمَ قد[2] نَضـاها
ولو قَعَـدتْ ولم تَـكْلَفْ بوُدّ سِوَى ما قد كَلِفتُ به كَفَاها
أظَلُّ إذا أُكـلِّمُها كأنّى أُكلِّمُ حَيَّـةً غَلَبَتْ رُقاها
تَبِيتُ إلىّ بعـدَ النَّوم تَسْرِى وقد أمْسَيتُ لا أخشَى سُرَاها

---

(١) الحمش : دقة الساقين . والشوى : الأطراف .

(٢) الأسحم : الأسود ، يريد الشعر . ونضاها ، أى كساها .

وقال فيها أشعاراً كثيرةً ، فبلغ ذلك فتيانَ تيْم ، أَبلغهم إياه فتًى منهم وقال لهم : يا بَنى تَيْم ، هاللهِ لَيَقْذِفَنَّ بنو مخزوم بنَاتِنـا بالعَظائم وتَغفُلون ! فمشى ولدُ أبي بكر الصدِّيق وولدُ طلحة بن عُبيـد الله رضى الله عنهم إلى عُمر بن أبي ربيعة وأخبروه بما بلغهم . فقال لهم : والله لا أذكرها فى شعرٍ أبدا . ثم قال بعـد ذلك فيها ، وكَنّى عن اسمها ، فى قصيدته التى أوّلها :

يا أُمَّ طَلْحة إنَّ البَيْن قد أَفِدَا قَلَّ الثَّواء لئن كان الرَّحيلُ غدَا[1]

وقيل: لم يزل عُمر يُشَبِّب بعائشة هذه أيامَ الحجّ ، و يطُوف حَولها و يتعرّض لها ، وهى تكره أنْ يَرى وجهَها ، حتى وافقَها وهى ترمى الجمارَ سافِرةً ، فنظر إليها . فقالت : أما والله لقد كنتُ لهذا منك كارهةً يا فاسقُ ! فقال :

إنّى وأوّلَ ما كلفتُ بذكْرِهـا عَجَبٌ وهل فى الدّهر من مُتعجَّبِ
نعتَ النِّساء فقلتُ لستُ بمُبْصِرٍ شَبَهاً لهـا أبداً ولا بمُقـرَّب
فمكَثْن حِيناً ثم قُلْنَ توجّهتْ للحجِّ موعِدُها لِقَاء[2] الأخْشب
أَقْبلتُ أنظُر ما زَعمن وقُلْن لى والقلبُ بيْن مُصدِّق ومُكَذِّب
فلَقِيتُها تَمْشى تَهـادَى مَوْهِنـاً تَرْمِى الجمارَ عَشِيَّةً فى مَوْكب
غرَّاء يُعْشِي النّاظرين بياضُها حَوْراء فى غُلَواء عَيْشٍ[3] مُعْجِب
إنّ التى من أرْضهـا وسمائهـا جُلِبتْ لحَيْنك ليتهـا لم تُجْلَب

وقيل : إنه لَقِيها بمكة وهى تَسير على بغلة لها ، فقال لها : قِفِى حتى أُسمِعَك ما قلتُ فيك . قالت : يا فاسق ! أوَ قد فعلتَ ؟ قال: نعم . فوقفتْ . فأنشدها :

---

(١) أفد : دنا وأسرع .
(٢) الأخشب : واحد الأخشبين ، وهما جبلان بمكة .
(٣) غلواء عيش : أنضره وأرغده .

يا رَبَّةَ البَغْلةِ الشَّهْبَاء هـل لك فى ... أن تُنْشِرى مَيِّتاً لا تُرْهِقِى[(١)] حَرَجَا
قالتْ بدائك مُتْ أو عِشْ تُعالِجه ... فمـا نَرَى لك فيما عنـدنا فَرَجا
قد كُنتَ حَمَّلْتنـا غَيْظاً نُعالجـه ... فإن تَقِدْنا فقد عَنَّيتَنا[(٢)] حِجَجا
حتى لو اُسْطِيـعُ ممّا قد فعلتَ بنا ... أكلتُ لحمَك من غَيْظٍ وما نَضِجا

فقالت: لا وربّ الـكعبة، هذه البَنِيّة! ما عَنيتَنا طَرْفة عَيْن قطُّ. ثم قالت لبغلتها: عَدَسْ![(٣)] وسارت.

ثم لم تزل عائشة تُداريه وترفُق به خَوفاً من أن يتعرّض لها، حتى قضت حِجّتها وانصرفت إلى المدينة. فقال فى ذلك:

إنّ من تَهوَى مع الفَجر ظَعَنْ ... للْهَوى والقَلْبُ مِتْباعُ الوَطَنْ
بانت الشَّمسُ وكانت كلّمـا ... ذُكِرتْ للقَلْب عاودتُ الحزَن
يا أبا الحـارث قَلْبى طـائر ... فَأْتَمِر أمرَ رَشيدٍ مُؤْتمن
نظَرت عَيْنى إليهـا نَظْرةً ... تركت قَلْبى لدَيهـا مُرتَهن
لَيْس حُبٌّ فـوق ما أحببْتها ... غـير أن أَقْتُل نَفْسى أو أُجَنّ

وقال فيها:

مَن لقَلْبٍ أمسَى حزيناً مُعنَّى ... مُستكينا قد شَفَّه ما أَجَنَّا
إثْرَ شَخْصٍ نَفسى فدَتْ ذاك شَخْصاً ... نازِح الدار بالمـدينـة عَنَّا
ليت حظِّى كَطَرْفة العَيْن منها ... وكثـيرٌ منهـا القليلُ المُهَنَّا

هو وكلثم المخزومية

وذُكر أنَّ عُمر بن أبى ربيعة كان يَهْوَى كَلْثَم بنتَ سعدٍ المخزوميّـة،

(١) لا ترهق حرجاً ، أى لا تحمليه حرجاً ولا تكلفيه أكثر مما هو به .
(٢) فإن تقدنا ، أى فإن ترد القصاص منا على هذا الهجر ، فقد عنيتنا وجشمتنا أعواماً طوالا .
(٣) عدس : كلمة تزجر بها البغال .

فأرسل إليها رسولا.[1] فضربتْها وحلقتْها وأحْلقتْها[2] ألاّ تُعاود . ثم أعادها ثانيةً . ففعلتْ بها مثلَ ذلك . فتَحاماها رسُلُه . فابتاع أَمَةً سوداءَ لطيفةً رقيقةً ، فأتى بها منزلَه وأحسن إليها وكساها وآنسها وعرَّفها خَبره ، وقال لها : إنْ أوصلتِ لى رُقعةً إلى كَلْثم فقرأتْها فأنتِ حُرّةٌ ، ولك معيشتُك ما بقيت . فقالت : اكتُب حاجتك فى آخرها. ففعل، وأخذتْها ومَضت بها إلى باب كَلْثم ، فاستأذنت. فخرجت إليها أمةٌ لها، فسألتْها عن أمرها فقالت : مكاتَبةٌ[3] لبعض أهل مَوْلاتك ، جئتُ أستَعينها فى مُكاتَبتى . وحادثتْها وناشدتْها حتى ملأتْ قلبها . فدخلتْ إلى كلْثم وقالت : بالباب مُكاتَبةٌ لم أر قطُّ أجملَ منها ولا أكمل ولا آدب . فقالت : ائذنى لها. فدخلت،فقالتْ : مَن كاتَبك؟ قالت: عُمر بن أبى ربيعة الفاسقُ! فاقرئى مُكاتبتى. فمدّت يدَها لتأخذها. فقالت :لى عليك عهدَ [الله] أن تقرئيها ، فإن كان منك إلىّ شىء مما أُحبّ، وإلا لم يَلْحقنى منك مكروه . فقالت : هاتى ، وفطِنت . فأعطتْها الكتابَ، وإذا أوّله :

مِنْ عاشقٍ صَبٍّ يُسرُّ الهوى ... قد شفَّه الوَجْدُ إلى كَلْثمِ
رأتْكِ عَينى فدعانى الهوى ... إليكِ للحَيْن ولم أعْلَم
قَتَلْتِنا يا حبّذا أنتمُ ... فى غَيْر ما جُرْمٍ ولا مَأْثَم
واللهُ قد أنزل فى وَحْيه ... مُبَيِّنا فى آيةِ المُحْكَم
مَن يقتُلِ النفْسَ كذا ظالمًا ... ولم يُقِدْها نفسَه يَظْلِم
وأنتِ ثأرِى فتلافَىْ دَمِى ... ثم اُجْعليه نِعْمةً تُنْعِمى
وحَكِّمى عَدْلاً يكُنْ بيننا ... وأنتِ فيما بيننا فاحْكُمى
وجالِسِينى مَجلساً واحداً ... من غَيرِ ما عارٍ ولا مَحْرَم

(١) الرسول : يجوز استعماله للمذكر والمؤنث ، والمثنى والجمع. (٢) حلقتها. أى أوجعت حلقها .
(٣) مكاتبة ، أى قد كاتبها سيدها على مال تؤديه إليه منجماً ، فاذا أدته صارت حرة .

وخَبِّرينى ما الذى عندكُم ... بالله فى قَتْلِ امرىء مُسْلِم

قال : فلمّا قرأت الشعرَ قالت لها : إنّه خَدّاع مَلِقٌ ، وليس لما شكاه أصْل . قالت : يا مولاتى ، ما عليك من امتحانه ؟ قالت : قد أذنتُ له ، وما زال حتى ظَفِر ببُغْيته ، فقولى له : إذا كان المساء فَلْيجلس فى موضع كذا وكذا حتى يأتىَ رسولى . فانصرفتْ الجاريةُ فأخبرتْه . فتأهّب لها . فلما جاءها وجدها قد تهيّأت أجملَ هَيْئة، وزيّنت نَفْسَها ومَجْلِسها، وجلستْ له من وراء سِتْر . فسلّم وجلس . وتركتْه حتى سكن ، ثم قالت له : أخبرنى عنك يا فاسق ! أأنت القائل :

هلا ارْعَويتِ (١) فترْحمِى صَبًّا ... صَدْيانَ لم تَدعى له قَلْبَا
جَشِمَ الزيارةَ فى مَودّتكم ... وأراد ألاّ تُرْهِقى ذَنْبا
ورَجا مُصالحةً فكان (٢) لكم ... سَلْماً وكنتِ تَرَيْنَه حَرْبا
يأيّها المُعْطِى مودّته ... مَن لا يزال مُسامِياً (٣) خِطْبَا
لا تجعلَنْ أحداً عليك إذا ... أحببتَه وهَوِيتَه رَبّا
وَصِلِ الحبيبَ إذا شُغِفتَ به ... واطْوِ الزِّيارَةَ دونه غِبّا
فلذاك أحسنُ من مُواظبة ... ليست تَزيدُك عنده قُرْبا
لا بَل يَمَلّك ثم تدعو باسمه ... فيقول : هاهِ وطالما (٤) لَبَّى

فقال لها : جُعلتُ فداك ! إنّ القَلْبَ إذا هَوِى نَطق اللسانُ بما يَهْوى . فمكث عندها شهراً لا يدرى أهلُه أين هو، ثم استأذنها فى الخُروج . فقالت له : بعد أن فضحتنى؛ لا والله لاتخرج إلاّ بعد أن تتزوّجنى. ففعل وتزوّجها . فولدت منه ابنين ، أحدُهما : جُوان ، وماتت عنده .

---

(١) فى الأصل : « استحيت » . وما أثبتنا من الديوان .
(٢) فى الأصل : « فردكم » . مكان « فكان لكم » وما أثبتنا من الديوان .
(٣) الخطب : الخاطب . (٤) هاه : كلمة وعيد ، حركت لضرورة الشعر .

هو ولبابة امرأة الوليد بن عتبة فى الطواف

وذُكر أنّ عُمر بن أبي ربيعة رأى لُبَابَةَ بنت عبد الله بنِ العبَّاس ، زوجةَ الوليد بن عُتبة بن أبي سُفيان ، تطُوف بالبيت ، فرأى أَحسنَ خَلْق الله ، فكاد عَقْلُه يذهب ، وسأل عنها فأُخبر بنَسبها ، فشبَّب بها وقال فيها :

ودِّعْ لُبابَةَ قبل أنْ تَترَحَّلا … وأسأل فإنّ قُلاَلَه (١) أن تَسألاَ

إلبَثْ بعَمْرِك ساعةً وتأنَّها … فلعلّ ما بَخِلَتْ به أن يُبْذَلا

قال ائْتمِرْ ما شئتَ غيرَ مُخالفٍ … فيما هَويتَ فإننا لن نَعْجَلا

لَسْنا نُبالى حين نَقْضى حاجةً … ما بَاتَ أو ظلّ المَطِىّ مُعَقَّلا

حتى إذا ما الليلُ جَنَّ ظَلاَمُه … ونظرتَ غَفلةَ حارسٍ أن يَغْفُلا

خرجتْ تأطَّرُ فى الثِّياب كأنها … أَيْمٌ يَسِيب على كَثيب (٢) أَهْيَلا

رحَّبْتُ حين رأيتُها فتبسَّمت … لتحيَّتى لمّا رأتْنى مُقْبِلا

وجَلا القِناعُ سَحابةً مَشْهورةً … غَرّاءَ تُعْشِى الطَّرْفَ أن يتأمَّلا

فلبثْتُ أَرْقِيها بما لو عاقِلٌ (٣) … يُرْقَى به ما اسْطاع ألّا يَنزلا

أبياته التى فيها الغناء

وأبياتُ عُمر بن أبي رَبيعة التى فيها الغِناء ، وذَكر أبو الفرج بعدها أخبارَ عمر ، هى :

تَشكَّى الكُميتُ الجَرْىَ لمّا جَهَدتُه … وبَيَّنَ لو يَسْطيع أنْ يتكلّمَا

لذلك أُدْنِي دونَ خَيْلِى مكانَه … وأُوصِى به ألّا يُهانَ ويُكْرَما

فقلتُ له إنْ أَلْقَ للعين قُرَّةً … فهانَ علىّ أن تَكِلّ وتَسْأَما

عَدِمْتُ إذاً وَفْرِى وفارقتُ مُهْجتى … لئن لم أَقِلْ قَرْناً (٤) إنِ اللهُ سلَّما

---

(١) قلاله : قليله .

(٢) تأطر ، أى تتأطر ، بمعنى تتثنى . والأيم : الحية . ويسيب : يمضى فى خفة . والكثيب : الرمل اجتمع واحدودب . (٣) العاقل : الممتنع فى الجبل .

(٤) الوفر : الكثير الواسع من المال والمتاع . ولم أقل : من القيلولة . وقرناً : يريد قرنه المنازل ، وهو مكان . أى : لئن لم أقل فيه .

شىء عن العبلات

وهذه الأبياتُ يقولها عُمر فى الثريَّا بنت علىّ بن عبد الله بن الحارث بن أُميَّة الأصغر بن عبد شَمس بن عبد مَنَاف ، وهُم الذين يقال لهم العَبَلات ، سُمُّوا بذلك لجدَّةٍ لهم يقال لها : عَبْلَة بنت عُبيد بن خالد بن خازِل — وقيل خاذل ، بالذال — ابن قَيْس بن مالك بن حَنْظلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تَميم ، وهى من بَطنٍ من تَميم يقال لهم : البَراجم .

قيل : كانت عَبْلة هذه عند رجل من بنى جُشَم بن معاوية، فبعَثها بأَنْحاء[1] سَمْن تَبيعُها له بعُكاظ . فباعت السَّمن وراحلتَيْن كان عليهما . وشَربت بثمنها الخمرَ . فلما نَفِدَ ثمنُها رَهنت ابن أخيه وهَربت . فطلَّقها زوجُها .

وقالت فى شُربها الخَمْر :

شَرِبتُ براحلتَيْ مِحْجنٍ فيــاويْلتِى مِحْجنٌ قاتلِى
وبابنِ أخيــه على لَذَّةٍ ولم أَحتفلْ عَذَلَ العاذِلِ

فتزوّجها عبدُ شَمس بن عبد مناف ، فولدتْ له أُمية الأَصغر ، وعبدَ أُميــة ، ونَوفلاً ، وهم العَبَلات .

عمر والثريا

قيل : كان عمر بن أبى ربيعة مُسْهَباً[2] بالثُّريا بنتِ علىّ الأَمويّة هذه ، وكانت عُرضةَ ذلك جَمالاً وتماماً[3] ، وكانت تَصِيف بالطائف، وكان عُمر يَغْدو عليها كلّ غداةٍ، إذا كانت بالطائف، على فَرسه، فيُسائل الرُّكبان الذين يَحْملون الفاكهةَ من الطَّائف عن الأَخبار قِبَلهم . فلَقِيَ يوماً بعضَهم فسأله عن أخبارهم . فقال : ما استطْرَفْنا خَبراً[4] ، إلاّ أنّى سمعتُ عند رَحيلنا صوتاً وصياحاً عالياً على امرأة من قُريش ، اسمُها اسم نَجم فى السماء ، وقد سَقط عنّى اسْمُه . فقــال عمر : الثُّريا ؟

(١) الانحاء : جمع نحى ، وهو الزق ، وما كان للسمن خاصة .
(٢) المسهب : من أسقمه الحب وأذهب عقله .
(٣) أى أهلا لأن يشغف بها لجمالها وتمامها . (٤) أى لم نقع على طريف نحدثك به .

قال : نعم . وقد كان بلغ عُمرَ قبل ذلك أنها عَليلة ، فوجَّه فرَسَه على وَجْهه إلى الطَّائف ، يركُضُه مِلْءَ فُرُوجه[١] ، وسلَك طريق كَدَاء[٢] ، وهو أَخْشن الطُّرق وأقربُها ، حتى انتهى إلى الثُّريّا ، وقد توقعتْه ، وهى تتشوّف له وتتشوّق. فوجدها سليمةً ومعها أُختاها : رُضَيّا وأمُّ عُثمان ، فأخبرها الخبَر . فضحكت وقالتْ : أنا والله أمرتُهم لأَختبر مالى فى نفسك . فقال عمر فى ذلك :

تشكّى الكُميتُ الجَرْىَ لماجهدُته ... و بَيَّنَ لو يَسْطيع أن يَتَكلَّما

الأبيات المذكورة .

وقال مَسلمة بن إبراهيم : قلت لأيُّوب بن مَسْلمة : أكانت الثُّريا كما يصف عمر بن أبى رَبيعة ؟ فقال : وفوق الصِّفة ، كانت والله كما قال عبدُ الله بن قَيْس:

حبَّذا الحجُّ والثُّريَّا ومَنْ بالْـ ... ـخَيْف من أهلها ومُلْقَى الرِّحالِ

يا سليمانُ إنْ تلاقِ الثُّريّا ... تَلْقَ عَيْشَ الخلود قَبْلَ[٣] الهَلالِ

دُرَّة من عَقائل البَحْر بِكْرٌ ... لم تَشِنْها مَثاقِبُ اللآّل

تَعْقِدُ المِئْزَرَ السُّخَامَ من الخَـزِّ على حَقْوٍ بادِنٍ[٤] مِكْسال

هو وجارية من بنى جمح

وذُكر أنّ رجلاً من بنى جُمَح وُلدتْ له بِنْت ، فكانت جارية لم يولد مثلُها بالحجاز حُسناً . فقال أبوها : كأَنِّى بها وقد كَبِرَتْ فَنَسب بها عمرُ بن أبى ربيعة وفَضَحها ونوّه باسمها ، كما فَعل بِنساء قُريش ، والله لا أقمتُ بمكّة . فباع ضَيْعَةً له بالطَّائف ومكة ورحل بابنته إلى البصرة وأقام بها، وابتاع هُناك ضيعةً . ونشأتْ ابنتُه من أجملِ نِساء أهل زمانها . ومات أبوها فلم تر أحداً من بنى جُمح حَضر

(١) الفروج : ما بين قوائم الفرس . كناية عن شدة العدو .

(٢) كداء : جبل بأعلى مكة .

(٣) يريد بالهلال : الدفعة من المطر : أى إن تلق الثريا تخصب عيشك قبل أوان الخصب .

(٤) السخام : اللين . والحقو : معقد الإزار .

جِنازَته، ولا وجدتْ لها مُسْعِداً ولا عليها داخلاً . فقالت لداية[١] لها سوداءَ : مَنْ نحن ؟ ومِن أيِّ البلاد نحن ؟ فخبَّرتْها . فقالت : لا جَرم ، والله لا أقمتُ فى هذا البلد الذى أنا فيه غريبة . فباعت الضَّيعة والدارَ وخرجت فى أيَّام الحج . وكان عُمر يَقْدَم فيَعْتمر فى ذى القَعْدة ويُحِلُّ، ويَلْبس الحُلل والوَشْى، ويركب النَّجائب المَخْضُوبة بالحِنّاء ، عليها القُطُوع[٢] والدِّيباج ، ويُسبل لِمَّته . ويَتلقَّى العِراقيَّات فيما بينه وبين ذات عِرْق مُحْرِمات ، ويتلقَّى المَدنيَّات [إلى مَرٍّ]، ويتلقَّى الشاميَّات إلى الكَديد . فخرَج يوماً للعراقيَّات، فإذا قُبةٌ مكشوفة فيها جاريةٌ كأنها القمر ، تُعادلها جاريةٌ سوداء كالسَّبَجة[٣] . فقال للسَّوداء : من أين أنت يا خالة ؟ فقالت : أطال الله تَعَبك ، إن كنتَ تسأل هذا العالَمَ من هم ومِنْ أين هُم ! قال : فأَخْبِرينى عسى أن يكون لذلك شأن . قالت : نحن من أهل العِراق ، فأمَّا الأصل والمَنْشأ فمكّة ، وقد رَجعنا إلى الأصل ودخلنا إلى بلدنا . فضحك . فلما نظرت إلى سَواد ثَنِيَّتَيْه قالت : قد عرفناك . قال : ومن أنا ؟ قالت : عُمر بن أبى ربيعة . قال : وبما عرفتِنى ؟ قالت : بسَواد ثَنيَّتيك وبهَيئتك التى ليست إلا لقُريش . فأنشأ يقول :

أصبح القلبُ فى الحِبَالِ رَهيناَ	مُقْصَداً يومَ فارقَ الظاعِنينَا
قلتُ من أنتمُ فصدَّت وقالت	أَمُبِدٌّ سُؤالَك[٤] العالَمِينا
نَحن من ساكِنى العراق وكُنَّا	قَبلَه قاطِنين مكةَ حِينا
قد صَدَقْناك إذ سألت فمن أنْ	تَ عسى أن يَجُرَّ شأنٌ شُئونا
ونَرى أننا عَرَفْناك بالنَّعْ	ت بظَنٍّ وما قَتَلْنا يقِينا

(١) الداية : المرضع ، وقد تلازم الطفلة حتى تشب .

(٢) هى ما يجعلها الراكب تحته . (٣) السبجة : الخرزة السوداء .

(٤) أمبد : أى أمقسم سؤالك على الناس واحداً واحداً حتى تعمهم .

بسَوادِ الثّنيّتَيْن ونَعْتٍ قد نَراه لناظرٍ مُشْتَبِينا

فلم يزل عُمر بها حتى تزوَّجها . فولدتْ له .

هو ورملة الخزاعية

وقد قِيل: إنّ عُمر قال هذا الشعر فى رَمْلة بنت عبد الله بن خَلَف الخُزاعيّة ، أخت طلحة الطَّلحات، لما حجّت إلى مكة . وكانت رَمْلة هذه جَهْمةَ الوجه عظيمة الأنف حَسَنةَ الجسم . فتزوّجها عُمر بن عُبيد الله بن مَعْمر التَّيمى ، وتزوّج عائشةَ بنت طَلحة بن عُبيد الله، وجمع بينهما . فقال يوماً لعائشة : فعلتُ فى مُحاربة الخوارج مع أبى فُدَيك كذا ، وصنعتُ كذا، يذكُر لها شجاعَته و إقدامَه . فقالت له عائشة : أنا أعلم أنك أشجع الناس ! وأعرف لك يوماً هو أعظم من هذا اليوم الذى ذكرتَه . قال : وما هو ؟ قالت : يوم أُجْتليتَ رمْلَة وأقدمتَ على وجهها وأنفها .

وقال عمر بن أبى ربيعة فى رَمْلة :

قُم تأمَّل وأنت أبْصرُ منّى هل ترى بالغَمِيم (١) من أجْمالِ

قاضِياتٍ لُبانَةً من مُناخٍ وطَوافٍ ومَوْقفٍ (٢) بالخيال

ومنها :

فسقى الله مُنْتَوى أُمّ عمرٍو حيثُ أَمَّت بها صُدورُ الرِّحال

حبَّذا هُنّ من لُبانةِ قَلْبى وجَديدُ الشَّباب من سِرْبالى

رُبَّ يومٍ أتيتُهنّ جميعاً عندَ بيضاءَ رخصةٍ مِكْسال

غَيْرَ أنّى امرؤٌ تعمّمتُ حِلْماً يَكْرهُ الجهلَ والصِّبا أمثالى

أم نوفل والثريا فى شعر له

وذُكر أن أمّ نوفل، وهى أم ولد [عبد الله بن الحارث] أبى الثُّريّا ، أنشدت الثُّريا قول عُمر بن أبى ربيعة :

أصبح القلبُ فى الحِبال رهينا مُقْصَداً يوم فارق الظّاعِنينا

فقالت : إنّه لوَقاحٌ صَنِعٌ (٣) بلسانِه ، ولئن سَلِمتُ له لأردّنّ من شأوه ، ولأثْنِينّ من عِنانِه ، ولأعرِّفَنّه نفسه . فلما بلغتْ إلى قوله :

(١) الغميم : موضع قرب المدينة . (٢) الخيال : أرض لبنى تغلب . (٣) الصنع : الحاذق .

نحن من ساكنى العِراق وكُنَّا قبلَه ساكنينَ مكةَ حِيناَ

قالت : غَمزتْه الجَهْمةُ . فلما بلغت إلى قوله :

قد صَدَقْناك إذ سألت فمن أنـ ـت عَسى أن يَجُرَّ شأنٌ شُؤوناَ

قالت : رَمَتْه الوَرْهاء (١) بآخِر ما عندها فى حال واحدة ، وهجرتْ عُمر.

الثريا وقد بلغها شعر له فى رملة

وقيل : إنّه لما بلغ الثريّا قولُه :

وجَلا بُرْدُها وقد حَسَرتْه نُورَ بَدْرٍ يُضىء للنّاظريناَ

قالت : أُفٍّ له ! ما أكذَبه ! لن ترتفع حسناء بصفته لها بعدَ رَمْلة .

ابن أبى عتيق بين الثريا وعمر

قيل: لما صَرمتْ الثُّريا عمرَ بن أبى ربيعة ، قال فيها :

مَنْ رسولى إلى الثُّريا فإنِّى ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرها والكتابِ

سَلبتْنى مَجّاجةُ المِسْك (٢) عَقْلى فَسلُوها ماذا أحَلَّ اُغتصابى

وهى مَكْنونةٌ تحَيَّر منها فى أَدِيم الخدَّيْن ماء الشَّباب

أبرزُوها مِثْلَ المَهاةِ تهادَى بين خَمْسٍ كَوَاعبٍ أتراب

ثم قالوا تُحِبُّها قلتُ (٣) بَهْراً عَددَ القَطْر والحَصى والتراب

ولما بلغ ابنَ أبى عَتيق قولُه :

مَنْ رسولى إلى الثُّريّا فإنى ضِقتُ ذَرْعاً بهَجْرها والكتابِ

قال : إيّاى أراد، وبِى نَوّه ، لا جَرَمَ، والله لا أذُوقُ أُكْلاً (٤) حتى أشْخص فأُصْلِح بينهما . قال بِلال، مولى ابن أبى عَتيق : فنَهض ونَهضتُ معه ، فجاء إلى قوم من بَنى الدِّيل بن بَكْر ، لم تكن تُفارقهم نَجائب لهم فُرْهٌ (٥) يُكْرُونها ،

(١) الورهاء : الحمقاء . (٢) مجاجة : أى إن ريقها طيب كالمسك .
(٣) بهراً : جمًّا . وقيل: عجباً .
(٤) الأكل : ما يؤكل .
(٥) فره : من جموع فاره ، وهى الدابة النشيطة القوية .

فاكْترى منهم راحلتين وأغْلى لهم . فقلت له : أستَوْضِعْهم، أو دَعْنى أماكِسْهم فقد أشتطُّوا عليك . فقال : ويحك ! أما علمتَ أن المِكَاس ليس من أخلاق الكِرام! ثم ركب إحداها وركبتُ الأُخرى، فسار سَيراً شديداً . فقلتُ : أبْقِ على نفسك، فإنّ ما تُريد لا يفُوتك . فقال : ويحك !

* أُبادرُ حَبْل الوُدِّ أنْ يتَقَضّبا *

وما حَلاوة الدُّنيا إنْ تَمَّ الصَّدْعُ بين عمر وبَيْن الثريّا.

فقَدِمْنا مكة ليلاً غير مُحْرِمين. فدقّ على عُمرَ بابَه. فخرج إليه وسلّم عليه، ولم ينزل عن راحلته . فقال له : اركب أُصلح بينك و بين الثريا ، فإنّى رسولُك الذى سألتَ عنه . فركب معه ، وقَدِمْنا الطائف . وقد كان عُمر رَاضَى أُمَّ نَوْفل ، فكانت تَطْلُب له الحيلةَ لإصلاحها ولا يُمكنها. فقال ابنُ أبى عَتيق للثريّا : هذا عمر قد جَشَّمنى السَّفر من المدينة إليك ، فجئتُكِ به مُعْترفاً لك بذنب لم يَجْنه، مُعْتذراً إليك من إساءته إليك ، فَدعِينى من التَّعداد والتَّرداد ، فإنّه من الشُّعراء الذين يقولون ما لا يفعلون . فصالحتْه أحسنَ صُلح وأتمَّه وأجملَه . وكَرَرْنا إلى مكة [1] ، فلم ينزلها ابنُ أبى عتيق حتى رَحل . وزاد عُمر فى أبياته :

أزهقَتْ أُمُّ نَوْفل إذ دَعَتْها مُهْجَتى ما لقاتِلى من [2] مَتابِ
حين قالتْ لها أَجيبى فقالت مَن دَعانى قالت أبو الخطّاب
فأستجابتْ عند الدُّعاء كما لَبَّى رجالٌ يَرْجُون حُسْن الثَّواب

(١) فى الأصل : « المدينة » .
(٢) أزهقت : أبطلت وأذهبت . يريد : أذهبت أم نوفل نفسى إذ دعت الثريا لوصالى فلم تجبها .

وسُئل عُمر عن قوله :

« . . . كما لبّى رجال يرجون حسن الثواب »

قال : كرّرتْ فى التَّلْبية كما يفعل المحُرِم ، فقالت : لبّيك ! لبّيك !

وقيل : كانت الثريا تَصُب عليها جَرَّة ماء وهى قائمة، ولا يُصيب ظاهر فَخذِيها منه شىء ، من عِظَم عَجيزتها .

وابنُ أبى عَتيق، هو عبد الله [بن محمد] بن عبدالرحمن بن أبى بكر الصدِّيق، رضى الله عنه .

وقد ذُكر أنّ عمر بن أبى ربيعة قَدِم المدينة فنزل على ابن أبى عَتيق ، فلمّا استلقى قال : أوّه ! وأنشد :

مَن رسُولِى إلى الثُريّا فإنِّى ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرها والكِتابِ

فقال ابن أبى عَتيق : كل مملوك لى حُرّ إن بَلّغها ذلك غيرى . فخرج حتى إذا كان بالمصلَّى مَرَّ بنُصَيب وهو واقف ، فقال : يا أبا مِحْجن . قال : لبَّيْك ! قال : أتُودع إلى سَلْمى شيئاً ؟ قال : نعم . قال : وما ذاك ؟ قال : تَقُول لها يا بن الصدّيق : إنك مَرَرْتَ بى فقلتَ لى : أتودع إليها شيئاً ؟ فقلت :

أتَصْبر عن سَلْمى وأنتَ صَبُورُ وأنت بحُسْن العَزْم منك جَدِيرُ
وكِدْتُ ولم أُخْلَق من الطَّيْر إن بدا سَنا بارِقٍ نحو الحِجاز أَطِير

قال : فمرّ بسَلْمى وهى بقَرية يقال لها « القَسْرية » فأبلغها الرسالَة ، فزفرت زَفرة كادت تفَرِّق بين أضلاعها . فقال ابنُ أبى عَتيق : كلّ مملوك لى حُرّ إن لم يكن جوابُكِ أحسنَ من رسالته ، ولو سَمِعك الآن لنَعَق وصار غُراباً . ثم صار إلى الثريّا وأبلغ الكتاب . فقالت له : أمَا وجَدرسولاً أَصْغَر منك! انزل فأرِحْ .

فقال : لستُ إذنْ برسول . وسألها أن تَرْضى عنه . ففعلت .

غناء ابن عائشة فى مجلس الحسن بشعر عمر

وقيل : اجتمع ابن عائشة، ويونس، ومالك ، عند الحسن بن الحسن بن على ابن أبى طالب عليهم السلام . فقال الحسنُ لابن عائشة : غنّنى: «مَن رسُولى إلى الثريا» . فسكت عنه فلم يُجبه . فقال له الحسن : مالكَ! وَيْحك ! أبِك خَبَال ؟ كان والله ابنُ أبى عَتيق أجودَ منك بما عنده، فإنه لما سمع هذا الشعر قال لابن أبى ربيعة : أنا رسولُك إليها . فمضى نحو الثريا حتى أدّى رسالته، وأنتَ معنا فى المجلس تَبخل أن تُغنِّيه لنا ! فقال له : لم أذهب حيث ظَنَنتَ ، إنما كنتُ أتخيّر أىّ الصوّتين أُغنّى ، أقولَه :

مَن رسولِى إلى الثريّا فإنى ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرها والكتابِ

أم قوله :

مَن رسولى إلى الثريّا فإنى ضاقنى الهمُّ واعترتْنى الغُمومُ

يَعلم الله أنّنى مُستهامٌ بهواكم وأنّنى مَرْحُوم

فقال الحسن : أسأنا بك الظنّ أبا جعفر ، غَنِّ بهما جميعاً . فغنّاهما . فقال له الحسنُ : لولا أنكَ تغضب إذا قلنا : أحسنتَ ! لقلنا لك : أحسنت والله ! قال : فلم يَزل يردِّدها بقيَّةَ يومه .

زواج الثريا وشعر عمر

قيل : وتزوّج سُهيل بن عبد العزيز بن مروان الثريّا . وقيل : بل تزَوّجها سُهيل بن عبد الرحمن بن عَوف . ورجَّح أبو الفرج الأول . وفى ذلك يقول عُمر :

أيها المُنْكِحُ الثّريَّا سُهَيلاً عَمْرَكَ اللهَ كيف يَلْتقيانِ

هى شاميةٌ إذا ما استقلّت[1] وسُهَيلٌ إذا استقلَّ يمانِى

وأول هذه القصيدة :

أيها الطّارِقُ الذى قد عَنانِى بعد ما نامَ سامرُ الرُّكبانِ

زار من نازحٍ بغير دَليل يَتخطّى إلىَّ حتى أتانى

(١) استقلت : ارتفعت .

وقيل : إنه كتب إليها بعد أن تزوَّجت :

كتبتُ إليكِ من بلدِى ... كتابَ مُوَلَّهٍ كَمِدِ
كئيبٍ واكفِ العينيـ ... ـن بالحسَراتِ مُنفرد
يؤرِّقه لهيبُ الشّو ... قِ بين السَّحْر والكَبِد
فيُمْسك قَلْبَه بيدٍ ... ويَمْسح عينه بيَد

وكتبه فى قُوهيّة[1] وشنّفه[2] وحَسَّنه وبعث به إليها . فلمَّا قرأته بكت بُكاءً شديداً ، ثم تمثَّلت :

بنَفْسِىَ مَن لا يستقلُّ بنَفْسه ... ومَن هو إن لم يَحْفظ اللهُ ضائعُ

وكتبتْ إليه :

أتانى كتابٌ لم يَرَ النَّاسُ مثلَه ... أُمِدَّ بكافورٍ ومِسْك وعَنْبَرِ
وقِرْطاسُه قُوهيّةٌ ورِبَاطُه ... بعقْد من الياقوت صافٍ وجَوْهر
وفى صَدْره مِنِّى إليك تحيَّةٌ ... لقد طالَ تَهْيامى بكم وتذكُّرى
وعُنوانه من مُسْتهامٍ فؤادُه ... إلى هائمٍ صَبٍّ من الحُزن مُسْعَر

عبد الملك والثريا بعد موت سهيل

وقيل : ثم تُوفى عنها سُهيل أو طلّقها : فخرجت إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وهو خليفة بدمشق ، فى دَيْن عليها . فبينا هى عند أُمّ البَنين بنت عبد العزيز بن مَرْوان ، إذ دخل عليها الوليدُ ، فقال : مَن هذه ؟ قالت : الثريّا ، جاءتنى أَطْلُب إليك قضاءَ دَيْن عليها وحوائج لها . فأقبل عليها الوليدُ فقال : أتَرْوِين من شعر عُمر شيئاً ؟ فقالت : نعم ، أمَا إنه يَرحمه الله كان عفيفاً ، عفيفَ الشعر ، أَرْوى قولَه :

ما عَلَى الرَّسم بالبُلَيَّيْن لو بيَّـ ... ـن رَجْعَ السَّلام أو لو أَجابَا
فإلى قَصْرِ ذى العُشَيرة فالصا ... ئِف أمسى من الأَنيس يَبَابا

---

(١) قوهية. نسبة إلى قوهستان . (٢) شنفه : جعل له رباطاً .

وبمـا قد أَرَى به حَيَّ صِـدْقٍ ظاهِرى العيشِ نعمةً وشَـباباَ

إذ فؤادى يَهْوَى الرَّباب وأنَّي الـــدَّهرَ حتى المَماتِ أَنْسَى الرَّبابا

وحِسَـاناً جَوَارِياً خَفِـرَاتٍ حافظاتٍ عنـد الهَوى الأَحْسابا

لا يُكثِّرْنَ فى الحـديثِ ولا يَتْـــبعن يَنْعِقْنَ بالبِهَـام[1] الظِّرَابا

فقضى حوائجَها ، وانْصرفتْ بما أرادت منه .

فلما خلا الوليـدُ بأُمّ البنين قال : لله دَرُّ الثريَّا ! هل تَدْرين ماذا أرادت بإنشادها ما أنشدتْنى من شـعر عُمر ؟ قالت : لا . قال : إنّى لمـا عرّضت لها به عرّضتْ لى بأنّ أُمّى أعرابيّة .

وأُمّ الوليد وسُليمان : ولّادة بنت العبّـاس بن جُزَىّ بن الحارث بن زُهير ابن جَذِيمة العَبسىّ .

هو والثريا بعد زواجهـا

وقيل : لمـا تزوّج سُهيل بن عبـد العزيز بالثريّا ونَقلها إلى الشَّام ، بلغ عُمرَ ابن أبى ربيعة الخَبرُ ، فوجدها قد رحلت يومئذ ، فخرج فى إثْرها فلحقهـا على مَرْحلتين . وكانت قبل ذلك مُهاجِرَته لأَمرٍ أنكرتْه عليه . فلما أدركهم نَزل عن فَرسه ودَفعه إلى غُلامه ، ومَشَى متنكِّراً حتى مرّ بالخيمة التى فيها الثريّا ، فعرفتْه وأثْبتَتْ حركَته ومِشْيته ، فقالت لحاضنتها : كلِّميه . فسلّمت عليه وسألتْه عن حاله، وعاتبتْه على ما بلغ الثريّا عنه . فاعتذرَ و بكى . فبكتِ الثريّا وقالت : ليس هذا وقتَ العِتـاب مع وشْك الرَّحيل . فحادثها إلى وقت طلوع الفَجر . ثم ودّعهـا ، و بَكَيا طويلاً . وقام فركبَ فرسَه ، ووقف ينظُر إليهم وهم يرْحَلون، وأتْبعهم بَصرَه حتى غابُوا . فأنشأ يقول :

(١) النعيق : دعاء الراعى الشاء . والبهائم : الصغار من أولاد الضأن والمعز والبقر والوحش وغيرها . والظراب : الروابى الصغار .

يا صاحبىّ قِفَا نَسْتخبرِ الطَّلَلا عن حالِ مَنْ حَلّه بالأَمْسِ مافَعَلا
فقال لى الرَّبْعُ لمّا أن وقفتُ به إنّ الخليط أَجدَّ البَيْنَ فاحْتَملا
لما وقفنا نُحيِّيهم وقد صَرختْ هواتفُ البَيْنِ واستولتْ بهم أُصُلا
صدَّت بِعاداً وقالت للَّتى معها بالله لُوميه فى بَعْضِ الذى فعلا
وحَدِّثيه بما حُدِّثتِ واسْتَمعى ماذا يقُول ولا تَعْيَىْ به جَدَلا
وإنّ عَهْدى به والله يَحفظهُ وإنْ أتى الذّنبَ ممَّن يَكْره العَذَلا
قلتُ اسْمعى فلقد أَبْلغْتِ فى لَطَفٍ وليس يَخْفَى على ذى اللُّبِ مَن هَزَلا
هذا أرادتْ به بُخْلاً لأَعْذرَها وقد أرى أنَّها لن تَعْدَمَ العِلَلا
ما سُمِّى القَلْبُ إلّا مِن تقلُّبه ولا الفؤاد فؤاداً غيرَ أنْ عقَلا
ما إنْ أطعتُ بها بالغَيْبِ قد عَلِمتْ مقالةَ الكاشِح الواشِى إذا مَحَلا
إنى لأَرْجِعُه فيها بسَخْطَته وقد يَرَى أنَّه قد غرَّنى زَلَلا

وهى طويلة .

هو وامرأة شريفة رآها فى الطواف

وقيل إنَّ عمر بن أبى ربيعةَ نظر فى الطَّواف إلى امرأةٍ شَريفة . فرأى أحسنَ النّاس صورةً ، فذهب عقلُه عليها ، وكلّمها فلم تُجبه . فقال فيها :

الرِّيحُ تَسْحبُ أذيالاً وتَنْشُرها يا لَيتنى كنتُ ممَّن تَسْحبُ الرِّيحُ
كَيْما تجُرُّ بنا ذَيلاً فتَطرحُنا على الّتى دُونَها مُغْبرّةٌ[1] سُوح
أنَّى بِقُرْبكمُ أم كيف لى بكمُ هيهات ذلك ما أَمْست لنا رُوح
فليتَ ضِعْفَ الذى أَلْقَى يكون بها بل لَيْت ضِعْف الذى أَلْقى تبارِيح
إحدى بُنَيّاتِ عمِّى دونَ مَنْزِلها أرضٌ بقِيعانِها القَيْصُوم[2] والشِّيح

---

(١) المغبرة ، الفلاة . والسوح : الساحات ، جمع ساحة .
(٢) القيصوم : نبت طيب الريح ، وكذلك الشيح .

فبلغها شعرُه فجَزِعت منه . فقيل لها : اُذْكريه لزَوْجك ، فإنه سيُنْكر عليه قولَه . فقالت : كلا والله ، لا أشكوه إلا لله . ثم قالت : اللّهم إن كان نوَّه باُسْمِى ظالمًا ، فاجْعله طَعاماً للرِّيح .

فضَرب الدهرُ من ضَرْبه [١] . ثم إنّه غَدا يوماً على فَرس ، فهبّت ريحٌ فنَزل فاسْتتر بقَفْلة [٢] ، فعَصَفتْ الريحُ ، فَخَدَشه غُصن منها ، فدَمِى ووَرِم به . فمات من ذلك .

(١) أى مرت مدة من الدهر وقع فيها بعض حوادثه .

(٢) القفلة : واحدة القفل . وهو شجر يابس لا ينبت إلا بمنجاة من السيل .

أخبار ابن سُرَيج

نسبه

هو عُبَيد بن سُرَيج . ويُكْنى أبا يحيى ، مَوْلى بنى نَوْفل بن عبد مناف . وقيل : مولى بنى الحارث بن عبد المُطَّلب . وقيل : مولَى بنى لَيْث . وقيل : مولى بنى عائذ بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم .

شيء من وصفه

مسكنه مكّة . وكان آدم أحمرَ ظاهرَ الدّم سُناطاً [1] ، فى عَيْنيه قَبَلٌ [2] . و بلغ خَمْساً وثمانين سنة . وكان أكثر ما يُرَى مُقَنَّعاً . وكان مُنقطعاً إلى عبد الله ابن جعفر .

وقيل : كان مخنَّثاً أحولَ أعمشَ ، يلقَّب : « وجه الباب » . وكان لا يُغَنِّى إلاّ مُقنَّعا ، يُسْبِل القِناع على وجهه . وكان أحسنَ النّاس غِناء . يُغَنِّى مُرتجلاً و يوقِّع بقَضيبٍ . وغَنّى فى زمن عثمان بن عفّان رضى الله عنه .

موته

ومات فى خلافة هِشام بن عبد الملك .

وقيل : بل مات بعد قَتْل الوليد بن يزيد .

وقد قِيل : إنّ أباه كان تُركيًّا .

وقيل : إنه كان يضرب بالعُود . ومات بالُجذام .

أول من ضرب بالعود

وقيل : إنه أوّل مَن ضرب بالعُود على الغناء العربىّ بمكة ، وذلك أنه رآه مع العَجم الذين أقدمهم ابنُ الزُّبير لبناء الكعبة .

أمه

وأمّه مولاة لآل المطّلب ، يقال لها : رائقة .

---

(١) السناط : الذى لا لحية له ، أو هو الخفيف العارضين .

(٢) القبل فى العينين : إقبال إحدى الحدقتين على الأخرى .

وقيل : بل هى هِنْد أُخت رائقة ، فمن ثَمّ قيل : إنه مولى بنى المُطّلب ابن حَنْطب .

انقطاعه إلى الحكم

وكان أُبن سُريج بعد وفاة عبد الله بن جعفر قد أنقطع إلى الحكم بن المُطّلب ابن عبد الله بن المُطّلب بن حَنْطب ، أحد بنى مَخْزوم . وكان من سادة قُريش ووجوهها .

من النفر الذين هم أصل الغناء

وقيل : أصلُ الغناء أربعة نَفَر : مكّيان ومَدنيّان . والمكيّان : أبن سُريج وأبن مُحرز . والمدنيّان : معْبد ومالك .

شهادة ابراهيم الموصلى له

وقال الفَضْل بن يحيى بن خالد بن بَرْمك : سألت إبراهيم المَوْصلىّ ليلةً ، وقد أَخذ منه النَّبيذُ : من أحسنُ الناس غناءً ؟ فقال لى: أمِن الرجال أم من النّساء ؟ قلتُ : من الرجال . قال : أبن مُحرز . قلت : فمن النِّساء ؟ قال : ابنُ سُريج . ثم قال : ابن سُريج كان كأنّه خُلِق من كل قَلْب ، فهو يُغنّى له ما يَشتهى .

اشتغاله بالنياحة ثم عدوله عنها

وذُكر أنّ سُكَينة بنت الحُسين بن علىّ ، عليهما السلام ، بعثتْ إلى أُبن سُريج بمَمْلوك لها يقال له : عبد الملك ، وأمرته أن يُعلّمه النِّياحة . فلم يزل يُعلّمه مدةً طويلة . ثم تُوفِّى عمُّها أبو القاسم محمد بن الحنفيّة ، عليه السلام ـ وكان أُبن سُريج عليلاً عِلّة صَعْبة ، فلم يقْدِر على النِّياحة ـ فقال لها عَبدُها عبدُ الملك : أنا أنُوح لكِ نَوحاً أُنسيك به نَوح أبن سُرَيج . قالت : أَوَ تُحسن ذاك ؟ قال : نعم . فأمرتْهُ ، فناح . فكان نَوحُه فى الغاية من الجوْدة . وقال النِّساء : هذا نَوحٌ غَريض. فلُقِّب عبدُ الملك: الغريضَ . وأفاق أبنُ سُريج من عِلّته بعد أيام . وعَرف خبر وفاة محمد ابن الحنفيّة ، فقال لهم : فمَن ناح عليه ؟ قالوا : عبدُ الملك ، غُلام سُكَينة . قال : فهل جوَّز الناسُ نوحَه ؟ قالوا : نعم، وقدّمه بعضُهم عليك . فحلَف ابنُ سُريج ألاّ ينُوحَ بعد ذلك اليوم ، وترك النَّوحَ ، وعَدَل إلى الغناء . فلم ينُح حتى ماتت

حَبابة ، وكانت قد أخذت الغناءَ عنه وأحسنت إليه ، فناح عليها . ثم ناح بعدها على يزيدَ بن عبد الملك ، ثم لم يَنُح بعده حتى هَلَك .

ولما عدَل ابنُ سُرَيج عن النَّوْح إلى الغناء ، عَدل معه الغَريضُ إليه ، فكان لا يُغنِّى صوتاً إلّا عارضه فيه .

هو وعطاء بن أبي رباح

وذُكر أنّ عَطاء بن أبى رَباح لَقِى ابن سُريج ، بذى طُوًى[1] ، وعليه ثياب مُصبَّغة ، وفى يده جَرادةٌ مشدودةُ الرِّجل بخَيْط ، يُطيِّرها و يَجْذبها كلما تخلَّفَت . فقال له عطاء : يا فتّان ، ألا تكُفّ عما أنت عليه ! كفى اللهُ الناسَ مَئُونتك . فقال ابن سُريج : وما على الناس من أن تكون ثيابى مُلوَّنةً ولَعِبى بجرادتى ؟ قال له : تَفْتنهم أغانيك الخبيثةُ . فقال له ابن سُرَيج : سألتُك بحقِّ من تبعته من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، و بحقِّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم عليك ، ألّا سمعتَ منّى بيتاً من الشعر ، فإن سمعتَ مُنْكَراً أمرْتنى بالإمساك عمّا أنا عليه . وأنا أُقسم بالله و بحقِّ هذه البَنِيّة لئن أمرتَنى بعد استماعك منّى بالإمساك عمّا أنا عليه لأفعلنّ ذلك . فأطمعَ ذلك عَطاءً فى ابن سُريج ، وقال : قُل . فاندفع يُغنِّى من شعر جَرير :

إنّ الذين غَدَوْا بلُبِّك غادَرُوا وَشَلاً بعَيْنِك لا يَزالُ مَعِيناً[2]

غَيَّضْنَ من عَبَراتهنّ وقُلْنَ لى ماذا لَقِيتَ من الهَوى ولَقِينا[3]

فلما سمعه اضطرب اضطراباً شديداً ودخلته أَرْيَحيّةٌ ، فَحلف ألّا يُكلِّم أحداً بقيّةَ يومه إلّا بهذا الشِّعر ، وصار إلى مكانه من المسجد الحرام . فكان كلُّ من يأتيه سائلاً عن حَلال أو حَرام أو خَبر من الأخبار ، لا يجيبه إلّا بأن يَضرب إحدى يديه على الأُخرى و يُنشده هذا الشعر . ولم يُعاودْ ابنَ سُريج بعدها ولا تَعرّض له .

(١) ذو طوى : موضع عند مكة .

(٢) الوشل : الماء القليل والكثير ، وكذلك الدمع . والمراد هنا : الدمع الكثير . والمعين : الجارى السائل على وجه الأرض . (٣) غيضن من عبراتهن : أرسلن دموعهن حتى نزفنها .

هو وابن أبى ربيعة ويزيد بن عبد الملك فى الحج

وذُكر أنّه لمّا قال عُمر بن أبى ربيعة :

نَظرتُ إليهـا بالُمحصَّب من مِنًى ولى نَظَرٌ لولا التحرُّجُ عارِمُ[١]

غنَّى فيه ابنُ سُرَيج . وحَجَّ يزيدُ بن عبد الملك فى تلك السَّنة بالناس . وخَرج عُمر بن أبى ربيعةَ ومعه ابن سُرَيج على نَجِيبين، رِحالَتاهما[٢] مُلْتَبِستان بالدِّيباج ، وقد خَضبا النَّجِيبَيْن ولَبِسا حُلّتين . فجعلا يتلقّيان الحاجّ و يتعرّضان للنِّساء ، إلى أن أظلم الليلُ ، فعدلا إلى كَثِيب مُشْرِفٍ والقمرُ طالعٌ يُضىء ، فجلسا على الكَثيب . وقال عمرُ بن أبى ربيعة لابن سُرَيج : غَنِّى صوتَك الجَديد . فاندفع يُغنِّيه ، فلم يَسْتتمّه إلّا وقد طلع عليهما رجلٌ راكبٌ على فَرس عَتِيق . فسلّم ثم قال : أيمكنك أعزّك الله أن تَرُدَّ هذا الصوتَ ؟ قال : نعم، ونَعْمة[٣] عَيْن، على أن تنزلَ وتَجلس معنا . قال : أنا أَعْجَل من ذلك ، فإن أجملتَ وأنعمتَ أعدْتَه ، وليس عليك من وقوفى شىء ولا مَؤُونة . فأعاده . فقال له : بالله أنتَ ابن سُرَيج ؟ قال : نعم . قال : حيّاكَ الله . وهذا عُمر بن أبى ربيعة ؟ قال : نعم . قال : حيّاكَ الله يا أبا الخَطّاب . فقال له : وأنت فحيّاكَ الله ، قد عَرَفتنا فعرِّفنا نفسك . قال : لا يُمكننى ذلك . فغضب ابنُ سُرَيج وقال : والله، لو كنتَ يَزيد بن عبد الملك لما زاد ! فقال له : أنا يزيدُ بن عبد الملك . فوثب إليه عُمر بن أبى ربيعة فأعظمه . ونزل ابنُ سُرَيج إليه فقَبّل ركابَه . فنزع حُلّته وخاتمهُ ، فدفعهما إليه . ومضى يَرْكُض حتى لَحِق ثقَلَه . فجاء بهما ابن سُرَيج إلى عُمر فأعطاه إيّاهما وقال له : إنّ هذين بك أشبه منهما بى . فأعطاه عُمرُ ثلثمائة

(١) عارم ، أى خبيث شرير ، ينظر إلى غير حل .

(٢) الرحالة : سرج من جلود لاخشب فيه ، يتخذ للركض الشديد ، يكون للخيل والنجائب من الإبل .

(٣) نعمة عين ، مثلثة النون ، أى أفعل ذلك كرامة لك وإنعاماً لعينك .

دينارٍ وغدا فيهما إلى المسجد . فعرفهما الناسُ ، وجعلوا يتعجّبون و يقُولون : كأَنهما والله حُلَّة يَزِيدَ بن عبد الملك وخاتَمه ! ثم يسألون عُمرَ عنهما، فيُخبرهم أنّ يزيد ابن عبد الملك كَساه ذلك .

غناؤه والغريض عند ابن أبى رباح

وذَكر عبدُ الرحمن بن إبراهيم المخزومى قال :

أرسلتْنى أُمِّى ، وأنا غُلام ، أسأل عطاء بن أبى رَبَاح عن مسألة ، فوجدتُه فى دارٍ يقُال لها دار المُعَلَّى ، وعليه مِلْحفة مُعَصْفَرة ، وهو جالس على مِنْبر ، وقد خُتِن ابنُه والطَّعامُ يوضَع بين يديه ، وهو يأمُر به أن يفُرَّق فى الخَلْق . فلهوتُ مع الصِّبْيان ألعب بالجَوْز ، حتى أكل القومُ وتفرّقوا . و بَقِى مع عَطاء خاصَّتُه، فقالوا: يا أبا محمد ، لو أَذِنتَ لنا فأرسلنا إلى الغَريض وابن سُرَيج ؟ قال : ما شِئْتم . فأَرسلوا إليهما . فلما أَتَيا قامُوا معهما ، وثَبت عَطاءٌ فى مجلسه فلم يدخُل ، فدخلوا بهما بَيتاً فى الدار، فتغنيا وأنا أسمع . فبدأ ابنُ سُرَيج فنقَر بالدُّف وتَغَنَّى بشعر كُثيِّر :

لِلَيْلَى وجاراتٍ للَيْلَى كأَنَّها ... نِعاجُ المَلاَ تُحْدَى بهنّ الأباعرُ
أمُنْقَطِعٌ يا عَزّ ما كان بيننا ... وشاجَرنى يا عزُّ فيكِ [1] الشَّواجِر
إذا قِيل هذا بَيتُ عَزَّةَ قادَنى ... إليه الهَوَى واستَعْجلتْنى البَوادِر
أصُدّ و بِى مِثلُ الجُنون لِكَى يَرى ... رُواة الخنَا أنِّى لبَيْتِكِ هاجِر

فكأَنّ القومَ نزل عليهم السُّباتُ فما تَسمع حِسًّا ، وأَصْغوا إليه بآذانهم ، وشَخصتْ إليه أحداقُهم . ثم غنَّى الغَريضُ أيضاً بصوتٍ أُنْسيتُه بلَحْن آخر . ثُم غَنَّى ابن سُرَيج ووَقّع بالقَضِيب . وأخذ الغَريضُ الدُّفّ فغنَّى بشعر الأخطل :

فقلتُ اُصْبِحونا [2] لاأبَا لأبيكُمُ ... وما وضَعوا الأثقالَ إلاّ ليَفعلُوا

(١) الشواجر : جمع شاجرة ، وهى الصارفة من الشواغل والأمور .

(٢) اصبحونا : إيتونا بالصبوح ، وهو ما يشرب فى الغداة إلى القائلة .

فقلت اُقتلوها عنكمُ بمزاجها ... وأكرم بها مقتولةً حين تُقتَلُ
أناخوا فجرّوا شاصياتٍ[1] كأنها ... رجالٌ من السودان لم يتسربلوا

فوالله ما رأيتهم تحرّكوا ولا نطقوا، يستمعون لما يقول. ثم غنّى الغريضُ بشعر آخر، وهو:

هل تعرف الدارَ والأطلالَ والدِّمَنا ... زِدْنَ الفؤادَ على ما عنده حزَنا
دارٌ لصفراءَ[2] إذ كانت تحلّ بها ... وإذ ترى الوصْلَ فيما بيننا حسَنا
إذ تستبيك بمصقولٍ[3] عوارضُه ... ومُقلتَيْ شادنٍ لم يَعْدُ أنْ شدَنا

ثم غنّيا جميعاً بلحْن واحد، فلقد خُيِّل لى أنّ الأرض تميد، وتبيّنْت فى عطاء ذلك أيضاً. وغنّى الغريضُ فى شعر عُمر بن أبى ربيعة، وهو قولُه:

كفى حزناً أن تجمع الدارُ شمْلَنا ... وأُمسِى قريباً لا أزورُكِ كلّما
دعِى القلْبَ لا يزْدَدْ خبالاً مع الذى ... به منْكِ أو داوِى هواه المكتّما
ومَنْ كان لا يعْدُو هواه لسانَه ... فقد حلّ فى قلْبى هواكِ وخيّما
وليس بتزْويق اللسانِ وصوْغِه ... ولكنّه قد خالَط اللحمَ والدّما

وغنّى ابنُ سُريج أيضاً:

خليليّ عُوجا نسألِ اليومَ منزلاَ ... أبَى بالبِرَاق[4] العفْرِ أنْ يتحوّلاَ
ففرْعِ النّبيتِ فالشّرَى[5] خفّ أهلُه ... وبُدِّل أرواحاً جنوباً وشمْألا

(١) الشاصيات: الزقاق المملوءة، قد ارتفعت قوائمها. وهى إذا ملئت أو نفخت كانت تلك حالها. (٢) فى ديوان ابن أبى ربيعة: «لأسماء».

(٣) العوارض: الثنايا.

(٤) البراق: جمع برقة، وهى الأرض الغليظة فيها حجارة ورمل. والعفر: جمع عفراء، وهى البيضاء بياضاً غير ناصع.

(٥) الفرع: موضع على طريق مكة إلى المدينة. والنبيت: قبيلة. لعلها نزلت هذا الموضع فأضيف إليها. والشرى: أكثر من موضع. ولعل المراد به هنا: واد من عرفة، أو موضع عند مكة.

أرادتْ فلم تَسْطِعْ كلاماً فأومأتْ إلينا ولم تأمن رسولاً فترسلا
بأنْ بِتْ عَسى أنْ يستر اللَّيلُ مُجْلساً لنا أو تنامَ العينُ عنّا فتغفلا

وغَنّى الغَرِيضُ :

يا صاحبيّ قِفَا نُقضِّ لُبانةً وعلى الظَّعائن[1] قَبْلَ بَيْنكما أعْرِضا
لا تُعْجِلانى أنْ أقُولَ بحاجةٍ رِفقاً فقدْ زُوِّدْتُ زاداً[2] مُجْرِضا
وَمقالَها بالنَّعْفِ نَعْفِ مُحَسِّرٍ[3] لِفَتاتِها هل تعرِفين المُعْرِضا
هذا الذى أعْطى مواثقَ عَهْدِهِ ألاّ يَخُونَ وخِلْتُ ألاّ يَنقُضا

وأغانىَّ أُنْسِيتُها ، وعَطاءٌ يَسْمع على مِنْبَرِه ومَكانَه ، وربما رأيْتُ رأْسَه قد مال وشَفَتَيْه تتحرَّكان ، حتى بلغَتْه الشَّمْسُ ، فقَام يُرِيد مَنزِله . فما سَمِعَ السّامِعُون شيْئاً أحْسَن مِنهما ، وقد رَفَعا أصْوَاتهما وتَغَنَّيا بهذا . ولما بَلغت الشمسُ عَطاءً قَام ، وَهُمْ على طرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ فى الغِناء، فاطّلعَ[4] فى كُوَّةِ الباب . فلمّا رأَوه قالُوا : أبَا محمد ، أيُّهما أحْسَن غِناء ؟ قال : الرَّقيق الصَّوْت . يعنى ابنَ سُرَيْج .

رحلة جرير إليه يسمع صوتاً

ذَكَر إسحاقُ بن يحيى بن طَلْحَة : أنّه قَدِم جَرِيرُ بن الخَطَفى المدينةَ ، ونحن يومئذ شَبابٌ نَطْلُبُ الشِّعْر ، واحْتشدنا له ومَعَنا أشْعَبُ . فَبَيْنَا نَحْنُ عِنده إذ قامَ لحَاجَةٍ ، وَأقَمْنا لا نَبرَح، وجاء الأحْوَص بن مُحَمّد الشَّاعِر مِنْ قُباء[5] على حِمَار ، فقال : أين هذا ؟ قُلنا : قَام لحَاجَةٍ ، فما حاجَتُكَ إليه ؟ قال : أُرِيدُ واللهِ

(١) الظعائن : جمع ظعينة ، وهى المرأة فى الهودج . يريد : اعرضا حاجتكما على الظعائن قبل فراقكما . (٢) مجرض ، من أجرضه ، إذا أغصه .
(٣) محسر : موضع بين مكة وعرفة .
(٤) فى الأصل : « عطاء و البيت الذى هم فيه على طريقة فاطلع » وما أثبتنا عن بعض أصول الأغانى .
(٥) قباء : قرية على ميلين من المدينة .

أُعْلِمُه أَنّ الفَرَزْدَقَ أَشعرُ منه وأَشرفُ. قُلنا: وَيْحَكَ! لا تَعرِض له وانْصرِفْ. فانصرفَ وخرج، وجاء جَرِير فلم يَكُن بأسْرَعَ من أن أَقبلَ الأحْوَصُ، فوقفَ عليه فقال: السَّلامُ عليكَ يا جَرِيرُ. فقال جَرِير: وعليك السَّلام. فقال الأحْوصُ: يابنَ الخطَفى، الفَرَزْدقُ أَشرفُ منك وأَشعرُ. فقال جَرِير: مَنْ هذا؟ أَخْزَاهُ الله! قُلنا. الأحْوَص بنُ محمد بن عاصِم بن ثابِت بن أبي الأقْلَح. فقال: نعم، هذا الخبيث ابن الطِّيب. أأَنْتَ القائلُ:

يقَرُّ بِعيْنِي ما يَقرُّ بِعَيْنِهـا وأَحْسَنُ شَيْءٍ ما بِهِ العَيْنُ قَرَّتِ

قال: نعم. قال: فإنَّها يَقَرُّ بِعَيْنِها أَنْ يَدْخُلَ فيها مِثْلُ ذراع البَكْر، أَفيَقَرُّ ذلك بِعَيْنِك؟ قال: وكان الأحْوَصُ يُرْمَى بالحُلَاق.[1] فانصَرفَ، وبَعثَ إليهم بتَمْرٍ وفاكِهةٍ، وأَقْبلْنا على جَرِير نُسائِله، وأَشْعَبُ عنـد الباب، وجرير في مُؤَخَّرِ البيت، فألَحَّ عليه أَشْعَب يُسائله، فقال: واللهِ إني لأَراكَ أَقْبَحَهُم وَجْهاً، وأَراكَ أَلأَمَهُم حسباً، قد أَبْرَمْتَني منذُ اليوْم. قال: إني والله أنفعُهم لك وخَيْرُهم. فانتبَه جرير وقال: وَيْحَكَ! كيْفَ ذاك؟ قال: إني أُمَلِّحُ شِعْرَكَ وأُجيدُ مَقاطِعَه ومَبادِئَه. فقال: قُلْ، ويْحَك! فاندفعَ أَشْعَبُ ونادَى بلَحْنِ ابن سُرَيج، والشِّعْر لجرير:

يا أُخْتَ نَاجِيَـةَ السَّلامُ عليكمُ قَبلَ الرَّحيلِ وقبلَ لَوْمِ العُـذَّلِ
لو كُنْتُ أَعْلمُ أنَّ آخرَ عَهْـدِكم يوم الرَّحِيل فعَلْتُ ما لم أَفْعَـلِ

فطَرِب جريرٌ وجعلَ يَزْحَفُ نَحْوَه، حتى مَسَّت رُكْبتُه ركبتَه، وقال: لَعَمْرِي لقد صدقتَ! إنك لأَنْفعَهم لي، ولقد حَسَّنْته وأجدْته وزَيَّنْته. أَحْسَنْتَ والله! ثم وصَلَهُ وكَساه. فلمَّا رأَيْنَا إعجابَ جَرِير بذلك الصَّوت، قال له بعضُ

---

(١) الحلاق: صفة غير صفة الرجولة.

الحاضرين : لو سمعتَ واضِعَ هـذا اللّحْن ؟ فقال : وإنّ له واضِعاً غيرَ هـذا ؟ قُلْنَا : نعم . قال : فأيْنَ هو ؟ قُلْنا : بِمَــكَّةَ . فقال : لَسْتُ بِمُفَارِقٍ حِجَازَ كم حتى أُبلُغَه . فمضى ومضى مَعه جماعةٌ ممّن يَرْغَبُ فى طَلَب الشِّعر فى صحابته ، وكنتُ فيهم . فَقَدِمْنا مكةَ فأتَيْناه بأجْمَعِنــا ، فإذا هو فى فِتْيَــةٍ من قُرَيش كأنّهم الْمَهَا، مع ظَرْف كثير ، فرحَّبوا بجرير وأَدْنَوْه وسُرُّوا بمكانه ، وأَعظَمَ عُبَيْدُ بن سُرَيج موضعَ جرير ، وقال : سَلْ ما تُريد ، جُعِلْتُ فِداكَ ! قال : أُريد أن تُغَنِّيَنى لحَناً سَمِعتُه بالمدينة أَزْعَجَنى إليك . قال : وما هو ؟ قال :

يا أُخْتَ نَاجِيَــة السَّلامُ عليكمُ ... قبلَ الرَّحيل وقبْـلَ عَذْلِ العُذَّلِ

فغنّاه ابنُ سُرَيج ، وبيدِه قَضِيبٌ يوَقِّع به وينْــكُت فى الأرض . فوَاللهِ ما سمعتُ شيئاً أَحْسَنَ من ذلك . فقــال جَرِير : لله دَرُّكم ياأَهْلَ مكة ! ماذا أُعْطِيتم ! والله لو أنّ نازعاً نَزَعَ إليكم يقيم بين أَظْهُرِكم يَسْمَع هــذا صَبَاحَ مَساءَ لكان أَعْظَمَ الناس حظًّا، فكيف ومع هذا بيتُ الله الحرام ، ووجُوهُــكُم الحِسانُ، ورِقَّةُ أَلْسِنَتِكُم ، وحُسْن شارَتكم ، وكَثْرة فَوائدكم !

هو فى حضرة الوليد ابن عبد الملك

وقيــل : كَتَبَ الوَليد بن عبــد المَلِك إلى عامِل مكّة : أَنْ أَشْخِص إلىَّ ابن سُرَيج ، فأَشْخَصَه . فلمَّا قدِم، مكَث أيّاماً لا يدعو به ولا يذكُره ، ثم إنه ذكَره وقال : ويْلَــكم ! أين ابن سُرَيج ؟ قالوا : هاهو حاضر . قال عَلَيَّ به . فأتَوْه فقالوا : أَجِبْ أميرَ المُؤمنين . فتهيَّأ ولَبِس ، وأقبل حتى دَخَلَ على الوَليد فَسَلَّمَ، وأشار إليه : أنِ اْجلِس. فجلَسَ بعيداً . فاسْتَدْناه ، فدنا حتى كان قريباً منه . فقال: ويْحَك يا عُبَيْد! لقد بَلَغنى عنك ما حَمَلَنى على الوِفادة بك، من كَثْرة أدَبك، وجَوْدَة اختيارِك، مع ظَرْف لِسَانك، وحَلاوَة مجلسك . قال: جُعِلْتُ فداكَ يا أمير المُؤمنين ! تَسْمَع بالمُعَيْدِىّ خَيْرٌ من أن تراه . قال الوليد : إنّى لأَرجو ألّا تكون

أنْتَ ذاكَ ! هاتِ ما عِنْدكَ . فانْدَفَع ابن سُرَيْج يُغَنِّى بشعر الأَحْوص :

أمنزلَتىْ سَلْمَى على القِدَمِ اسْلَمَا — فقد هِجْتُما للشَّوْقِ قَلْباً مُتيَّمَا
وذكَّرْتُما عَهْدَ الشَّباب الذى مَضَى — وجِدَّةَ وَصْلٍ حَبْلُه قد (١) تَجَذَّما

ومنها :

أُحِبُّ دُنُوَّ الدَّارِ منها وقد أَبَى — بها صَدْعُ شَعْبِ الدَّرِ إلّا تَثَلُّما
بَكَاهَا ومايَدْرى سِوَى الظَّن مَنْ بكى — أَحَيًّا يُبَكّى أم تُراباً وأَعْظُما
فَدَعْها وأَخْلِفْ للخَليفة مِدْحَةً — تُزِلْ عنك بُؤْسَى أو تُفِيدكَ(٢) أنْعُما
فإنَّ بِكَفَّيْه مَفَاتيحَ رَحْمَةٍ — وغَيْثَ حَيَاً يَحْيَا به النّاسُ (٣) مُرْهِما
إمامٌ أتاه المُلْكُ عَفْوًا ولَمْ يُثِبْ — على مُلْكِه مالاً حَرَاماً ولا دَما
تَخَيَّرَه ربُّ العِبَادِ لِخَلْقِه — وليًّا وكان اللهُ بالنّاس أَعْلَما
يَنَالُ العُلا والعِزَّ من نَالَ وُدَّه — ويَرْهَبُ مَوْتاً عَاجِلاً من تَشأَّما

فقال الوَليدُ : أحْسَنْتَ واللهِ وأَحْسَنَ الأَحْوَصُ ! عَلَىَّ بالأحوص . ثم قال : يا عُبَيْد ، هيه ! فَغَنّاه بشعر عَدِىّ بن الرِّقاع العامِلِىّ يَمْدحُ الوليد :

طَارَ الكَرَى وأَلَمَّ الهَمُّ(٤) فاكْتَنَفَا — وَحِيلَ بينى وبين النَّوْم فامتَنَعَا
كان الشَّبابُ قِنَاعًا أَسْتَكِنُّ به — وأَستظِلُّ زماناً ثُمَّتَ انْقَشَعا
واسْتَبْدَلَ الرأسُ شَيْباً بعد داجِيَةٍ — فَيْنَانَةٍ ما تَرَى فى صُدْغِها (٥)نَزَعا
فإن تكُن مَيْعَةُ(٦) من باطِلٍ ذَهَبَتْ — وأَعْقَبَ اللهُ بعد الصَّبْوة الوَرَعا

---

(١) تجذم : انقطع .
(٢) رفع الفعل هنا على توهم رفع الأول أو على الاستئناف ، كأنه قال : أو هى تفيدك مغنما .
(٣) مرهما : أى دائماً . (٤) اكتنف : دنا وحضر .
(٥) فينانة : حسنة الشعر طويلته . والنزع : انحسار مقدم شعر الرأس عن جانبى الجبهة .
(٦) الميعة : الحدة .

فقد أَبيتُ أُراعى الخَوْد[1] رَاقِـدَةً على الوَسَـائد مَسْرُوراً بهـا وَلِعـاَ
بَرّاقةَ الثغْر تَشْـفى القلبَ لذّتُهـا إذا مُقبِّلُهـا فى رِيقِهـا[2] كَرَعا
كالأُقحوانِ بِضاحى الرَّوْض صَبَّحَه غيثٌ أَرَشَّ بتَنْضَـاح[3] وما نَقَعا
صَلّى الذى الصَّلواتُ الطَّيِّبـاتُ له والمُؤْمِنونَ إذا ما جَمَّعُوا الجُمَعَـا
على الذى سَبَقَ الأقوامَ[4] ضَاحِيَـةً بالحَمْـدِ والأَجْرِ حتى صاحِبَاه مَعا
عُذْنا بِذى العَرْشِ أَنْ نَحْيَا ونَفْقِدَه وَأَنْ نَـكُونَ لِرَاعٍ بَعْـدَهُ تَبَعـا
إِنَّ الوَلِيـدَ أَمِـيرَ المُؤْمِنِينَ لَهُ مُلْكٌ أَعَانَ عَلَيْـه اللهُ فارْتَفَعـا
لا يَمْنعُ النَّاسُ ما أَعْطَى الَّذين هُمُ له عِبَـادٌ ولا يُعْطُونَ ما مَنَعـا

فقال له الوَليد : صَدَقْتَ ! أَنَّى لكَ هذا يا عُبَيْد ؟ قال : مِن عِنْد الله . قال الوَلِيـد : لو غيرَ هذا قلتَ لَأَحْسَنْتُ أَدَبَكَ ! قال ابنُ سُرَيْج : ذلك فَضْلُ الله يُؤْتيهِ مَنْ يَشَاء . قال الوَلِيـد : يَزِيدُ فى الخلْقِ ما يشاء . قال ابنُ سُرَيج : هذا من فضلِ ربِّى لِيَبْلُوَنى أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُر . قال الوَلِيـد : عِلْمُك والله أَكْثَرُ وأَعْجَبُ إلىّ من غِنائِك ! غَنِّنى . فَغَنَّاه بِشِعْرِ عَدِىّ بن الرِّقاع العامِلىّ يمدحُ الوَليد :

عَرَفَ الدِّيارَ تَوَهُّمًا فاعْتَادَها من بعدِ ما شَمِلَ البِلَى[5] أَبْلادَها
ولَرُبَّ واضِحَةِ العَوارِض[6] حُرَّة كالرِّيم قد ضَرَبَتْ بها أَوْتادَها
صَلَّى الإلٰهُ على الذى ودَّعْتُـه وأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عليـه وزادَها

---

(١) الخود : الفتاة الحسنة الشابة لم تصر نصفا .
(٢) الكرع : التناول بالفم .
(٣) التنضاح . الماء القليل . وما نقع ، أى ما أروى .
(٤) ضاحية : على مسمع ومرأى .
(٥) اعتادها : أعاد إليها النظر مرة بعد أخرى لدروسها حتى عرفها . وأبلادها : آثارها ، جمع بلد ، وهو الأثر .
(٦) العوارض : الثنايا ، سميت بذلك لأنها فى عرض الفم .

و إذا الرَّبيعُ تتابعتْ[١] أنْواؤُه ... فسَقَى خُناصِرَةَ الأحصِّ فجادَها
نزَلَ الوليدُ بها فكان لأهْلِها ... غَيْثاً أغاثَ أنيسَها و بِلادَها
أوَلا ترى أنَّ البَرِيَّةَ كُلَّها ... ألْقتْ خزَائمها إليه فقادَها
ولقدْ أرادَ اللهُ إذ ولَّاكَها ... من أُمَّةٍ إصْلاحَها ورَشادَها
أعمَرْتَ أرْضَ المُسلمين فأقْبلَتْ ... وكففْتَ عنها مَنْ يرُوم فَسَادَها
وأصَبْتَ فى أرْضِ العَدوِّ مُصيبةً ... عَمَّتْ أقَاصِيَ غَوْرِها و نِجادَها
ظَفَرًا ونَصْرًا ما تَناوَلَ مِثْلَه ... أحَدٌ من الخُلفَاءِ كانَ أرادَها
و إذا نَشَرتَ له الثَّنَاءَ وَجَدْتَه ... جمعَ المَكارمَ طِرْفَها[٢] وتِلادَها

فأشَارَ الوَليدُ إلى بَعْضِ الخدَم ، فغَطَّوْه بالخِلَع ، ووَضَعُوا بين يَدَيْه كِيسَةَ الدَّنانير و بِدَرَ الدَّراهم . ثم قال الوَليد بنُ عَبْد الملك : يا مَوْلَى بَنِي نَوْفَل بن الحَارِث ، لقد أُوتيت أمْراً جليلاً . قال ابن سُرَيج : وأنْتَ يا أمير المؤمنين ، قد أتاكَ اللهُ مُلْكا عَظِيماً ، وشرفاً عالياً ، وعزًّا بَسَطَ يدَكَ فيه ولم يَقْبضه عنك ، ولا يَفْعَلُ إنْ شَاء الله . فأدامَ اللهُ لكَ ما أوْلاكَ ، وحَفِظَك فيما اسْتَرْعاكَ ، فأنْتَ أهْلٌ لمَا أعْطَاكَ ، فلا نَزَعَه منك إذْ رَآكَ له مَوْضِعاً . قال : يا نَوْفَلِيّ ، وخَطِيبٌ أيضاً ! قال ابنُ سُرَيج : عَنْكَ نَطَقْتُ ، و بلسانك تَكلَّمْتُ ، و بعِزِّكَ بَيَّنْت . وقد كان أمَرَ بإحْضار الأحْوَص بن محمد الأنْصَارِيّ ، وعَدِيّ بن الرِّقاع العَامليّ ، فلما قَدِماَ عليه أمر بإنْزَالهما حيثُ ابن سُرَيج . فأنْزلا مَنْزلاً إلى جَنْبِ ابن سُرَيج ، فقَالا له : والله لقُرْبُ أميرِ المُؤمنين كان أحَبَّ إلينا من قُرْبِكَ يا نَوْفَلي ! فإن فى قُرْبِكَ لمَا يَلُدُّنا[٣] و يَشْغُلنا عن كَثيرٍ مِمَّا نُريده . فقال

(١) الأنواء : النجوم المائلة للمغيب . وكانت العرب تنسب لها المطر . وخناصرة : من أعمال حلب . والأحص : كورة كبيرة .

(٢) الطرف : المستحدث المستفاد ، وهو خلاف التلاد ، وهو القديم الأصيل.

(٣) يلدنا : يحبسنا ، هذلية .

ابنُ سُرَيج : أَوَ قِلَّةُ شُكْر ؟ فقال له عَدِىّ : كأَنك ياابْنَ اللَّخْناء تمُنّ علينا ! علىّ وعلىّ إنْ جَمَعَنا و إيّاكَ سَقْفُ بَيْتٍ أو صَحْنُ دار إلاّ عند أمير المُؤْمنين . فأمّا الأَحْوص فقال : أَوَلاَ تحْمِل لأبى يَحْيى الزَّلّةَ والهَفْوَة ! وكَفّارَةُ يمين خَيْرٌ من عَدَم المحَبّة ، و إعْطَاء النَّفس سُؤْلهَا خَيْرٌ مِن لجَاجٍ فى غَيرِ مَنْفَعة . فتَحوَّل عَدِىٌّ و بقِى الأحوص . و بلَغ الوليدَ ما جَرى بينهم . فَدَعا ابنَ سُرَيج ، فأَدخله بيْتاً وأرخى دونه سِتْراً ، ثم أمره إذا فَرغ الأَحْوَص وعَدِىّ من كلمتَيْهما أن يُغَنّى . فلمّا دَخَلا وأَنشدَاه مَدَائِح فيه ، رَفَع ابنُ سُرَيج صوتَه من حيثُ لاَيَروْنه وضَرب بِعُوده . فقال عَدِىّ : يا أمِيرَ المؤمنين ، أَتأْذَنُ لى أن أتكلّم؟ فقال : قُلْ يا عَامِلِىّ . قال أَمِثْلُ هذا عند أمير المؤمنين و يَبْعَثُ إلى ابْنِ سُرَيج يَتَخَطّى به رِقابَ قُريْشٍ والعَربِ من تِهامَةَ إلى الشّام ، تخفِضُه أرضٌ وترْفَعه أُخْرى ، فيُقال : مَنْ هذا ؟ فيُقال : عُبَيْد بنُ سُرَيج مَوْلى بَنِى نوفل ، بَعث أميرُ المؤمنين إليه ليسمعَ غِناءَه . قال : وَيْحَكَ ! يا عَدِيّ ، أَوَلا تَعْرِف هذا الصَّوْت ؟ قال : لا والله يا أميرَ المؤمنين ، ما سمِعْتُه قَطُّ ولا سمِعْتُ مِثْلَه حُسْناً ، ولولا أنّه فى مجلس أمير المؤمنين لَقُلتُ : طائفةٌ من الجنّ يُغَنّون . فقال : اخْرُج . فخرج ، فإذا ابْن سُرَيج . فقال عدِىّ : حُقّ لهذا أنْ يُحْمَل ! قالهَا ثلاثاً . ثم أمر لهما بمثلِ ما أَمَر به لابن سُرَيج ، وارْتَحَل القومُ .

وكان الذى غنّاه ابنُ سُرَيج بشعرِ عُمَرَ بن أبى رَبيعَة :

بِاللهِ يَاظَبْىَ بَنِى الحَارِث هلْ مَنْ وَفَى بالعهْدِ كالنّاكِث
حَتّى متَى أنت لنا هكذا نَفْسى فِدَاءٌ لَكَ يَا حَارِثى
يا مُنْتَهى هَمّى ويا مُنْيَتِى وَيَا هوَى النَّفْس وَيَاوَارِثى

في موته — وقال ابن مُقيمة[1] : دَخلتُ على ابن سُرَيج فى مَرَضِه الذى ماتَ فيه، فقلتُ : كيف أصبحتَ أَبَا يَحْيى؟ قال : أَصبحتُ والله كما قال الشّاعر :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ابن مقمة » .

كأنّي مِنْ تذكُّرِ ما أُلاقي ... إذا ما أظلَم الليلُ البَهيمُ
سَقِيمٌ مَلَّ منه أقْربُوهُ ... وأسْلَمَهُ المُداوِي والحَميم

ثم مات .

وقيلَ : لمّا احتُضِر ابنُ سُرَيْج نَظر إلى ابْنَتِه تبكي ! فبكى وقال: إنَّ مِن أكبرِ همِّي أنتِ ، وأخْشَى أن تضيعي بَعْدي . فقالتْ : لا تخَفْ ، فما غَنَّيْتَ غِناءً إلّا وأنا أُغَنّيه . فقال : هاتي . فاندفعتْ تُغنّي أصواتاً وهو مُصْغٍ إليها . فقال : قد أَصَبْتِ ما في نفسي وهوَّنْتِ عليَّ أَمْرَكِ . ثم دعا سَعيد بن مَسعود الهُذَليّ ، فزوَّجه إيّاها ، فأخذ عنها أكثرَ غِناءِ أبيها وانتحله .

قال إسحاق المَوْصِليّ : فهو إلى الآن يُنسبُ إليه .

وذكر [هشام بن المُرِّيَّة] أنّ قادِماً قدمَ المدينَة فسارَّ مَعْبداً بشيء . فقال مَعْبد : أصبحتُ أحسنَ النّاس غناءً ! فقُلْنا : أوَلَمْ تكُن كذلك ؟ قال : ألاَ تدْرُون ما أخْبَرَني به هذا ؟ قالوا : لا . قال : أعْلَمَني أنّ عُبيد بن سُرَيج مات ، ولم أكُن أحسَنَ النّاس غِناءً وهو حَيّ .

وكان مَوتُه بالعلّة التي أَصابتْه من الجُذَام بمكّةَ في خِلافةِ سُليْمان بن عبد الملك ، أو آخِرِ خلافة الوَليد .

قلتُ : وقد رَوَى أبو الفرَج أنّه مات في خلافةِ هِشَام . ورَوَى أيضاً أنّه مات بعد قتل الوَليد بن يزيد . وروى أنّه رَثَى حبَابَة ويَزِيدَ بن عبد الملك . وقدْ تقدَّم ذلك كُلُّه .

أخبار نُصَيب

نسبه وولاؤه

هو نُصَيْب بن رَبَاح ، مولى عبد العزيز بن مَرْوان . وكان لبعض العَرب من بنى كِنانة، السُّكَّان بوَدَّان،[1] فاشتراه عبدُ العزيز منهم . وقيل: بل كانوا أَعْتَقُوه، فاشترى عبدُ العزيز ولاءَه منهم . وقيل : بل كاتَب مَواليه فأدَّى عنه مُكاتبَته .

وقيل : كان نُصَيب من قُضاعة ثم من بَـلِىّ . وكانت أُمُّه سَوْداء ، فوقع عليها فحَبِلَتْ بنُصَيب . فوثب عليه عمُّه بعد وفاة أبيه ، فباعه من عبد العزيز .

منزلته فى الشعر

وكان شاعراً فَحْلاً فَصيحاً ، مقـدَّماً فى النَّسيب والمَـديح ، ولم يكُن له حظٌّ فى الهجاء . وكان عفيفاً . وقيل إنه لم يَنْسُب قَط إلّا بامرأته .

نشأته فى الشعر وقدومه على عبد العزيز بن مروان

ذُكر عن نُصيب أنه قال : قلتُ الشِّعر وأنا شابٌّ، فأعجبنى قولى، فجعلتُ آتى مَشْيَخَةً من ضَمْرَة بن بَكْر بن عبد مَناة ، ومَشْيخة من خُزاعة ، فأُنْشِدُهم القصيدةَ من شعرى ثم أَنْسُبها إلى بعض شُعرائهم المـاضِين ، فيقولون : أحسنَ والله ! هكذا الـكلام ! وهكذا الشِّعر ! فلمـا سمعتُ ذلك منهم علمتُ أنِّى مُحْسن ، وأجمعتُ الخروجَ إلى عبد العزيز بن مَرْوان ، وهو يومئذ بمِصْر ، فقلتُ لأُخْتِى أُمامة ، وكانت عاقلةً جَلْدة : يا أُخَيَّة ، إنِّى قد قلتُ شـعراً ، وإنى أُريد به عبـدَ العزيز بن مَرْوان ، وأرجو أن يُعْتِقكِ اللهُ به وأُمَّك ومَن كان مَرْقوقاً من أهل قَرابتى . قالت : إنّا لله وإنّا إليـه راجعون ! يابْن أُمّ ، أتجْمع عليك الخَصْلتان : السَّواد ، وأن تكون ضُحْـكَةً للناس . قال : قلتُ : فاسْمعى .

---

(١) ودان، هذه: هى التى بين مكة والمدينة ، وإياها يعنى نصيب .

فأنشدتُها ، فسمِعَتْ . فقالت : بأَبى أنتَ ! أحسنتَ والله ! وفى هـذا والله رجاء عظيم ، فاخرُج على بركة الله . فخرجتُ على قَعُودٍ (١) لى حتى قَدِمْتُ المدينةَ ، فوجدتُ بها الفرزدق فى مَسجد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فعرّجتُ عليه ، فقلتُ : أُنشده وأَسْتنشده وأَعرض عليه شِعْرى . فأَنشدتُه ، فقال لى : ويلك ! أهذا شعرُك الذى تطلُب به الملوكَ ؟ قلتُ له : نعم . قال : فلستَ فى شىء ، إن استطعتَ أن تكتُمَ هذا على نفسك فافعل. قال : فانفَضحتُ عَرَقاً (٢) . فحَصَبنى (٣) رجلٌ من قُريش كان قريباً من الفرزدق ، وقد سَمِع إنشادى وسَمع ما قال الفرزدقُ . فأومأ إلىّ فقمتُ إليه ، فقال : وَيْحك ! أهـذا شِعْرك الذى أنشدتَه الفرزدقَ ؟ قلتُ : نعم . قال : فلقـد والله أحسنتَ ! والله لئن كان الفرزدقُ شـاعراً إنّا لنَعرف محاسنَ الشِّعر ، وقد والله حَسدك ، فامْضِ لوجهك . قال: فسرَّنى قولُه، وعلمتُ أنه قد صَدَقنى فيما قال . فاعتزمتُ على المُضىّ . فمضيتُ فقَدِمْتُ مِصْر ، وبها عبدُ العزيز ابن مَرْوان ، فحضرتُ بابَه مع النـاس . فنُحِّيتُ عن مَجْلس الوُجوه ، فكنتُ وراءهم ، ورأيتُ رجـلاً على بَغْـلَة حسنَ الشَّارة سَهْلَ المَدْخـل ، يُؤْذَن له إذا جاء . فلمّا انصرف إلى منزله ، انصرفتُ معـه أُماشِى دابّته . فلمّا رآنى قال : أَلك حاجة ؟ قلتُ : نَعم ، أنا رجل من أهل الحجاز شاعِر ، وقد مدحتُ الأمير وخرجتُ إليه راجياً لمعروفه ، وقد ازْدُريت بالباب ونُحِّيتُ عن الوُجوه . قال : فأَنْشدنى. فأنشدتُه، فأَعجبه شِعْرى، وقال: ويحك! أهذا شِعْرك! إيّاك أن تَنْتحل! فإنّ الأمير راويةٌ عالِم بالشِّعر ، وعنـده رُواة ، فلا تَفْضحنى ونفْسَك . فقلتُ :

---

(١) القعود من الإبل : ما أمكن أن يركب ، وأدناه أن تكون له سنتان .

(٢) انفضحت عرقاً ، أى تدفقت عرقاً .

(٣) حصبنى : رمانى بحصباء .

والله ما هو إلّا شِعْرى . فقال : وَيْحك ! فقُل أَبْياتاً تذكُر فيهـا حَوْفَ[١] مِصر وفَضْلَها على غَيْرِها ، وأَلْقَنِى بها غداً . فغدوتُ عليه من غَدٍ ، فأنشدتُه قولى :

سَرَى الهَمُّ تَثْنِينى إليك طلائعُـه ... بمصرَ و بالحَوْفِ أعترتْنى رَوَائِعُـهْ

و بات وِسَـادِى سـاعدٌ قَلَّ لحمُـه ... عن العَظْم حتى كاد تَبْـدو[٢] أشاجِعُه

وذكرتُ فيها الغيْثَ فقلتُ :

وكم دُون ذاكَ العارِضِ البـارقِ الذى ... له أشتقْتُ من وَجْهٍ أَسيلَ مدامِعُـه

تَمشَّى به أَفْنـاءُ بَكْرٍ ومَذْحِجٍ ... وأفنـاءُ عَمْرٍو وهْو خِصْبٌ[٣] مَرابِعُه

فـكُلُّ مَسِـيلٍ من تِهامَةَ طَيِّبٌ ... دَمِيثُ الرُّبا تَسْقِى البحارَ[٤] دَوافِعُه

أَعِنِّى على بَرْقٍ أُرِيكَ وَمِيضَـــه ... تُضِىء دُجُنّـاتِ الظَّلام لوامِعُـــه

إذا اُكتحَلَتْ عَيْنا مُحِبٍّ بضَوْئه ... تجافَتْ به حتَّى الصَّـباحِ مَضَاجِعُـه

هَنِيئاً لأُمِّ البَخْـتَرِىّ الرِّوى به ... و إن أَنْهَجَ الحَبْلُ الذى أنا قاطِعُـه

وما زِلْتُ حتى قُلْتُ إنِّى لخـالِعٌ ... وَلَائِىَ من مَوْلًى نَمَتْـنِى[٥] فَوَارِعُه

ومانِحُ قَوْمٍ أنتَ منهم مَوَدَّتى ... ومُتَّخِـذٌ مولاكَ مولًى فتَـابِعُهُ

قال : أنت والله شـاعر ! أحْضُر البابَ فإنّى أذكرك للأمير . فجلستُ على الباب . فدخل ، فما ظننت أنه أمكنه أن يذكُرنى حتّى دُعِى بى . فدخلت فسلَّمت، فصعَّد فىَّ بَصرَه وصَوَّبه ، ثم قال : أنت شاعرٌ ويلك ! قلت : نعم أيّها الأَمير . قال : فأَنْشدنى . فأنشدتُه ، فأَعْجبه شِعْرى . وجاء الحاجبُ فقال : أيها الأمير ،

---

(١) بمصر حوفان : شرقى وغربى ، وهما متصلان . وأول الشرق من جهة الشام ، وآخر الغربى قرب دمياط . يشتملان على قرى و بلدان كثيرة . (عن ياقوت) .

(٢) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف .

(٣) تمشى ، أى تتمشى ، فحذف إحدى تاءيه . وأفناء بكر : أخلاطهم .

(٤) الدميث : السهل الطيب . والدوافع : الدفعات من الماء فى إثر أخرى؛ الواحدة : دافعة .

(٥) نمتنى : رفعتنى بالانتساب إليها . وفوارعه : أعاليه وأصوله التى تفرعه .

هذا أَيمن بن خُرَيم الأَسَدِىّ بالباب . قال: أْئذن له . فأُذن له ، فدخَل فاطمأنّ .
فقال له : يا أيمن بنَ خُرَيم، كم ترى ثمن هذا العبد؟ فنظر إلىّ فقال: والله لنِعْم الغادِى
فى إِثْر المَخاض[١] ! هـذا أيُّها الأَمير أرى ثمنه مائة دِينار . قال : فإِنّ له لشِعْراً
وفَصاحة . فقال لى أَيمَنُ : أتقول الشِّعر ؟ قلت : نَعم . قال: قيمتُه ثلاثون ديناراً .
قال: يا أَيْمَن ،أَرْفعه وتَخفِضه أنت؟ قال لـكَوْنِه أَحْمَق أيُّها الأَمير! ما لهذا وللشِّعر !
أَمِثْل هـذا يقُول الشِّعر ! أو يُحْسن شِعْراً ! فقال : أَنْشِدْه يانُصَيب . فأنشدتُه .
فقال له عبدُ العزيز: كيف تَسمع يا أَيمَن؟ قال : شِعْرُ أَسْوَدَ، هُو أَشْعَرأَهْل جِلْدَته.
قال : هو والله أَشْـعر منك . قال : أمنّى أيُّها الأمير ؟ قال: إى واللهِ منكَ. قال :
والله أيُّها الأَمير ، إنَّكَ لَملُولٌ طَرِفٌ[٢] ! قال : كَذَبت والله ! ما أنا كذلك ،
ولو كُنْتُ كذلك ما صَبَرْتُ عليك ، تُنازِعُنى التَّحيَّةَ وتُؤاكِلُنى الطَّعامَ وتَتّـكِىء
على وسَائدى وفُرُشِى و بك ما بك ! يَعْنِى وضَحًا كان بأَيمَن . قال : أْئذَن لى
أَخْرُج إلى بِشْرٍ[٣] بالعِراق، وأْحمِلْنى على البريد . قال: قد أَذِنتُ لك . وأَمَرَ به
فحُمِلَ على البريد إلى بِشْرٍ . فقال أَيْمَنُ بن خُرَيْم :

رَكِبْتُ من المُقطَّم فى جُمادَى ... إلى بِشْرِ بن مَرْوَانَ البَرِيدَا
وَلَوْ أَعْطَاكَ بِشْرٌ أَلْفَ أَلْفٍ ... رَأَى حَقًّا عليـــــه أَنْ يَزِيدا
أَمِـيرَ المُؤمنينَ أقِمْ بِبِشْرٍ ... عَمُودَ الدِّينِ إنّ له عَمُودا
وَدَعْ بِشْرًا يقَوِّمْهم ويُحْـدِثْ ... لِأَهْلِ الزَّيْغِ إِسْلاماً جَدِيدا
كأَنَّ التَّـاجَ تَاجَ بنى هِرَقْلٍ ... جَلَوْهُ لِأَعْظَمِ الأَيَّام عِيــــدا

---

(١) المخاض : الحوامل من النوق ؛ واحدتها : خلفة، على غير قياس ، ولا واحد لها من لفظها.
يريد : لنعم هذا العبد راعياً للإبل .

(٢) الطرف من الرجال : الذى لا يثبت على عهد ويحب أن يستطرف آخر غير صاحبه، ويطرف غير ما فى يده ، أى يستحدث . والأنثى : طرفة .

(٣) هو بشر بن مروان ، ولى إمرة العراق . ومات بالبصرة سنة ٧٥ من الهجرة .

على دِيبَاجِ خَدَّىْ وَجْه بِشْرٍ إذا الألْوانُ خَالَفتِ الخُدُودَا

— قيل : إنه عَرَّضَ بقوله :

* إذا الأَلْوان خَالَفتْ الخدُودَا *

بِكَلَفٍ كان فى وجه عبد العزيز —

وأنّا قَدْ وَجَدْنَا أُمَّ بِشْرٍ كأُمِّ الأُسْدِ مِذْكَاراً[١] ولُودَا

فأعطاه بِشْر مائةَ ألف دِرْهم .

هو والفرزدق عند سليمان بن عبد الملك

وذُكِرَ أنّ نُصَيب دَخل على سُليمان بن عبد الملك وعِنده الفَرَزْدقُ . فاستنشد الفَرزدق ، وهو يَرى أنّه سَيُنشِده مَدِيحاً له فيه . فأَنشده قولَه يفتخِر :

وَرَكْبٍ كأَنّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهم لَهَا تِرَةً من جَذْبِهَا[٢] بالعَصَائِبِ

سَرَوْا يَرْكبون الرِّيحَ وهى تَلُفُّهُمْ إلى شُعَبِ الأَكْوارِ ذات[٣] الحَقَائِبِ

إذا اسْتَوْضَحُوا نَاراً يقولونَ لَيْتَها وقد خَصِرَتْ أيديهمُ نَارُ[٤] غَالب

قال : وعِمامتهُ على رَأْسِه كالمِنْسَف[٥] . فغاظَ سُلَيْمانَ ، وكَلَحَ[٦] فى وجهِه . فقال لِنُصَيْب : قُمْ فأَنْشِدْ موْلاكَ ، ويلكَ ! قال : فقامَ نُصَيْب ، فأَنشده قولَه :

(١) المذكار : التى من عادتها أن تلد الذكران ، وكذلك الرجل مذكار . أما إذا ولدت ذكراً فهى مذكر . جعل أمه ولودا ، فأجرى المدح على غير وجهه ، فالإجماع على أن نتاج الكريمات يكون أعسر . قال الشاعر :

بغاث الطير أكثرها فراخاً وأم الصقر مقلات نزور

(٢) العصائب : العمائم . أى تنقض عمائمهم من شدتها ، فكأنها تسلبهم إياها .

(٣) الأكوار : جمع كور ، بالضم ، وهو الرحل ؛ وقيل : الرحل بأداته . والحقائب : كل ما شد فى مؤخر الرحل ؛ الواحدة : حقيبة . ورواية البيت فى الديوان :

سروا يخبطون الليل وهى تلفهم على شعب الأكوار من كل جانب .

(٤) خصرت : اشتد عليها البرد .

(٥) المنسف : الغربال الكبير . (٦) كلح : كشر وعبس .

أَقُولُ لِرَكْبٍ صَادِرِينَ لَقِيتُهم ... قَفَا ذاتِ أَوْشَالٍ ومَولاكَ[١] قاربُ

قِفُوا خَبِّرُونى عن سُلَيْمان إنّنى ... لِمَعْرُوفِهِ من أَهْلِ وَدَّان[٢] طالب

فعَاجُوا فأَثْنَوْا بالّذى أنت أَهْلُهُ ... ولَوْ سَكَتُوا أثْنَتْ عليك[٣] الحَقَائِب

وقالُوا عَهِدْناه وكُلَّ عَشِيَّةٍ ... بأَبوابه من طالِبِ العُرْفِ[٤] رَاكِب

هو البَدْرُ والنَّاسُ الكَوَاكِبُ حَوْلَهُ ... ولا يُشْبِهُ البَدْرَ المُضِيءَ الكَوَاكِب

فقال له سُلَيْمان : أَحْسَنْتَ يا نُصَيب ! وأَمرَ له بجائزةٍ ، ولم يَصْنَع ذلك بالفَرَزْدَق . فقال الفرزدق حِين خَرج من عنده :

وخَيْرُ الشِّعْرِ أَكْرَمُه رِجالاً ... وشَرُّ الشِّعْرِ ما قالَ العَبِيد

هو وقد حمله عبدالعزيز بالمقطم

وقيل : حَمل عبدُالعزيز بن مَرْوَان نُصَيباً بالمُقَطَّم ، مُقَطَّم مصر ، على[٥] بُخْتِيّ قد رَحَله بِغَبيطٍ[٦] فوقه وأَلْبَسَه مُقَطَّعات وَشْى ، ثم أَمَرَهُ أن يُنْشِدَه . فاجْتَمع حَوْلَه السُّودان وفَرِحُوا به . فقال لهم : أَسَرَرْتُكم ؟ قالوا : إِى واللهِ ! قال : واللهِ لما يَسُوءكم من أهل جِلْدَتِكم أكثر .

قدومه على هشام ابن عبد الملك

وذُكر أنّ نُصَيباً كان إذا قَدِمَ على هِشام بن عبد المَلِك أَخْلَى له مَجْلِسه واسْتَنْشَدَه مَراثِىَ بنى أُمَيَّةَ . فإذا أَنْشَده بَكَى و بَكَى معه . فأَنْشده يوماً قَصِيدَةً له مدَحه بها [يقولُ فيها] :

(١) قفا : وراء . وذات أوشال ، يريد موضعاً . وقارب : طالب للماء . ويريد بالمولى : نفسه . والخطاب لسليمان بن عبد الملك .

(٢) ودان : موضع بين مكة والمدينة ، وهو الذى أكثر نصيب من ذكره . وهناك موضعان آخران بهذا الاسم .

(٣) عاجوا : مالوا . والحقائب : جمع حقيبة ، وهى التى تكون على عجز البعير .

(٤) العرف : المعروف والجود ، وما تبذله وتسديه .

(٥) البختى : الجمل الخراسانى : ينتج من بين عربية وفالج — الفالج : البعير ذو السنامين ، وهو الذى بين البختى والعربى — دخيل فى العربية أعجمى . وقيل : البختى : عربى ، وهو الطويل العنق .

(٦) الغبيط : الرحل . ورحله به : شده عليه .

إذا اسْتَبَقَ النَّاسُ العُلا سَبَقْتَهُمْ يَمينُكَ عفْوًا ثم صَلَّت شِمالُها[(١)]

فقال له هِشام : يا أَسودُ ، قد بَلغتَ غايةَ المَدْح ، فَسلْنى . فقال له : يدُكَ بالعطيَّة أَجْوَدُ وأبْسَطُ من لِسانى بِمَسْألتك . فقال : هذا والله أحْسنُ من الشِّعْر ! وحَباه وأحْسنَ جائزَته .

إعتاقه أمه وامرأته وابن خالته سحيم

وقيل : أصابَ نُصيْبٌ من عبد العزيز بن مروان مَعْروفاً ، فكَتَمه ورَجع [إلى المدينة] فى هَيْئة بَذَّة[(٢)] . فقالوا: لم يُصِب بِمدْحِه شيئاً . فمكَث مُدَّةً ثم ساوَم بأُمِّه فابتاعها وأَعْتَقَها ، ثمّ ابْتاعَ امرأتَه بضِعْفِ ما ابْتاعَ به أُمَّه فأَعْتَقَها . وجاءه ابْنُ خالةٍ له يقال له : سُحَيم ، فسأله أن يُعْتِقَه ؛ فقال : ما مَعى واللهِ شىء ، ولكن إذا خَرجتُ أَخْرجتُك معى . ولعلَّ الله أن يُعْتِقَكَ ، فلمّا أرادَ الخُروج دَفع غُلاماً له إلى مَوْلَى سُحَيْم يرْعَى إبِلَه ، وأخْرَجه معه . فسألَ فى ثمَنِه ، فأَعْطاه وأعْتَقه . فمرَّ به [يوماً وهو] يزْفِن[(٣)] ويزْمُر مع السُّودان . فأنكر ذلك عليه ، فقال له : إن كنْتَ أعْتَقْتنى لأَكون كما ترُيد فهذا ما لا يَكونُ أبدًا ! وإن كُنْتَ أعْتَقْتَنى لتَصِلَ رحمى وتَقْضِيَ حَقِّى فهذا الذى أفعله هو الذى أريده ، أَزْفِنُ وأَزمُر وأصنع ما شئتُ . فانصرف نُصيْب وهو يقول :

إنِّى أرانى لسُحَيْمٍ قائلَا إنَّ سُحَيْماً لم يُثِبْنى طائلَا
نسيتَ إعْمالى لكَ الرَّوَاحِلا وضَرْبِيَ الأَبْوابَ فيكَ سائلا
عنـد الملوك أَسْتَثِيبُ النَّائلا حتى إذا آنَسْتَ عِتْقاً عاجلا
وَلَّيْتَنى منْكَ القفا والـكاهِلا أَخُلُقاً شَكْساً[(٤)] ولَوْناً حائلا

---

(١) صلت شمالها ، أى تبعتها ، من صلى الفرس ، إذا جاء ثانياً فى الحلبة بعد السابق، لأن رأسه يلى صلا — الصلا : وسط الظهر — المتقدم .

(٢) بذة : رثة . (٣) يزفن : يرقص . (٤) شكساً : سيئاً .

استعجاله جائزة عبد العزيز

وأبطأت جائزةُ نُصيب عند عبد العزيز، فقال له:

وإن وَرَاءَ ظَهْرِى ياابنَ ليلَى ... أناساً ينظُرُون مَتَى أَؤُوبُ
أُمامَـة منهمُ ولما أُقيهـا ... غَداةَ البَيْنِ فى أثرى[1] غُرُوب
تركتُ بلادها ونأيتُ عنهـا ... فأشبهُ ما رأيتُ بها[2] السَّلُوب
فأَتبِـعْ بعضَنا بعضاً فلسنا ... نُثيبك لـكنِ اللهُ المُثيب

فعَجَّل جائزَته وسرَّحه.

وليلَى هى أمُّ عبد العزيز، وهى كَلْبيَّة.

وذُكِر أنه قال: لا أُعطى شاعراً شيئاً حتى يَذْكُرها فى مَدْحِه، لشَرَفِها. فـكان الشُّعَراء يذكُرونها باسمها فى أشْعَارِهم.

هو وعبد الملك ابن مروان

وذُكر أنّه دَخَلَ نُصيْب على عبد الملك بن مروان فتَغدَّى معه، ثم قال له: هل لك فيما نَتَنادم عليه؟ فقال تؤمِّنُنى؟ فقال: قد فَعلتُ. فقال لَوْنى حائل، وشَعْرى مُفَلفل، وخِلْقَتى مُشَوَّهة، ولم أَبْلُغ ما بَلَغْت من إكْرامِكَ إيَّاى بِشَرفِ أَب أو أُمّ أو عَشِير، وإنما بَلغتُه بِعَقْلِى ولِسَانى، فأَنْشُدُكَ اللهَ يا أميرَ المُؤمنين أن تَحُول بينى وبين ما بَلَغتُ به هذه المنزلةَ منك، فأَعْفاه.

عمر وابن مزيد فى سبب تسميته

وذَكر أبو بكر بن مِزْيد قال:

لَقيتُ النُّصَيْبَ يوماً بباب هشام بن عبد الملك، فقلت له: يا أبا مِحْجَن، لِمَ سُمِّيتَ نُصَيْباً؟ أَلقولِك فى شِعْرِك: «عاينَها النُّصَيب»؟ فقال: لا! ولـكنّى وُلدتُ عند أَهل بَيتٍ من وَدَّان، فقال سيِّدى: إيتُونا بمولودنا هذا لننظُرَ إليه. فلما أُتِىَ بى، قال: إنّه لَمُنصَّبُ الخَلْق[3]، فسُمِّيتُ: النُّصَيب. ثم اشْترانى عبدُ العزيز بنُ مَرْوان فأَعْتقنى.

(١) مأق العين: حرفها الذى يلى الأنف. والغروب: الدموع حين تخرج من العين.

(٢) السلوب، يريد: الظبية التى سلبت ولدها.

(٣) منصب الخلق: مسواه مستقيمه.

هو ورجل لقيه هو وأم بكر

وذَكر بعضُهم، قال :

رَأيتُ رجلاً أَسوَدَ ومعه امرأةٌ بَيْضاء ، فجَعلتُ أعجبُ مِن سَواده و بياضِها ، فدَنوْتُ منه فقلتُ : مَن أنتَ ؟ فقال : أنا الذى أقول :

أَلا لَيْتَ شِعْرِى ما الَّذى تُحدِثِينَ بِى غَداً غُرْبَةَ النَّأْىِ الْمُفرِّقِ والبُعْدِ
لَدَى أُمِّ بَكْرٍ حين تَقْتَرِبُ النَّوَى بِنَا ثُم يَخْلُو الكاشِحُون بها بَعْدِى
أَتَصْرِمُنى عند الأُلَى هم لنا العِدَا فَتُشْمِتَهم بى أم تَدُومُ على العَهْدِ

قال : فصَاحت : بل تَدوم واللهِ على العَهْدِ . فسَأَلتُ عنهُما . فقيل : هذا نُصَيْبٌ . وهذه أُمُّ بكْرٍ .

جواب عبد الله ابن جعفر وقد سئل عن عطاياه له

وقيل : أتى نُصَيْبٌ عبدَ الله بنَ جعفر ، فحَمَله وأعْطاه وكَساه . فقال له قائل: يا أبا جَعْفَر ، أعْطَيْتَ هذ العبْدَ الأسود هذه العَطايا ! فقال : واللهِ إن كان أسود إنّ ثناءَه لأَبْيَض ، و إن شِعْرَه لعربىّ . ولقد استحقَّ بما قال أكثَر مما نال . وما ذاك ؟ إنّما هى رَواحِلُ تُنْضَى(١) ، وثيابٌ تبْلَى ، ودَراهِمُ تفْنى ، وثناء يَبْقى ، ومَدائح تُرْوَى .

منقذ الهلالى مع بعضهم فى شعر له

وذَكر بعضُهم قال :

أتانى مُنقِذٌ الهِلالىُّ ليلاً ، فضرب علىَّ البابَ ، فقُلتُ : من هـذا ؟ فقال : مُنْقِذٌ الهِلالىّ . فخرجتُ إليه فزِعًا. فقال: البُشْرَى ! فقلت : أَى بُشْرَى أَتَيتنى بها فى هـذا اللَّيل ؟ قال : خَيْرٌ ، أتانى أهْلى بدَجاجةٍ مَشْويةٍ بين رَغيفَيْن ، فَتعشَّيتُ بها . ثم أَتَوْنى بِقنِّينَةٍ من نَبيذ قد الْتقى طَرَفاها رِقَّةً وصَفاء ، فجعلتُ أشْربُ وأترَنَّم بقول نُصَيب :

بزَيْنبَ أَلْمِمْ قبلَ أنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ وقُلْ إنْ تَملّينا فما ملَّكِ القَلْبُ

(١) تنضى . تهزل ، وأنضاه السفر : هزله .

ففكّرتُ فى إنسان يفْهم حُسْنَه و يعْرِف فضْلَه ، فلم أجِدْ غيْرك ، فأتيتك مُخبِراً بذلك . فقلتُ : ما جاء بك إلّا هذا ؟ فقال : أوَلَا يَكْفِى ! ثم انْصرَف .

هو ومسلمة فى عفة شعره

وقيل : قال مَسْلَمة لِنُصَيب : أنت لا تُحْسِنُ الهجاء . قال : بلى والله ! أتُرانى لا أُحسِن أنْ أجْعَل مكان « عافاكَ اللهُ » « أخزاكَ الله » ؟ قال : فإنّ فُلَانًا قد مَدحتَه فَحرمك ، فاهْجُه . قال : لا والله ، ما ينْبغى أن أهْجُوَه ، إنما ينبغى أن أهْجُوَ نفسى حيث مدحْتُه . قال مَسْلمة : هذا والله أشَدُّ من الهجاء .

طلب إليه عمر بن عبد العزيز أن ينشده « قفا أخوى »

وقيل: دَخَل نُصَيب مسجِدَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وعُمر بن عبد العزيز يومئذ أمير المدينة ، وهو جالسٌ بين قَبْرِ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم ومِنْبرِه ، فقال : أيّها الأمير ، ائْذَنْ لى أُنْشِدكَ من مراثى عبد العزيز . فقال : لا تَفْعلْ فَتحزنَنى ، ولكن أنْشِدْنى قولَك : « قفا أخوىّ » فإنّ شَيطانك كان لك فيها ناصحًا حين لقّنك إيّاها . فأنشده :

قِفَا أَخَوَىَّ إنّ الدّار لَيست ... كما كانت بِعَهْدِكُما تكونُ
لَيالىَ تَعْلمانِ وآلُ لَيْلَى ... قَطِينُ الدّارِ فاحْتَمَل (١) القَطين
فَعُوجَا فانظُرَا أتُبِينُ عمَّا ... سألناها به أمْ لا تُبِين
فظَلَّا واقِفَيْنِ وظَلَّ دَمْعِى ... على خَدّى تَجُودُ به (٢) الشُّئُون
فلولَا إذْ رأيت اليأْسَ منها ... بَدَا أن كِدْتَ تَرْشُقُكَ (٣) العُيُون
بَرِحْتَ فلم يَلُمْكَ الناسُ فيها ... ولم تَغْلَق كما غَلِقَ (٤) الرَّهِين

هو وعجوز كان يختلف إليها مع ابنتها

وقيل : كان نُصيْب يَنْزل على عَجُوز بالجُحْفَة إذا قَدِمَ من الشأم ، وكانت

---

(١) القطين : السكان ، للواحد والجمع .
(٢) الشئون : مجارى الدموع من العين ؛ الواحد : شأن .
(٣) ترشقك : تحد النظر إليك كأنها ترميك بسهام لحظها .
(٤) الرهين : جمع رهن ، وهو ما وضع عند الإنسان مما ينوب مناب ما أخذ منه . وغلق الرهن : إذا لم يوجد له تخلص وبقى فى يد المرتهن لا يقدر راهنه على تخليصه .

لها بُنَيَّة صَفْراء ، وكان يَسْتحليها ، فإذا قَدِمَ وهَبَ لها دَراهِمَ وثياباً وغيرَ ذلك . فَقَدِم عليهما قَدْمَةً و بات بهما . فلم يَشْعُر إلا بفَتًى قد جاءها ليلاً فرَكضها برِجْلِه ، فقامت معه ، وأبطأتْ ثم عادتْ . وعاد إليها بعد ساعة فركضها برِجْله . فقامت معه وأبطأت . ثم عادت . فلمَّا أصبحَ نُصَيْبٌ رأى أَثرَ مُعْتَرَكهما ومُغْتَسلهما . فلما أراد أن يَرْتَحِلَ قالت له العَجُوزُ و بِنْتُها : بأبى أنتَ ! عادتَك . فقال لها :

أَراكِ طَمُوحَ العَيْنِ مَيَّالَةَ الهَوَى لهذا وهـذا منك وُدٌّ مُلاطِفُ

فإنْ تَحْمِلِى رِدْفين لا أَكُ مِنْهما فَحُبِّىَ فَرْدٌ لستُ مِمَّن (١) يُرادِف

هو وامرأة من ملل ينزل عندها الناس

وقيـل : كانت بمَلَل (٢) امرأة يَنْزِلُ بهـا النّاسُ ، فنَزل بها أبو عُبَيْدَة ابن عبد الله بن زَمْعة ، و عِمْرانُ بن عبد الله بن مُطِيع ، ونُصيْب . فلما رَحلوا، وَهب لها القُرشيَّان ، ولم يكن مع نُصَيْب شيء ، فقال لها : أختارى : إن شِئتِ أَضْمن لك مِثْل ما أَعْطياك إذا قدمتُ ، و إن شِئتِ قُلتُ فيكِ أبياتاً تَنْفَعُكِ ؟ قالت : بل الشِّعْرُ أحبُّ إلىَّ . فقال :

أَلاَ حَىِّ قَبْـلَ البَيْنِ أُمَّ حَبيبِ و إنْ لم تـكُنْ مِنَّا غداً بِقَرِيبِ

لئن لم يكُنْ حُبِّيك حُبًّا صَدَقْتُه فما أَحَدٌ عِنْـدى إذاً بحَبِيب

تِهَامٍ (٣) أصابتْ قَلْبَهُ (٤) مَلَلِيَّةٌ غَرِيبُ الهَوَى يا وَيْحَ كُلِّ غَرِيب

فشَهرها بذلك ، وأصابتْ بقوله فيها خيراً .

سؤاله عمر بن عبد العزيز نفقة لبناته

قيل : ودخَلَ نُصيْب على عُمر بن عبد العزيز ، بعد ما وَلِىَ الخلافة ، فقال : إيهِ يا أَسْوَد ! أنتَ الذى تُشَهِّرُ النِّسـاءَ بِنَسِيبِك ؟ فقال : إنِّى قد تركتُ ذلك

---

(١) الردف : الذى يركب خلف الراكب . وأرادف : أكون ردفاً مع غيرى .

(٢) ملل : موضع فى طريق مكة بين الحرمين . وفى الأصل : « مالك » .

(٣) تهام : نسبة إلى تهامة ، وتقول أيضاً : تهامى ، بكسر التاء . إذا فتحت التاء لم تشدد الياء ، وإن كسرتها شددت الياء .

(٤) ومللية : نسبة إلى ملل ، موضع فى طريق مكة . وفى الأصل : « مالكية » .

يا أميرَ المُؤْمنين ، وعاهدتُ الله تعالى ألّا أقولَ نَسِيباً . وشَهِدَ له بذلك مَن حَضَر ، وأَثْنَوْا عليه خيراً . فقال : أمّا إذ كان الأَمْرُ هكذا فسَلْ حاجتَك . فقال : بُنَيّاتٌ لى نَفَضْتُ عليهنَّ سَوادى فكَسَدْنَ ، أَرْغب بهنَّ عن السُّودان ، ويَرْغَبُ عنهنَّ البيضَانُ . قال : فَتُرِيدُ ماذا ؟ قال : تَفْرِضُ لهُن . ففعل . قال : ونَفَقَةَ طَرِيقى . فأعطاه حِلْيَةَ سَيْفِه وكَساه ثوبَيْه ، وكانا يُساويان ثلاثين دِرْهماً .

من رقيق شعره

ومن رَقيق شِعْر نُصَيب قولُه :

تَمُرُّ اللّيالى ما مَرَرْنَ ولا أرى ... مُرُورَ اللّيالى مُنْسِياتى ابْنَةَ النَّضْرِ

وقَفتُ بذى دَوْرانَ أَنْشُد بَكْرَتى ... ومالى فيها مِنْ قَلُوصٍ[1] ولا بَكْرِ

وما أَنْشُدُ الرُّعْيانَ إلّا تَعِلَّةً ... بواضحَةِ الأَنْيابِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ

أَمَا والّذى نادَى من الطُّورِ عَبْدَه ... وعَلّمَ أيّامَ المَناسِكِ والنَّحْرِ

لقد زادنى للجَفْرِ حُبًّا وأَهْلِهِ ... لَيالٍ أقامتهُنَّ لَيْلَى[2] على الجَفْرِ

شعره فى عبد العزيز بن مروان

وقيل : كان عبدُ العزيز بن مَرْوان اشْترى نُصَيْباً وأهلَه وولدَه فأَعْتقهم ، وكان نُصَيْب يَرْحل إليه فى كلِّ عام مُسْتميحاً ، فيُجيزه عبدُالعزيز ويُحْسِنُ صِلَته .

فقال فيه نُصَيْب :

يقول فيُحْسِنُ القولَ ابْنُ لَيْلَى ... ويفعَلُ فوق أحْسنِ ما يَقُولُ

فتًى لا يَرْزَأُ الإخْوانَ إلّا ... مودَّتهم[3] ويَرْزَؤُه الخليلُ

فَبَشِّرْ أَهْلَ مِصرَ فقد أَتاهُمْ ... مَعَ النِّيلِ الذى فى مِصرَ نِيلُ

هو وشاعر هجاه بالسواد

قيل : وكان نُصَيْب يُكْنى أبا الحَجْناء ، فهجاه شاعرٌ فقال :

رأَيْتُ أبا الحَجْناءَ فى النّاسِ حائرًا ... ولونُ أبى الحجْناءِ لَوْنُ البَهائِمِ

---

(١) ذو دوران : موضع بين قديد والجحفة . (ياقوت) . والقلوص : الفتية من الإبل .

(٢) فى الأصل : « ليال أقامت فيه » .

(٣) لا يرزأ ، أى لا يصيب منهم إلا الود .

تَراه على ما لَاحَه من سَوَادِه   وإن كان مَظْلُوماً له وَجْهُ ظالِمِ

فقيل لنُصيْب : ألاَ تُجيبه ؟ فقال : لا ! ولو كنتُ هاجياً أحداً لأَجبْتُه . ولكنّ الله أَوْصَلَنِى بهذا الشِّعر إلى خير ، فجعلتُ على نفسى ألّا أقولَه فى شرٍّ ، وما وَصَفنى إلّا بالسَّواد ، وقد صَدَق . أفلا أُنْشِدكم ما وصفتُ به نَفْسِى ؟ قالوا : بلى . فأَنْشَدهم قولَه :

ليس السَّوادُ بناقصِى ما دام لى   هذا اللسانُ إلى فُؤَادٍ ثابتِ

مَن كان ترفعُه مَنابتُ أَصْلِه   فبُيُوتُ أَشْعارى جُعِلنَ مَنابتى

كم بَيْن أَسْوَدَ ناطقٍ بِبَيانه   ماضِى الجنَانِ و بين أَبْيَضَ صامِت

إنِّى ليَحْسُدنى الرَّفيعُ بناؤُه   فَضْلَ البَيان وليس بى مِن شامِت

بينه و بين رجل سبه بالرق

وقيل : قال رجل لنُصيْب : أيّها العَبْد ! مالك وللشِّعر ! فقال : أمّا قولك « عَبْد » فما وُلدتُ إلّا وأنا حُرٌّ ، ولكنْ ظَلَمونى و باعُونى . وأمّا السوادُ ، فإنِّى أقول :

فإنْ أَكُ حالِكاً لَوْنِى فإنِّى   لِعَقْلٍ غيرِ ذى سَقَطٍ وِعاءُ

وما نَزَلَتْ بِىَ الحاجاتُ إلّا   وَقَى عِرْضى من الطَّمَعِ الحَياء

هو وجارية سألته أن يشبب بها

وقيل : وقف نُصَيْب على أبيات فاستَسْقَى ماء ، فخرجتْ إليه جاريةٌ بِلَبَنٍ أو ماء فَسَقَتْه وقالت : شَبِّبْ بى . فقال : ما اُسْمُك ؟ قالت : هِنْدُ ، ونظر إلى جَبَل وقال : ما اُسم هذا العَلَم ؟ قالت : قَنًا . فأَنْشَأ يقول :

أُحِبُّ قَناً من حُبِّ هِنْدٍ ولم أَكُنْ   أُبالِى أَقُرْباً زادَهُ اللهُ أَمْ بُعْدَا

ألا إنّ بالقِيعَان مِنْ بَطْنِ ذى قَناً   لنا حاجةً مالَتْ إليه بنا عَمْدا

أَرُونى قَناً أَنْظُرْ إليه فإنّنى   أُحِبُّ قَناً إنِّى رأَيْتُ به هِنْدا

فَشاعَتْ هذه الأبيات ، وخُطِبتْ الجاريةُ منْ أَجْلِها ، وأصابتْ بقولِ نُصَيْب فيها خيراً كثيراً .

هو وجارية مطلقة أبت ثم تزوجته

وقيل : دَخَل نُصَيْب على يزيدَ بن عبد الملك ، فقال : حَدِّثنى يا نُصَيْب ببعض ما مَرّ عليك . قال : نعم، يا أمير المؤمنين ، عُلِّقْتُ جارية حَمْراء ، فمكثت زماناً تُمنِّينى بالأباطيل ، فلما أَلْحَحْتُ عليها قالت : إليك عَنِّى ، فوالله لكأنّك من طَوَارِق اللَّيْل . فقلتُ لها : وأنتِ والله كأنّكِ من طوارقِ النَّهار . فقالت : ما أظرفك يا أسودُ ! فغاظنى قولُها . فقلتُ لها : أتدْرين ما الظَّرْفُ ؟ إنما الظَّرْفُ العَقْل . ثم قالت لى : انصرف حتى أنظُرَ فى أمرِكَ . فأرسلتُ إليها بهذه الأبيات :

فإن أَكُ حالكاً فالمِسْكُ أَحْوَى ... وما لِسَوَاد جِلْدِى من دَوَاءِ
ولى كَرَمٌ عن الفَحْشَاء[1] نَابٍ ... كبُعْدِ الأرضِ من جَوِّ السَّماء
ومِثْلِى فى رجالكُمُ قليلٌ ... ومِثْلُكِ ليس يُعْدَمُ فى النِّساء
فإن تَرْضَىْ فَرُدِّى قول[2] واشٍ ... وإن تأْبَىْ فنحنُ على السَّواء

قال : فلما قرأتِ الشِّعر قالت : المالُ والشِّعر يأتيان على غيرها . فتزوَّجتنى .

شعر له كان يستجيده الأصمعى

وقال الرِّياشىّ :

أنشدنا الأصمعىّ لنُصيْب ، وكان يَستجيد هذه الأبياتَ ويقول إذا أنشدها : قاتل الله النُّصيب ! ما أشعره !

فإن يَكُ من لونِى السَّوادُ فإنّه ... لكالمِسْكِ لا يَرْوَى من المِسْك ذائقُهْ
وما ضَرَّ أثْوَابى سَوادِى وتحتَها ... لباسٌ من العَلْياء بيضٌ[3] بنائقه
إذا المرء لم يَبْذُلْ من الوُدِّ مثلَ ما ... بذلتُ له فاعْلَمْ بأنِّى مُفارِقُهْ

هو والأحوص وكثير فى حضرة امرأة من بنى أمية

وذُكر أن نُصَيباً خَرَجَ هو والأحوصُ وكُثَيِّر غِبَّ يَوْمٍ أمطرَتْ فيه السّماء .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ناء » مكان « ناب » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « راض » مكان « واش » .
(٣) البنائق : جمع بنيقة ، وهى طوق الثوب الذى يضم النحر وما حوله .

فقال : هل لكم فى أن نركبَ جميعاً فنسيرَ حتى نأتِيَ العَقيقَ فنُمَتِّعَ فيه أبصارَنا ؟ فقالوا: نعم. فركِبُوا أفْضَل ما يَقْدِرون عليه من الدَّوابّ . ولَبِسُوا أحسنَ ما يقدِرون عليه من الثِّياب ، وتنَكَّروا ثم ساروا حتى أتَوْا العَقيق ، فجعلوا يتصفَّحون [١] ويَرَوْنَ بعضَ ما يَشْتهون ، حتى رُفِع لهم سَوَادٌ عظيمٌ ، فَأَمُّوه حتى أتَوْه . فإذا وصائفُ ورجالٌ من المَوالى ونِساء بارزاتٌ ، فسألْنَهم أن ينزلوا . فاستَحْيَوْا أن يُجيبوهنَّ من أوّل وهْلَةٍ ، فقالوا : لا نَستطيع حتّى نَمْضِيَ فى حاجة لنا . فحَلَّفْنهم أن يَرْجِعوا إليهنّ . ففعَلُوا وأتوْهُنّ ، فسألْنَهم النُّزُولَ . ودخلتْ امرأةٌ من النِّساء ، فاستأذنتْ لهم ، فلم تَلْبَثْ أن جاءت فقالتْ : أدْخُلوا . قال : فدخَلْنا على امْرأةٍ بَرْزَةٍ على فُرُشٍ لها ، فرحَّبَتْ وحَيَّتْ ، وإذا كَراسِى مَوْضوعة ، فجلسنا جميعاً فى صَفٍّ واحد ، كل إنسان على كرسىّ . فقالت : إنْ أحبَبْتُم أن نَدْعُوَ بصَبِىٍّ لنا فنُصَيِّحه ونعرُكَ أُذنَيه [٢] ، فعلنا ؟ وإن شئتم بدأنا بالغَداء ؟ فقلنا : بل تَدْعِينَ بالصبىّ ، ولن يَفُوتنا الغَدَاء . فأومأتْ بيدها إلى بَعض الخَدم . فلم يكُن إلا كَلَا ولَا [٣] حتى جاءت جاريةٌ جميلةقد سُترت بمُطْرَف ، فأمْسكوه عليها حتى ذهب بُهْرُها [٤] ، ثم كُشِف عنها ، فإذا جارية ذاتُ جمالٍ ، قريبةٌ من جمالِ مَوْلاتِها ، فرحَّبتْ بهم وحَيَّتْهم . فقالت لها مولاتُها : خُذى ويحك من قَوْل النُّصيْب ! عافَى الله أبا مِحْجن :

أَلَا هَلْ مِن البَيْنِ المُفرِّق من بُدِّ وهل مِثْلُ أيامٍ بمُنْقطَع السَّعْدِ [٥]

---

(١) تصفح الشيء : نظر إليه ليتعرفه .

(٢) عرك الأذن : دلكها . تريد الغناء وضرب العود .

(٣) قال ابن منظور : والعرب إذا أرادوا تقليل مدة فعل ، أو ظهور شيء خفى، قالوا : كان فعله كلا ؛ وربما كرروا فقالوا : كلا ولا .

(٤) أى حتى هدأت واطمأنت .

(٥) السعد: موضع قرب المدينة . ويريد بمنقطع السعد : حيث ينقطع وينتهى .

تَمَنَّيتُ أيَّامِى أُولئــك والْمُنَى على عَهْد عادٍ ما تُعِيدُ ولا تُبْدِى(١)

فغنَّته الجاريةُ ، فجاءت به أحسَن ما سمعتُه قطُّ ، بأَحْلى لفظٍ وأَشْجَى صَوْت .
ثم قالت : خُذى أيضاً من قَول أبى مِحْجَن ، عافَى اللهُ أبا محجن :

أَرِقَ الُمحِبُّ وعاده سهدُه لِطَوارِق الهَمِّ التى تَرِدُهْ
وذكرتُ من رَقَّتْ له كَبِدِى وأَبَى فليس تَرِقُّ لى كَبِـدُهْ
لا قَوْمُه قَوْمِى ولا بَلدى ـ فنـكونَ حِيناً جيرةً ـ بلَدُهْ
وَوَجدْتُ وَجْدًا لم يكُنْ أحدٌ قَبْلِى من أُجْل صَبابَةٍ يَجِدُهْ

فجاءت به أحسنَ من الأوّل ، وكِدْتُ أَطِيرُ سُروراً . ثم قالت لها : وَيْحك !
خُذى من قول أبى مِحْجن أيضاً ، عافى الله أبا مِحْجن :

فيالكَ من لَيْـلٍ تَمتَّعْتُ طُولَه وهل طائِفٌ من نائم مُتَمَتِّعُ
نعم إنّ ذا شَجْوٍ متى يَلْقَ شَجْوَه ولو نائماً مُسْتَعْتِبٌ(٢) أو مُوَدِّعُ
وقد قُرِعَتْ فى أُمِّ عمرٍو لك العصَا قَديماً كما كانت لذى الحِلْمِ(٣) تُقْرَعُ

قال : فجاءت والله بشىء حَيَّرنى وأَذْهَلَنى طَرَباً ، لِحُسْنِ الغِنـاء ، وسُرُوراً
باختيارها الغنـاء فى شِعْرى ، وما سَمِعْتُ فيـــه من حُسْنِ الصَّنْعَة وجَوْدَتها
وإحْكامها . ثم قالت لهـا : خُذى ويحك أيضاً من قول أبى مِحْجن ! عافى الله
أبا مِحْجن :

يأيّها الرَّكْبُ إنِّى غَيْرُ تابِعِكُمْ حتَّى تُـلِمُّوا وأنتمْ بى مُلِمُّونَا

قال نُصَيْب : فوالله لقد زَهَوْتُ بما سَمِعْتُ زَهْواً خُيِّلَ لى أنِّى من قُرَيش ،

(١) ما تعيد ولا تبدى ، أى لا نفع عندها .
(٢) مستعتب ، أى طالب العتبى والرضى .
(٣) يشير إلى المثل المعروف : « إن العصا قرعت لذى الحلم » . وأصله أن حكماً من حكام العرب عاش حتى أسن فأهتر ، فقال لابنته : إذا أنكرت منى شيئاً عند الحكم فاقرعى لى العصا لأرتدع .

وأنّ الخلافة لى . ثم قالت : حسبُك يا بُنيّة ! هاتِ الطّعامَ يا غلامُ . فوثب الأحْوَصُ وكُثيِّر وقالا : والله لا نَطْعَمُ لكِ طعاماً ولا نجلسُ لكِ مجلسًا ، فقد أسأتِ عِشْرتنا ، واستَخْفَفْتِ بنا وقدّمْتِ شِعْر هذا على أشعارنا ، واستمعتِ الغِناء فيه ؛ وإن فى أشعارنا لما يفْضُلُ شِعْره ، وفيها من الغِناء ما هو أحسنُ من هذا . فقالت : على معرفةٍ كلٌّ ما كان منّى ، فأى شِعْرِكما أفْضَلُ من شِعْره ؟ أقَوْلُك يا أحْوص :

يقَرُّ بِعيْنِى ما يقرُّ بِعيْنِها وأحْسَنُ شىء ما به الْعَيْنُ قرّتِ

أم قولُك يا كُثيِّر فى عزّةَ :

إذا ضَمْرِيّةٌ عطَسَتْ فنِكْها فإنّ عُطاسَها طَرَفُ السِّفادِ

أم قولك فيها :

وما حسبتْ ضَمْرِيّةٌ[(١)] جُدَوِيّةٌ سِوَى التَّيْسِ ذى القَرْنَيْنِ أنّ لها بَعْلا

قال : فخرجا مُغْضَبَيْنِ ، واحتبستنى وأمَرَتْ لى بثلثمائة دينار ، وحُلّتَيْن وطِيب ، ثم دفَعَتْ إلىّ مائتى دينار ، وقالت : ادْفعهما إلى صاحِبَيْك ، فإن قَبلاها وإلّا فهى لك . فأتيتُهما فى منازلهما فأخبرتُهما القِصّة ، فأمّا الأحوصُ فقبلها ، وأما كُثيِّر فلم يَقْبلها وقال : لعَنَ اللهُ صاحِبتَك وجائزتها ! ولعنك معها . فأخذتُها وانصرفتُ .

قال الرّاوى : فسألتُ النُّصَيْب : مَن المرأة ؟ فقال : امرأة من بنى أُمَيّة ، ولا أذْكُر اسْمَها ما حَيِيتُ لأحد .

رثاؤه عبد العزيز وقد مات بسكر

قيل : وَقَعَ الطّاعُون بمصر فى ولاية عبد العزيز بن مروان إيّاها ، فخرج هارباً منه ، فنزل بقَرْية من الصّعيد يقال لها : سُكَر — قلتُ : « وأظنّها القرية

(١) جدوية : نسبة إلى جدى بن ضمرة بن بكر ، من كنانة .

المعروفة اليوم بالشُّكر ، بينها و بين الفُسطاط مرحلة » —. قال : فَقدِمَ عليه حين نزلها رَسُولٌ لعَبْد الملك بن مَرْوان ، فقال له عبد العزيز : ما أسمُك ؟ قال : طالب ابن مُدْرِك . فقال : أَوَّهْ ! ما أَرانى راجعاً إلى الفُسطاط أبداً ما حييتُ . ومات فى تلك القرية . فقال نُصيب يَرْثيه :

أُصِبْتُ يومَ الصَّعِيد من سُكَّر ... مُصِيبةً ليس لى بها قِبَــلُ
تالله أَنْسى مُصِيبَتِى أَبَـدًا ... ما أَسْمَعَتْنِى حَنِينَهـا الإبل
ولا التَّبَكِّى عَلَيْـه[1] أُعْوِلُه ... كلّ المُصِيبَاتِ بَعْـدَه جَلَل
لم يَعْلَمِ النَّعْشُ ما عليـه من الْـ ... ـعُرْفِ ولا الحـاملون ما حَمَلوا
حتى أَجَنُّوهُ فى ضَرِيحِهـمُ ... حين أنتهى من خليلك[2] الأَجَل

لابن واصل فى ولاية مروان بالعهد

— قلت : كان مروان بن الحكم قد جَعل ولاية عهـده لابنه عبد الملك ، و بعده لعبد العزيز ، وولَّى عبد العزيز مصر. فلما مات مروان وأفضت الخلافةُ إلى عبد الملك أقرّ أخاه عبـد العزيز على مصر وولاية عهده . ونشأ لعبد الملك أبناه : الوليد وسُليمان ، فأحبّ مَوْت أخيه عبد العزيز لِيَنْقُل ولاية العهـدِ إلى أبنيه . وأسْتطالَ أيّامَ عبـد العزيز ، فاتفق موتُه بمصر سنة ست وثمانين . ومات بعـده عبد الملك فى هذه السنة ، بعد أن عَهِدَ إلى أبنيه —

هو وعبد الملك وقد وطلب إليه رثاءه فى أخيه

وَذُكِرَ أنه دَخَلَ نُصَيْب على عبد الملك فقال له : أَنْشِدنى بعضَ ما رَثَيْتَ به أخي . فأنشده أبياتاً منها :

عَرَفْتُ وَجَرَّبْتُ الأُمُورَ فما أَرَى ... كماضٍ تَلاَه الغَابِرُ[3] المتَـأَخِّرُ
ولـكنّ أَهْلَ الفَضْلِ من أَهْل نِعْمَتى ... يَمُرُّون أَسْـلافاً أَمامى وأَغْـبُرُ

---

(١) أعول : أى أرفع صوتى بالبكاء .

(٢) الرواية فى ياقوت : « خليله » .

(٣) الغابر : الباقى . وغبر ، كما يستعمل بمعنى مضى ، يستعمل بمعنى بقى .

فإن أَبْكه[١] أُعْذَرْ وإن أغلبِ الأَسَى بِصَبْرٍ فَمِثْلِي عِنْدَ ما أُشْتَدّ يَصْبِرُ
فإن كُنّ قَدْ نِلْنَ ابْنَ لَيْلَى فإنّه هو المُصْطَفَى من أَهْلِهِ المُتَخَيَّرُ

فلما سَمع عبد الملك قوله « فإن أبكه أُعذر » قال : ويلك ! أنا كنتُ أَحَقّ بهذه الصِّفة منك فى أخى ، فهلَّا وصفتَنى بها : وجعل يبكى .

له فى عطاء الحكم ابن المطلب له

وذُكر أنه قيل لِنُصَيْب : هَرِمَ شِعْرُك . فقال : لا والله ، ما هَرِم ولكن العَطاء هَرِم ، مَنْ يُعطينى مِثْلَ ما أعطانى الحَكَم بن المُطَّلب ؟ خَرَجْتُ إليه وهو ساعٍ على بعض صَدقاتِ المَدينة ، فلمّا رأيتُه قلتُ :

أبا مَرْوَانَ لستَ[٢] بخَارجىٍّ وليس قَدِيمُ مَجْدِك بانْتِحَالِ
أَغَرُّ إذا الرِّوَاقُ أُنْجَابَ عنه بَدَا مِثْلَ الهِلالِ على[٣] المِثَالِ
تراآه العُيُونُ كما تَرَاءَى عَشِيَّةَ فِطْرِهَا وَضَحَ الهِلالِ

قال : فأعطَانى أربعمائة ضَائِنةٍ ومائةَ لِقْحَة[٤] ، وقال : أَرْفَعْ فِراشى . فرَفَعْتُه فأخذتُ من تحته مائتى دينار .

يزيد يملأ فمه جوهرا

وذُكر أنه دخلَ نُصَيْب على يزيدَ بنِ عبد الملك ذاتَ يوم ، فأنشده قَصيدةً أمتدحَه بها . فطَرِب لها يزيدُ وأستحسَنها ، فقال له : أَحْسَنْتَ يا نُصيب ، سَلْنِى ما شِئْتَ . فقال : يَدُك يا أميرَ المُؤمنين بالعطاء أَبْسَطُ من لسانى بالمَسألة . فأَمر به يزيدُ فمُلِىء فُوه جَوْهراً . فلم يَزَل به غنيًّا حتى مات .

جائزة ابراهيم بن هشام له

وقيل : دخلَ نُصيْب على إبراهيم بن هشام ، وهو والٍ على المدينة ، فأَنْشده :

يابن الهِشَامَيْن[٥] لا بَيْتٌ كَبَيْتِهما إذا تَسامَتْ إلى أَحْسَابِها مُضَرُ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أبكهم » .
(٢) الخارجى : الذى يخرج بشرف نفسه من غير أن يكون له قديم .
(٣) رواق البيت : سترة مقدمه ، ضد الكفاء ، وهو سترة مؤخره . وانجاب : انكشف . والمثال : الفراش .
(٤) اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .
(٥) الهشامان ، هما : هشام بن عبد الملك ، أبوه ؛ وهشام بن اسماعيل المخزومى ، جد أبيه لأمه .

فقال إبراهيم : قُمْ يا أبا مِحْجن إلى تلك الرَّاحلةِ المَرْحولة فخُذْها برحلها . فقام إليها نُصَيْب مُتَباطِئاً ، والناسُ يقولون : ما رأينا عَطِيةً أَهْنأَ من هذه ، ولا أَكْرَمَ ولا أَعْجَلَ ولا أَجْزَل ! فسمعهم نُصيْب فأقبـل عليهم وقال : والله قَلَّما صاحبتُم الـكِرَام ! وما راحِلةٌ وَرَحْلٌ حتى تَرْفعوها فوقَ قَدْرِها !

قدومه على هشام بعد مرض حين ولى الخلافة

وقيل: اُستبطأ هِشامُ بنُ عبدالملك ،حين وَلِى الخلافةَ، نُصَيْباً أَلَّا يكون جاءه وافداً عليه مادِحاً له ، ووَجَد عليه . وكان نُصيْب مريضاً ، فبلَغه ذلك حين بَرأ ، فقَدِم على هِشام وعليه أثرُ المَرض وعلى راحلته أثرُ النَّصَب ، فأنشده :

حَلَفْتُ بِمَنْ حَجَّتْ قُرَيْشٌ لبَيْتِـهِ ... وأَهْـدَتْ له بُدْناً[1] عليها القَـلائِدُ
لئن كُنتُ طالتْ غَيْبَتى عنك إنّنى ... بِمَبْلَغ حَوْلى فى رِصـاك لَجَـاهِد
ولـكنّنى قد طال سُقْمِى وأكـثرتْ ... علىَّ العِهـادَ[2] المُشْفِقَاتُ العَوائد
صَرِيعُ فِرَاشٍ ما يزَلْنَ يَقُلْنَ لى ... بِنُصْحٍ وإشْـفاقٍ متى أَنْتَ قاعِـد
فلمّا زجرتُ العِيسَ أَسْرَتْ بحاجتى ... إليك وذَلَّت لِلِّسانِ القصـائِد
وإنِّى فلا تَسْتَبْطِنى[3] بِمَوَدَّتى ... ونُصْحِى وإشـفاقى إليك لَعَامِد
ولا تُقْصِنى حتى أكُونَ[4] بِصَرْعَةٍ ... فَيَيْأَسَ ذو قُرْبى ويَشْمَتَ حاسِـد
أَنِـلْنِى وقَـرِّبْنى فإنِّىَ بالِـغٌ ... رِضَـاكَ بِعَفْوٍ من نَداك وزائد
أَبِتْ نائماً أمّا فُؤادِى فهَمُّـه ... قَلِيـلٌ وأمَّا مَسُّ جِلْدِى فبـارِد
وقَدْ كان لِى منكم إذا ما لقيتُـكم ... لَيَانٌ[5] ومَعْروفٌ وللخـير قائِد
إليكَ رَحَلْتُ العِيسَ حتَّى كأنَّها ... قِسِىُّ السُّرَى ذُبْلاً بَرَتْها[6] الطَّرائد

(١) البدن : جمع بدنة ، وهى ناقة تنحر بمكة .
(٢) العهاد : المطربعد المطر ، الواحدة : عهد وعهدة ، بفتح العين وكسرها . يريد الدموع .
(٣) لا تستبطنى : أى لا تستبطئنى . (٤) أى حتى يحل بى الموت .
(٥) الليان : نعمة العيش . (٦) ذبلا : جمع ذابل . والطرائد : جمع طريدة ، قصبة فيها حزة تنحت عليها القداح وتبرى . وما أشبهها بمبراة أقلام الرصاص الآن . والرواية فى الأصل : « قس ذبولاقد» .

وحتّى هَوادِيها دِقاقٌ وشَكْوُها ... صَريفٌ وباقِ النِّقْى منها [1]شَرائد
وحتّى دنَتْ ذاتُ المِرَاحِ فأذْعَنَتْ ... إليك وكلُّ الرّاسماتُ [2] الحَوافِدِ

قال : فَرَقَّ له هشامٌ وبَكَى ، وقال : ويحك يا نُصَيْب ! لقد أضْرَرْنا بك وبِرَواحلك . ووَصَله وأحْسن صِلَته واحْتَفَى به .

سؤال عبد العزيز له عن عشقه

وقيل : دخل نُصيْب على عبد العزيز بن مَرْوان ، فقال له عبدُ العزيز ، وقد طال الحَديثُ بينهما : هل عَشِقْتَ قطُّ ؟ قال : نعم ، أمَةٌ لبنى مُدْلِج . قال : فكنتَ تَصْنَعُ ماذا؟ قال : كانوا يحْرُسونها منّى فكنتُ أقْنَعُ بأن أراها فى الطّريق، فأُشيرُ إليها بعَيْنى أو بحاجبى . وفيها أقول :

وقفتُ لهـا كَيْما تَمُرَّ لعَلّني ... أُخالِسُها التّسْليمَ إنْ لم تُسَلِّمِ
فلمّا رأتْنى والوُشاةَ تحدّرَتْ ... مدامِعُها خوْفاً ولم تتَكلّمِ
مَساكِينُ أهلُ العِشْقِ ما كنتُ أشْترى ... جَميعَ حياةِ العاشقين بدِرْهَمِ

فقال له عبدُ العزيز : ما فَعلتْ ؟ قال : بِيعتْ فأولدها سيّدُها . قال : فهل فى نفسك منها شىء ؟ قال : نَعم ، عَقابيلُ[3] أحزان .

هو والنسوة الثلاث اللاتى كن يتناشدن فى المسجد الحرام

وذُكر أنه أتى نُصيب مكّةَ ، فقصد المسجدَ الحَرام ليلاً ، فبينما هو كذلك إذ طَلَعتْ ثلاثُ نِسْوةٍ فجلسْنَ قريباً منه ، وجعلن يتحدّثن ويتذاكَرْن الشّعر والشُّعراء ، فإذا هُنّ من أفصح النّساء وآدبِهنّ . قالتْ إحداهُنّ : قاتلَ اللهُ جَميلاً حيث يقول :

(١) الهوادى : الأعناق : وشكواها : شكوها . والصريف : صريف الأنياب : والنقى : مخ العظم : والشرائد : البقايا .
(٢) الراسمات : ذوات الرسم ، وهو ضرب من السير . والحوافد : المسرعات .
(٣) العقابيل : البقايا .

وبَيْنَ الصَّفَا والمَرْوَتيْن ذكرتُكم   بمُختلفٍ ما بَيْن ساعٍ [(١)] ومُوجِفِ
وعِنْد طَوَافِى قد ذَكَرْتُك ذُكْرَةً   هى الموتُ بل كادت على الموت تضْعُفُ

فقالت الأخرى : بل قاتل الله كُثيِّرعزَّة حيث يقول :

طَلَعْن علينا بين مَرْوَةَ والصَّفَا   يَمُرْنَ [(٢)] على البَطْحاءِ مَوْرَ السَّحائبِ
وكِدْنَ لعَمْرُ اللهِ يُحْدِثْنَ فِتْنَةً   لِمُخْتَشِعٍ من خَشْيَةِ اللهِ تائبِ

فقالت الأخرى : بل قاتَلَ الله نُصَيْباً ٱبْنَ الزَّانية ، حيث يقول :

أَلَامُ على لَيْلَى ولَوْ أَسْتَطيعُها   وحُرْمَةِ ما بين البَنِيَّةِ والسِّتْرِ
لَمِلْتُ إلى لَيْلَى بنفسىَ مَيْلَةً   ولو كان فى يَوْمِ التَّحَالُق والنَّحْر

فقام نُصيب إليهن فَسلَّمَ عليهن . فَرَدَدْن عليه السَّلام . فقال لهُنَّ : إنى رأيتُكُنَّ تتَجَارَيْنَ [(٣)] شيئاً عندى منه عِلْمٌ . فقُلْن : ومَن أنتَ ؟ قال : أَسْمَعْنَ أوّلاً . قُلْنَ : هاتِ . فأَنْشَدَهُنّ قصيدته التى أولها :

ويومَ ذى سَلَمٍ شاقَتْكَ نائحةٌ   وَرْقاءُ فى فَنَنٍ والرِّيحُ تضْطَرِبُ

فَقُلْنَ له : نَسْأَلك باللهِ وبحَقِّ هذا البَيْتِ ، مَنْ أنت ؟ قال : أنا ٱبنُ المظلومةِ المَقْذوفة بغَيْرِ جُرْم ، نُصَيب . فقُمْنَ إليه وسلَّمْنَ عليه ورَحَّبْنَ به . واْعْتَذَرت القائِلَةُ إليه ، وقالتْ : واللهِ ما أردتُ سُوءًا ، وإنما حَمَلَنى الاستحسانُ لقولك على ما سمعتَ . فضَحِك ، وجلس إليهنّ ، فحادَثَهنّ إلى أن ٱنْصَرَفْنَ .

---

(١) الصفا : مكان مرتفع من جبل أبى قبيس ، ومن وقف على الصفا كان بحذاء الحجر الأسود . والمروتان ، هو المروة : جبل مكة يعطف على الصفا . وقد ثناه الشعراء ، وهو واحد . وموجف : ، مسرع . يقال : وجف وأوجف ، إذا أسرع . وأوجف دابته : إذا حثها .

(٢) يمرن : يتمايلن جائيات ذاهبات .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « تتحادثن » . .

شعره الذى فيه الغناء

وشعر نُصيب الذى فيه الغناء :

أَهَاجَ هَواكَ المَنْزِلُ المُتقَادِمُ ... نَعَمْ وبه مِمَّن [١] شَجاكَ مَعَالِمُ

مَضارِبُ أَوْتَادٍ وأَشْعَثُ [٢] دَاثِرٌ ... مُقِيمٌ وسُفْعٌ فى المحَلِّ جَواثِمُ

---

(١) فى الأصل : « مما » .

(٢) الأشعث : الوتد . وداثر : قديم. والسفع : الأثافى قداسودت من النار. والجواثم : الراسية.

أخبار ابن مُحرز

اسمه ونسبه

أسْمه مُسْلم ؛ وقيـل : سَلْم ؛ وقيل : عبدُ الله . ويُكْنى أبا الخطَّاب . مَوْلَى بنى عَبْد الدّار بن قُصَىّ

وكان أبُوهُ من سَدَنَة [1] الكَعْبة ، وأصْلُه من الفُرْس . وكان أصْفَرَ أحْنَى [2] طويلاً .

نشأته

كان يَسْكُنُ المدينةَ مَرَّةً ومكّةَ مَرَّةً . فإذا أتَى المدينةَ أقامَ بها ثلاثةَ أشْهر يَتعلم الضَّرْبَ من عَزَّة المَيْلاء، ثم يَرجع إلى مكَّة فيُقيم بها ثلاثةَ أشْهر. ثم شَخَص إلى فارس وأخَذ غِناءَهم ، ثم صار إلى الشَّام فتعَلَّم ألْحَان الرُّوم وأخَذ غِناءَهم . فأسْقَط من ذلك ما لا يُسْتَحْسَن من نَغَم الفريقَيْن ، وأخذ محاسنَها ، فمَزَج بَعْضَها ببَعْضٍ ، وألَّف منها الأغانيَ التي صَنَعَها في أشْعار العَرَب ، فأتَى بما لم يُسْمَع مِثْلُه . وكان يقالُ له : صَنَّاج [3] العَرَب .

وكانتْ به عِلَّةُ الجُذَام . ولم يُعَاشِرْ الخُلفاء ولا خالَط النَّاسَ لأجل ذلك .

هو وحنين في العراق

وذُكر أنّه شَخَص يُريد العِراقَ، فلَقِيَه حُنَيْن فقال : غَنِّني صَوْتاً من غِنائِك . فغنّاه بقول ابن أبي رَبيعة :

وحُسْنُ الزَّبَرْجَدِ في نَظْمِه ... على واضِحِ اللِّيتِ [4] زانَ العُقُودَا
يُفَصِّل ياقُوتَه [5] نَظْمُه ... وكالجَمْرِ أبْصَرْتَ فيه [6] الفَرِيدا

---

(1) السدنة : خدام الكعبة ؛ الواحد : سادن . وكانت السدانة لبنى عبد الدار بن قصى بن كلاب ، فأقرها النبى صلى الله عليه وسلم فى الإسلام .

(2) أحنى : محدودب الظهر .

(3) الصناج : اللاعب بالصنج ، وهى آلة ذات أوطار ، مما اختص به العجم . والصنج عند العرب : صفيحة مدورة من الصفر يضرب بها على أخرى .

(4) الليت : صفحة العنق .

(5) فى بعض أصول الأغانى : « دره » .

(6) الفريد : الدر إذا نظم وفصل بغيره .

فقال له حُنَيْن : كم أَمَّلْتَ من أَهْلِ العِرَاق ؟ قال : أَلْفَ دِينار . فقال : هذه خَمْسمائة دِينار ، فخُذْها وانْصرف. ففَعل . فلمّا شَاع ما فَعل ، لامَه أَصْحَابُه عليه . فقال : والله لو دَخل العِراقَ لما كان لى معه خُبْزٌ آكُله ، ولاطَّرِحْتُ ثم سَقطتُ إلى آخر الدهر .

أخبار العَرْجىّ

اسمه ونسبه

هو عبدُ اللهِ بن عَمْرو[1] بن عَمْرو بن عُثمان بن عَفَّان بن أبى العَاصى بن أُميَّةَ ابن عَبْد شَمْس بن عبد مَناف .

وأُمُّ عفَّان وجميع بنى أبى العاصى آمِنَةُ بِنْتُ عبد العُزَّى بن حُرْثان بن عَوْف ابن عُبَيْـد بن عُوَيج بن عَدِىّ بن كَعْب بن لُؤَىّ . وأُمّ عثمان رضى الله عنـه أَرْوَى بِنْتُ كُرَيْز بن ربِيعةَ بن حَبِيب بن عبد شَمْس . وأُمُّها البَيْضاء أُمُّ حَكِيم بِنْتُ عبد المُطَّلِب بن هَاشِم بن عبد مَناف ، عمّةُ رسول اللهِ صلّى الله عليه وسلّم . وهى وعَبْـدُ اللهِ وأبو طالب إخْوَةٌ لِأَبٍ وأُمّ . وأُمّ عمرو بن عُثمان أُمّ أَبانَ بِنتُ جُنْدَب الدَّوْسِيَّة .

وكان أَبُوها جُنْدَب بن عَمْرو بن حُمَمة الدَّوْسىّ قَدِمَ المدينةَ مُهَاجِراً فى خِلافة عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، ثم مَضَى إلى الشّام وخَلّف ٱبْنَته أُمّ أَبَان عند عُمر ، وقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنْ وجدتَ لهـا كُفْئاً فزَوِّجْه بها ولو[2] بِشِراك نَعْـلِه . وإلّا فأَمْسِكْها حتى تُلْحِقها بدار قومها بالسَّراة[3] . فـكانتْ عندَ عُمر . وٱسْتُشْهِد أبوها ، فـكانَتْ تدعو عُمَر أباها ويَدْعوها ٱبْنَته . قال : فإنّ عُمر رضى الله عنـه يَوْماً على المِنْبر يُـكَلِّم النَّاسَ فى بعض الأَمر ، إذ خَطر على قَلْبه ذِكْرُها ، فقال : مَنْ له فى الجَمِيلة الحسيبة بنتِ جُنْدَب بن عَمْرو بن حُمَمة ، ولْيَعْلَم ٱمْرؤٌ مَنْ هو ؟ فقام عُثمانُ بن عَفّان رضى الله عنه فقال : أنا يا أمير المُؤمنين . فقال: أنتَ لَعَمْرُ الله ! كم سُقْتَ إليها ؟ قال : كذا ، وكذا . قال : قد زوَّجتُـكها . فعجِّلْه فإنّها مُعَدَّة . ونزل

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عبد الله بن عمر » . وكذا هو عند ياقوت فى معجم الأدباء .

(٢) شراك النعل : السير الذى على ظهر القدم . يضرب به المثل فى الشىء القليل التافه .

(٣) السراة : أعلى كل شىء ، وهى ثلاث ، وهى الجبال المطلة على تهامة مما يلى اليمن .

عن المِنْبَر. فجاء عُثمان رضى الله عنه بمَهْرِها . فأَخذه عُمر رضى الله عنه فى يَدَيْه ، ودَخل به عليها فقال : يا بُنيّة ، مُدِّى حِجْرك . ففتحت حِجْرَها ، فألْقَى فيه المالَ ، ثم قال لها : قُولِى : اللّهم بارِكْ لى فيه . قالتْ : وما هذا يا أَبتاه ؟ قال : مَهْرُك . فنَفَحت به[١] ، وقالت : واسَوْأتاه ! فقال : أحْتَبسى منه لنفسك ووسِّعِى منه لأَهلك . ثم قال لحفصة : أَصْلِحى من شأْنها ، وغَيِّرى بِزَّتَها[٢] ، وأَصْبُغى ثَوْبَها . ففعلتْ . ثم أَرسلها مع نِسْوة إلى عُثمان رضى الله عنه . ثم قال عُمر رضى الله عنه لمّا فارقَتْه : إنّها أَمانةٌ فى عُنُق أَخْشَى أن تَضيعَ بَيْنى و بين عُثْمان ! فلَحِقَهُنَّ ، فضَرب على عُثمان بابَه ، ثم قال : خُذْ أَهْلَك ، بارك الله لك فيهم . فدخلتْ على عُثْمان ، فأقام عندها مُقامًا طويلاً لا يَخْرُج إلّا لحاجةٍ . فدخل عليه سَعيدُ ابنُ العاصى فقال له : يا أبا عبد الله ، لقد أَقَمْتَ عند هذه الدَّوسيّة مُقاماً ما كنتَ تُقيمه عند النِّساء ! فقال : أَمَا إنّه ما بَقيتْ خَصْلةٌ كنتُ أُحِبُّ أن تكون فى اُمرأة إلّا صادفتُها فيها ، ما خلا خَصْلَةً واحدة . قال : وما هى ؟ قال : إنِّى رَجُلٌ قد دخلتُ فى السِّنّ ، وحاجتى فى النِّساء الوَلَدُ ، وأَحْسَبُها حَديثةً لا وَلَد فيها اليومَ . فتَبَسَّمتْ. فلمّا خَرج سَعيدٌ من عنده قال لهاعُثمانُ : ما أَضْحَكَكِ ؟ قالت: قد سَمِعْتُ قولَك فى الوَلَد ، و إنِّى لمن نِسْوة ما دخلت اُمرأةٌ منهن قَطُّ على سيِّد فرأت حَمْراء[٣] حتى تلد سيِّداً منه[٤] . قال : فما رأت حَمْراء حتى ولدتْ عمرَو ابن عُثمان .

---

(١) نفحت به : رمت به وردته .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « بدنها » . والبدن : شبه الدرع إلا أنه قصير .

(٣) تكنى عن الحيض .

(٤) العبارة فى بعض أصول الأغانى : « سيد من هو منه » . تريد : حتى تلد من يبذ فى المجد أباه ، أو سيد حيه و رهطه .

وأمّ عمرو بن عمرو بن عُثْمان أمُّ وَلَد. وأمُّ العَرْجىّ آمِنةُ بنت سعيد بن عُثْمان[١]، وأمّها أمّ وَلَد.

لقبه وسببه

وإنما لُقِّب: العَرْجىّ، لأنه كان يسكُن عَرْجَ الطائف[٢]. وقيل: بل سُمِّى بذلك لماء كان له بالعَرْج.

منزلته فى الشعر

وكان من شُعراء قُريش، ومَن شُهِر بالغَزل مِنها، ونَحا نَحْوَ ابن أبى رَبيعة فى ذلك وتَشبّه به وأجاد. وكان مَشْغُوفاً باللَّهْوِ والصَّيْدِ، حَريصاً عليهما، قَليلَ المُحَاشاة لأَحَدٍ فيهما[٣].

تشبيبه بجيداء

ولم يكن له نَبَاهَةٌ فى أَهْلِهِ. وكان أَشْقَرَ أَزْرق جَمِيلَ الوجه. وأكثر التَّشْبِيبَ فى جَيْداء، أُمِّ محمد بن هِشام بن إسماعيل المَخْزومىّ. وكان يَنْسُب بها ليفضح ابْنَها، لا لمَحَبّةٍ كانت بينهما. وكان ذلك سَبَبَ حَبْسِه وضَرْبِه، حتى مات فى السِّجْن.

بلاؤه مع مسلمة

وذُكِر أنّه كان من الفُرْسان المَعْدودين مع مَسْلَمة بن عبد الملك بأَرْض الرُّوم، وكان له معه بَلاءٌ حَسَنٌ ونَفَقةٌ كثيرة.

من كرمه

وقيل: إنّه باع أَمْوالاً عَظيمةً وأَطْعم ثَمنَها[٤] فى سَبيل الله، حتى نَفِدَ كلُّ ذلك. وكان قد اتّخذ غُلامَيْن، فإذا كان اللَّيْلُ نَصَبَ قُدُورَه وقام الغُلامان يُوقِدان، وإذا نام واحدٌ قام الآخرُ، ولا يزالُ كذلك حتى يُصْبِح. يقول: لَعلَّ طَارِقاً يَطْرُق.

شهادة حبشية له بأنه خلف لابن أبى ربيعة

وذُكِر أنّه كانت حَبَشيّةٌ من مُوَلَّدات مَكّة ظَرِيفَةٌ، صارت إلى المدينة، فلما أَتاهُم موتُ عمر بن أبى ربيعة اشْتدَّ جَزَعُها وجعلَت تبكى، وتقول: مَنْ

(١) هذه رواية. وفى رواية أخرى: «آمنة بنت عمر بن عثمان».

(٢) عرج الطائف: قرية جامعة فى واد من نواحى الطائف.

(٣) أى قليل المبالاة والاكتراث بأحد فيهما. (٤) فى الأصل: «منها».

لِمَكّةَ ولشِعَابها و بَطْحائها ونُزَهِها ، ووَصْفِ نِسَائها وحُسْنِهنّ وجَمالِهنّ ، ووصف ما فيها ! فقيل لها : خَفِّضِى عليك ، فقد نَشَأَ فتًى من ولد عُثْمان رضى الله عنه يأخذ مَأْخَذَه ويَسْلُك مَسْلَكه . فقالت : أَنشِدُونِى من شِعْره . فأَنشَدُوها . فقالت : الحمدُ لله الذى لم يُضَيِّع حَرَمَه ، ومَسحتْ عَيْنها .

هو وكلابة مولاة العبلى

وذُكر أن مَولاةً لثَقِيف، يُقالُ لها : كُلَابَة ، كانت عند عبد الله بن القاسم الأَمَوِىّ العَبْلِىّ ، وكان يَبْلُغها تَشْبِيبُ العَرْجِىّ بالنِّساء وذِكْره لهنّ فى شِعْره . فكانتْ كُلَابَةُ تُكْثِر أن تقول : لشدَّ ما اجترأَ العَرْجِىُّ على نِساء قُرَيش ! يَذْكُرُهُنّ فى شِعْره . ولعَمْرى ما لَقِىَ أحَدًا فيه خَيْرٌ ، ولئن لَقِيتُه لأُسَوِّدَنّ وَجْهه . فبلغه ذلك عنها . وكان العَبْلِىّ نازلاً على ماء لِبنى نَصْر بن مُعاوية ، يقالُ له : الفُتُق — وهو على ثلاثة أميالٍ من مكّة على طريق من جاء من نَجْران أو تبَالة إلى مكة ، والعَرْجُ أعلاها قليلاً مما يَلِى الطائف — فبلغ العَرْجِىَّ أنّه خرج إلى مَكّةَ . فأَتى قَصْرَه وطاف به ، فخرجتْ إليه كُلَابَةُ ، وكان خَلَّفَها فى أَهْلِه ، فصاحتْ به : إليكَ ، ويلكَ ! وجعلتْ ترْمِيه بالحِجارة فتَمْنَعه أن يَدْنُو من القَصْر . فاستَسقاها ماءً ، فأبتْ أن تَسْقِيَه ، وقالتْ : لا يُوجَد والله أثَرُك عندى أبدًا فيَلْصَقَ بى منك شرٌّ . فانصرف وقال: ستَعْلَمين ! وقال :

حُورٌ بَعَثْن رسُولاً فى مُلاطَفَةٍ ... ثَقْفًا إذا غَفَلَ النَّسَّاءَةُ [1] الوَهِمُ
إلىَّ أن إيتنا هَدْأً [2] إذا غَفَلت ... أحْرَاسُنا وافْتَضَحْنا إنْ هُمُ عَلِموا
فَجِئْتُ أَمْشِى عَلَى هَوْلٍ أُجَشِّمُه ... تَجَشُّمُ المَرْءِ هَوْلاً فى الهوى كَرَم
إذا تَخَوَّفْتُ من شَىْءٍ أقولُ له ... قَدْ جَفَّ فامْضِ بِشَىْءٍ قُدِّرَ القَلَم

(١) ثقفاً : حاذقاً فهماً . والنساءة : الكثير النسيان . والوهم : الكثير الوهم والسهو والغلط .

(٢) الهدء : الثلث الأول من الليل .

أَمْشِى كما حَرَّكَتْ رِيحٌ يمانيةٌ ... غُصْناً من البَان رَطْباً طَلَّه[١] الدِّيَمُ

فى حُلَّةٍ من طِرَاز السُّوسِ[٢] مُعْلَمَة ... أعفو بِهُدَّابِها ما أَثَّرَتْ قَدَمِ

خَلَّتْ سَبِيلِى كما خَلَّيْتُ ذا عُذَرٍ ... إذا رَأَتْه عِتَاقُ الخَيْلِ[٣] يَنْتَحِمِ

وَهُنَّ فى مَجْلِسٍ خالٍ وليس له ... عَيْنٌ عَلَيْهِنَّ أخشاها ولا نَدَم

حتى جَلَسْتُ إزاءَ الباب مُكْتَتِماً ... وطالبُ الحاجِ تحتَ الليل مُكْتَتِمِ

أَبْدَيْنَ لى أَعْيُناً نُجْلاً كما نَظَرَتْ ... أُدْمٌ هِجَانٌ أتاها مُصْعَبٌ[٤] قَطِمِ

قالت كُلابَةُ مَنْ هذا؟ فقلتُ لها ... أنا الذى أنتِ من أعدائه زَعَمُوا

أنا امرؤٌ جَدَّ بى حُبٌّ[٥] فأجْرَضَنِى ... حَتَّى بَليتُ وحَتَّى شَفَّنِى السَّقَم

لا تَكِلِينِى إلى قَوْمٍ لو أنَّهمُ ... من بُغْضِنا أُطْعِمُوا لَحْمِى إذاً طَعِمُوا

فأنعِمِى نِعْمَةً تُجْزَىْ بأحْسَنِها ... فطالما مَسَّنِى من أهلك النِّعَم

سَتْرُ المحِبِّين فى الدُّنيا لعلَّهمُ ... أن يُحدِثوا توبةً فيها إذا أَثِمُوا

هذى يمينىَ رَهْنٌ بالوفاء لكم ... فارْضَيْ بها ولأنفِ الكاشِحِ[٦] الرَّغَم

قالتْ رَضِيتُ ولكن جِئْتَ فى قَمَرٍ ... هَلَّا تَلَبَّثْتَ حتى تَدْخُلَ الظُّلَم

فَبِتُّ أُسْقَى بأكْوَاسٍ[٧] أُعَلُّ بها ... من باردٍ طابَ منها الطَّعْمُ[٨] والنَّسَم

حتى بَدَا ساطِعٌ للفجرِ تَحْسَبُه ... سَنَا حَرِيقٍ لنارٍ حين يَضْطَرِم

---

(١) طله : أمطره . والديم : الأمطار تدوم فى سكون بلا رعد وبرق ؛ الواحدة : ديمة .

(٢) السوس : بلد بخوزستان . ومعلمة : جعلت فيها علامة . وأعفو : أمحو .

(٣) العذر : جمع عذار ، وهو من الفرس كالعارض بالنسبة للإنسان . وتنتحم ، من النحيم ، وهو صوت يخرج من صدر الفرس كالزحير .

(٤) المصعب : الفحل الذى يودع من الركوب والعمل للفحلة . والقطم : المشتهى للضراب .

(٥) أجرضنى : أى أهمنى وأجهدنى .

(٦) الرغم ، مشددة الراء مع إسكان الغين ، وحركت للشعر : الذل والعسر . والأصل فيه أن يلتصق أنفه بالرغام ، وهو التراب .

(٧) أكواس : جمع لكأس ، لم تذكره كتب اللغة .

(٨) النسم : الريح الطيبة . والذى فى الأصل : «والشبم» .

كغُرَّةِ الفَرَسِ المَنْسُوبِ قد حُسِرَتْ عنــه الجِلَالُ تَـلَالَا وهو[1] يلْتَجم
وَدَّعْتُهنَّ ولا شَىْءَ يُرَاجِعُنى إلّا البنَـانُ و إلّا الأَعْيُنُ[2] السُّجُم
إذا أَرَدْنَ كَلامِى عِنْـدَها اعْتَرَضَتْ من دونها[3] عَبَرَاتٌ فانْثَنَى الكَلِم
تَـكَادُ إذْ رُمْنَ نَهْضًا لِلْقِيَام مَعى أَعْجَازُهنّ مع الأَنْصَـافِ تَنْقَصِم

فسمع ابنُ القاسم العَبْلِىُّ بالشِّعْر يُغنَّى به، وكان العَرْجِىّ قد أَعطاه جَماعةً من المُغنِّين وسألهم أن يُغنُّوا به . فصنعوا فى أبياتٍ منــه عِدَّةَ أَلْحانٍ ، وقال : والله لا أَجِدُ لهذه الأَمةِ شيئاً أَبْلَغَ من إيقاعِها تَحْتَ التُّهَمَة عنـد ابن القاسم ليقطع مأْكَلَتها من ماله . فلما سَمِعَ العَبْلىُّ بالشِّعْر يُغنَّى به ، أَخْرَجَ كُلَابَةَ وأَتْهمها ، ثم أَرسل بها بَعْد زَمَانٍ على بَعِير بين غِرَارَتى بَعْرٍ ، وأَحْلَفها بَيْنَ الرُّكْنِ والمَقَام أَنّ العَرجِىّ كَذَب فيما قاله . فَحَلَفَتْ سَبْعِينَ يَميناً . فرضى عنها وردَّها . فـكان بَعْد ذلك إذا سَمِع قول العَرْجىّ :

* فطالما مَسَّنِى من أَهْلِك النِّعَمُ *

قال : كذب والله ! ما مَسَّه ذلك منَّا قط .

وقيل : إن صاحبَ [القَصيدة] والقصة أبو جِراب[4] العَبْلِىّ ، وأَنّ كُلَابَةَ كانت أَمَةً لِسُعْدَةَ بِنْت عبد اللهِ بن عمرو بن عُثْمان بن عَفّان ، وأنّ العَرْجى كان قد خَطَبَها وسُمِّيَتْ به ،[5] ثم خَطَبَها يزيدُ بن عبد الملك ، أو الوليدُ بن يزيد ، فتزَوَّجَتْه ، فقال العرجىّ هذا الشِّعر فيها .

---

(١) المنسوب : الأصيل الكريم . وحسرت : كشفت . والجلال : جمع جل ، وهو ما تلبسه الدابة لتصان به . ويلتجم : قد ألبس اللجام . تقول : ألجمت الفرس ، فالتجم .

(٢) السجم : السائلة بالدموع ؛ الواحدة : سجوم .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « عنده .... من دونه ... »

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « أبو حراب » .

(٥) أى عرف عند الناس أنها خطيبته .

وأبو جرابٍ العَبْلِىّ ، هو محمد بن عبد اللهِ بن محمد بن عبد اللهِ بن الحارث ابن أُمَيَّة الأَصْغر بن عَبْد شَمْس .

مسلمة وأيوب وأشعب فى شعر للعرجى

وذَكر مَسلمة بن إبراهيم بن هِشام قال :

كنْتُ عند أيّوب[1] بن مَسْلمة ومَعَنا أَشْعب ، فذكرنا قَولَ العَرْجىّ :

أَيْنَ ما قُلْتِ مِتُّ قَبْلَكَ أينا   أينَ تَصْديقُ ما عَهِدتِ إلينْاَ
فَلَقَد خِفْتُ منك أن تَصْرِمِى الحَبْلَ وأَن تجْمَعى مع الصَّرْم بَيْنا
ما تقولين فى فَتًى هَام إذ ها   مَ بمن لا يُنَالُ جَهْلا وحَيْنا
فاجْعَلِى بَيننا وبَيْنَكِ عَدْلاً   لا تَحِيفى ولا يَحِيفُ عَلينا
واْعلمى أنّ فى القَضَاء شُهُوداً   ويَميناً فأَحْضِرِى شاهِدَيْنا
خُلقى لو قدرتُ منكِ على ما   قُلْتِ لى فى الخَلاء حين التقَيْنا
ما تَحَرَّجْتُ من دَمِى عَلِم اللـه ولو كُنْتُ قد شَهِدْتُ حُنَيْنا

فقال أيّوب[2] لأَشعب : ماتَظُنُّها وَعدَتْه ؟ قال: أُخْبرُك يَقيناً لاظَنًّا ، وعدتْه أن تَأْتيه فى شِعْبٍ من شِعَاب العَرْج فى يوم الجُمُعَة ، إذا نَزَل الرِّجَالُ إلى الطائف للصَّلاة ، فعَرَض عارضُ شُغْل فقطعها عن موعده . قال : فمَن كان الشاهدان ؟ قال : كُسَيرٌ وعُوَير ، وكلٌّ غَيْر خير[3] : فِنْدٌ أبو زَيْدٍ ، مولى عائشة بنت سَعْدٍ ، وزر الفرق[4] مولى الأنصار . قال : فمن الحَكَم ؟ قال خُضير :[5] ابن غُرَير الحِمْيرى . قال : فما حَكَم به ؟ قال . أَدَّتْ إليه حقه فسَقطَتْ المُؤونَة عنه . قال : يا أَشْعَبُ ، لقد أَحْكَمْتَ صِناعتك ! قال : سَلْ عَلّامَةً عن عِلْمه .

(١) فى الأصل : « أبى أيوب » .   (٢) فى الأصل : « أبو أيوب » .

(٣) كسير وعوير : جبلان يشرفان على أقصى بحر عمان ، صعبا المسلك وعرا المصعد ، يضرب بهما المثل فيما لا خير عنده . والمثل فى الأمثال : «كسير وعوير وثالث ليس فيه خير . »

(٤) كذا فى الأصل ومعاهد التنصيص (ص ٣٢١ بلاق) . وفى بعض أصول الأغانى : « وزور الفرق » .

(٥) فى بعض أصول الأغانى : « حصين » .

هو وعاتكة زوجة طريح

وقال العَرْجىّ فى امرأةٍ من بنى حَبيب: بَطْنٍ من بنى نَصْرِ بن مُعاوية، يُقال لها: عاتكة، زوجة طُرَيح بن إسماعيل الثَّقفى الشاعر:

يا دار عاتِكَةَ التى بالأَزْهـرِ أو فوقه بقفَا الـكَثيب الأَحْمَرِ
لم ألق أهلَكِ بعـــد عامَ لَقيتهُم يا ليتَ أنّ لِقـــاءهم لم يُقْـدَرِ
بفِنـاء بَيْتِك وابْنُ مِشْعَبَ حاضِرٌ فى سامِرٍ[1] عطِرٍ وليـــل مُقْمِرِ
مُسْتَشْعِرِينَ مَلاحِفًا[2] هَرَوِيَّةً بالزَّعْفَران صِباغُهـــا والعُصْفُرُ
فتلازَما عنـــد الفِراقِ صَبَابَةً أَخْـذَ الغَرِيم بِفَضْلِ ثَوْب المُعْسِرِ

الأزهر: على ثلاثة أميالٍ من الطائف. وابن مِشْعَب: مُغَنٍّ من أهل مَكّة.

قصة له مع جارية

وذُكر أنّ العَرْجى وَاعَدَ هَوًى[3] له شِعْباً من شِعَاب عَرْج الطائف إذا نزل رِجالُها يوم الجُمُعَة إلى مَسجد الطائف. فجاءت على أتَان لها ومعها جارية، وجاء [العرجىّ] على حمار له ومعه غُلام له. فواقع المرأة، وواقع الغلامُ الجارية، ونزا الحمار على الأتان. فقال العرجى: هذا يوم غاب عُذّاله.

يوماه

وقيل: كان العرجىّ يَسْتَقِى على إبِلِه فى شَمْلَتَين[4]، ثم يغتَسل ويَلْبَس حُلّتين بخَمْسمائة [دينار]، ثم يقول:

يوماً لأَصْحَابى ويَوْماً لِلْمَـالْ مِدْرَعَةٌ يَوْماً ويَوْماً سِربَالْ[5]

من كرمه أيضاً

وذُكر أنّ العَرْجى كان غازياً، فأصَابَت النـاسَ مَجاعةٌ، فقال للتُّجّـار: أعطوا الناس وعَلَىّ ما تُعطُون. فلم يزَلْ يُعْطِيهم ويُطْعِم النـاسَ حتى أَخْصَبوا. فبلغ ذلك عشرين ألفَ دينارٍ. فأَلْزمها العرجىُّ نَفْسَه. و بلغ الخَبرُ عُمَرَ بن العزيز رضى الله عنه، فقال: بيتُ المالِ أَحَقُّ بهذا. فقَضَى التُّجَّارَ ذلك من بيتِ المال.

(١) السامر: مجلس السمار.
(٢) مستشعرين: لابسين. والملاحف: ما يلتحف به. وفى الأصل: «ملاءة».
(٣) هوى: أى محبوبة.
(٤) المشملة: مئزر يؤتزر به، من صوف أو وبر.
(٥) المدرعة: ضرب من الثياب. وقيل: جبة مشقوقة المقدم. والسربال: القميص.

هو وأم الأوقص

وذُكر أنّ العَرْجيّ خَرج إلى جَنَبات[١] الطائف مُتنزِّهًا ، فمرَّ ببَطْن النَّقيع[٢] ، فنظر إلى أُمِّ الأَوْقص ، وهو محمدُ بن عبد الرحمن المَخزوميّ القاضى ، وكان يَتعرّض لهـا ، فإذا رأته رَمَتْ بنفسها وتَستَّرَت منـه — وهى امرأة من بنى تَميم — فبَصُر بها فى نِسوة جالِسةً ، وهن يتحدَّثْن ، فعرفهَا وأَحبَّ أنْ يتـأمَّلها من قُرْب ، فعَدل عنها ، ولَقِي أَعْرابيًّا من بنى نَصْر على بَكْر له ، ومعه[٣] وَطْبا لَـبَن ، فدفع إليـه دابتَّه وثِيَابَه ، وأَخَذَ قَعُودَه ولَبَنه ، ولَبِس ثِيابَه . ثم أقبـل فمَرَّ على النِّسْوة ، فَصِحْن به : يا أعرابىّ ، أمعك لَبَن ؟ قال : نعم . فمال إليهنّ ، وجَعل يتَـأَمَّلُ أُمَّ الأَوقص ، وتَواثَب مَن معهـا إلى الوَطْبَيْن ، وجَلَس العَرْجيُّ يَلْحظها و ينظُر أحياناً إلى الأرض ، كأنه يطلُب شيئاً ، وهُنّ يَشْربن اللَّبن . فقالت له امرأة منهنّ : أىَّ شىء تَطْلب يا أعرابىّ فى الأرض ؟ أضاع منك شىء ؟ قال : نعم ، قَلْبى . فلمّـا سمعتْ التَّميميَّة كلامَه نظرت إليـه ، وكان أَزْرَقَ ، فعرفتْه ، فقالت : العَرْجيُّ وربِّ الـكعبة ! ووثبتْ ، وسَـتَرها نِساؤُها ، وقُلْنَ له : انصرف عنَّا ولا حاجةَ بنا إلى لَبنك . فمضى مُنصرفاً ، وقال فى ذلك :

أَقولُ لصـاحِبيَّ ومِثْـلُ ما بِى ... شَـكَاهُ المرءُ ذو الوَجْـد الأَليمِ
إلى الأَخَوَيْنِ مِثلِهمـا إذا مَا ... تَـاوَّبه مُؤَرِّقَـةُ الهُمُـوم
لَحيْنِى والبَــلاءِ لَقيتُ ظُهْراً ... بأَعْلَى النَّقْع أُخْتَ بنى تَمِيم
فلمـا أن رَأَتْ عَيْنَاىَ مِنهـا ... أَسِـيلَ الخـدِّ فى خَلْقٍ[٤] عَمِيم
وعَيْنَىْ جُؤْذَرٍ خَرِقٍ[٥] وثَغْرًا ... كَلَوْنِ الأُقْحوانِ وجِيـدَ رِيم
حَنَـا أَتْرَابُهـا دُونى عليهـا ... حُنُوَّ العَـائدات على السَّقِيم

(١) جنبات الطائف : نواحيه ؛ الواحدة : جنبة .
(٢) النقيع : موضع قرب مكة بجنبات الطائف .
(٣) الوطب : سقاء اللبن .
(٤) عميم : تام .
(٥) خرق : دهش مفزع .

فقال رجل من بنى جُمَح لابنها الأوقص ، وقضى عليه بقضيَّة فتظلّم منه : والله لو كنتُ أنا عبدَ الله بن عَمرو العَرْجىّ لكنتَ أسْرفتَ عَلَىَّ ! فضربه [الأوقص] سَبْعين سَوْطاً .

قوله أبى السائب بشعره

وذكر بَعْضُهم قال :

أتانى أبو السّائب المَخزومىّ لَيْلَةً بعد ما رَقَدَ السَّامِرُ ، فأشرفْتُ عليه ، فقال : سَهِرْتُ وذكرْتُ أخاً لى أسْتَمْتِع به ، فلم أجِدْ سواكَ ، فلو مَضَيْنا إلى العَقيق فتَنَاشَدْنا وتحدَّثنا ! فمضَيْنا . فأنشدتُه قولَ العَرْجىّ :

باتَا بأنْعَم ليلةٍ حتّى بَدَا ... صُبْحٌ تَلَوَّح كالأغرِّ الأشْقَرِ
فتلازما عِنْدَ الفِراق صَبَابَةً ... أخْذَ الغَرِيم بِفَضْلِ ثَوْبِ المُعْسِرِ

فقال : أعِدْه علىّ . فأعدتُه . فقال : أحسنَ واللهِ ! امْرأتُه طَالِقٌ إنْ نَطَق بحَرْفٍ غَيْرِه حتى يَرْجِعَ إلى بَيْته . قال : فلقينا عبدَ الله بن حَسن بن حَسن ، فلمّا صِرْنا إليه وَقَف بنا ، وهو مُنْصَرِف من ماله يُريد المدينةَ ، فسلَّم ثم قال : كيف أنت يا أبا السَّائِب ! فقال له :

فَتَلازَمَا عند الفِراقِ صَبَابةً ... أخْذَ الغَرِيم بِفَضْلِ ثَوْبِ المُعْسِرِ

فالتفت إلىّ فقال : متى أنكرتَ صاحبك ؟ فقلت : منذ الليلة. فقال: إنّا لله ! وأىُّ كَهْل أصيبت منه قُرَيش ! ثم مضينا فلقينا محمد بنَ عِمْرانَ التَّيمىّ ، قاضى المدينة ، يريد مالاً له على بغلة له ، ومعه غُلام على عُنقه مخلاةٌ فيها قَيدُ البغلة . فسلّم ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال :

فتلازما عند الفراق صبابةً ... أخذَ الغريم بفضل ثوب المُعسرِ

فالتفت إلىّ فقال : متى أنكرتَ صاحِبك ؟ قلتُ : آنِفاً . فلمّا أراد المُضِىَّ قُلتُ : أفَتَدَعُه هكذا ؟ والله ما آمَنُ أنْ يَتَهَوَّر (١) فى بَعْضِ آبار العَقِيق . قال : صدقتَ ، يا غُلام ، قَيْدَ البغلة . فأخَذَ القَيْدَ فوضَعَه فى رِجْله ، وهو يُنْشِد

(١) يتهور : يسقط .

البَيْتَ ويُشيرُ بيده إليه ، يُرى أنّه يفهم قصّته . ثم نزل الشّيخُ وقال لِغلامه : يا غُلام ، أحْمِلْه على بَغْلَتى وألْحِقْه بأهْله . فلما كان بحَيْثُ عَلِمْتُ أنه قد فاته ، أخْبَرْتُه بخَبَره ، فقال : قبحكَ اللهُ ماجِناً ! فَضَحْتَ رَجُلاً من قُريش وغرَرْتَنى .

تزوجه لأم عثمان

وقيل : تَزَوَّجَ العَرْجِىُّ أُمَّ عثمان بنتَ بُكَير بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، وأُمّها سُكَيْنة بنت مُصْعب بن الزُّبير بن العوّام ، فقال فيها :

إنَّ عُثْمانَ والزُّبير أحَلَّا دارَها باليَفَاعِ[1] إذ وَلَداها
إنّها بِنْتُ كلِّ أبيَضَ[2] قَرْمٍ نالَ فى المَجْدِ من قُصَىٍّ ذُرَاها
سَكَن النّاسُ بالظَّواهر منها وَتَبَوَّى[3] لِنَفْسِه[4] بَطْحَاها

ولما تزوّج الرَّشيدُ زَوْجته العُثْمانيَّة أُعْجِبَ بها ، فكان كثيراً ما يتمثّل بهذه الأبيات .

ابن عمر مع امرأة فى الحج نسب بها العرجى

وذكر عبدُ[5] الله بن عُمر العُمَرِىّ قال :

خَرجْتُ حاجًّا فرأيتُ امرأةً جميلةً تتكلّم بِكلام أرْفَثَتْ فيه ، فأدْنَيْتُ ناقتى منها ثم قلت لها : أيا أَمَةَ الله ، ألستِ حاجّةً ؟ أما تخافين الله ؟ فسفَرَتْ عن [وَجْه] يَبْهَر الشَّمْسَ حُسْناً ، ثم قالت : تأمّل ياعمّ ، فإنّنى ممّن عَنَاهُ العرجيّ بقوله :

أماطَتْ كِساء الخزّ عن حُرّ وَجْهِها وأدْنتْ على الخدَّيْن بُرْدًا مُهَلْهَلا
من اللّاءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً ولكنْ لِيَقْتُلْنَ البَرِىء المُغَفَّلا

قال : فقلتُ لها : فإنى أسْأل الله ألّا يُعَذِّبَ هذا الوَجْهَ بالنّار .

---

(١) اليفاع : ما أشرف من الأرض والجبل .
(٢) القرم من الرجال : السيد المعظم .
(٣) وتبوى ، أى وتبوأ ، فسهل .
(٤) الظواهر : خارج مكة . وبطحاء مكة : شعبها الذى بين أخشبيها . وأكرم قريش من نزل البطحاء .
(٥) فى الأصل : « عبيد الله » .

وَ بَلَغَ ذلك سعيدَ بن المسَيّب رحمه الله ، فقال : أَمَا والله لو كان من بعض بُغَضاء العِراق لقال لها : أعزُبى قبحك الله ! ولكنّه ظَرْفُ عُبَّاد أهلِ الحجاز .

هو ومحمد بن هشام

وقيل : كان محمّد بن هِشام بن إسماعيل المخزومىّ ، خالَ هشام بن عبد الملك ، فلمّا ولى هِشَامٌ الخلافة ولّاه [مكة] ، وكتبَ إليه أن يَحُجَّ بالناس . فهجاه العَرْجىّ بأشعار كثيرة ، منها قولُه فيه :

كأنَّ العَامَ ليس بعام حَجٍّ ... تغَيَّرت المَواسِمُ والشُّكُولُ
إلى جَيْداء[1] قد بعَثُوا رَسُولاً ... لِيُخبِرَها[2] فلاَ صُحِبَ الرَّسُول

ومنها قولُه فيه :

ألا قُلْ لِمَنْ أَمْسَى بمكَّةَ قاطِناً ... وَمَنْ جاءَ من عَمْقٍ ونَقْبِ[3] الْمُشَلَّلِ
دَعُوا الحجَّ لا تَسْتَهْلِكُوا نفقَاتِكم ... فما حَجُّ هذا العام بالمُتقبَّل
وكيف يزَكَّى حَجُّ من لم يَكُنْ له ... إمامٌ لَدَى تَجْميره غَيْرُ[4] دُلْدل
يَظَلُّ يُرَائى بالصِّيام نَهَارَه ... وَيَلْبَسُ فى الظَّلْمَاء سِمْطَىْ[5] قَرَنْفُل

فلم يزل محمدٌ يطلب عليه العِلَلَ ، حتى وجدها فحَبَسه .

وكان العَرْجىّ شَبَّبَ بأُم محمّد بن هشام هذا ، وهى من بنى الحارث بن كَعْب . فمِمَّا قاله فيها قولُه :

عُوجِى علينا رَبّةَ الهَوْدجِ ... إنّك إنْ لا تَفْعَلِى تَحْرَجِى
إنّى أُتيحتْ لى يمانيّةٌ ... إحْدَى بنى الحارث مِنْ مَذْحِجِ
نَلبثُ حَوْلاً كامِلاً كلَّه ... ما نَلْتَقِى إلّا على مَنْهَجِ

(١) هى جيداء بنت عفيف ، أم محمد بن هشام المخزومى .

(٢) فى الأصل : « ليحزنها » .

(٣) عمق : من أودية الطائف . والمشلل : جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر . والنقب : الطريق فى الجبل .

(٤) التجمير : رمى الجمار . والدلدل : شبه القنفذ ، وأكثر ما يظهر بالليل . شبهه به لمواربته وتخفيه فيما يأتى .

(٥) السمط : الخيط ما دام فيه الخرز ، وإلا فهو سلك .

فى الحَجِّ إنْ حَجَّتْ وماذا مِنًى ... وأَهْلُه إنْ هِىَ لَمْ تَحْجُجِ
أَيْسَرُ ما نال مُحِبٌّ لَدَى ... بَيْنِ حَبيبٍ قَوْلُه عَرِّجِ
نَقْضِ إليكُمْ حاجَةً أو نَقُلْ ... هل لِىَ مِمَّا بِىَ مِنْ مَخْرَجِ

بين ابن سريج وعطاء وقد غناه بشعر للعرجى

قيل : لقى ابنُ سُرَيج عَطاءً رحمه الله ، وهو راكبٌ على بغلته ، فقال له : سألتُك بالله إلّا وَقَفْتَ حتى أُسْمِعك شيئاً . فقال : ويْحَك ! دَعْنى فإنّى عَجِلٌ . فقال : امْرَأتُه طَالِقٌ لئن لم تَقِفْ مُختاراً للوُقوف لأُمْسِكَنّ لجَام بغْلتك ، ثم لا أُفارقُها ولو قُطِعَتْ يدى حتى أُغنِّيكَ وأَرْفَعَ صوتى لا أُسِرُّه . فقال : هاتِ وعَجِّل . فغنّاه :

فى الحَجِّ إن حَجَّت وماذا مِنًى ... وأَهْلُه إنْ هِىَ لَمْ تَحْجُجِ

فقال عطاء : الخيرُ كلُّه بِمِنًى ، لاسيّما وقد غَيَّبها اللهُ عزَّ وجلّ عن مَشاعِره . خَلِّ سَبِيلَ البَغْلَة .

من تشبيبه أيضاً بجبرة زوجة ابن هشام

وقال العَرْجى يُشبِّب أيضاً بزوجة محمد بن هِشام المخزومية، واسمها جَبْرة :

عُوجِى عَلَىَّ فسلِّمى جَبْرُ ... فِيمَ الوُقُوفُ وأَنْتم سَفْرُ
ما نَلْتَقِى إلّا ثلاثَ مِنًى ... حتى يُفرِّقَ بَيْنَنا النفر
الحَوْلُ بعد الحَوْلِ يَتْبَعُه ... ما الدَّهْرُ إلّا الحَوْلُ والشَّهر

ابن هشام وأمه

وذُكر أنّ محمد بن هشام كان يقول لأُمّه جَيْداء : أنت غَضَضْتِ مِنِّى بأنّكِ أُمِّى وأَهْلَكْتِنى وقتلتِنى ! فتقول له : ويْحَكَ ! وكَيْفَ ذاك ؟ قال : لو كانت أُمِّى من قُرَيش ما وَلِىَ الخِلافَةَ غَيْرِى .

موجدة ابن هشام على العرجى

ولم يزل محمدُ بن هشام مُضْطغناً على العَرْجىّ من هذه الأشعار التى يقولها فيه ، مُتطلِّباً سَبِيلًا عليه ، حتى وجده فيه ، فأَخذه فقيَّده وضَربه وأَقامه للناس ،

ثم حبَسَه ، وأقسم ألّا يَخْرُج من الحبْس ما دام له سُلطان . فمكث فى حبْسِه نحْوًا من تسْعِ سِنين ، حتى مات فيه .

وكان السَّبب الذى وجَدَه محمدٌ — على ما ذُكر — أنّ العَرْجى[1] لَاحَى مولًى كان لأبيه. فأمضَّه[2] العَرْجىّ، فأجابه المَولى بِمِثْل ما قاله له . فأمْهَلَه ، حتى إذا كان اللَّيْلُ أتاه مع جماعة من مَواليه وعَبيده ، فهَجَم عليه فى مَنزله وأخذه وأوْثقه كِتَافًا[3] ، ثم أَمَرَ عَبيده أن يَنْكِحُوا امرأته بين يديه ، ففعَلُوا ، ثم قَتلَه وأحرقه بالنَّار . فاستعْدَتْ امرأتُه على العَرْجىّ محمدَ بن هِشَام ، فحَبسه .

وقيل : بل كان العَرْجى وكَّلَ بحُرَمه مولًى له يقوم مَقامه بأُمُورِهنّ . فبلغه أنه يُخالف إليهنّ . فلم يزل يَرْصُده حتى وجده يُحَدِّث بعضَهنّ ، فقَتله وأحرقه بالنَّار . فاستعدتْ امرأتُه عليه محمدَ بن هشام ، فحَبسه .

وذُكر أنّ العرجىّ لمّا شَتم مولاه هذا ، كان أشْعَبُ حاضراً ، وأنّ العَرْجى أطال شَتْمَ مولاه ، فلما أكْثَر ، ردَّ المولى عليه ، فاختلط[4] العَرْجىّ من ذلك ، وقال لأشعب : أشْهد على ما سمعتَ . قال أشعب : وعَلامَ أشْهَدُ ! قد شتَمْتَه ألْفاً وشَتَمَكَ واحدة . والله لو أن أُمّك أُمّ الكتاب وأُمّه حَمّالة الحطَب مازاد على هذا!

وقيل : لمّا أخذ محمدُ بن هشام العَرْجىّ ، وأخذ معه الحُصَين بن غُرَير الحِمْيرىّ ، فجلدهما وصَبَّ على رُءوسهما الزَّيتَ ، وأقامهما فى الشمس بمكة . فجعل العَرْجى يُنْشد :

---

(١) لاحى : خاصم وشاتم .

(١) أمضه : أوجعه وآلمه .

(٣) الكتاف : الوثاق ، وهو الحبل يوثق به .

(٤) اختلط : أى غضب غضباً شديداً حتى كأنه فسد عقله .

سَيَنْصُرُنِى الخليفةُ بعد ربِّى ... ويَغضَب حين يُخْبَر عن مَساقِى
علىّ عَباءةٌ بَلْقاءُ[١] ليستْ ... مع البَلْوى تُغَيِّب نِصْفَ ساقِى
وتَغْضَب لى بأَجمعها قُصَىٌّ ... قَطِينُ البَيْتِ والدُّمْثِ[٢] الرِّقاقِ

ثم يَصيحُ : ياغُرير ، أجياد[٣] ! يا غُرير ، أَجْياد ! فيقول له الحِمْيرىّ المَجْلود معه : ألا تَدَعنا ! ألا ترى ما نحن فيه من البَلاء ؟

يعنى بقوله « يا غرير » الُحصينَ بن غُرير ، المَجلود معه . وكان صديقاً للعَرْجىّ وخليطاً . و بقوله « أجياد » بنى مَخْزوم ، لأن أَجياد مسكنُهم . يُعَيِّرهم بأنهم لَيْسوا من أهل الأبطح .

ومن هذه الأَبيات :

وكَمْ من كاعِبٍ حَوْراءَ بِكْرٍ ... أَلُوفِ السِّتْرِ واضحةِ التَّراقِى[٤]
بَكَتْ جَزَعاً وقد سُمِرَتْ كُبُولى ... وجَامِعَةٌ[٥] يُشَدّ بها خِناقى

وذُكر أنه اُجتمع النّاسُ للنَّظر إليه و إلى ابن غُرير ، وقد جُلِدا وحُلِقا وصُبَّ الزَّيتُ على رءوسهما وأُلْبِسا عَباءتَيْن . فَمرَّ بهما رَجُلٌ كان صَدِيقاً للعَرْجىّ ، وكان فَأْفاءً ، فوَقف عليه، فأَراد أن يتوجَّع لما ناله و يدعُو له ، فلَجْلج ، لِما كان فى لسانه ، كما يفعل الفأفاء . فقال له العَرْجىّ : لا خَرجتْ من فيك أبداً ! فقال له الرجل : فكانك إذًا لا بَرِحْتَ فيه أبدًا .

ومَرّ به صِبْيانٌ يَلْقُطون النّوى ، فوَقَفُوا ينظُرُون إليه ، فالتَفت اُبن غُرير

---

(١) بلقاء : سوداء بيضاء .
(٢) الدمث : الأراضى السهلة اللينة ؛ الواحدة : دمثاء .
(٣) أجياد : موضع بمكة مما يلى الصفا.
(٤) التراقى : جمع ترقوة ، وهى مقدم الحلق فى أعلى الصدر .
(٥) سمرت : شدت . والكبول : القيود ؛ الواحد : كبل . والجامعة : الغل .

وقال : ما أَعْرِفُ فى الدُّنيا شَيْخين أَشْأَم منِّى ومِنْك ! إنّ هؤلاء الصِّبيان لأَهلِهم عليهم فى كلِّ يوم ، على كلِّ واحدٍ منهم مُدُّ نوًى ، فقد تركوا لَقْطَهم للنَّوى ووَقَفُوا ينْظُرون إلىّ وإليك ، ويَنْصرفون بغير شيء ، فيُضربون ، فيكونُ شُؤْمنا قد لحِقَهم .

للعرجى فى حبسه

وقال [العرجى فى حَبْسه] :

أَضَاعُونى وأَىَّ فَتًى أضاعُوا ... لِيَوْمِ كَرِيهةٍ[1] وسِدَادِ ثَغْرِ

وصَبْرٍ عند مُعْتَرَكِ المَنايا ... وقد شُرِعَتْ أَسِنَّتُها بنَحْرِى

أُجَرَّرُ فى الجوامع كُلَّ يَوْمٍ ... فيالله مَظْلِمَتِى[2] وصَبْرى

كأنِّى لم أَكُنْ فيهم[3] وَسِيطاً ... ولم تَكُ نِسْبَتِى فى آل عَمْرِو

أبو حنيفة وجار له كان يتغنى فى سكره بشعر للعرجى

وذُكر أنّه كان لأبى حَنيفة جَارٌ بالكوفة يُغَنِّى ، فإذا انصرف وقد سَكِر تَغَنَّى فى غرفته ، فيسمعه أبو حنيفة فيُعجبه ، وكان يُكْثر أن يُغنِّى :

أضاعُونى وأىَّ فَتًى أضاعُوا ... ليوم كريهة وسِدَادِ ثَغْرِ

فلقيه العَسَسُ ليلةً وأَخَذُوه وحُبِس ، ففَقَد أبو حنيفة صَوْتَه ، وسأل عنه من غَدٍ ، فأُخْبِرَ . فدعا بِسَواده وطَويلته[4] فلبسهما وركب إلى عيسى بن مُوسى ، فقال : إنّ لى جاراً أخذه العَسس البارحةَ وحُبس ، وما علمتُ منه إلّا خيْرًا . فقال عيسى : سَلِّمُوا إلى أبى حنيفة كُلَّ من أَخَذَه العَسس البارحة. فأُطْلِقُوا جميعاً. فلما خَرج الفتى ، دعا به أبو حنيفة رحمه الله ، ثم قال له سرًّا : ألستَ كُنْتَ تُغَنِّى :

* أَضَاعُونى وأىّ فَتًى أضاعُوا *

---

(١) سداد الثغر : ما يسد به من رجال وعدة .

(٢) الجوامع : جمع جامعة ، وهى الغل . والمظلمة : الظلم .

(٣) وسيطاً : أى أوسطهم نسباً وأرفعهم مجداً .

(٤) السواد : شعار لبنى العباس ، وكان أشياعهم يرتدونه . والطويلة : قلنسوة عالية .

فهل أضعناك ؟ فقال : لا والله أيها القاضى ، ولكن أحسنت وتكرّمت ، أحسن الله جزاءك . قال : فعُد إلى ما كنتَ تُغَنِّيه ، فإنى كنتُ آنسُ به ، ولم أرَ به بأساً . قال : أفعلَ .

المنصور وعمه عبدالله حين تمثل بشعر العرجى فى حبسه

وقيل : لمّا حبسَ المَنْصُورُ عبدَ الله بن علىّ عَمَّه ، كان كثيرَ[1] التمثُّل بقول العَرْجىّ :

أضاعُونى وأىّ فَتًى أضاعُوا ليوم كريهةٍ وسِدادِ ثغرِ

فبلغ ذلك المنصورَ ، فقال : هو أضاع نفسه بسوء فِعْله ، فكانت أنفُسُنا آثرَ عندنا من نفسه .

للمؤلف فى مقتل عبدالله عم المنصور

— قلت : كان عبد الله بن علىّ بن عبد الله بن العبَّاس هذا خَرج على ابن أخيه المنصور ، واستولى على الشَّام ، ودعا إلى نفسه بالخلافة . فسَيَّر إليه المنصورُ الجنودَ مع أبى مُسلم صاحب الدَّعوة ، فهزَمَهُ وَفلّ جُيُوشه ، فهرب عبدُ الله إلى البصرة واستترَ بها ، حتى أُخِذَ له الأَمان من المَنصور ، وحَلَف له بأغلظ الأَيمان أنّه لا يَهيجُه . فجاء إليه ، فحَبسه فى بيت وجعل أَسَاسَه مِلْحاً ، ثم صَبَّ عليه الماءَ حتى ذابَ المِلْحُ ، فتداعى البيتُ وسَقَط على عبد الله فقَتَله —

الأصمعى وكناس يغنى ببيت للعرجى

وذَكرَ الأَصمعىُّ قال : مررت بكنَّاس بالبصرة يكنُس كَنيفاً وهو يغَنِّى :

أضاعُونى وأىَّ فَتًى أضاعُوا ليوم كريهةٍ وسِداد ثغْرِ

فقلتُ له : أمّا سِداد الكنِيف فأنت مَلِىء به[2] ، وأما الثغرُ فلاعِلْم لنا بك ، كيف أنت فيه ؟ وكنتُ حديثَ السِّنّ وأَردتُ العَبثَ به . فأَعْرض عنِّى مَليًّا ، ثم أقْبل فأَنْشَد مُتمثِّلاً :

وأُكرم نَفسى إنّنى إنْ أهنتُها وحَقِّك لم تكْرُمْ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِى

فقلتُ له : والله ما يكونُ من الهَوان شىءٌ أكثرُ مما بذلتَها له ! فبأىّ شىء

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يكثر » .   (٢) ملىء به : مضطلع به .

أكرمتها ؟ قال : بلى والله ! إنّ من الهوان لشرًّا ممّا أنا فيه . فقلتُ : وما هو ؟ فقال : الحاجَةُ إليك و إلى أمثالك من النّاس . فانصرفتُ عنه أخْزَى الناس .

تنكيل الوليد بمحمد ابن هشام وأخيه وخالد القسرى

وذُكِرَ أنّ الوَليد بن يزيد بن عبد الملك كان مُضْطغناً على محمد بن هشام لأشياء كانت تبلُغه عنه فى حياة هشام ، فلمّا ولى الخلافَةَ قبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام وأُشْخِصَا إليه إلى الشّأم ، ثم دعَا بالسِّياط . فقال له محمد : أسْأَلُك بالقَرَابة . فقال : وأىُّ قَرَابَةٍ بينى و بينك ؟ وهَلْ أنت إلّا من أَشْجَعَ ! قال : فأسْأَلك بصِهْرِ عَبْد الملك . قال : لم تحفَظْه . فقال له : يا أميرَ المؤمنين، قد نَهى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُضْرَب قُرَشىّ بالسِّياط إلّا فى حَدٍّ . قال : ففى حَدٍّ أَضْرِبُك وقَوَد ، أنت أوّل من سَنَّ ذلك على العَرْجىّ ، وهو ابن عمّى وابن أمير المُؤمنين عُثمان ، فما رَعَيْتَ حَقَّ جدِّه ولا نَسَبه بهِشام ، ولا ذَكَرْتَ حينئذٍ هذا الخبر ، وأنا وَلِىُّ ثأْره، اُضْرِبْ يا غُلَام . فضَرَبهما ضَرْباً شَديداً مُبَرِّحاً ، وأُثْقِلَا بالحديد . ووَجَّه بهما إلى يُوسُفَ بنِ عُمر بالكُوفة ، وأمره[1] باستِصْفائهما وتعْذيبهما حتى يتْلَفا . وكَتب إليه : أحْبِسْهما مع ابن النّصْرانيّة — يَعْنِى خالدَ ابن عَبْد الله القَسْرىّ — ونَفْسَك نَفْسَك إنْ عاشَ أحَدٌ منهم . فعذَّبهم عذاباً شَديداً ، وأَخَذ منهم مالا عَظِيما ، حتَّى لم يَبْقَ فيهم موضعٌ للضَّرْب .

فكان مُحمّد بنُ هِشام مَطْرُوحاً ، فإذا أرادُوا أن يُقيموه أَخَذوا بلِحيته فجذَبُوه بها . ولمّا اشْتَدَّت عليهم الحالُ ، تحامل إبراهيمُ لِينظُرَ فى وَجْه أخيه محمّد ، فوقَع عليه ، فماتا جميعاً . ومات خالدٌ القَسْرىّ معهما فى يومٍ واحد .

شعر الوليد بن يزيد فى ذلك

وقال الوليدُ بن يَزِيد لما حَمَلهما إلى يُوسُفَ بن عُمر :

---

(١) استصفائهما ، أى أخذ أموالهما .

قَدْ رَاحَ نَحْوَ العِرَاقِ مُخْشَلَبهْ ... قُصَارُه السِّجنُ بعده[1] الخَشَبَه

يَرْكَبُها صاغِراً بلا قَتَبٍ ... ولا خِطَامٍ وحَوْلَهُ جَلَبه

فَقُل لِدَعْجَاءَ إن مررتَ بها ... لَنْ يُعْجِزَ اللهَ هاربٌ طَلَبه

قد جَعل اللهُ بعد غَلْبَتِكم ... لنَا عليكم يا دُلْدُلُ الغَلَبه

لستَ إلى هاشمٍ ولا أسدٍ ... ولا إلى نَوْفَلٍ ولا[2] الحَجَبه

لكنّما أَشْجَعٌ أبوكَ سَلِ الْـ ... ـكَلْبيَّ[3] لا ما يُزَوِّق الكَذَبه

بين إسحاق الموصلى والرشيد فى بيت للعرجى

وقال إسْحاقُ بن إبراهيم المَوْصِليّ :

غنَّيْتُ الرَّشيدَ يوماً فى عُرْضِ الغِناء :

أَضَاعُونى وأىَّ فتًى أضَاعُوا ... لِيَوْمِ كَرِيهةٍ وسِدَادِ ثَغْرِ

فقال لى : ما كان سببُ هذا الشِّعر حتى قاله العَرْجيّ ؟ فأخبرتُه بخَبَره من أوّله إلى أن مات . فرأيتُه يتغيَّظ كُلَّمَا مرَّ منه شىء . فأَتْبَعْتُه بحديث مَقْتل ابْنَىْ هِشام . فجعل وجهُه يُسْفِر وغَيْظُه يَسْكُن . فلما انقضى الحديثُ قال لى : يإسحاقُ ، واللهِ لولا ما حَدَّثْتنى به من فِعْل الوَليد ، لما تركتُ أحداً من أماثِلِ بنى مَخْزوم إلّا قتلتُه بالعَرْجىّ .

شعر العرجى الذى فيه الغناء

والشِّعْر الذى فيه الغناء من قَوْلِ العَرْجىّ هو قولُه :

إلى جَيْدَاءَ قد بَعَثُوا رسولاً ... لِيَحْزُنَها فلا صُحِبَ الرَّسُولُ

كأنّ العَامَ ليس بعامِ حَجٍّ ... تَغَيَّرتِ المَواسِمُ[4] والشُّكُول

(١) المخشلبة ، والمشخلبة ، كلمتان عراقيتان ، بمعنى ، يطلقان على شىء يتخذ من الليف والخرز أمثال الحلى . وقد تسمى الجارية مخشلبة أو مشخلبة ، لما يرى عليها من الخرز كالحلى . والخشبة ، يريد خشبة الصلب .

(٢) الحجبة : يريد حجبة الكعبة ، وكانت الحجابة فى بنى قصى . وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحجابة البيت فى يد شيبة بن عثمان بن طلحة بن عبد الله بن قصى فأبقاها .

(٣) الكلبى : محمد بن السائب ، النسابة المعروف .

(٤) الشكول : جمع شكل .

أخبار المجنون

اسمه

مِنَ النّاس من أَثْبت وُجودَه ، ومِن النّاس مَن لم يُثْبِت . فأمّا المُثْبِتون فمنهم من قال : اسْمُه مَهْدِيّ ، ومنهم من قال : اسمه بن قَيْس ، وهم الأَكْثرون .

وهو ابن المُلوَّح بن مُزَاحِم بن قَيْس بن عَدِيّ بن رَبيعة[1] بن جَعْدة بن كَعْب ابن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَة .

وقيل : هو قَيس بن مُعاذ ، أَحَدُ بنى نُمَيْر بن عامر بن عُقَيل . وقيل : أحد بنى جَعْدة بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصعة .

قالوا : ومما يَدُلُّ على أنّ اسْمَه « قَيْس » قولُ لَيْلى صاحِبته :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِى والخُطوبُ كثيرةٌ ... مَتَى رَحْلُ قَيْسٍ مُسْتَقِلٌّ فَراجِعُ

وقال الأَصمعِيّ ، وقد سُئِل عنه : لم يكن مَجْنوناً . ولكن كانت به لُوثة[2] كلُوثة أبى حَيَّة[3] النُّمَيْرِىّ .

قول من أنكره

ورَوَى المُنْكِرون أخباراً تدُلّ على أنّه لم تكُن له حَقِيقة ، من ذلك ما رَوَى ابْنُ دَأْب[4] قال : قلتُ لرجل من بَنى عامر : أتَعْرِف المَجْنون وتَرْوِى شِعْره ؟ قال : أَوَقدْ فرَغْنا من شِعْر العُقلاء حتى نَرْوِى أَشْعار المَجانين ! إنّهم لكَثير . قُلْتُ : ليس هَؤلاء أَعْنِى ، إنّما أَعْنى مَجْنون بنى عامر الذى قَتَله العِشْق . فقال :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جبلة » .

(٢) اللوثة ، بالضم وتفتح : الحمق . وقيل : اللوثة ، بالضم : الحبسة فى اللسان ؛ وبالفتح : الحماقة .

(٣) ستأتى ترجمته فى التجريد .

(٤) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب . كان عالماً وشاعراً .

هيهات ! إنّ بنى عامِر أَغْلَظُ أَكْبادًا من ذلك ! إنما يكون هذا فى هذه اليمانيةِ الضِّعَاف قلوبُها ، السَّخيفة عقولها ، الصَّعْلة[١] رءوسها ، فأمَّا نزار فلا .

ورُوِى عن الأصمعىّ أنه كان يقول :

رجلان ما عُرِفا فى الدُّنيا قطُّ إلّا بالاسْم : مَجْنون بنى عامر ، وابن القِرِّيّة[٢] ، فإنّهما وَضعهما الرُّواةُ .

ورُوِىَ عن ابن الكلبىّ أنّه قال : حُدِّثْتُ أنّ حَديثَ المَجنون وشِعْره وَضَعه فتًى من بنى أُميَّة كان يهْوَى ابْنة عَمٍّ له ، وكان يكْره أن يُظْهِرَ ما بينه وبينها ، فوَضع حديثَ المَجْنون ، وقال الأشعار التى يرْويها النـاس للمجنون ونَسبها إليه .

قول المثبتين له

وروى مَن أَثْبَتَه : أنّ أباه المُلوَّح مات قبل اخْتلاطه[٣] ، فعَقر على قَبْره ناقته ، وقال :

عَقَرْتُ على قبر المُلوَّح نَاقتِى ... بذِى السَّرْحِ[٤] لمّا أنْجفاه الأقاربُ

وقلتُ لها كُونِى عَقِيراً[٥] فإنّنى ... غداً راجلٌ أَمْشِى وبالأمْس راكِب

فلا يُبْعِدَنْكَ الله يابْن مُزاحِمٍ ... فكُلٌّ بكأْسِ المَوْت لا بُدَّ شارِب

ليلى صاحبته

وذُكر أنّ لَيْلى صاحبَته ، بنتُ مَهْدِىّ بن[٦] سَعْد بن مَهْدِىّ بن ربيعةَ ابن الحَريش بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصة . وفيها يقولُ المَجنون :

---

(١) الصعلة : الصغيرة .

(٢) هو أيوب بن زيد بن قيس . والقرية : أمه . كان لسناً خطيباً . وقتله الحجاج لا تهامه بالميل إلى ابن الأشعث . (وفيات الأعيان) .

(٣) اختلاطه ، أى فساد عقله وتغيره .

(٤) ذو السرح : واد بأرض نجد .

(٥) العقير : المعقورة ، أى المنحورة . وكانوا ينحرون الإبل على قبور الموتى .

(٦) فى بعض أصول الأغانى : « بنت سعد بن مهدى » .

أَخَذَتْ محاسِنَ كُلِّ ما ضَنَّتْ محاسِنُه بحُسْنِهْ
كاد الغزالُ يكُونهـا لولا الشَّوَى[1] ونُشُوزُ قَرْنِه

الأصمعى وأعرابى من بنى عامر عمن رموا فيهم بالجنون

ورُوِيَ عن الأَصْمَعِيّ أنه قال :

سألتُ أعرابيًّا من بنى عامر بن صَعْصعة عن المجنون العامريّ ، فقال : عن أَيِّهم تسألُنى ؟ فقد كان فينا جماعة رُمُوا بالجنون ، فعَن أيّهم تَسأل ؟ فقلتُ : عَن الذى كان يُشبِّبُ بلَيْلى . فقال : كُلُّهم كان يُشبِّب بلَيْلى . قلت : فأنشدنى لبعضهم . فأَنْشدنى لمُزاحِم بن الحارث المَجْنون :

أَلَا أيُّها القَلْبُ الذى لَجّ هائماً بلَيْلَى وَليداً لم تُقَطَّع[2] تمائمُه
أَفِقْ قد أفاق العاشِقُون وقد[3] أَنَى لكَ اليومَ أنْ تَلْقَى طَبِيباً تُلائِمُه

قلت : فأَنْشِدنى لغيره . فأَنْشَدنى لمُعاذ بن كُلَيب المَجْنون :

أَلَا طالمَا لاعَبْتُ لَيْلَى وقادَنى إلى اللَّهْوِ قَلْبٌ للحِسَانِ تَبُوعُ
وطالَ امْتِرَاءُ[4] الشَّوْق عَيْنِيَ كُلَّما نَزَفْتُ دُمُوعًا تَسْتَجِدُّ دُمُوعُ
وقد طال إمْساكِى على الكَبِدِ[5] التى بها مِنْ هَوَى لَيْلَى الغَداةَ صُدُوعُ

قلت : فأنشِدنى لغير هذَيْن ممّن ذكرتَ . فأَنْشدَ لمَهْدِيّ بن المُلَوَّح :

لو أنّ لك الدُّنيا وما عُدِلتْ به سِوَاها ولَيْلَى بائنٌ عنك[6] بَيْنُها
لكُنْتَ إلى لَيْلَى فَقِيراً وإنما يَقُودُ إليها وُدَّ نَفْسِك حَيْنُها

---

(١) الشوى : الأطراف .
(٢) التمائم : جمع تميمة ، أو هى عوذة تعلق على المولود . ولم تقطع تمائمه ، أى لا يزال صغيراً .
(٣) أنى : حان وقرب .
(٤) الامتراء : الاستدرار .
(٥) الكبد ، تؤنث وتذكر .
(٦) بينها ، أى وصلها . وهو من أسماء الأضداد ، يطلق على الوصل والفراق .

فقلت : أَنْشدني لمن بَقِي من هؤلاء . فقــال : حَسْبك ! فوالله إنّ فى واحد مِن هؤلاء لمَن يُوزَن بعُقلائكم اليومَ !

مزاحم والمجنون فى هوى ليلى

وذُكر أنّ مُعــاذ بن كُلَيب كان مجنوناً ، وكان يُحِبُّ لَيْلَى ، فشَركه فى حُبِّها مُزاحم بن الحارث العُقَيْليّ ، فقال مُزاحم يوماً للمَجْنون :

كلانا يا مُعــاذُ يُحِبُّ لَيْلَى بفِيّ وفيكَ مِن لَيْلى التُّرابُ
شَرِكْتُك فى هَوَى من كان حَظِّى وحَظَّك منْ مودَّتهــا العَــذَاب
لقــد خَبَلَت فؤادَك ثمَّ ثنَّتْ بقَلْبى فهو مَخْبُولٌ مُصَــاب

فيُقال : إنه لمّا سَمِع هذه الأَبْياتَ الْتَبس وخُولِط فى عَقْله .

ابن موسى والعدوى فى بيتين لجميل

ورَوَى هارون بن مُوسى ، قال :

سَأَلتُ أبا بَكْرٍ العدوِيّ [١] عن هذين البَيْتين :

وخَبّرتُمانِى أنَ تَيْماءَ [٢] منزِلٌ لِلَيْلَى إذا ما الصَّيْفُ أَلْقى المَراسِيَا
فهذِى شُهورُ الصَّيْف عَنَّا قد انقضتْ فما للنَّوَى تَرْمِى بلَيْلَى المَرامِيَــا

فقال : هُما لجَميــل . ولم يَعْرف المَجْنونَ . قلتُ : وهل معهما غَيْرهما ؟ قال : نَعم ، وأَنْشدنى :

وإنِّى لأَخْشى أَنْ أَمُوتَ فُجــاءَةً وفى النَّفْس حاجاتٌ إليكِ كما هِيَــا
وإنِّى ليُنْسِينى لِقَــاؤُكِ كلّما لَقِيتُك يَوْماً أَنْ أَبُثَّكِ ما بِيَــا
وقالُوا به داءٌ عَيَــاءٌ أَصَــابه وقد عَلِمتْ نفسى مكانَ دَوَائيا

سبب عشقه لليلى

وذكر الرُّواة الْمُثْبِتُون أَخبارَ المَجْنون ، أَنّه كان يَهوى لَيْلَى بنت مَهــدىّ ، التى تقدَّم ذِكْر نَسبها ، وتُــكْنَى أُمَّ مالك ، وهُما حينئذ صَبيَّان ، فَعلِق كلٌّ واحدٍ

---

(١) فى الأصل : « العذرى » . (٢) تيماء : بلد صغير فى أطراف الشام .

منْهما صاحبه، وهما يرْعيان مواشِيَ أهْلهما ، فلم يزَالا كذلك حتى كَبِرا ، فَحُجِبَتْ عنه ، فقال فى ذلك :

تَعلَّقتُ لَيْلَى وهى ذاتُ[١] ذُؤَابةٍ ... ولم يَبْدُ للأتْراب مِن ثَدْيِها حَجْمُ

صغيرَيْن نَرْعى البَهْمَ ياليتَ أنّنا ... إلى اليوم لم نَكْبَر ولم تَكْبَر البَهْمُ

اختلاط ابن مليكة فى آذانه عند سماعه من يتغنى بشعر المجنون

وذُكر أنّ ابْنَ مُلَيكة كان يُؤذّن ، إذ سَمِع الأخْضَرَ الجُدِّيَّ يُغَنِّي من دار العاصِ بن وائلٍ فى هذين البَيْتين ، فلمّا أراد أن يقول : « حيّ على الصلاة » قال : « حَيِّ على البَهْم » حتى سَمِعه أهلُ مكّة ، فغدا يَعْتذر إليهم .

عود الى تعلق المجنون بليلى

وذُكر أنّ سَبَب تَعلُّقه بليلى أنّه كان صاحبَ غزَل ومُجالسة للنّساء، فخَرَج على ناقةٍ له يَسيرُ، فمرَّ بامرأة من بنى عُقَيْل يقال لها: كَرِيمة، وكانت جَمِيلةً عاقلةً، معها نِسْوةٌ ، فعرَفْنه فدَعَونه إلى النُّزُول والحديث ، وعليه حُلّتان له فاخرتان وطَيْلَسان وقَلَنْسوة . فنزل فظلَّ يُحدِّثهن ويُنْشِدهنَّ ، وهُن أعْجَبُ شيء به فيما يَرَى ، فلما أعجبه ذلك منهنّ عَقَر لهن ناقَته ، وقُمْن إليها وجعلن يَشْوين ويأكُلْن من لحمها إلى أن أمْسَين ، فأَقْبلَ غُلامٌ شَابٌّ حَسَنُ الوجه ، فجلس إليهنَّ ، فأقبَلْن عليه بوجُوههنَّ يقُلْنَ له : كيف ظَلِلْتَ يا مُنازِلُ اليوم ؟ فلمّا رأى ذلك من فِعْلهنَّ غَضِبَ وقام ، فتركهنّ وهو يقول :

أأعْقِرُ من جرّا[٢] كَرِيمةَ ناقتِي ... ووَصْلِيَ مفرُوشٌ[٣] لوصل مُنازِلِ

إذا جاء قَعْقَعْن الحُلِيَّ ولم أكُن ... إذا جِئْتُ أرجو صوتَ تلك الخلاخِلِ

قال : فقال له الفتى : هلم نَتصارعْ أو نَتَناضَلْ . فقال له : إنْ شِئْتَ ذلك فقُم إلى حَيْثُ لا تراهُنَّ ولا يرَيْنَكَ ، ثم ما شِئت فافعلْ . وقال :

(١) الذؤابة : شعر الناحية .
(٢) من جرا ، من أجل .
(٣) مفروش : ممهد .

إذاما أُنْتَضَلْنا فى الخلاء[1] نَضَلْتُه ... و إنْ يَرْمِ رَشْقاً عندها فهو ناضِلِى

فلما أَصْبحَ لَبِسَ حُلَّته ورَكِب ناقته ومضى متعرِّضاً لهن ، فأَلْفى ليلى جالسةً بفِناء بيتها ، وكانت معهن يومئذٍ ، وقد عَلِق بقلبها وهَوِيَتْه ، وعندها جُوَيرِيات يُحدِّثنها ، فوقف عليهن وسلَّم ، فدعَوْنه إلى النُّزول وقلْنَ له : هل لك فى محادثة مَن لا يَشْغله عنك مُنازِلٌ ولا غَيْرُه ؟ قال : إى لَعَمْرى ! وفَعل فَعْلَته بالأمس . فأرادتْ أنْ تَعلم هل لها عنده مِثْلُ ما لَه عندها ، فجَعَلَتْ تُعْرِضُ عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ وتُحدِّث غيرَه ، وقد كان عَلِق حُبُّها بقَلبه وشَغَفه وأُسْتملحها ، فبينما هى تُحدِّثه إذ أقْبَل فَتًى من الحىِّ ، فدعتْه فسارَّتْه سِرَاراً طويلا ، ثم قالت له : أنصرف . فانصرف . ونظرتْ إلى وجه المَجنون قد تغَيَّر وأُمتُقِع[2] وشَقَّ عليه ما فعلتْ ، فأنْشأَتْ تقول :

كِلانَا مُظْهِرٌ للنّاس بُغْضًا ... وكُلٌّ عند صاحبه مَكِينُ

تُبَلِّغنا العُيونُ مقالتَيْنا ... وفى القَلْبين ثَمَّ هوًى دَفين

فلمّا سَمِع هذين البيتين شَهِق شَهقَةً عَظيمة وأُغْمِيَ عليه ، فمَكَث كذلك ساعةً ، ونَضَحُوا الماءَ على وجهه حتى أفاق . وتمَكّن حُبُّ كلٍّ واحدٍ منهما فى قلبِ صاحِبه . و بلغ منه كلَّ مَبْلَغ .

خطبته لليلى واختيارها غيره

وقيل : لمّا شُهِرَ أَمْرُ المَجْنون ولَيْلى ، وتَناشد النَّاسُ الشعر الذى عَمِلَه فيها ، خَطبها و بَذل لها خَمْسين نَاقةً حَمْراء، وخَطبها وَرْدُ بن محمد العُقَيْلِيّ ، و بَذل لها عَشْرًا من الإبل وراعِيَهــا . فقال أَهْلوها : نحن مُخَيِّرُوها بينكما ، فَمن أُخْتارت تَزَوّجتْه. فَدَخلوا إليها وقالوا : لئن لم تَختارى وَرْدًا لَنُمَثِّلَنَّ بك . فقال المجنون :

ألا يا لَيْلَ إنْ مُلِّكْت فِيناَ ... خِيَارَكِ فانظُرِى أين[3] الخِيارُ

(١) انتضلنا : ترامينا . ونضلته : غلبته.

(٢) امتقع : تغير لونه . (٣) فى بعض أصول الأغانى : «لمن» .

ولا تَسْتبدلى منّى دَنيًّا ولا بَرِمًا إذا حُبَّ[١] القُتَار

يُهَرْوِلُ فى الصَّغير إذا رآه وتُعْجِزه المُلِمَّات الكِبَار

فَمِثْلُ تَأَيُّمٍ منه نِكَاحٌ ومِثْلُ تَمَوُّلٍ منه افتقار

فاختارت «ورداً» فتزوّجته على كُرْهٍ منها .

سبب اختلاط عقله

وذُكر أنّ سَبب اُخْتلاط عَقْله أنّ لَيْلَى أنشدتْه فى خَلْوة :

كِلانا مُظْهِرٌ للنّاس بُغْضًا وكُلٌّ عند صَاحِبه مَكِينُ

وأَسْرار المَلاحظ[٢] لَيْس تَخْفَى وقد تُغْرِى بذى اللَّحظ[٣] العُيون

فخَرّ مغْشيًّا عليه ، ثم أَفاق فاقِدًا عقْلَه ، فكان لا يلْبَسُ ثوْباً إلّا خَرقه ، ولا يَمْشى إلّا عارياً ، ويَلْعب بالتُّراب ، ويَجْمَعُ العِظام حَوْلَه . فإذا ذُكِرتْ لَيْلَى أنْشأَ يقُول ويُحدِّث عنهـا عاقِلاً لا يُخْطِىء حَرْفاً . وترَكَ الصَّلاةَ ، فإذا قيل له : مالَكَ لا تُصَلِّى ؟ لم يَرُدَّ حَرْفاً . وكان أَبُوه يَحبسُه ويُقَيِّده ، فيَعضُّ شَفَتَيْه ولِسانَه ، فيُخَلِّى سَبيلَه فيَهِيمُ .

سؤاله عمر بن عبد الرحمن أن يخرج معه

وذُكر : أنّه سأَل عُمَر بن عبد الرَّحمن بن عَوْف — وكان ولّاه مَرْوَانُ اُبن الحَكَم صَدَقاتِ بَنِى كَعْب وقُشَيْر وجَعْدَة — أَنْ يَخْرُج به مَعه، وقال: أَكُونُ مَعَك فى هذا الجَمْع الذى تَجْمَعه غداً ، وأُرَى فى أَصْحَابك وأَتَجمَّل فى عَشِيرتى بك، وأفخر بقُرْبك. فأَجابه إلى ذلك، وذلك قَبْلَ أن يَسْتحكم حُبُّه . فجاءه رَهْطُ لَيْلَى فأَخْبروه بقِصّته وأنه لا يريد التجمل به و إنما يريد أن يدخل بيوتهم ويفضحهم فى امرأة منهم يهواها ، وأنّهم شَكَوْه إلى السُّلطان فأَهْدَر دَمَه إنْ دَخَلَ إليهم . فأَعرض عمّا أجابه إليه من أَخْذه معه ، وأَمر له بقَلائِصَ ، فردَّها وقال :

(١) البرم : اللئيم . والقتار : ريح اللحم المشوى . (٢) فى الأصل : « التلاحظ » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : * إذا نطقت بما تخفى العيون *
وفى تزيين الأسواق : * وقد تغرى بذى اللحظ العيون *

رَدَدْتُ قَلَائِصَ القُرَشِيّ لَمَّا بَدَا لِي النَّقْضُ مِنْه للعُهودِ
وَرَاحُوا مُقْصِرِين وخَلَّفُونى إلى حُزْنٍ أُعالجُهُ شَدِيد

فرجَع آيساً ، فعاد إلى حاله الأُولى .

قصته مع نوفل ابن مساحق

ولم تزَلْ تلك حالُه ، غيرَ مُسْتَوْحِش ، إنما يكون فى جنبَات الحيِّ مُنْفَرِداً عارياً ، لا يلْبس ثو باً إلّا خرقة ، يَهذِي و يُخطِّطُ فى الأرض ، و يلْعَب بالتُّراب والحِجارة ، ولا يُجيبُ أحداً سأله عن شىء، فإذا أَحبُّوا أن يتكلَّم أو يثوبَ إليه عَقْـلُه ذ كروا لَيْلَى ، فيقول : بأَبى هى وأُمّى ! ثم يَرجْع إليه عَقْلُه فيُخَاطِبُونه و يُجيبهم، و يأتيه أَحْدَاثُ الحىِّ فَيُحَدِّثونه عنها، و يُنْشِدُونه الشعر الغزل، فيُجيبهم جَواباً صَحِيحاً ، ويُنْشِدُهم أشعاراً قالها . حتى سَعَى عليهم(١) فى السَّنَة الثَّانيـة ، بَعْدَ عُمَر بن عبـد الرحمن ، نوفَلُ بنُ مُسَاحِق ، فنزل مُجمَّعًا من تلك المَجامِع ، فرآه يَلْعَب بالتُّراب وهو عُرْيان ، فقال لِغُلامٍ : ياغُلام ، هَاتِ ثَوْباً . فأَتاه به . فقال لِبَعْضِهم : خُذْ هـذا الثَّوبَ فأَلْقِه على ذلك الرَّجُل . فقـال له : أَتعرِفُه ؟ جُعِلْتُ فداكَ ! قال : لا . قال : هذا ابنُ سَـيِّدِ الحَىِّ ، والله ما يلبس الثِّيَاب ، ولا يَزِيدُ على ما تراه يَفْعَلُه الآن ، و إذا طُرِحَ عليه شىءٌ خرَّقه ، ولو كان يَلْبَس ثَوْباً لـكان فى مَالِ أبيـه ما يَكْفِيه . وحَدَّثه عن أَمْرِه . فدعا به وكلّمه ، فجعَل لا يعقِل شَيْئاً يُـكلِّمُه به . فقال له قَوْمُه : إنْ أردتَ أن يُجيبَك جوَاباًصحيحاً فاذ كُرْ له لَيْلى . فذَ كرها له ، وسَأَلَه عن حُبِّه إيَّاها . فأَقبَل عليه يُحَدِّثه بحَديثها ويشكو إليـه حُبَّه إيَّاها ، و يُنْشِدَه شِعْرَه فيها .فقال له نوْفل : الحُبُّ صَيَّرك إلى ما أرى ؟ قال : نعم ، وسَيَنْتهى إلى ما هو أشدُّ مما ترى . فعَجِب منـه ، وقال : أَتُحِبُّ أنْ أُزَوِّجكَها ؟ قال : نعم ، وهل إلى ذلك من سَبِيـل ؟ قال : انطَلقْ معى

(١) سعى عليهم : أى ولى جباية صدقاتهم .

حتى أقْدَم على أَهْلِها بِكَ، وأَخْطُبَها [عليك] ، وأُرَغِّبَهم فى المَهْر لها . قال : أَتُرَاكَ فاعِلًا ؟ قال : نعم . قال : أُنْظُرْ ما تقُول ! قال : لك علىَّ أَنْ أَفعلَ ذلك . ودعا له بِثِيَاب فألْبَسه إِيَّاها . وراح معه المَجنُونُ كَأَصَحِّ أصْحَابِه يُحَدِّثه ويُنْشِده . فبلغ ذلك رَهْطَها ، فلَقُوه بالسِّلاح ، وقالوا : يا بن مُسَاحِق ، لا والله لا يَدْخُل المَجْنُونُ مَنازِلَنا أبدًا أو نَمُوتَ ، وقد أَهْدر لنا السُّلطانُ دَمَه. فأَقْبَل بهم وأَدْبر . فأَبَوْا . فلما رأى ذلك قال للمجنون : انْصرفْ . فقال له المجنون : واللهِ ما وَفَيْتَ بالعَهْد ! قال له : انصرافُكَ بعد أَنْ آيَسَنى القَوْمُ من إجابتك أَصْلحُ من سَفْكِ الدِّماء. فقال المجنون :

أَيَا وَيْحَ مَنْ أَمْسَى تُخَلَّسَ عَقْلُه ... فأَصْبَحَ مَذْهُوبًا به كُلَّ مَذْهَبِ

خَلِيًّا من الخُلَّانِ إلَّا[1] مُعَذِّرًا ... يُضَاحِكُنِى مَنْ كان يَهْوَى تَجَنُّبِى

إذا ذُكِرتْ لَيْلَى عَقَلْتُ وراجَعَتْ ... عَوازِبُ عَقْلِى من هَوًى مُتَشَعِّبِ

وقالُوا صَحِيحٌ ما بِهِ طَيْفُ[2] جِنَّةٍ ... ولا لهمُ إلَّا افْتِرَاءُ[3] التَّكذُّبِ

وشَاهِدُ وَجْدِى دَمْعُ عَيْنِى وحُبُّها ... بَرَى اللَّحْمَ عن أَحْنَاءِ[4] عَظْمِى ومَنْكِبِى

تَجَنَّبت لَيْلَى أن يَلِجَّ بك الهَوَى ... وَهَيْهَاتَ كان الحُبُّ قبل التَّجَنُّبِ

وَلَمْ أَرَ لَيْلَى بعد مَوْقِفِ سَاعَةٍ ... بِبَطْنِ مِنًى تَرْمِى جِمَارَ[5] المُحَصَّبِ

ويُبْدِى الحَصَى مِنْها إذا قَذَفَتْ بِهِ ... من البُرْدِ أَطْرَافَ البَنَانِ المُخَضَّبِ

وأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الغَدَاةَ كناظِرٍ ... مَعَ الصُّبْحِ فى أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغَرِّبِ

أَلَا إِنَّما غَادَرْتِ يا أُمَّ مَالِكٍ ... صَدًى أَيْنَما تَذْهَبْ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبِ

---

(١) المعذر : المقصر الذى لا عذر له ، ولكنه يتكلف العذر .

(٢) طيف جنة ، أى مس من الجن .

(٣) فى بعض أصول الاغانى : «ولا الهم إلا بافتراء»

(٤) الأحناء : كل شىء فيه اعوجاج أو شبه اعوجاج ، وكذلك العظام ؛ الواحد : حنو .

(٥) المحصب : حيث ترمى الجمار .

من شعره

ومما قاله المَجْنُون :

فوالله ثُمَّ اللهِ إنِّى لَدائِبٌ أفكِّرُ ما ذَنْبى إليها وأعْجَبُ
ووالله ما أدْرى عَلامَ قَتَلْتِنى وأىَّ أُمُورى فيك يا لَيْلَ أرْكَب
أأقْطَعُ حَبْلَ الوَصْلِ فالموتُ دُونَه أمَ اشْرَبُ رَنْقًا (١) منكمُ ليس يُشْرَب
أمَ اهْرُبُ حتّى لا أرَى لى مُجَاوِراً أمَ اصْنَعُ ماذا أمْ أبُوحُ فأُغْلَب
فأيُّهما يا لَيْلَ ما تَرْتَضِينَه فإنِّى لَمَظْلُومٌ وإنِّى (٢) لَمُعْتَب

حجه بعد زواج ليلى

وقيل: إنّ أبَا المَجْنون وأُمّه ورِجَالَ عَشِيرته اجتمعوا إلى أبى لَيْلَى ، فوعظُوه وناشَدُوه اللهَ والرَّحِمَ ، وقالُوا : إنَّ هذا الرَّجُلَ هالِكٌ ، وقَبْل ذلك فَفِى أقْبَحَ من الهَلاكِ بذَهاب عقله ، وإنّك فاجِعٌ به أباه وأهلَه ، فَنَشَدْناكَ اللهَ والرَّحِمَ أنْ تفعَل ذلك ، والله ما هِى أشرفُ منه ، ولا لَكَ مِثْلُ مَالِ أبيه ، وقد حَكَّمك فى المَهْرِ ، وإن شِئْتَ أن يَخْلَعَ لك نفسَه من مالِه فَعَل . فَأَبَى وحَلَف بِطَلاق أُمِّها إنَّه لا يُزَوِّجه إيّاها أبداً ، وقال : أَفْضَحُ نَفْسى وعَشِيرتى وآتى ما لم يأْتِه أحَدٌ من العَرَب ، وأَسِمِ ابْنَتى بِمِيسَم فَضِيحةٍ ! فانْصَرَفُوا ، وخَالَفَهم لِوَقْته فزوَّجها رَجُلاً من قَوْمِها ، وأدْخَلَها إليه . فما أمْسَى إلّا وقد بَنَى بها . وبلَغه الخبرُ ، فأَيِس منها حينئذٍ وزَال عقْلُه جُمْلَةً .

فقال الحىُّ لأبيه : احْجُجْ به إلى مكَّة ، وادْعُ اللهَ عزَّ وجلَّ ، ومُرْه أن يَتعلَّق بأسْتَارِ الكَعْبة ، فيسألَ اللهَ أنْ يُعَافِيَه ممّا به ، ويُبَغِّضَها إليه ، فلعلَّ اللهَ أن يُخَلِّصه مِن هذا البَلاء . فَحجَّ به أبوه ، فلما صاروا بِمِنًى سَمِع صائحًا باللَّيل يصيح : يا لَيْلى . فصَرخ صَرْخةً ظنُّوا به أنَّ نَفْسَه قد تَلِفَتْ ، وسَقَط مَغْشِيًّا عليه . فلم يَزَلْ كذلك حتى أصْبَح . ثم أفاق حائلَ اللَّون ذاهلاً ، فأنْشَأَ يقول :

(١) الرنق : الكدر . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « وإنى لمتعب » .

عَرَضْتُ على قَلْبى العزَاءَ فقال لِى ... مِن الآنَ فأْيأسْ لا أَعُزَّكَ[1] بالصَّبْرِ
إذا بانَ مَنْ تَهْوَى وأَصبح نائِيًا ... فلا شَىْءَ أَجْدَى من حُلُولك فى القَبْرِ
ودَاعٍ دعا إذ نحن بالخَيْفِ مِن مِنًى ... فهَيَّجَ أَطْرَابَ[2] الفُؤاد وما يَدْرِى
دَعَا بأسم لَيْلَى ضَلَّلَ اللهُ سَعْيَه ... ولَيْلَى بأرضٍ عَنْه نازِحَةٍ قَفْرِ

قُلت : ومن هذه الأبيات :

دَعا بأسْمِ لَيْلَى غَيْرَها فكأنَّما ... أطَار بلَيْلَى طائراً كان فى صَدْرِى

قال : ثم قال له أبوه : تعَلَّقْ بأَسْتار الكعبة وسَل الله عز وجلّ أن يُعافيَك من حُبِّ ليلى . فتعلَّق بأستار الكَعْبة ، وقال : اللَّهم زِدْنى بلَيْلَى حُبًّا ، وبها كَلَفاً ، ولا تُنسِنى ذِكْرَها أبداً . فهام حِينئذٍ واخْتَلَط ، ولم يَضْبِطْ .

فكان يَهِيمُ فى البَرِّيَّة مع الوَحْشِ ، لا يأْكُل إلّا ما يَنْبُت فى البَرِيَّة من بَقْلٍ ، ولا يَشْرَب إلّا مع الظِّبَاء إذا ورَدَت مَنَاهِلَها . وطال شَعرُ جَسَدِه ورأسِه ، وألِفَته الوُحوش فكانت لا تَنْفِر[3] منه . وجَعل يَهِيم حتى يبلغ حُدُود الشَّأم ، فإذا ثاب إليه عَقْلُه سأل من يَمُرّ به مِن أحياء العَرب عن نَجْد ، فيُقال له : أين أنت من نجْد ! قد شارفْتَ الشَّأم ! أنتَ بِموضع كذا . فيقول : فأَرُونى وِجْهَةَ الطريق . فيَرْحَمُونه ويَعرِضُون عليه أن يَحْمِلوه وأَنْ يَكْسُوه ، فيأْبَى . فيَدُلُّونه على طريق نجْد ، فيَتَوجَّه نحوَه .

وذكر بَعضُهم ، قال :

كُنتُ ببئر مَيْمُون[4] ، وإذا جَماعَةٌ فوقَ تلك الجبَال ، وإذا معهم فَتًى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لا أعزك من صبر » .
(٢) أطراب : جمع طرب ، وهو الخفة تعترى الإنسان من شدة فرح أو حزن .
(٣) فى الأصل : « لا تفر » .
(٤) بئر ميمون : بمكة ، بين البيت والحجون . منسوبة إلى ميمون بن الحضرمى ، حفرها فى الجاهلية ، وعندها توفى أبو جعفر المنصور .

أبيضُ أقْنَى(١) طُوَالٌ(٢) جَعْدٌ(٣) كأحسنِ مَنْ رَأَيْتُ من الرِّجَال ، على هُزَال منه وصُفْرة ، و إذا هم مُتَعَلِّقون به . فسَأَلتُ عنه . فقيل لى : هذا قيْس المَجْنُون ، خَرج به أبوه يَسْتَجير له بالبَيْت ، وهو على أنْ يأتىَ به قبرَ النبىّ صَلّى الله عليه وسلّم ، يَدْعُو له هناك ، فلعلّه أن يُكْشَفَ ما به .

وقالوا : إنّه لَيَصْنع بنفسه صَنيعاً يَرْحَمُه منه عدوُّه . يقول : أَخْرِجُونى لَعَلِّى أتَنَسَّم صبَا نَجْدٍ . فيُخْرِجُونه ، فيتَوَجَّه(٤) نحوَ نَجْد . ونحْن أيضاً نخَاف أن يُلْقِيَ نَفْسه من الجَبَل ، فإن شِئْتَ الأَجْرَ دَنَوْتَ منه [فأَخْبَرْته أَنّك أقبَلْتَ من نَجْد . فدَنَوْتُ منه] ، وأَقبلُوا إليه ، وقالوا : يا أبا المَهْدىّ ، هذا الفتَى أقبلَ من نَجْد . فتنفَّس تَنفُّسَةً ظَنَنْتُ أنّ كَبِدَه قد انصَدَعَتْ . ثم جَعل يُسَائِلُنى عن وَادٍ وادٍ ، ومَوْضعٍ مَوْضعٍ ، وأَنا أُخبره ، وهو يَبْكى أَحَرَّ بُكاء وأَوْجَعه للقلْب ، ثم قال :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِى عَنْ عُوَارِضَتَىْ(٥) قَنًا ... لطُولِ اللَّيَالِى هَلْ تَغَيَّرتا بَعْدِى

وهل جارتَانَا بالبَتِيلِ(٦) إلى الحِمَى ... على عَهْدِنا أَمْ لم تَدُوما على العَهْد

وعن عُلْوِيَّاتِ(٧) الرِّياحِ إذا جرتْ ... برِيحِ الخُزَامَى هَل تَهُبُّ على نَجْد

وعن أُقْحُوانِ الرَّمْلِ ما هو فَاعِلٌ ... إذا هو أَسْرَى لَيْلَةً بِثَرًى(٨) جَعْد

(١) أقنى ، فى أنفه ارتفاع فى أعلاه بين القصبة والمارن ، من غير قبح .

(٢) طوال : مفرط فى الطول .

(٣) الجعد : المعصوب الجوارح الشديد الأسر والخلق ، فى غير استرخاء ولا اضطراب .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « فيتوجهون به » .

(٥) قنا : جبل ببلاد طيىء ، وعوارضة : جبل بأعلى ديار طيىء ، ذكره ياقوت ، ثم أنشد بيت قيس هذا .

(٦) البتيل : جبل بنجد .

(٧) علويات : جمع علوية ، نسبة إلى العالية ، وهى مافوق أرض نجد إلى تهامة ، نسبة نادرة ، والقياس : عالى .

(٨) الجعد : الندى .

وهل أنفُضَنَّ الدَّهْرَ أفنانَ لِمَّتى على لاحِقِ المَتْنَيْنِ مُنْدَلِقٍ[1] الوَخْدِ
وهل أسمعَنَّ الدَّهْرَ أصواتَ هَجْمَةٍ[2] تحدَّرُ من نَشْزٍ[3] خَصيبٍ إلى وَهْدِ

سؤاله زوج ليلى عن حاليهما

وقيل: مَرَّ المجنونُ ذاتَ يومٍ بِزَوجِ لَيْلَى، وهو جالسٌ يَصْطلى فى يومٍ شاتٍ، وقد أتى ابنَ عمٍّ له فى حَيِّ المجنون لحاجةٍ، فوقف عليه ثم أنشأ يقول:

بِرَبِّك هل ضَمَمْتَ إليك لَيْلَى قُبَيْلَ الصُّبح أو قَبَّلْتَ فاهَا
وهَلْ رَفَّتْ عليك قُرُون[4] لَيْلَى رَفِيفَ الأُقْحُوانَةِ فى نَدَاها

فقال: اللّهم إذ حَلَّفْتَنى فنعَمْ. قال: فقبَض المجْنُونُ بكِلْتا يَدَيْه قَبْضَتَيْن من الجمْر، فما فارَقَهما حتى سَقَطَ مَغْشِيًّا عليه، وسَقَطَ الجمْرُ مع لحم راحتَيْه. فقَام زوجُ لَيْلَى مَغمُوماً بفِعْله مُتعجباً منه.

مروره بجبلى نعمان

وقيل: إن أهلَ المجنون خَرجوا به معهم إلى وادِى القُرَى[5] قبلَ تَوَحُّشِه لِيَمْتَارُوا[6]، خوفاً عليه من أن يَضِيعَ ويَهْلِكَ، فمرُّوا فى طريقهم بجَبَلَىْ نَعْمان[7]. فقال له بعضُ فِتْيَان الحىّ: هذان جَبَلَا نَعْمان، وقد كانتْ لَيْلَى تنزِل بهما. قال: فأىُّ الرِّيَاح يأْتى من ناحيَتِهما؟ قالوا: الصَّبَا. قال: فوالله لا أريم هذا الموضع حتى تهُبَّ الصبا. فأقام، ومضَوْا فامتارُوا لأنفُسِهم، ثم أتَوْا عليه فأقامُوا معه ثلاثَةَ أيّام حتى هبَّت الصَّبَا، ثم انطَلَق معهم وأَنْشأ يقول:

أيَا جَبَلَىْ نَعْمانَ باللهِ خَلِّيَا سَبِيلَ الصَّبا يَخْلُصْ إلىَّ نَسِيمُهَا

---

(١) اللاحق: الضامر. والمتنان: جنبتا الظهر. والمندلق: السريع. والوخد: ضرب من سير الإبل والخيل، معه سعة الخطو. (٢) الهجمة: القطعة الضخمة من الخيل.

(٣) النشز: المكان المرتفع.

(٤) القرون: ذوائب الشعر. ورفت: اهتزت نضارة وحسناً.

(٥) وادى القرى: بين الشام والمدينة.

(٦) الامتيار: جاب الطعام.

(٧) نعمان: هو نعمان الأراك، واد بين مكة والطائف. وقيل: هو واد لهذيل على ليلتين من عرفات.

أَجِدْ بَرْدَها أو تَشْفِ منى حَرَارةً ... على كبدٍ لم يَبْقَ إلّا[1] صميمُها
فإنّ الصَّبا رِيحٌ إذا ما تنسَّمت ... على نفسِ مَهْمُومٍ تجلّتْ هُمُومُها

وقوفه على آثار بيت ليلى

وقيل : لما منع أبو لَيْلَى المجنونَ وعَشِيرتُه من تَزوّجها إيّاه ، كان لا يزال يَغْشَى بُيُوتَهم و يَهجُم عليهم ، فشَكَوْه إلى السُّلْطان ، فأَهْدَر دَمَه لهم ، فأَخْبَرُوه بذلك ،فلم يَرُعه[2] وقال: الموتُ أَرْوَحُ لى ، فلَيتَهم قتلُونى. فلمّا علِمُوا بذلك وعلِموا أنّه لا يزَال يطلُب غِرّةً[3] منهم ، حتى إذا تفرّقوا دَخَل دارَهم ، اُرتحلُوا وأَبعَدُوا . وجاء المجنونُ عَشِيَّةً فأَشْرَف على دارهم ، فإذا هى منهم بلاقعُ[4] ، فقصَد مَنزلَ لَيْلَى الذى كان بيتُها فيه ، فأَلْصَق صدرَه به وجَعل يتمرّغ على تُرَابه وَيَبْكى ، ثم أنشأ يقول :

أَيَا حَرَجَاتِ[5] الحىّ يوم تحمّلُوا ... بذِى سَلَمٍ[6] لا جادَكُنّ رَبيعُ
وخَيْمَاتُكِ اللّاتى بمُنْعَرَجِ اللِّوَى ... بَلِينَ بِلًى لم تَبْلَهُنّ رُبُوعُ
نَدِمْتُ على ما كان مِنّى نَدامةً ... كما يَندم المَغْبُونُ حينَ يَبِيعُ
فقَدْتُكَ من قَلْبٍ شَعاعٍ[7] فإنّنى ... نَهَيْتُكَ عن هـذا وأَنتَ جَمِيعُ
فقرّبْتَ لى غيْرَ القريبِ وأَشْرَفَتْ ... هُنَاكَ ثَنَايا[8] مالهنّ طُلُوعُ

ليلى وقد أخلفته

وذُكر أنّ لَيْلَى وعدتْه قبل أن يَختلط أن تَسْتَزِيرَهُ لَيْلَةً إذا وَجَدَتْ فُرْصَة لذلك ، فمَكَثَ مُدَّةً يُرَاسِلُها فى الوَفَاء ، وهى تَعِـدُه وتُسَوِّفُه ، فأَتى

(١) صميمها : أصلها .
(٢) فى الأصل : « فلم يزعه » .
(٣) غرة : غفلة .
(٤) بلاقع : خالية .
(٥) الحرجات : الغيضات ، وهى الشجر الملتف ؛ الواحدة : غيضة .
(٦) ذو سلم : موضع بالحجاز .
(٧) قلب شعاع : متفرق لا عزم له . وفى بعض أصول الأغانى : « نفس شعاع » .
(٨) الثنايا : المراقى الصعبة فى الجبل ؛ الواحدة : ثنية .

أَهلَها ذاتَ يَوْم والحيُّ خُلُوف(١) ، فجلس إلى نِسْوَةٍ من أَهْلِها حَجْرةً(٢) منها بحيثُ تسمَع كلامَه . فحادَثهنَّ طويلاً ، ثم قال : ألا أُنْشِدُكُنَّ أَبياتاً أَحْدَثْتها فى هذه الأيّام ؟ قُلْن : بلى . فأَنْشَدَهُن :

يا للرِّجال لِهَمٍّ باتَ يَعْرُونى ... مُسْتَطْرَفٍ وقَديمٍ كاد يُبْلِينى
مَنْ عاذِرى من غَرِيم غيرِ ذى(٣) عُسُر ... يأبَى فيَمْطُلنى دَيْنِى ويَلْوِينى
لا يُبْعِدُ النَّقْدَ من حَقٍّ فيُنْكِره ... ولا يُحَدِّثُنى أَنْ سَوْف يَقْضِينى
فما كشُكْرِىَ شُكْرٌ لَوْ يُوافِقُنى ... ولا مُنَاىَ سِواه لو يُواتِينى
أَطَعْتُه وعَصَيْتُ النّاسَ كُلَّهم ... فى أَمْرِه وهَواهُ وهُو يَعْصِينى

فقُلْنَ له : ما أَنْصَفَك هذا الغَريمُ الذى ذَكَرْتَه ، وجَعَلْنَ يتضاحكْنَ من قوله وهو يَبْكى ، فاُسْتَحْيَتْ لَيْلَى منهن ورقَّتْ [له] حتى بَكَت ، وقامَتْ ودَخلَت بَيْتَها واُنصرف هو .

حديثه مع ليلى وقد أتى أهلها يسألهم أدما

وذُكر أنّه قيل لقَيْس بن المُلَوَّح المجنون قَبل أن يَختلِط : ما أَعْجَبُ شىء أصابك من وَجْدِك بلَيلَى ؟ قال : طَرَقَنا ذاتَ ليلة أَضْيافٌ ، ولم يكُنْ عندنا أُدْمٌ ، فبعَثَنى أبى إلى مَنْزِل أبى لَيْلَى ، وقال : اُطْلُبْ منهم لنا أُدْماً . فأتَيْتُه فوَقَفْتُ على خِبائه وصِحْتُ . فقال : ماتشاء؟ فقلت: طَرَقَنا ضِيفانٌ ولا أُدْمَ لنا ، فأرسَلَنى أبى أَطْلُبُ منك أُدْماً . فقال : يا ليلى ، أَخْرِجى ذلك النِّحْىَ(٤) فاُمْلَئى له إناءَه من السَّمْن . فأَخْرَجَتْه ، ومعى قَعْبٌ ، فجَعَلَتْ تَصُبُّ السَّمن لى فيه ونتحَدَّثُ ، فأَلْهانا الحديثُ وهى تَصُبُّ السَّمْن ، وقد اُمْتَلأَ القَعْبُ ولا نَعْلم جميعاً ، وهو يَسِيل حتى اُسْتَنْقَعَتْ أَرْجُلُنا فى السَّمن .

(١) حى خلوف : قد غاب رجاله وأقام نساؤه .
(٢) حجرة منها : أى ناحية منها .
(٣) العسر : بضمتين ، لغة فى العسر ، بالضم .
(٤) النحى : الزق الذى يوضع فيه السمن خاصة .

هو وليلى وقد أتى أهلها يطلب نارا

قال : وأَتَيْتُهم ليلةً ثانيةً أَطْلُب ناراً ، وأنا مُتَلَفِّعٌ ببُرْدٍ لى[١] . فأَخْرَجَتْ لى ناراً فى عُطْبَةٍ[٢] فأعطتنيها ، ووقفنا نتحدَّث ، فلمَّا احترقت العُطْبةُ خرَّقْتُ من بُرْدِى خِرْقةً ، وجعلْتُ النَّارَ فيها ، وكلَّما احترقتْ خرَّقْتُ أُخْرَى وأَذْكَيْتُ بها النَّارَ ، حتَّى لم يَبْقَ علىَّ من البُرْدِ إلّا ما وارَى عَوْرَتى ، وما أَعْقِلُ ما أصْنَع .

شعر له يدعى لنصيب

وأَنْشد المجنون :

كأنّ على أنيابِها الخمرَ[٣] شَجَّها ... بماء النَّدَى فى آخرِ اللَّيْلِ[٤] غابِقُ

وما ذُقْتُها إلّا بِعَيْنِى تفرُّساً ... كما شِيمَ[٥] من أعْلَى السَّحابة بارِق

ويُدعى هذا الشعر لنُصيب .

هو وليلى بعد أن سألتها أمه لقاءه

وقيل : لمّا اختلط عَقْل المجنون وترَك الطَّعامَ والشَّراب ، مضَتْ أُمُّه إلى ليْلى فقالت لها : إنَّ قَيْسًا قد ذهب حُبُّكِ بعَقْله ، وترَكَ المَطْعم والمَشْرب ، فلو جِئْتِه وقتاً لرَجوتُ أن يثُوبَ إليه بعضُ عقْله. فقالت ليلى: أمَّا نهاراً فلا ، لأنِّى لا آمَنُ قَوْمى على نفْسى، ولكن ليلاً . فأتتْه ليلاً فقالت له : يا قَيْس ، إنّ أُمَّك تزْعُمُ أنَّك جُنِنْتَ من أجْلى وتركتَ المَطعم والمَشْرب ، فاتّقِ اللهَ وأَبْقِ على نَفْسِك . فبَكى وأنْشأ يقول :

قالتْ جُنِنْتَ على رأْسى[٦] فقُلْتُ لها ... الحُبُّ أَعْظَمُ ممّا بالمجانِينِ

الحُبُّ ليْسَ يُفِيقُ الدَّهْرَ صاحِبُه ... وإنّما يُصْرَعُ المَجْنونُ فى الحِين

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ببردتى » .
(٢) العطبة : خرقة تؤخذ بها النار.
(٣) شجها : مزجها .
(٤) الغابق : الساقى فى الغبوق ، أى العشى .
(٥) شام : نظر .
(٦) كذا فى الأصل وبعض أصول الأغانى وتزيين الأسواق . وفى سائر أصول الأغانى : « على أيش » أى على أى شىء . قال الخفاجى : إنها سمعت من العرب ، ووردت فى شعر قديم .

قال : فبكَتْ معه . وتحدَّثنا حتى كاد الصُّبحُ يُسْفِر ، ثم ودَّعته وانْصرَفتْ . فكان آخِرَ عَهْدِه بها .

سبب تسميته بالمجنون

وقيل : إنه إنما سُمِّيَ المجْنُونَ بقوله :

ما بَالُ قَلْبِكَ يا مَجْنُونُ قَدْ خُلِعَا مِنْ حُبِّ مَنْ لا تَرَى فى نَيْلِه طَمَعَا

الحُبُّ والوُدُّ نِيطَا بالفؤادِ لها فأَصْبحَا فى فُؤَادِى ثابِتَيْنِ مَعا

ومن قوله فى جُنونه :

يُسمُّوننى المَجْنُونَ حِينَ يَرَوْنَنى نَعَم بىَ من لَيْلَى الغَداةَ جُنُونُ

لَيَالِىَ يُزْهَى بى شَبَابٌ[1] وشِرَّةٌ وإذْ بِيَ مِنْ خَفْضِ المَعِيشَةِ لِين

وقيل : بل سُمِّيَ المجنون بقوله :

وإنِّى لمجنونٌ بلَيْلَى مُوَكَّلٌ ولَسْتُ عَزُوفاً[2] عن هَوَاها ولا جَلْدَا

إذا ذُكِرَتْ لَيْلَى بَكَيْتُ صَبَابَةً لِتَذْكارِها حتى يَبُلَّ البُكَا الخَدَّا

وقيل : بقوله :

وبِى مِنْ هَوَى لَيْلَى الَّذى لو أَبُثُّه جَمَاعةَ أعدائِى بَكَتْ لى عُيُونُها

أرَى النَّفْسَ عن لَيْلَى أَبَتْ أَنْ تُطِيعَنِى فقدْ جُنَّ مِنْ وَجْدٍ[3] بِلَيْلَى جُنُونُها

وقيل : بقوله :

يَقُول أُناسٌ عَلَّ مَجْنُونَ عَامِرٍ يَرومُ سُلُوًّا قُلْتُ أَنَّى لِمَا بِيَا

وقد لامَنِى فى حُبِّ لَيْلَى قَرابَتِى أَخِى وأبْنُ عَمِّى وأبْنُ خالِى وخَالِيا

يقولون لَيْلَى أَهْلُ بَيْتِ عَدَاوَةٍ بِنَفْسِىَ لَيْلَى مِنْ عَدُوٍّ ومَالِيا

من شعره

وقال أيضاً :

وشُغِلتُ عن فَهْمِ الحديث سوى ما كانَ منكِ فإنّه شُغْلِى

وأُديمُ لَحْظَ مُحَدِّثى ليرَى أن قد فهمتُ وعندكم عَقلى

---

(١) الشرة : نشاط الشباب . (٢) العزوف : المنصرف عن الشىء زهدا فيه أو كراهية له .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « وجدى » .

وقال أيضاً :

أَلاَ ما لِلَيْلَى لا تُرَى عِنْدَ مَضْجَعِى ... بِلَيْلٍ ولا يَجْرِى بذلك طَائِرُ
بَلَى إنَّ عُجْمَ الطَّيْرِ تجْرِى إذا جَرَتْ ... بِلَيْلَى ولكن ما لِذَلك زَاجِرُ
أَزَالَتْ عَن العهْدِ الذى كان بَيْننا ... بذى الأَيْكِ[1] أَمْ قد غَيَّرتْها المَقَادِرُ
فواللهِ ما فى القُرْبِ لى مِنْكِ رَاحَةٌ ... ولا البُعْدُ يُسْلِينى ولا أَنَا صَابِرُ
وواللهِ ما أَدْرِى بِأَيَّةِ حِيلَةٍ ... وأَىِّ مَرَامٍ أَوْ خِطَارٍ[2] أُخَاطِرُ
وتاللهِ إنَّ الدَّهْرَ فى ذاتِ بَيْنِنا ... عَلَىَّ لها فى كُلِّ حالٍ لَجَائِرُ
فَلَوْ كُنْتِ إذْ أَزْمَعْتِ هَجْرِى تَرَكْتِنى ... جَمِيعَ[3] القُوَى والعَقْلُ مِنِّىَ وَافِرُ
وقد أَصْبَحَ الوُدُّ الذى كانَ بَيْنَنا ... أَمَانِىَّ نَفْسٍ والمُؤَمِّلُ حَائِرُ
لَعَمْرِى لقد رَنَّقْتِ[4] يا أُمَّ مَالِكٍ ... حَيَاتى وساقَتْنى إلَيْكِ المَقَادِرُ

وقال أيضاً :

نَهارِى نَهارُ النَّاسِ حتى إذا بَدَا ... لِىَ اللَّيْلُ هَزَّتْنى إِلَيْكِ المَضَاجِعُ
أُقَضِّى نَهَارِى بالحديث وبالمُنَى ... ويَجْمَعُنى والهَمَّ باللَّيْلِ جَامِعُ
لَقَدْ ثَبَتَتْ فى القلب منكِ مَوَدَّةٌ ... كما ثَبَتَتْ فى الرَّاحَتَيْنِ الأَصَابِعُ

وقال أيضاً :

أَظُنُّ هَوَاها تَارِكِى[5] بِمَضَلَّةٍ ... من الأَرْضِ لا مَالٌ لَدَىَّ ولا أَهْلُ
ولا أَحَدٌ أَقْضِى إليه[6] وصِيَّتى ... ولا صَاحِبٌ إلَّا المَطِيَّةُ والرَّحْلُ
مَحَا حُبُّها حُبَّ الأُلَى كُنَّ قَبْلَها ... وحَلَّت مَحَلاًّ لم يَكُنْ حُلَّ مِن قَبْلُ

---

(١) وهى رواية تزيين الأسواق أيضاً (ص ٧٩) . وفى بعض أصول الأغانى : « بذى الأثل » .

(٢) الخطار : الرهان . وأخاطر : أراهن . (٣) جميع : مجتمع .

(٤) رنقت : كدرت . (٥) المضلة ، بفتح الضاد وكسرها : المكان يضل فيه الإنسان .

(٦) أقضى إليه وصيتى : أنهيها إليه وأبلغه إياها . . وفى الأصل : «أفضى» بالفاء، وهو مما يتعدى بالباء .

شعره وقد زوجت ليلى فى ثقيف

وقيل : زُوِّجت رجُلاً من ثقيف ، فقال :

دَعَوْتُ إلٰهى دَعْوَةً ما جَهِلْتها وربِّى بِمَا تُخْفِى الصُّدُور[1] خَبِيرُ
لئن كنتَ تُهْدِى بَرْدَ أنيابها العُلا لأَفْقَرَ مِنِّى إنّنى لفقير
فقد شاعت الأَخْبَارُ أَنْ قد تزَوَّجتْ فهل يأتينِّى بالطَّلاق بَشِير

وقال أيضاً :

ألا تلْكَ لَيْلَى العَامِرِيَّةُ أَصْبَحَتْ تَقَطَّعُ إلّا مِن ثَقيفٍ حِبَالُها
هُمُ حَبَسُوها مَحْبَسَ البُدْنِ وابْتَغَى بها المَالَ أَقْوَامٌ أَلاَ قَلَّ مالُها

وجَعَلَ يَمُرُّ ببيتها ولا يَسْأَلُ عَنْها ولا يَلْتَفِتُ إليه ، ويقول إذا جاوزه :

أَلَا أيُّها البَيْتُ الذى لا أَزُوره وإن حَلَّه شَخْصٌ إلَيَّ حَبيبُ
هَجَرْتُكَ إشفاقاً وزُرْتُكَ خائفاً وفيك علىَّ الدَّهرَ مِنْكَ رَقيب
سأَسْتَعْتِبُ الأَيَّامَ فِيكَ لعلَّها بيومِ سُرُورٍ فى الزَّمان تؤوب

وبَلَغه أنَّ أهْلَها يُرِيدُون نَقْلَها إلى زوْجِها الثَّقفِىّ ، فقال :

كأَنَّ القَلْبَ لَيلَةَ قِيلَ يُغْدَى بلَيْلَى العامِرِيَّةِ أَو يُرَاحُ
قَطَاةٌ عَزَّها[2] شَرَكٌ فبَاتَتْ تُجَاذِبُه وقدْ عَلِقَ الجَنَاح

فلمّا نُقِلَتْ إلى الثَّقفِىّ قال :

طَرِبْتَ وشَاقَتْكَ الحُمولُ الدَّوافعُ غَداةَ دَعَا بالبَيْن أَسْفَعُ[3] نَازِعُ
شَحَا فَاهُ نَعْباً بالفِراق كأنه حَرِيبٌ سَلِيبٌ نَازِحُ الدارِ[4] جَازِع
فقلتُ ألا قد بَيَّنَ[5] الأَمْرُ فانْصَرِفْ فقَدْ راعَنَا بالبَيْن قَبْلَكَ رَائِع

---

(١) فى الأصل : « قدير » مكان «خبير» . (٢) عزها : غلبها .
(٣) الحمول : أى الإبل التى عليها الهوادج . والدوافع : المندفعة فى السير . والأسفع : الأسود. والنازع : المسرع ، يريد غراباً .
(٤) شحا فاه : فتحه . والنعب : الصياح والتصويت . والحريب : المسلوب . وفى الأصل : « غريب » مكان « سليب » .
(٥) بين الأمر : تبين .

سُقيتَ سِمامًا من غُرابٍ فإنّنى تبيَّنْتُ ماخبَّرْتَ مُذ أَنتَ[١] وَاقِع
ألم تَرَ أَنِّى لا مُحِبٌّ أَلُومُه ولا ببَديلٍ بَعْدهم أَنا قانِع
وقد يَتَنَاءى الإلْفُ من بَعْد قُرْبه وَيصْدَعُ ما بَيْنَ الخَليطيْن صَادِع
وكم من هَوًى أو جِيرةٍ قد أَلِفْتهم زَمانًا فلمْ يَمْنَعْهُم البَيْنَ مَانِع

ومنها :

فلمَّا اسْتوَتْ تحتَ الخُدُورِ وقد جرَى عَبيرٌ ومِسْكٌ بالعَرانين[٢] رَادِعُ
أَشَرْنَ بأَن حُثُّوا الجِمَالَ فقد بَدَا من الصَّيْفِ يَوْمٌ لافِحُ الحرِّ[٣] ماتِع
فلمّا لَحِقْنَا بالحُمُول تَباشَرَتْ بنا مُقْصِراتٌ غابَ عنها المُطَالِع
تَعَرَّضْنَ[٤] بالدَّلِّ المَليح وإنْ يُرِدْ جَناهُنَّ مَشْغُوفٌ فَهُنَّ مَوانِع
فقلتُ لأَصْحَابِى ودَمْعِىَ مُسْبَلٌ وقد صَدَعَ الشَّمْلَ المُشتَّتَ صَادِع
أَلَيْلَى بِأَبْوَابِ الخُدورِ تَعَرَّضَتْ لِعَيْنَىَّ أَمْ قَرْنٌ من الشَّمْسِ طَالِع

تردده على التوباذ حيث كان يلقى ليلى

وقيل : كان المجنون وليلَى ، وهما صَبِيَّان ، يَرْعَيانِ غَنماً لأَهْلهما عند جَبَلٍ فى بلادِها ، يقُال له : التَّوْباذ[٥] ، فلمَّا ذَهَب عَقْلُه وتَوحش كان يَجىء إلى ذلك الجَبَل فَيُقِيم فيه ، فإذا تَذَكر زَمن[٦] كان يُطِيفُ به هو ولَيْلَى جَزِع واسْتَوْحَش ، وهَام على وَجْهِه حتى يَأْتِىَ نَوَاحِىَ الشَّأْم ، فإذا ثَاب إليه عَقْلُه رأى بَلَداً لا يَعْرِفُه ، فيَقُولُ للنَّاس الذين يَلْقَاهُم : بأَبى أنتم ! أَيْنَ التَّوْباذ مِن أرض بنى عامر ؟ فيقال له : وأَيْنَ أَنْتَ من أرض بنى عامر ؟ أَنتَ بالشَّأْم ، عليك بِنَجْمِ كَذا فَأُمَّه . فَيَمْضِى على وَجْهِه نحو ذلك النَّجْم ، حتى يَقَعَ بأرض اليَمن ،

(١) واقع : قد حط على مكان .
(٢) رادع : أى مردوع به الجسد والثوب ، أى ملطخ .
(٣) ماتع : طويل .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « يعرضن » .
(٥) كذا فى ياقوت ، وضبطه البكرى بالدال المهملة ، وهو جبل بنجد .
(٦) فى بعض أصول الأغانى : « أيام » .

فيرى بلاداً يُنْكِرُها وقوماً لا يعرِفُهم ، فيَسْأَلُهم عن التَّوْباذ وأَرْض بنى عامر ، فيَقُولون له : وأَينَ أنت مِن أرض بنى عامر ! عليكَ بِنَجْم كذا وكذا . ولا يزالُ كذلك حتى يقَع على التَّوْباذ ، فإذا رآه قال :

وأَجْهَشْتُ[1] لِلتَّوْباذِ حِينَ رَأَيْتُه ... وكَبَّر لِلرَّحمن حين رَآنِي

وَأَذْرَيْتُ دَمْعَ العيْنِ لَمَّا عَرفتُه ... ونَادَى بِأَعْلَى صَوْتِه فدَعَانى

فقلتُ له قد كان حَولَك جِيرَةٌ ... وعَهْدِى بذاكَ الصَّرْمِ مُنْذُ زَمان

فقال مَضَوْا واستَوْدَعُونى حَدِيثَهُم ... ومن ذا الذى يَبْقَى على الحَدَثَان

وإنّى لَأَبْكى اليومَ من حَذَرى غَداً ... فِراقَكَ والحَيَّانِ مُؤْتَلِفَان

سِجَالاً وتَهْتَاناً ووَبْلاً ودِيمَةً ... وسَحًّا وتَسْكَاباً[2] إلى هَمَلان

سبب مرضه

وقيل : إنه لمّا قال المجنون :

خَلِيلَىَّ لا واللهِ لا أَمْلِكُ الذى ... قَضَى اللهُ فى لَيْلَى ولا ما قَضَى لِيَا

قَضَاها لِغَيْرِى وابْتلانى بحُبِّها ... فهلَّا بشَىءٍ غيرِ لَيْلَى ابْتَلانيا

مَرِضَ .

عود إلى شعره

وقال المجْنُونُ أيضاً :

وأَحْبِسُ عَنْكِ النفْسَ والنَّفْسُ صَبَّةٌ ... بذِكراكِ والمَمْشَى إليكِ قَريبُ

مَخَافَةَ أن يَسْعَى الوُشَاةُ بِظِنَّةٍ ... وأَحْرُسُكم أن يَسْتَرِيبَ مُرِيب

لقد جَعَلَتْ نَفْسى ـ وأنتِ اجْتَرَمْتِها[3] ... وكُنْتِ أَعَزَّ النّاس ـ عنك تَطِيب

فلَوْ شِئْتِ لم أَغْضَبْ عَلَيْكِ ولم يَزَل ... لَكِ الدَّهرَ مِنِّى ما حَيِيت نَصِيب

(١) أجهش : تهيأ للبكاء .

(٢) فى الأصل : « وتنهملان » مكان «الى هملان» . وما أثبتناه من الديوان .

(٣) الاجترام : الصرم والقطيعة . يريد : وأنت قطعتنى وهجرتنى . والاجترام أيضاً : كسب الذنب . يريد : اجترمت هذه القطيعة ، أو هذه الفعال من استماعك إلى الوشاة . وفى بعض أصول الأغانى : « اجترمته » . يريد : الذنب ، أى استماعك إلى الوشاة . والرواية فى الأصل : « اخترمتها » . بالخاء . والاخترام : الاستئصال والاقتطاع . يريد وصف العناء الذى بلغ به مبلغ هذا .

الببغاء وصديقه أحب قرشية

قُلْتُ : واُستَطْرَد أبو الفرج بحكاية ليستْ من أخبار المجنون طريفة ، تتعلّق بقوله :

« لقد جَعلت نَفْسى وأَنْت اُجترمتها[1] وكنت أعزّ النـاس عنك تَطيب »

وهى : حَكى[2] أبوالحسن البَبَّغاء[3] قال : بينا أنا وصديقٌ لى من قُرَيش نمْشى بالبَلاط[4] ليلاً، إذا بِظلٍّ نِسْوة فى القمَر، فَسَمِعْتُ إحداهنّ تقول : هو هو؟ فقالت لها أخرى معهـا : إى والله لهو هو ! فدنتْ منّى ثم قالت : يا كَهْلُ ، قُلْ لهـذا الذى معك :

ليستْ لياليكَ فى خاخٍ[5] بعـائدةٍ كما عَهِـدتَ ولا أيَّامُ ذى سَـلَمِ

فقلتُ : أَجِبْ فقد سَمِعْتَ . فقال : قد والله قُطِـع بى وأُرْتِج علىّ ، فـأَجِبْ عنّى . فقلت :

فقلتُ لهـا يا عَزّ كُلُّ مُصيبةٍ إذا وُطِّنَتْ يَوْماً لها النَّفْسُ ذَلَّتِ

ثم مَضَيْنَا حتى إذا كُنَّا فى مُفْتَرَقِ طَرِيقَيْن ، مَضَى الفَتَى إلى مَنْزِله ومَضَيْتُ إلى مَنْزِلى ، فإذا أنا بِجُوَيْرِيةٍ تَجْذِبُ ردائى ، فالتَفَتُّ . فقالت [لى] : المرأةُ التى كَلَّمَتْهَا تَدْعوك . فمَضَيْتُ معها ، حتى دَخَلْتُ داراً واسعَةً ، ثم صِرْتُ إلى بَيْتٍ فيه حَصيرٌ ، وقد ثُنِيَتْ لى فيـه وِسَادةٌ ، فجَلَسْتُ عليها . ثم جاءتْ الجـاريةُ بوسادة مَثْنيَّـةٍ فطَرَحَتْها ، ثم جاءت المرأةُ فجلستْ عليهـا ، وقالت لى : أنتَ المُجيب ؟ قلتُ : نعَم . قالت : ما كان أفظَّ جَوابَكَ وأَغْلَظَه ! فقلتُ : ماحَضَرنى غيرُه . فسكتتْ ثم قالت : ما خلق الله خَلقاً أحَبَّ إلىَّ من إنسـان كان معك ! فقلتُ : أنا الضَّامِنُ لك عنـه ما تُحِبِّين . فقالت : هيهـاتَ أن يقَع بذلك وفاء !

(١) فى الأصل : « اخترمتها » . وانظر الحاشية (٣ ص ١٧٢) من هذا الجزء .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « حدث » .
(٣) فى الأصل : « الينبعى » . (٤) البلاط : موضع بالمدينة .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « جمع » وهى المزدلفة .

فقلتُ : أنا الضَّامِن وعليَّ أنْ آتِيَك به الليـلةَ القابلةَ . قال : فانصرفتُ ، فإذا الفَتى ببابى، فقلتُ: ماجاء بك ؟فقال : ظَنَنْتُ أَنَّها سَتُرْسِل إليك ، وسأَلتُ عنك فلم أَعرف لك خبراً ، فظننتُ أنَّك عنـدها ، فجلستُ أَنتظرك . فقلت : قد كان الذى ظننتَ ، وقد وعدتُها أنْ آتِيكَ فأَمْضِيَ بكَ إليها فى الليلة المُقبلة .

فلمّا أصْبحنَا تهيَّأْنا وانتظَرْنا المَساء . فلما جاء اللَّيْـلُ رَحَلنا إليها ، فإذا الجارِيةُ مُنْتَظِرةٌ لنـا ، فمضَتْ أمامَنا حِينَ رَأَتْنـا ، حتَّى دَخلتْ تِلك الدَّارَ ، ودخلنا معها ، فإذا رَائِحةٌ طَيبَـةٌ ومجلس قد أُعِدَّ ونُضِّد . فجلَسْنا على وسـائِدَ قد ثُنيتْ . وجلستْ مَليًّا ، ثمَّ أَقبلتْ عليه تعاتبُه مَلِيًّا ، ثم قالتْ :

وأنتَ الّذى أَخْلَفْتَنى ماوعَدْتَنى ... وأَشْمَتَّ بى مَن كان فيكَ يَلُومُ
وَأَبْرَزْتَنى للنَّاسِ ثم تَرَكْتَنِى ... لَهُم غَرَضاً أُرْمَى وأنتَ سَلِيم
فَلَو كان قَولٌ يَكْلِمُ الجِلْدَقد بَدَا ... بجِلْدِىَ مِنْ قَولِ الوُشـاة كُلُوم

— والأبيات لصاحبة ابن الدُّمَيْنة ، وهى أُمَيْمَة — قال: ثم سكتتْ، وسَكَت الفتى هُنَيْهةً ، ثم قال :

غَدَرْتِ ولم أَغْدِر وخُنْتِ ولم أَخُن ... وفى بَعْض هـذا للمُحِبِّ عَزَاء
جَزَيْتُكِ ضِعْف الوُدِّ ثم صَرَمْتِنى ... فَحُبُّك من قَلْبى إليـك أَدَاء

فالتفتتْ إلىّ وقالت : أَلَا تَسْمع ما يقول ! قد خَبَّرْتُك ! قال : فغمزتُه : أنْ كُفَّ . فـكَفَّ . ثم أقبَلَتْ عليه ، وقالت :

تَجاهَلْتَ وَصْلِى حين لَجَّتْ[1] عَمَـايَتى ... فهَلَّا صَرَمْتَ الحَبْـلَ إذ أَنَا أُبْصِرُ
ولِى مِن قُوَى الحَبْـل الّذى قد قطعْتَه ... نَصيبٌ وإذ رَأْيِى جَمِيعٌ[2] مُوَفَّرُ
ولـكنّما آذنتَ بالصَّرْم بَغْتَـةً ... ولَسْتُ على مِثْلِ الذى جِئْتَ أَقْدِر

---

(١) لجت : دامت وبقيت . (٢) فى الأصل : « الجميع » .

فقال :

لقد جعلتْ نفسِى وأنتِ[١] اْجْتَرَمْتِها   وكنتِ أَعزَّ النـاسِ عنكِ تَطيبُ

قال : فبكتْ ، ثم قالت . أَوَقد طابتْ نفسُك ! لا ! واللّه ما فيك بعـد هذا خَيْر ! ثم اُلتفتتْ إلىّ فقالت : قد علمتُ أنك لاتفِى بضَمانك ، ولايفِى [به] عنك.

[ج ٢]

رجعة الى شعر المجنون

ومّما قاله المَجنون :

يَضُمُّ إلىَّ اللَّيلُ أطرافَ حُبِّـكم   كما ضَمَّ أزرارَ القَميص البَنـائِقُ
وماذا عَسَى الواشُون أن يتَحَدَّثوا   سِوَى أن يقُولُوا إننى لَكِ عَاشِق
نَعم صَدَق الواشُون أنتِ حَبيبةٌ   إلىَّ و إنْ لم تَصْفُ مِنْكِ الخلائق

شعره فيما كان بين ليلى وجارة لها من عقيل

وقيل : دَخلتْ ليْلى على جارة لها من عُقَيْل ، وفى يدها مِسْواكٌ تَسْتاكُ به ، فتنفَّست ثم قالت: سَقَى اللّه من أَهدى لى هذا المِسواكَ ! فقالت لها جارتُها : مَنْ هو ؟ قالت : قيْسُ بن الملوّح. ثم نزَعت ثيابها تَغْتَسِل ،فقالت : وَيْحه ! لقد عَلِق به منِّى ما أَهْلكه من غير أن أَسْتَحِقَّ[٢] ذلك، فنَشَدْتُكِ اللّه ،أَصدَق فى صِفَتى أم كَذَب ؟ فقالت : لا واللّه ، بل صَدَق . و بلغ المجنونَ قولُها فبَكَى ، ثم أَنْشأَ يقول :

نُبِّئْتُ لَيْلَى وقد كُنّا[٣] نُبَخِّلُهـا   قالتْ سَـقى اللّهُ غَيْثاً مَنْزلاً خَرِبَا
وحَبَّـذا راكِبٌ كُنَّا نَهَشُّ له   يُهْدِى لَنَا مِن أَرَاكِ المَوْسم القُضُبا
قالتْ لجارتِها يوماً تُسَائِلُهــا   لَمَّا اُستحَمَّتْ وأَلْقَتْ عندها[٤] السَّلَبا
يا عَمْرَكِ[٥] اللّه أَلّا قُلْتِ صـادقةً   أَصـدَّقَتْ صِـفَةُ المَجْنون أم كَذَبا

شعره وقد وعظه عامرى غب مطر

وذَكَر رَجُلٌ من بنى عامر قال :

مُطِرْنا مَطَراً شَـدِيداً فى رَبيع اُرْتَبعناه ، ودام المَطرُ ثَلاثاً ، ثم أصْبَحْنـا

(١) فى الأصل : « اخترمتها » . وانظر الحاشية (رقم ٣ ص ١٧٢) من هذا الجزء .
(٢) فى الأصل : « يستحق » .   (٣) فى الأصل : « نبجلها » مكان « نبخلها » .
(٤) السلب : كل ما على الإنسان من ثياب .   (٥) فى الأصل : « أعمرك » .

فى اليوم الرّابع على صَحْوٍ ، وخَرج النـاسُ يَمْشُون على الوادِى ، فرأيتُ رَجُلاً جالِسًا حَجْرَةً (١) وحدَه ، فقصـدتُه ، فإذا هو المَجنون جالِسٌ وحدَه يبْكى ، فوَعَظْتُه وكلَّمتُه طَوِيلاً ، وهو ساكت . ثم رَفَع رَأْسَه إلىّ وأَنْشَـدَنى بِصَوْتٍ حَزِين ، لا أَنْساهُ أَبدًا وحُرْقَته :

جرَى السَّـيْلُ فاُسْتَبْكَانِىَ السَّـيْلُ إذْ جَرَى
وفَاضَتْ له من مُقْلَتَىَّ (٢) غُـــرُوبُ

وما ذاكَ إلّا حِينَ خُـــبِّرْتُ أنَّه ... يَمُرُّ بوادٍ أَنْتِ منـــه قَرِيب
يكونـ أُجَاجًا دُونَكم فإذا اُنْتَهَى ... إليـكم تلَقَّى طِيبَـكُم فيَطيب
أَظَلُّ غرِيبَ الدَّارِ فى أَرْض عَامِرٍ ... أَلا كُلُّ مَهْجُورٍ هُنـاكَ غَرِيب
وإنّ الـكَئيبَ الفَرْدَ من جَانِبِ الحِمَى ... إلىَّ وإنْ لم آتِـهِ لَحَبِيب
فلا خَـيْرَ فى الدُّنْيـا إذا أنتَ لم تَزُر ... حَبِيباً ولم يطْرَب إليـكَ حَبِيب

وأوّلُ هذه القصيدة :

أَلا أيُّهـا البَيْتُ الذى لا أَزُورُه ... وهِجْـرَانُه منّى إليـــه ذُنُوبُ
هَجَرْتُكَ مُشْـتاقاً وَزُرْتُكَ خَائِفًـا ... وفيـك عَلَىَّ الدّهْرَ مِنْكَ رَقِيب
سَأَسْـتَعْطِفُ الأيّامَ فيـك لَعلَّهـا ... بيوم سُرورٍ فى هَـوَاكَ (٣) تُثِيب
لَـئِنْ حَالَ يأسٌ دُونَ لَيْلى لَرُبَّمـا ... أَتى اليأسُ دون الأَمْر وهو قَرِيب
ومَنَّيْتِنِى حتى إذا ما رأَيْتِنى ... على شَرَفٍ للنَّـاظِرِينـ يُرِيب
صَدَدْتِ واشْمَتِّ العَـدُوَّ بصَرْمِنـا ... أَثابَكِ يالَيلَى الجـــزَاءَ مُثِيب

وقد رُوى البيتانِ الأوّلان لمحمد بن أُميّة .

(١) حجرة : ناحية .
(٢) الغروب : الدموع .
(٣) فى الأصل : «تنيب» مكان « تثيب » .

لقاؤه ليلى فجأة

وذُكِر أنّ المجنون مرَّ فى بَعْض تَوَحُّشِه ، فَصادف حَيَّ لَيْلى راحلًا ولَقِيَها فَجأَةً ، فَعرفها وعرَفَتْه ، فَصَعِقَ وسَقَط على وَجْهه ، وأقبـلَ فِتْيَانٌ من حَيِّ لَيلى ، فأَخذوه ومَسَحُوا التُّراب عن وَجْهه ، وأَسْنَدُوه إلى صُدُورهم ، وسَأَلُوا لَيْلى أن تَقِفَ له وَقْفَةً ، فرَقَّت لمـا به وقالت : أَمّا هـذا فلا يَجُوز أَنْ أَفْتَضِحَ به ، ولـكن يا فُلانَة ، لأَمةٍ لها : أُذْهَبِى إلى قَيس فقُولى له : لَيْلى تقرأُ عليك السَّلامَ وتقول لك : أَعْزِزْ عَلَيَّ بما أنت فيـه ، ولو وجدتُ سبيلًا إلى شِفاء دائك لوقيتُك بنَفْسِى منه . فَمَضَتِ الوليدةُ إليه ، فأخبرتْه بقولها ، فأَفاق وجلس وقال : أبلغيها السَّلامَ ، وقُولى : هيهات ! إن دائى ودوائى أنتِ ، و إنّ حياتى ووفاتى لَفِى يدَيْك ، ولقد وَكَّلْتِ بى شقاءً لازماً و بلاءً طَويلا . ثم بكى وأنشأ يقول :

أقول لاصْحابِى هى الشَّمْسُ ضَوْءها ... قَريبٌ وَلـكِنْ فى تَناوُلِها بُعْدُ
لقـد عارضَتْنا الريحُ منهـا بنَفْحَةٍ ... على كَبِدى مِن طِيب أَرْوَاحِها بَرْدُ
فمـا زِلْتُ مَغْشِيًّا علىَّ وقد مَضَتْ ... أَناةٌ[1] وما عِنـدى جَوابٌ ولا رَدُّ
أُقَلَّبُ بالأَيْدِى وأَهْلى[2] بعوْلَةٍ ... يُفَدُّوننى لو يَسْتطيعون أنْ يَفْدُوا
ولم يَبْقَ إلّا الجِـلْدُ والعَظْمُ عارياً ... ولا عَظْمَ لِى إنْ دَامَ ما بِى ولا جِـلْد
أَدُنْيايَ مالِى فى انْقِطاعى[3] وغُرْبَتى ... إليكِ ثَوابٌ منكِ دَيْنٌ ولا نَقْـد
وقَد يُبْتَلَى قومٌ ولا كَبَلِيَّتى ... ولا مِثلَ جَدِّى[4] فى الشَّقاء بكم جَدّ
غَزَتْنى[5] جُنودالحُبِّ من كُلِّجانبٍ ... إذا حانَ من جُنْدٍ قُفُولٌ[6] أَتى جُنْد

(١) الأناة : الانتظار .

(٢) العولة : رفع الصوت بالبكاء . (٣) فى الأصل : « رغبتى » .

(٤) الجد : الحظ والنصيب . وفى الأصل : « وجدى ... وجد » .

(٥) فى الأصل : «عرتنى » . (٦) القفول : الرجوع .

نوفل بن مساحق والمجنون

وحَكَى نَوْفَل بن مُسَاحق قال :

قدمتُ الباديةَ فسألتُ عن المجنون ، فقيل: توَحَّش وما لنا به عَهْد ، ولا نَدْرى إلى أين صار . فخَرَجْتُ يَوْماً أَتصَيَّد الأَرْوَى[1] ، ومعى جماعةٌ من أَصحابى ، حتى إذا كنتُ بناحية الِحمَى ، إذا نحن بأَراكةٍ[2] عَظيمة ، وقد بَدَا منها قِطيع ظِباء ، وفيها شَخْص إنسان يُرى من خَلَل تلك الأراكة[3] ،فعَجِبَ أَصْحابى من ذلك ، فعَرفتُه وأَتَيتُه وعرفتُ أنّه المجنونُ الذى أُخْبرتُ عنه . فنزلتُ عن دابتّى وتخَفَّفْتُ من ثِيابى وخَرَجْتُ أَمْشى رُوَيْداً ، حتى أتَيْتُ الأَراكةَ ، فارْتَقَيْتُ حتى صِرْتُ فى أَعْلاها ،وأَشْرَفْتُ عليه وعلى الظِّباء ، فإذا به قد تدلَّى الشَّعرُ على وَجْهِه . فلم أَكَدْ أَعْرِفُه إلّا بعدَ تَأَمُّلٍ شَديد ، وهو يَرْتعى من ثمرِ تلك الأراكة ، فرَفع رأسَه ، فتمثَّلْتُ ببَيْتٍ من شِعْره :

أَتَبْكِي على لَيْلَى ونفسُك باعَدتْ ... مَزارَكَ مِن لَيْلَى وشِعْبَاكُما مَعَا

قال : فنفَرَتِ الظِّباء ، واندَفَع فى باقى القَصيدة يُنْشِدُها ؛ فما أَنسى [حُسْن] نَغمَته وحُسْنَ صَوْته ، وهو يقول :

فما حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الأَمْرَ طائعا ... وتَجْزَعَ أَنْ داعِي الصَّبابة أَسْمَعَا

بَكَتْ عَيْنِيَ اليُسْرَى فلمّا زَجَرْتُها ... عَن الجَهْلِ بعد الحِلْم أَسْبَلَتا مَعا

وأَذْكُر أَيَّامَ الِحمَى ثُمَّ أَنْثَنِي ... على كَبِدى من خَشْيَةٍ أن تَصَدَّعا

فليسَتْ عَشِيَّاتُ الِحمَى برَواجِعٍ ... عليكَ ولكنْ خَلِّ عينيكَ تَدْمَعا

معى كُلُّ غِرٍّ قد عصَى عاذِلاتِه ... بوَصْلِ الغَوانى من لَدُنْ أَنْ تَرَعْرَعا

إذا راح يمْشِي فى الرِّداءَيْنِ أَسْرَعَتْ ... إليه العُيُون النّاظِراتُ التَّطَلُّعا

قال : فَسقط مغشيًّا عليه . فتمثَّلْتُ بقوله :

---

(١) الأروى : الوعول ، وهى تيوس الجبل ، الواحدة : أروية .
(٢) الأراكة : من الأشجار الكثيرة الورق والأغصان . تتخذ المساويك من أغصانها .
(٣) فى الأصل : « ذلك الأراك » .

يادارَ لَيْلَى بِسقْطِ[1] الحيّ قد دَرَسَتْ … إلّا الثُّمَامَ[2] وإلّا مَوْقِدَ النَّـــارِ
ما تَفْتَأُ الدَّهْرَ من لَيْلَى تموتُ كذا … فى مَوقِفٍ وقفتُـــه أو على دار
أَبْلَى عِظَامَك بعـدَ اللّحْمِ ذِكْرُكَها … كما يُنَجَّب قِدْحَ الشَّوْحَطِ[3] البَـارى

فرَفَع رأْسَه إلىَّ وقال : مَن أنتَ حَيَّاكَ الله ؟ فقلتُ : أنا نَوْفلُ بن مُساحِق . فحيّاني . فقلتُ له : ما أَحْدَثْتَ بعدِي فى يأسِكَ منها ؟ فأَنْشَدَنى :

أَلاَ حُجبَتْ لَيْلَى وآلَى أَمِـيرُها … علىَّ يَميناً جاهِــداً لا أَزورُها
وأَوْعَدَنى فيهـــا رِجالٌ أَبُوهُم … أَبِى وأَبُوها خُشِّنَتْ لى صُدُورُها
على غَيْرِ جُرْمٍ غَيْرَ أَنِّى أُحِبُّهـا … وأَنّ فُؤادِى رَهْنُها وأَسِـيرُها

قال : ثم سَنَحَتْ له الظِّبَاء ، فقام يَعْـدُو فى آثارِها حتى مَضَى معها .

سبب توحش المجنون.

وقيل : لمَّا قال المَجْنون :

قَضَاها لِغَـيْرِى وأَبْتَلاني بِحُبِّهـا … فهَلَّا بِشَىء غيرِ لَيْـلَى أبْتَـلانيا

نُودِىَ فى اللَّيْـل : أَنْتَ المُتَسَخِّطُ لِقَضَـاء الله وقَدَره ، والمُعْـتَرِض فى أَحكامه ! واختُلِس عَقْـلُه ، وتوَحَّش منـذ تلك السَّاعة ، وذَهب مع الوَحْش على وَجهِه .

وهذا البَيْتُ من قصيدة منها الأبيات التى فيها الغناء ، وأُفْتتح بها أبو الفَرج أَخْبَارَ المجنون ، وهى :

إذا ما طَواكِ الدَّهْرُ يا أُمّ مَالِكٍ … فَشَأْنُ المَنَايا القاضِـياتِ وشَانِيا
تَمُرُّ اللّيـــالِى والشُّهورُ وتَنقَضِى … وحُبُّـكِ لا يَزْدادُ إلّا تمـادِيا

(١) سقط الحى ، أى حيث انقطع الرمل ورق .

(٢) الثمام : نبت من نبات البادية لا يطول ، وكانوا يسدون به خصائص البيوت .

(٣) ينجب : يقشر . والقدح : السهم . والشوحط : ضرب من أشجار الجبال تتخذ منه القسى.

خَلِيلَيَّ أن دارت على أمِّ مَالِكٍ صُرُوفُ اللَّيَالى فابْغِيَا لىَ ناعِيا
ولا تَتْرُكانى لا لِخَيْرٍ مُعَجَّلٍ ولا لِبَقَاء تَنْظُرانِ بَقَائيا

ومنها :

أَعُدُّ اللَّيَالى لَيْلَةً بعد ليلةٍ وقد عِشْتُ دَهْراً لا أَعُدُّ اللَّياليا
أَرَانى إذا صلَّيتُ يَمَّمْتُ نَحْوها بوَجْهى وإنْ كان المُصَلَّى وَرائيا
وما بِىَ إشْرَاكٌ ولكنّ حُبَّها كمِثْل[1] الشَّجا أَعْيَا الطَّبيبَ المُداويا
أُحِبُّ من الأَسْماء ما وَافَقَ اسْمَها وأَشْبَهه أو كان منه مُدَانيا
وخَبَّرْتُمانى أنَّ تَيْماءَ مَنْزِلٌ لِلَيْلَى إذا ما الصيفُ أَلْقى المَراسِيا
فهذى شُهُورُ الصَّيف عنَّا قد انْقضت فما للنَّوى تَرْمِى بلَيْلى المَرامِيا
فلو كان واشٍ باليمامة دارُه ودَارِى بأَعْلَى حضرموتَ اهْتدى لِيا
وماذا لهم لا أَحْسَنَ اللهُ[2] حِفْظَهم من الحظِّ فى تَصْرِيم لَيْلى حِبَاليا
فأنتِ التى إن شِئْتِ أشقيْتِ عيشتى و إن شِئْتِ بعد الله أنعمتِ باليا
وأنْتِ التى ما مِنْ صَديقٍ ولا عِدًا يَرَى نِضْوَ[3] ما أَبْقَيْتِ إلّا رَثَى لِيا
أَمَضْرُوبَةٌ لَيْلى على أَنْ أزورَها ومُتَّخَذٌ ذَنباً لها أَنْ تَرانيا
إذا سِرْتُ فى الأرض الفضاء رَأَيْتُنى أُصَانِعُ رَحْلِى أن تميلَ حِيَاليا
يَميناً إذا كانتْ يَميناً وإن تَكُنْ شِمالاً يُنازِعُنِى الهَوَى عن شِماليا
هى السِّحْرُ إلّا أنّ للسِّحْرِ رُقْيَةً وإنّىَ لا أُلْفِى[4] كَنَفْسى[5] راقيا

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « كعود » .

(٢) فى الديوان : « حالهم » مكان « حفظهم » .

(٣) نضوه : جسمه الذى أضناه الحب وابلاه .

(٤) فى الأصل : « لاألقى » .

(٥) فى بعض أصول الأغانى : « وانى لا ألـ لها الدهر راقياً » .

من شعر المجنون

ومما يُروى له :

تَـكادُ يَدِى تَنْدَى إذا ما لمستُها ... ويَنْبُتُ فى أطْرَافِها الورقُ الخضْرُ

أبى القَلْبُ إلّا حُبَّهـا عَامِرِيَّةً ... لها كُنْيَـةٌ عَمْرو وليس لها عَمْرو

وقيل :

المجنون ورجل مر به

مَرَّ رجلٌ بالمَجْنُونِ وهو جالسٌ يَخُطُّ فى الأرضِ ويَعْبَثُ بالحصَى ، فسَلَّم عليه وجَلس عنده ، فأَقْبل يُخَاطبه ويَعِظُه ويُسَلِّيه ، وهو يَنظُر إليه ويَعْبَثُ بيَدِه ، كما كان يَعبثُ وهو مُفَكِّرٌ قد غَمَره ما هو فيه . فلمّا طال خِطابُه إيّاه ، قال له : يا أَخِى ، أمَا لِكَلامى جَواب ؟ فقال له : والله يا أخى ما عَلِمْتُ أنَّكَ كلَّمتَنى ، فاعْذُرنى ، فإنى كما ترَى مَذهُوبٌ بى ، وبَكَى . ثم أنشأ يقول :

وشُغِلْتُ عن فَهْمِ الحديثِ سِوَى ... ما كانَ مِنْكِ فإنّه شُغْلِى

وأُدِيمُ لَحْظَ مُحَدِّثى لِيَرَى ... أنْ قد فَهِمْتُ وعندكم عَقْلى

وقيل :

المجنون وقد مر بوادي يتجاوب حمامه

مَرَّ المجنونُ بوادٍ فى أيّام الرَّبيع ، وحَمَامُه يتَجاوب ، فأنشأ يقول :

أَلاَ يا حَمَامَ الأيكِ مَالَك باكِياً ... أفارَقْتَ إلْفًا أمْ جَفاكَ حَبيبُ

دَعاكَ الهَوى والشَّوْقُ لما ترَنَّمَتْ ... هَتُوفُ(١) الضُّحَى بين الغُصُونِ طَرُوبُ

تُجاوِبُ وُرْقًا قد أَذِنَّ(٢) لِصَوْتِها ... فكلٌّ لِكُلٍّ مُسْعِدٌ(٣) ومُجيب

له فى زوج ليلى

وقيل: لما بلغ المجنون، قبل توحشه، أن زوج ليلى ذكره وعَضهه وشتمه وقال : أو بلغ من قدر قيس بن الملوّح أن يدّعى محبة ليلى وينوه باسمها! فقال ليغيظه بذلك:

لئن كان فيكم بَعْلُ ليلى فإننى ... وذى العرش قد قَبّلتُ ليلى ثمانيا

وأشهد عند الله أنى رأيتها ... وعشرون منها أصبعا من ورائيا

أليس من البلوى التى لاشوى(٤) لها ... بأن زُوجت كلباً وما بذلت ليا

(١) الهتوف : الحمامة تنوح .
(٢) أذن : استمعن وأصغين .
(٣) مسعد : أى ينوح لنوح غيره .
(٤) شوى لها ، أى لابقيا لها .

له وقد أبت رفقة أن تعدل معه الى طريق ليلى

وقيل :

خَرَجَ المَجنون فى عِدَّةٍ من قومه يُريدون سفراً لهم ، فمَرُّوا فى طَرِيق يَتشعَّبُ طَرِيقَيْن ، أحـدُهما ينزله رَهْطُ لَيلى ، فَسَأَلهم أن يَعْدِلُوا معه فى تلك الجهـة . فأَبَوْا ، ومَضَى وحدَه ، وقال :

أَأَترُكُ لَيْلى ليس بَيْنى و بينها ... سِوَى لَيْـلَةٍ إنى إذاً لَصَبُورُ
هَبُونى اُمْرَأً منكمْ أَضَلَّ بَعِيرَه ... له حُرْمَةٌ إنَّ الذِّمام كَبِير
وللصَّاحب المَتْروك أَعْظَمُ حُرْقَةً ... على صَاحِبٍ من أَنْ يَضِلَّ بَعِير
عفَا اللهُ عن لَيلى الغَـدَاة فإنَّها ... إذا وَلِيَتْ حُكْمًا علىَّ تَجُور

له وقد هتفت حمامة

وذُكر : أنّ المجنونَ كان ذاتَ ليلةٍ جالساً مع أصحابٍ له من بَنِى عَمِّه ، وهو وَلِهٌ يتَلَظَّى و يتَمَلملُ ، وهم يَعِظُونه ويُحادثونه ، حتى هَتَفَتْ حَمَامةٌ من سَرحَةٍ[1] كانت بإزائهم ، فوثب قائماً ، وقال :

لقد هتفتْ فى جُنْحِ لَيْلٍ حَمامةٌ ... على إلْفِهـا تبـكِى و إنى لنائمُ
كَذبتُ و بَيْتِ اللهِ لو كنتُ عاشقاً ... لَمَا سَبَقَتْنِي بالبُكاء الحمائم

ثم بكى حتى سـقط على وَجْهِهِ مَغْشِيًّا عليه ، فما أَفاق حتَّى حَمِيَتِ الشمسُ عليه من غدِه .

له وقد مر به نفر من اليمن

وذُكر: أنَّ نَفراً من اليمن مَرُّوا بالمجنون،فوقفوا ينظرُون إليه ،فأنشأ يقول :

ألا أيُّها الركب اليمـانون عَرِّجوا ... علينا فقـد أمسى هَوانا يمانيَا
نُسائلـكم هل سال نَعمان بعدنا ... وحَبَّ إلينا بطن نَعمان واديا

---

(١) السرحة : من الشجر الذى لا شوك فيه ، وقيل : هو شجر يطول .

ومن هذه القصيدة :

أَلاَ يا حَمَامَىْ قصْرِ وَدَّان[1] هِجْتُمَا … عَلَيَّ الهَوَى لما تَغَنَّيْتُما لِيَا
وأبكيتُمانى وَسْطَ صَحْبِى ولمْ أكُن … أُبالِى دُموعَ العينِ لو كنتُ خاليا
أَلاَ يا خليلى حُبُّ لَيْلَى مُجَشِّمى … حِياضَ المنايا أَوْ مُقيدِى[2] الأَعادِيا
فيأيُّها القُمْرِيَّتان تجاوَبا … بلحنَيْكما ثم اُسْجَعا عَلاَنيا
فإن أنتُما استطْرَبْتُما[3] وأردتُما … لَحاقاً بأَطْرافِ الغَضَى فاتْبعَانيا

ذُكر أنه لما بَلَغَ المجنونَ أنّ زَوْجَ لَيْلى قد أَزْمَع الرَّحيلَ إلى بلده ، قال :

له حين بلغه رحيل زوج ليلى بها

أَمُزْمِعَـةٌ لِلْبَيْنِ ليلَى وَلَمْ تَمُتْ … كأنَّكَ عمَّا قد أَظَلَّكَ غَافِلُ
ستَعلَم إن شَطَّتْ بهم غرْبَةُ النَّوى … وزالُوا بليلَى أَنَّ لُبَّك زائِل

وقيل :

هو مع رجلين صادا ظبية وسألهما حلها

مَرَّ المجنونُ برجُلَين قد صادا ظَبيةً ، فربطاها بحبْلٍ وذَهبا بها ، فلمّا نَظر إليها وهى تَرْكُض فى حِبالها دَمعتْ عيناه وقال لهما : حُلّاها وخُذا مكانَها شاةً من غَنَمى — وقيل : بل خُذا مكانَها قَلُوصاً من إبلى — فأعْطاهما ، وحَلّاها . فولَّتْ تعْدُو هاربةً . وقال المجْنُون للرَّجُلَيْن حِينَ رآها فى حِبالها :

يا صاحِبَيَّ اللذَيْن اليومَ قد أَخَذا … فى الحَبْلِ شِبْهاً لِلَيْلَى ثُمَّ[4] غَلَّاهَا
إنّى أرى اليومَ فى أعطافِ شاتِكما … مُشابِهاً أَشْبهَتْ لَيْلى فحُلَّاها

وقال فيها وقد نظر إليها تَعدو أشدَّ عَدوٍ هاربةً مَذعورة :

أيا شِبهَ لَيْلَى لا تُرَاعِى فإنّنى … لكِ اليومَ من وَحْشِيَّةٍ لَصديقُ
ويا شِبهَ ليلى لو تَلبَّثْتِ ساعةً … لعلَّ فُؤادى من جَوَاهُ يُفيقُ
تَفِرُّ وقَدْ أطلقتُها من وَثَاقِها … فأنتِ لِلَيْلَى لو علمتِ طَليق

(١) انظر الحاشية (رقم ١ ص ١٠٨) من هذا الجزء .
(٢) مقيدى الأعاديا ، أى جاعل قيادى فى يد الأعداء .
(٣) استطربتما : طلبتما الطرب . (٤) غلاها : وضعا الغل فى عنقها .

هو مع نسوة عزلنه فى حب ليلى

وذُكر أنّ نِسوةً جَلسنَ إلى المجنونِ فقلنَ له : ما الذى دعاكَ إلى أن أَحللتَ بنفسكَ كُلَّ ما نرى فى هَوَى لَيْلى ، وإنما هى امرأةٌ من النِّساء ؟ وهل لك فى أن تَصْرِف[1] هواكَ إلى إحدانا فَنُساعِفَك ونَجْزِيَك بهواكَ ، ويَرجعَ إليك ما عَزَبَ من عقلك وجسمك ؟ فقال لهنَّ : لو قَدرتُ على صَرْفِ الهوى عنها إليكنَّ لَصرفتُه عنها وعن كُلِّ أَحدٍ بعدها ، وعِشتُ فى النّاس سَوِيًّا مُستريحاً . فقلنَ له : فما أَعجبكَ منها ؟ قال : كل شىء رأيتُه وسمعتُه وشاهدتُه منها أَعجبنى . والله ما رأيتُ شَيْئاً منها قَطُّ إلّا كان فى عَينى حسناً ، وبقلبى عَلِقاً . ولقد جَهِدتُ أن يَقبُحَ عندى منها شىء ، أو يَسْمُجَ أو يُعاب ، لأَسْلُوَ عنها فلم أجده . فقلن له : فَصِفْها لنا . فأنشأ يقول :

بَيضاءُ خالصةُ البياضِ كأنّها ... قَمرٌ تَوَسَّطَ جُنْحَ لَيْلٍ مُبْرِدِ
مَوسومةٌ بالحُسْنِ ذَاتُ حواسِدٍ ... إنّ الجمالَ مَظِنَّةٌ للحُسَّدِ
وتَرى مدامعُها تَرَقْرَقُ مُقْلةٍ ... سَوْداءَ تَرْغَبُ عن سوادِ الإِثْمَدِ
خَوْدٌ[2] إذا كَثُرَ الكلامُ تَعَوَّذتْ ... بِحِمَى الحياءِ وإنْ تَكلَّمْ تَقْصِدِ

وأَنشد ابنُ الأعرابىّ هذا الشِّعرَ ثم قال : هذا والله من حَسَنِ الكلام ومُنَقَّحِ[3] الشِّعر !

رسول بينه وبين ليلى

وقيل :

قال رجلٌ من عَشيرة المَجنون له : إنّى أُريد الإلمامَ بحَىِّ لَيْلى ، فهل تُودِعُنى إليها شيْئاً ؟ قال : نعم . قِفْ بحيث تَسْمَعك ثم قُلْ :

اللهُ يعلم أنّ النَّفسَ قد هَلَكتْ ... باليأسِ منكِ ولكنّى أُعَزِّيها[4]

---

(١) فى الأصل : «نصرف» بالنون .
(٢) الخود : الفتاة الحسنة الخلق ما لم تصر نصفا .
(٣) فى الأصل : «وغنج» . (٤) فى بعض أصول الأغانى : «أعنيها» .

مَنَّيتُكِ النفسَ حتى قد أَضَرَّ بها ... وأُستيقنتْ [١] خَلَفاً مما أُمَنِّيها

وساعةٌ منكِ أَلْهُوها و إنْ قَصُرتْ ... أَشْهى إلىَّ من الدُّنيا وما فيها

فمضى الرجلُ ولم يَترقَّب خَلوةً حتى وقف على لَيْلى فقال . ياليلى ، لقد أحسن الذى يقول :

* الله يعلمُ أنَّ النفسَ قد هلكتْ *

وأنشدها الأبيات . فبَكتْ بُكاء طويلاً ، ثم قالت : أَبْلغه السَّلامَ وقل له :

نَفْسِي فِداؤكَ لو نَفْسِي ملكتُ إذاً ... ما كان غيركَ يَجْزِيها ويُرْضيها

صَبراً على ما قضاه اللهُ فيكَ على ... مرارةٍ فى اُصْطِبارى عنك أُخْفِيها

فأبلغه الفتى البيتَيْن وأخبره بحالها . فبَكى حتى سَقط على وجهه مَغْشِيًّا عليه ، ثم أفاق وهو يقول :

عَجِبْتُ لِعُرْوَةَ العُذرىِّ أَضحى ... أحاديثاً لقومٍ بعد قومِ

وعروةُ مَاتَ موتاً مستريحاً ... وها أنا ميِّتٌ فى كل يومِ

هو و رجل دسه اليه أبوه بذم ليلى

وقيل :

سأل المُلَوَّح ، أبو المَجنون ، رجلاً قَدِمَ من الطَّائف أن يمرَّ بالمجنون فيجلس إليه و يُخْبِره أنه لَقى لَيْلى وجلس إليها ، ووصفَ له صفاتٍ منها ومن كلامها يعرفها المجنونُ ، وقال : حَدِّثه بها ، فإذا رأيته اشرأَبَّ لحديثك واُشْتهاه فعرِّفه أنك ذَكرتَه لها وَوصفتَ ما به فَشتمته وسَبَّتْه وقالت : إنه يَكْذِبُ عليها و يُشَهِّر بها بفعله ، و إنها ما اجْتمعت معه قطُّ كما يصف . ففعل الرَّجلُ ذلك ، وجاء إليه فأخبره بلقائه لها . فأقبل عليه وجعل يَسأله عنها ، فيُخبره بما أمره به المُلَوَّح ، فيزداد نشاطا و يثوب إلى عقله ، إلى أن أخبره بِسبِّها إيَّاه وشتمها له . فقال ، وهو غيرُ مكترثٍ لما حكاه عنها :

(١) فى الأصل : « وأبصرت » .

تمرُّ الصَّبَا صفحًا بساكن ذى[1] الحِمَى ويَصدعُ قلبى أن يَهُبَّ هُبوبُهَا
إذا هبَّتْ الرِّيحُ الشَّمالُ فإنَّما جَوَاىَ بما تُهْدِى[2] إليه جنوبُها
قَرِيبةُ عَهْدٍ بالحبيبِ وإنَّما هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ حلَّ حَبِيبُها
وحَسْبُ اللَّيالى أنْ طَرَحْنَك مَطْرَحاً بدَارِ قِلًى تُمْسِى وأنتَ غَرِيبُهَا
حَلَالٌ لِلَيْلَى شَتْمُنا وانتِقاصُنا هَنِيئاً ومَغفورٌ لِلَيْلَى ذُنُوبُهَا

ليلى ورجل من بنى مرة

وذُكِر: أنَّه خَرج رجل من بَنى مُرَّةَ إلى ناحيةِ الشَّام والحِجاز، وما يَلى تَيْماءَ[3] والسَّرَاةَ[4] وأرضَ نَجْد، فى طَلَبِ بُغْيةٍ له، فإذاهو بخَيْمةٍ قد رُفِعَتْ له، وأصابه المَطرُ فعَدَل إليها وتَنَحْنح، فإذا امْرأةٌ قد كلَّمتْه وقالت: انْزِلْ، فنزل. وراحتْ إبِلُهم وغَنَمهم، فإذا أمرٌ عَظيم. فقالت: سَلُوا هذا الرَّجلَ من أين أقْبل. فقلتُ: من ناحية تِهامةَ ونَجد. فقالت: ادخُل أيُّها الرَّجلُ. فدخلتُ إلى ناحية الخيمة، فأرختْ بَيْنى وبينها سِتْراً، ثم قالتْ: يا عبدَ الله، أىَّ بلاد نَجدٍ وطِئْتَ؟ فقلتُ: كلَّها. قالت: فيمن نزلتَ هناك؟ قلتُ: ببنى عامر. فتنفَّست الصُّعَداءَ ثم قالتْ: فبأىِّ بنى عامر نزلتَ؟ فقلتُ: ببنى الحَرِيش. فاستعبرت ثم قالت: هل سمعتَ بذكر فتًى منهم يقال له: قيس بن الملوّح، ويُلقَّبُ بالمَجنون؟ قلت: بلَى والله، وعلى أبيه نزلتُ، وأتيتُه فنظرتُ إليه يَهيم فى تلك الفَيافى ويكونُ مع الوحش ولايَعقِل ولا يفهم، إلّا أن تُذكر له امرأةٌ يُقال لها: ليلى، فيبكى ويُنْشد أشعاراً فيها. قال: فرفعتِ السِّتْرَ بينى وبينها، فإذا فِلْقَةُ قَمرٍ لم ترَ عَيْني مِثْلَها. فبكتْ حتى ظننتُ والله أن قَلْبَها قد انصدع.

---

(١) فى بعض أصول الأغانى: «الغضى» مكان «الحمى».

(٢) فى بعض أصول الاغانى: «إلى» مكان «إليه».

(٣) تيماء: بليدة فى أطراف الشام.

(٤) السراة: أعلى الجبال التى تحجز بين تهامة ونجد.

فقلتُ : أيتها المرأةُ ! أتَّقِ اللهَ ! فما قلتُ بأساً . فمكثتْ طويلاً على تلك الحالِ من البُكاء والنَّحيب ، ثم قالت :

ألاَ ليتَ شِعْرِى والخطوبُ كثيرةٌ   متى رَحْلُ قَيْسٍ مُسْتَقِلٌّ فراجعُ

بِنَفْسِىَ مَن لا يَستقِلُّ بِنَفْسه   ومَن هو إنْ لم يَحفظِ اللهُ ضائعُ

ثم بكتْ حتى سقطتْ مَغْشِيًّا عليها . فقلتُ لها : مَن أنت يا أَمةَ الله ؟ وما قِصَّتُكِ ؟ قالت : أنا ليلى صاحبتُه المشئومةُ واللهِ عليه ، غيرُ المُؤاسية له . فما رأيتُ مثلَ وَجْدِها وحُزنها عليه قطُّ .

وقيل :

المجنون وقد مر بليلى

مَرَّ المجنونُ بعد اختلاطه بلَيْلى وهى تمْشى فى ظاهر البُيوت ، بعد فَقْدٍ لها طويل . فلما رآها سَقط على وجهه مَغْشِيًّا عليه . فانصرفتْ خَوْفاً من أهلها أن يَلْقَوْها عنده . فمكث كذلك مَلِيًّا ثم أفاق ، وأنشأ يقُول :

بَكى فرحاً بِلَيْلَى إذ رآها   مُحِبٌّ لا يَرَى حَسَناً سِوَاها

لَقَدْ ظَفِرتْ يداه وطاب عَيْشًا   لئن كانتْ تَراه كما يَراها

حديث رجل عامرى عن المجنون

وذَكر رجلٌ من بنى مُرّة أنه خَرج إلى أرض بنى عامِر لِيلقَى المجنونَ ، قال : فدُلِلْتُ على مَحلَّته فأتيتُها[٢] ، وإذا أبوه شيخٌ كَبير وإخوةٌ له رجال ، وإذا نَعَمٌ كثيرةٌ وخَيْرٌ ظاهر ، فسألتُهم عنه . فاستعْبَروا جميعاً ، وقال الشيخُ : واللهِ لهو كان آثَرَ هؤلاء عندى وأحبَّهم إلىَّ ، وإنه هَوِى امرأةً من قومه ، واللهِ ما كانت تَطمع فى مِثله ، فلما فشا أمرُه وأمرُها ، كره أبوها أن يزوِّجها منه بعد ظُهور الخبر ، فزوَّجها من غيره ، فذَهب عَقلُ ابنى ولَحِقه خَبَلٌ ، وهَامَ فى الفيافى

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « المؤنسة » .

(٢) الأصل : « فأتيناه » .

وجدًا عليها . فحبسناه وقيّدناه، فكان يَعضّ لسانَه وشفتيه حتى خِفنا عليه ، فخلينا سبيله . فهو يهيم فى هذه الفيافى مع الوُحوش ، يُذْهَبُ كلَّ يومٍ إليه بطعامه فيُوضَع حيثُ يَراه ، فإذا تَنَحَّوْا عنه جاء وأكل منه . فسألتُهم أن يَدُلُّونى [عليه . فدلُّونى] على فتًى من الحيّ كان له صديقاً ، وقالوا : إنّه لايأنسُ إلا به ولا يأخذ أشعارَه عنه إلّا هو . فأتيتُه فسألته أنْ يدُلّنى عليه . فقال : إن كنتَ تُريد شِعْره فكلُّ شِعْرٍ قاله إلى أَمْس عندى ، وأنا ذاهبٌ إليه غداً ، فإن كان قال شيئاً أتيتُكَ به . فقلتُ : بل تدُلّنى عليه لآتيَه . فقال : إنْ نَفر منك نَفر منّى فيذهبُ شِعْرُه . فأَبَيْتُ إلّا أنْ يدُلّنى عليه . فقال : أُطْلُبْه فى هذه الصَّحارى ، فإذا رأيتَه فادْنُ منه مُسْتَأْنساً ولا تُرِه أنّك تَهابه ، فإنه يتهدَّدك ويتوعَّدك أن يَرْمِيَك بشىء ، فلا يَرُوعنَّك ، واصرف بصرَكَ عنه والْحَظه أحياناً ، فإذا رأيتَه قد سَكَن مِن نِفَاره فأَنْشِدْه شِعْراً غزِلاً ، وإن كنتَ تَرْوِى شِعْرَ قَيْسِ بنِ ذَرِيح فأَنْشِدْه إيّاه فإنّه مُعْجَبٌ به . فخرجتُ فطلبتُه يَوْمى إلى العصر ، فوجدتُه جالساً على رَمْلٍ قد خَطَّ فيه بإصْبعه خُطوطاً ، فدنوتُ منه غير مُنقبضٍ، فنفر منّى نُفورَ الوَحْش من الإنْسِ ،و إلى جانبه أحجارٌ ، فتناول حجراً فأعرضتُ عنه ، فمكث ساعةً كأنّه نافرٌ يريد القيامَ . فلما طال جلوسِى سَكن فأقبل يَخُطّ بإصبعه ، فأقبلتُ عليه فقلتُ : أَحسنَ والله قَيْسُ ابن ذَرِيح حيثُ يقول :

أَلاَ يا غرابَ البَيْنِ وَيحكَ نَبِّنى	بِعِلْمك فى لَيْلى وأنتَ خَبيرُ
فإن أنتَ لم تُخْبِر بشىء عَلِمْتَه	فلا طِرْتَ إلّا والجَناحُ كَسِير
ودُرْتَ بأعداء حَبيبُكَ فيهمُ	كما قد تَرانى لِلْحَبيب أَدُور

فأقبل علىّ وهو يبكى ، فقال : أَحسن والله ! وأنا أحسنُ قَوْلاً منه

حيثُ أقول :

كأنّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغْدَى ... بلَيْلى العامِريَّة أو يُرَاحُ
قَطاةٌ عزَّها شَرَكٌ فباتتْ ... تُجاذِبه وقَدْ عَلِقَ الجَناح

قال : فأمسكت عنه هُنيهَة ، ثم أقبلتُ عليه فقلتُ : أَحسن والله قَيسُ بن ذَرِيح حيثُ يقول :

وإنّى لَمُفْنٍ دمعَ عَينيَّ بالبُكا ... حِذَارَ الذى قد كان أَوْ هو كائنُ
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلةٍ ... فِراقُ حَبيبٍ لم يَبِنْ وهو بائن
وما كنتُ أَخشى أن تكونَ مَنِيَّتى ... بكَفَّيك إلّا أنّ من[1] حَانَ حائن

قال : فبكى والله حتى ظننتُ أن نفسَه قد فاظتْ ، وحتى رأيتُ دُموعَه قد بَلّتْ الرملَ الذى بين يديه . وقال : أَحسنَ لَعَمْرُ اللهِ ، وأنا والله أَشعرُ منه حيثُ أقول :

وأَدْنَيتِنِي حتَّى إذا ما سَبَيْتِنى ... بِقولٍ يُحِلُّ العُصْمَ سَهْلَ[2] الأَباطح
تناءيْتِ عنىّ حين لالِىَ حِيلةٌ ... وخلّفتِ ما خلّفتِ بين الجوانح

قال: ثم سَنحتْ له ظبيةٌ فوثب يَعدو خلفها حتى غاب عنّى ، وانصرفتُ وعُدتُ من غد فطلبتُه فلم أجدْه ، وجاءت امرأةٌ ، تصنع له طعاماً ، إلى الطعام فوجدتْه بحاله . فلمّا كان فى اليوم الثالث غدوتُ وجاء أهلُه معى فطلبناه يومَنا ، فلم نجده ، وغدونا فى اليوم الرابع نَستَقْرى أثرَه ، حتى وجدناه فى وادٍ كثير الحجارة خشن وهو ميِّت بين تلك الحجارة . فاحتمله أهله فغسّلوه وكفَّنوه ودفنوه .

(١) فى الديوان : « ما » .

(٢) العصم : جمع أعصم ، وهو الوعل الذى فى ذراعيه بياض . يريد أن قولها يستنزل العصم من مساكنها فى الجبال إلى الأباطح السهلة .

تجيعة أهله به

قيل :

إنّه لم تبق فتاةٌ من بنى جَعْدَةَ ولا بَنى الحَرِيش إلّا خرجتْ حاسرةً صارخةً عليه تنـدُبه . واجتمع فتيان الحىِّ يبكون عليه أحرَّ بكاء . ويَنْشِجُون أشدَّ نشيج ، وحضرهم حَىُّ لَيْلى معزِّين وأبوها معهم . فكان أشدَّ القوم جزعاً و بكاءً عليه، وجعل يقول : ماعلمتُ أنّ الأمر يبلغ كلَّ هذا ، ولكنى كنت امرأً عربيًّا أخاف العـار وقُبح الأُحْدُوثة وما يخافه مثلى ، فزوَّجتُها وخرجتْ عن يدى ؛ ولو علمتُ أنّ أمره يَجرى على هـذا ما أخرجتُها عن يده ، ولاُحتملتُ ما كان فى ذلك .

قال : فما رُئِى يومٌ كان أكثَرَ باكياً و باكيةً على ميّت منه .

من شعره الذى وجدوه معه

وذُكر: أنه لما قلَّبوه وجدوا خِرْقةً فيها مكتوب :

ألا أيُّهـا الشَّيخُ الذى ما بنـا يَرْضَى شَقِيتَ ولا هُنِّيت من عَيْشك الخفْضَا

شَـقِيتَ كما أشْـقيتَنِى وتركْـتَنى أَهِيمُ مع الهُلّاك لا أَطعَم الغَمْضـا

كأنّ فُؤادى فى مَخـالب طائرٍ إذا ذُكرتْ لَيْلى يَشُدُّ[1] به قَبْضا

كأنّ فِجَـاج الأرض حَلْقـةُ خاتَمٍ علىّ فما تَزداد طُولاً ولا عَرْضـا

مما يروى له

وممّا يُروى للمَجنون :

وما أُشْرِفُ الأَيفاعَ[2] إلّا صَبابَةً ولا أُنْشِد الأَشْـعار إلّا تَداوِيَا

وقد يَجْمَعُ اللهُ الشَّتيتَين بعـد ما يظنّان كلَّ الظَّن[3] ألّا تلاقِيـا

لَحَى الله أقواماً[4] يقولون إنّنى وجدتُ[5] طَوَالَ الدَّهرِ للحُبِّ شافيا

---

(١) به ، أى بالفؤاد . وهو مذكر لا غير . وفى بعض أصول الأغانى : « بها » أى بالمخالب .

(٢) الأيفاع : جمع يفع ، وهو ما أشرف وعلا من الرمل .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : «جهد الظن» أى غايته .

(٤) لحى الله أقواما ، أى قبحهم ولعنهم وأبعدهم . (٥) فى الأصل : « أننا * وجدنا » .

أخبار عدىّ بن زيد

نسبه

هو عدىّ بن زَيد بن حَمّـاد بن زَيد بن أيّوب بن مَحْروف بن عامر بن عُصَـيَّة ابن أُمرىء القيس بن زَيد مَنَاة بن تَميم بن مُرٍّ بن أُدٍّ بن طابِخَةَ بن اليأس بن مُضَر ابن نِزار بن مَعَدّ بن عَدْنان .

وكان أيّوب هذا أوّل من سُمِّى من العرب أيّوبَ .

منزلته فى الشعر

وعدىّ هـذا شاعرٌ فَصيح من الجاهليّـة . وكان نَصْرانيًّا ، وكذلك أبوه وأهله ، وليس مَعدوداً من الفحول . وهو قَروىّ ، قد أَخذوا عليه أشياء عِيبَ بها .

وكان الأَصمعىّ وأبو عُبيدة يقولان :

عدىّ بن زَيد فى الشُّعراء بمنزلة سُهيل فى النُّجوم ، يُعارضها ولا يجرى معها .

وكذلك عندهم أُمَيَّـة بن أبى الصَّلْت ، ومثلُهما عنـدهم من الإسلاميين : الـكُمَيت والطِّرِمَّاح .

سبب نزول آله الحيرة

وكان سَبب نُزول آل عدىّ بن زيد الحِيرةَ أنّ جدَّه أيوب بن مَحْروف كان منزلهُ اليمامةَ فى بنى أُمرىء القيس بن زيد منـاةَ . فأصاب دماً فى قومه فهَرب ، فَلَحِق بأَوْس بن قَلَّام ، أحد بنى الحارث بن كعب بالحِـيرة . وكان بين أيّوبَ ابن مَحْروف و بين أَوس بن قَلَّام هذا نسبٌ من قِبَـل النساء ، فلمّا قَدِم عليـه أيّوب بنُ مَحروف أكرمه وأنزله فى داره ، فمكث معـه ما شاء الله أن يمكُث . ثم إنّ أوساً قال له : يابنَ خالِ ، أتريدُ المُقامَ عندى فى دارى ؟ فقال له أيّوب : نعم ، فقـد علمتُ أنّى إنْ أتيتُ قوْمى وقد أصبتُ فيهم دماً لم أسْلَم ، ومالى دارٌ

إلا دارُكَ آخرَ الدَّهْر . قال أوسٌ : إنّى قد كبِرتُ وإنّى خائف أنْ أموتَ فلا يَعرِفُ ولدى لكَ من الحقّ مثلَ ما أعرفُ ، فأخشى أن يقَع بينكَ وبينهم ما يَقطعون فيه الرَّحِمَ ، فانظُر أحبَّ مكانٍ فى الحِيرة إليكَ فأَعْلِمنى به لأُقْطِعكَه أو أبتاعَه[1] لكَ . وكان لأيّوبَ صديقٌ فى الجانب الشّرقىّ من الحِيرة ، وكان منزلُ أَوْسٍ فى الجانب الغربىّ . فقال له : قد أحببتُ أن يكون المنزلُ الذى تُسكِنُنيه عند منزل عِصام بنِ عَبْدةَ[2] أحدِ بنى الحارث بن كَعْب. فابتاع له موضعَ داره بثلثمائة أُوقيّة من الذّهب، وأنفق عليها مائتى أوقيّة ذهباً ، وأعطاه مائتين من الإبل برِعائها وفرساً وقَيْنَةً . فمكث فى منزلِ أَوْسٍ حتى هَلَك ثم تحوّل إلى داره التى فى شرقىّ الحِيرة ، فهلك بها . [وكان أيّوب] قد اتّصل قبل مَهْلَكه بالمُلوك الذين كانوا بالحِيرة وعرفوا حقّه ، وحقَّ ابنه زَيد بن أيّوب . فلم يَكُن منهم مَلِكٌ يملك إلّا ولوَلَدِ أيّوبَ منه جوائزُ وحُمْلانٌ[3] .

ثم إن زيد بن أيوبَ نكح امرأة من آل قَلّام ، فولدتْ له حمّادًا . فخرج زيدُ بن أيوب يوما من الأيام يُريد الصيدَ فى ناسٍ من أهل الحِيرة ،وهم مُتَبَدُّون[4] بحَفير[5] ، المكانِ الذى يذكره عدىّ بن زَيد فى شِعره ، فانفرد فى الصَّيْد وتباعد من أصحابه ، فلقيه رجُلٌ من بنى امرىء القيس الذين كان لهم الثأرُ قِبَل أبيه ، فقال له: وقد عَرَف فيه شَبَه أيوبَ : مِمَّنْ الرجلُ ؟ قال : من بنى تَميم . قال : من أَيهم ؟ قال : مَرَئِىّ[6] .قال له الأعرابىّ : وأَيْنَ مَنزِلُك ؟ قال : الحِيرة ؟ قال : من بنى أيّوب أنْتَ ؟ قال : نعم ! ومن أين تَعْرِف بنى أيوبَ ؟ واستوحش من الأعرابىّ

---

(١) فى الأصل : « وأتباعه » . (٢) فى الأصل : « عقدة » .

(٣) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب ، فى الهبة خاصة .

(٤) تبدى : خرج إلى البادية . وفى بعض أصول الأغانى : « منتدون ». وانتدى القوم : اجتمعوا . (٥) حفير : موضع بالحيرة . ذكره البكرى .

(٦) مرئى : نسبة إلى امرىء القيس .

وذكر الثأر الذى هَرب أبوه منه ، فقال له : سمعتُ بهم ، ولم يُعْلِمه أنه قد عرفه . فقال له زيدُ بن أيوبَ : فمن أىّ العرب أنت ؟ قال : أمرؤ من طيىء فأَمِنه زيدٌ وسكت عنــه . ثم إنّ الأعرابىّ أغتفل[1] زيدَ بن أيّوب فرماه بسهم فوضـعه بين كتفيْه ، فَفلق قلبه . فلم يَرِمْ[2] حافرُ فرسه حتى مات . فَلبثَ أصحابُ زَيد ، حتى إذا كان الليلُ طلبوه وقد أفتقدوه ، فظنُّوا أنه قد أمعن فى طلب الصَّيْد، فباتوا يطلبونه حتى يَئِسُوا منه . ثم غدوا فى طلبه فاقتفوا أثرَه حتى وقعوا عليه ،ورأوْا معه أثرَ راكبٍ يُسايره . فاتبعوا الأثرَ حتى وجدوه قتيلا . فعرفوا أنَّ صاحب الرَّاحلة قتــله . فأتبعوه وأغذُّوا السَير ، فأدركوه مساء الليلة الثانية ، فصاحُوا به ، وكان من أرمَى الناس ، فامتنع منهم بالنَّبل حتى حال اللَّيلُ بينهم وبينه . وقد أصاب رجلاً منهم فى مَرْجِـع كتفيْه[3] بسهم. فلمّا أجنَّه الليْلُ مات. وأفلتَ الرَّامى[4] . فرجعوا وقد قُتل زيدُ بن أيّوب ورجلٌ آخرُ معــه من بنى الحارث بن كعب ، فمكث حَمَّــاد فى أخواله حتى أيفَع ، فخرج يوماً من الأيام يَلْعَبُ مع غلمَان بنى لِحيْان ، فَلَطَمَ اللِّحيانى عينَ حمّاد فشَجّه حماد . ، فخرج أبو اللّحيانى فضَرَب حمّادا . فأتى حمّادَ أمّه يبكى ، فقالت له: ما شأنُك ؟ فقال : ضَربنى فلان ، لأنّ أبنَـه لَطمنى فشَجَجْتــه . فجَزعت من ذلك وحوّلتْه إلى دار زَيد بن أيّوبَ ، وعلّمتْه الـكتابة فى دار أبيــه . فـكان حمّاد أولَ من كتب من بنى أيوبَ ، فخرج مِن أكتب الناس ، وطُلب حتى صار كاتبَ الملك النُّعْمان الأكبر ، فلبثَ كاتباً له حتى ولد له أبنٌ من امرأة تزَوَّجها من طيىء ، فسماه زيداً ، بأُسم أبيه . وكان لحمَّاد صديقٌ من الدَّهاقِين[5] العُظماء يقال له فرُّوخ ماهان، وكان محُسِناً إلى حماد ، فلما حضرتْ حَمّاداً الوفاةُ أوصَى بأبنه زَيْد إلى الدِّهقان ، وكان مِن المرازبة[6] . فأخذه الدِّهقان

(١) اغتفل ، يريد : تغفل . ولم ترد فى المعاجم . (٢) لم يرم : لم يبرح .
(٣) مرجع الكتفين : أسفلهما . (٤) فى الأصل : « المرئى » .
(٥) الدهاقين : التجار ، فارسى معرب؛ الواحد : دهقان .
(٦) المرازبة : جمع مرزبان ، وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك . فارسىمعرب .

إليه ، فكان عنده مع ولده . وكان زيد قد حَذِق الكتابةَ والعربيةَ قبل أن يأخذه الدِّهْقانُ ، فعلَّمه لمّا أخذه الفارسيَّة ، فلَقِنها . فأشار الدِّهقان على كِسْرى أن يجعله على البَريد فى حوائجه . ولم يكُن كسرى يَفعل ذلك إلا بأولاد المَرازبة ، فمكث يَتولّى ذلك لكسرى زماناً . ثم إن النُّعمان النَّصْريَّ اللَّخْمى هلك ، فاختلف أهْلُ الحِيرة فيمن يُمَلِّكونه إلى أن يَعقِدَ كسرى الأمرَ لرجلٍ يُنَصّبه. فأشار المَرْزُبان عليهم بزيد بن حَمَّاد بن زَيد بن أيوب ، فكان على الحِيرة إلى أن ملّك كسرى المنذرَ بنَ ماء السماء . ونَكح زيدُ بن حَمّاد نِعْمة بنتَ ثَعْلَبة العَدَوية ، فولدت له عدىَّ بن زيد . وملك المُنذرُ بن ماء السماء ، فكان لا يَعصيه فى شىء ، ووُلد للمرزبان أبن فسمّاه «شاهان مَرْد». فلما تحرّك[1] عدىّ بن زيد وأَيْفع طرحه أبوه فى الكُتّاب، حتى إذا حَذِق أرسله المَرْزبان مع أبنه «شاهانمَرد» إلى كُتَّاب الفارسية ، فكان يَختلفُ مع ابنه فيتَعلّم الكتابة والكلامَ بالفارسيَّة ، حتى خرج من أفهم الناس وأفصحهم بالعَربيّة ، وقال الشّعر ، وتَعلّمَ الرّمىْ بالنُّشّاب . فخَرج من الأَساورة[2] الرُّماة ، وتَعلَّم لِعبَ العجم على الخيل بالصَّوالجة[3] وغيرها . ثم إن المرزبان وفَد على كِسْرى ومعه آبنه «شاهان مَرْد» .فبينما هما واقفان بين يديه إذ سَقط طائران على السُّور ، فتَطاعما كما يتطاعم الذَّكر والأنثى ، فجعل كل واحد منهما مِنقارَه فى مِنقار الآخر . فغَضِب كسرى ولحقتْه غَيْرة ، فقال للمرزُبان وآبنه : لِيَرْم كلُّ واحد منكما واحداً من هذين الطائرين ، فإن قتلتماهما أدخلتكما بيتَ المال وملأتُ أفواهكما بالجوهر، ومَن أخطأ منكما عاقبتُه . فاعتمد كلُّ واحد منهما طائراً منهما ورَمَيا، فقتلاهما جميعاً. فبعث بهما إلى بيت المال فمُلئت أفواهُهما جوهراً، وأثبت «شاهانمَرْد» وسائر أولاد المَرْزبان فى صَحابته . فقال فَرُّوخ ماهان للملك : إن عندى

(١) فى الأصل : «تجرأ» .

(٢) الأساورة : جمع الأسوار ، بالضم والكسر ، وهو الجيد الرمى بالسهام .

(٣) الصوالجة : جمع صولجان ، عصا يعطف طرفها تضرب بها الكرة على الدواب . فارسى معرب.

غلاماً من العرب مات أبوه، وخلَّفه فى حِجْرى، وهو أفصحُ الناس وأكتبهم بالعربيّة والفارسية، والملكُ محتاج إلى مثله، فإنْ رأى الملكُ أنْ يُثْبِته فى وَلدى فعل. فقال: أدعه. فأرسل إلى عدىّ بن زَيد، وكان جميلَ الوجه فائقَ الحُسْن، وكانت الفُرْس تتبرّك بالجميل الوجه، فلما كلّمه وجده أظرفَ الناس وأحضرَهم جوابا، فرَغبَ فيه وأثبته مع وَلَد المرزُبان. فكان عَدِىٌّ أولَ مَن كَتب بالعربية فى دِيوان كِسْرى، فرَغِب أهْلُ الحِيرة إلى عَدِىّ ورَهبوه. فلم يزل بالمدائن فى ديوان كِسْرى يُؤْذَن له عليه فى الخاصة، وهو مُعْجَبٌ به قريبٌ منه. وأبوه زيد بن حماد يومئذ حىّ، إلا أنَّ ذِكْر عدىّ قد ارتفع وخَمل ذكرُ [أبيه] زيد. فكان عدىّ إذا دَخل إلى المنذر بن ماء السماء مَلِك الحيرة قام جميعُ مَنْ عنده حتى يقعدَ عدىّ. فعَلا له بذلك صوتٌ عظيم. فكان إذا أراد المُقام بالحيرة فى منزله ومع أبيه وأهْله استأذن كِسْرى فأقام فيهم الشهرَ والشهرين وأكثرَ وأقلَّ. ثم إن كسرى أرسل عَدِيّ ابن زيد إلى مَلِك الرُّوم بهديّة من طُرَف ما عنده. فلما أتاه عدىّ بها أكرمه وحَمله إلى أعْماله على البريد لِيُريه سَعَةَ مُلْكه. وكذلك كانوا يصنعون. فمن ثَمّ وقع عدىّ بدِمَشْق، وقال فيها الشِّعرَ. فممّا قاله بالشأم، وهو أول شِعر قاله:

رُبَّ دارٍ بأسْفلِ الجِزْعِ من دُو … مَةَ أَشْهى إلىّ من جَيْرُونِ[1]

وَنَدامَى لا يَفْرحون بما نا … لُوا ولا يتقُون صَرْفَ المَنُونِ

قد سُقيتُ الشَّمولَ فى دار بِشْرٍ … قَهْوَةً مُزَّةً بماء سَخِينِ

زيد أبو عدى على الحيرة وبقاء اسم الملك للمنذر

وفَسد أمْرُ الحِيرة وعَدِىّ بدمشق حتى أصلح أبوه بينهم، وذلك لأن أهل الحِيرة حين كان عليهم المُنذر، أرادوا قَتْله، لأنه كان لا يعدِلُ فيهم، وكان يأخذ من أموالهم مايُعجبه. فلمَّا تيقن أن أَهلَ الحِيرة قد أجتمعوا على قَتْله، بعث إلى

(١) دومة هذه: من منازل جذيمة الأبرش، وهى دومة الحيرة. (عن البكرى). وجيرون: دمشق، وقيل: بناء كان عند باب دمشق حوله مدينة تطيف به.

زَيدِ بن حمّاد بن زَيد بن أيوب ، وكان قبلَه على الحيرة ، فقال له : يازيد ، أنت خليفةُ أبى، وقد بَلغنى ما أجمعَ عليه أهلُ الحِيرة ،فلا حاجة لى فى مُلـكهم ، دُونكموه مَلـّكوه مَن شئتم . فقال زيد : إن الأمر ليس إلىّ ولـكنى أَسْبُر لك هذا الأمرَ ولا آلُوكَ نُصْحا . فلمـا أصبح غدَا إليه الناس فحَيَّوه تحية الملك ، وقالوا له : ألاَ تبعث إلى عَبْدِك الظالم ـ يعْنون المُنْذِر ـ فتُرِيحَ منه رعيّتك ؟ فقال لهم : أَوَلَا خيْرٌ من ذلك ؟ فقالوا : أَشِرْ . فقال : تدَعونه على حاله ، فإنه من أهل بَيتِ مُلكٍ ، وأنا آتيه فأُخْبره أنّ أهلَ الحيرة قد اختاروا رجلاً يكون أمر الحيرة اليـه ،إلا أن يكون غَزْو أو قتالٌ ، فلك اسم المُلْك وليس إليك سوى ذلك من الأمور . قالوا : رأيُك أفضل . فأتى المنذرَ فأخبره بما قالوا . فقَبِل ذلك وفَرِح،وقال : إن لك علىّ يازيد نعمةً لا أكفُرها ماعرفتُ حقَّ سَبَد ـ وسبَد : صنم كان لأهل الحيرة ـ فولّى أهلُ الحيرة زَيداً على كلِّ شيء سوى اسم المُلْك،فإنهم أقرُّوه للمنذر . وفى ذلك يقول عدىّ بن زَيد :

نحن كُنّا قد عَلِمْتُم قَبْلَكم عَمَدَ البيتِ وأوتادَ الإصَارِ[(١)]

مقدم عدى ولقاء المنذر له

ثم هَلك زَيْدُ بن حمّاد ، وابنـه عدىٌّ يومئذٍ بالشّأم ، وكان لزيد ناقةٌ للحَمَالات[(٢)]، وكان أهل الحيرة أعطوْه إيَّاها حين ولّوه ما وَلّوه . فلما هَلك أرادوا أخذَها ، فبلغ ذلك المنذرَ فقال : لا ، واللاتِ والعُزّى ، لا يُؤخذ مما كان فى يد زيدٍ ثُفْرُوق[(٣)] وأنا أسمع الصوتَ . ففى ذلك يقول عدىٌّ بن زيد لابنـه النُّعمان ابن المُنْذِر :

وأبوكَ المرْء لم نَشْق[(٤)] به يومَ سِيمَ الخسفَ مِنّا ذوالخسارِ

(١) الإصار : الطنب . أو هو جل الخباء والسرادق ونحوهما .
(٢) الحمالات : الديات والغرامات التى يحملها قوم عن قوم ؛ الواحدة : حمالة .
(٣) الثفروق : علاقة ما بين النواة والقمع من الثمرة . يكنى به عن القلة .
(٤) كذا فى الأصل . والذى فى بعض أصول الأغانى : « لم يشنأ به » .

ثم إنّ عديَّ بن زَيد قَدِم المدائنَ[١] على كسرى بهدِيَّةِ قَيصر ، فَصادف أباه والمَرْزُبانَ الذى ربَّاه قد هَلَكا جميعاً ، فاُستأذن كسرى فى الإلمام بالحِيرة ، فأَذِن له ، فتوجَّه إليها . و بلغ المُنذرَ خَبرُه، فخرج فتلقّاه فى الناس ورَجع معه .

وعَدِىٌّ أَنبلُ أهلِ الحِيرة فى أنفُسِهم ، ولو أراد أن يُمَلّكوه لَملّكوه ، ولكنّه كان يومئذ يُؤْثِر الصَّيدَ واللّهْوَ واللَّعِبَ على المُلْك . فمكث سِنين[٢] يَبْدو فى فصْلى السَّنة ، فيُقيم فى جَفير[٣] و يَشْتُو بالحيرة ، و يأتى المدائنَ فى خلال ذلك فيخدُم كسرى . فمكث كذلك سِنين، وكان لا يُؤْثِر على بلاد بنى يَرْبوع مَبْدًى من مَبادى العرب ، ولا ينزل فى حىّ من أحياء بنى تميم وغيرهم . وكان أَخِلّاؤه من العرب كلِّهم بنى جَعفر . وكانت إبلُه فى بلاد بنى ضَبَّة و بلاد بنى سَعْد . وكذلك كان أَبُوه يفعل لا يُجاوز هذين الحَيَّيْن بإبله .

ولم يزل على حاله تِلك حتى تزوَّج هِنْدَ بنت النُّعمان الأَصْغَر ، اُبن المُنذر الأكبر[٤] ، اُبن اُمرىء القيس بن النُّعمان بن اُمرىء القيس بن عمرو بن عدىّ بن نَصْر بن ربيعة بن عَمْرو بن الحارث بن مَسْعود بن مالك بن غَنْم بن نُمارةَ بن لَخْم ، وهو مالك بن عدىّ بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَد بن زَيْد بن يَشْجُبَ بن عَريب اُبن زيد بن كَهْلانَ بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان . وفيها يقول عدىّ بن زَيد :

زواج عدى بهند

يا خليلَيَّ يَسِّرَا التَّعْسِيرَا ... ثم رُوحَا فهجِّرا تَهْجِيرَا

عَرِّجا بى على ديار لهنـد ... ليس أنْ عُجْتُما المَطِىَّ كثيرا

وكانت هِنْد هذه من أجمل النساء . وأُمها مارية الكِنْدِيّة ، وكانت خَرَجت

---

(١) المدائن : مسكن الملوك الأكاسرة ، كان كل واحد منهم إذا ملك بنى لنفسه مدينة إلى جنب التى قبلها وسماها باسمه ، فسميت المدائن بذلك .

(٢) يبدو : أى يخرج إلى البادية .   (٣) جفير : موضع . (معجم البلدان) . والذى فى الأصل : « بالبر » .   (٤) فى بعض أصول الأغانى : « المنذر بن المنذر » .

فى خَمِيس الفِصْح[1] تتقرّب فى البيعة . ولها حينئذ إحدى عشرةَ سنة . وذلك فى أيام جدِّها المُنْذِر ، وقد قَدِم عدىّ بن زيد بهديّة من كِسْرى إلى المنذر ، وأبوها النُّعمان يومئذ فتًى شابّ . فاتفق دخولُها البيعة وقد دَخَلها عدىّ ليتقرّب ، فرآها عدىٌّ وهى غافلةٌ ، فلم تَنْتَبِه له حتى تأمّلها . وقد كان جواريها رَأَيْنَ عديًّا وهو مقبل . فلم يقُلن لها ذلك لكى يراها عدىّ . و إنما فعلن هذا من أجل أَمَةٍ لهند يقال لها : مارية . وقد كانت أحبت عديًّا فلم تَدْرِ كيف تتأتّى له . فلما رأت هندٌ عديًّا ينظُر إليها ، شَقّ ذلك عليها وسَبّتْ جواريها ونالت بعضهنّ بضرب . ووقعتْ هِنْد فى نفس عَدىّ ، فلَبِث حَوْلًا لا يُخبر أحداً بذلك . فلما كان بعد حوْلٍ وظنّت مارية أنّ هِنداً قد أضربتْ عمّا جَرى وصفتْ لها بيعة دُومة — وقيل : بيعة تُوما — ووصفت لها مَن فيها من الرّواهب ومَن يأتيها من جَوارى الحِيرة ، وحُسنَ بنائها وسُرُجها ،وقالت لها : سَلِى أُمَّك الإذنَ لك فى إتيانها . فسألتْها ذلك. فأذنتْ لها . و بادرتْ مارية إلى عَدِىّ فأخبرتْه الخبرَ . فبادر فلبس يَلْمقاً[2] كان « فَرْخَانْشَاه مرْد » قد كساه إيّاه ، وكان مُذْهباً لم يُرَ مِثْلُه حُسْناً . وكان عدىّ حَسنَ الوجه مديد القامة حُلْو العينين حَسَن المَبْسِم[3] نقِيَّ الثَّغْر . وأخذ معه جماعةً من فِتيان الحِيرة . فدخل البيعة . فلمّا رأته قالتْ لهندٍ : أُنظُرى إلى هذا الفتى ، فهو والله أحسنُ من كل ما تريْنَ من السُّرُج وغيرها ! قالت : ومن هو ؟ قالت : عدىّ ابن زَيد . قالت : أتخافين أن يَعْرِفنى إن دنوتُ منه لأراه . قالت : ومن أين يعرفك ؟ ومارآكِ قطّ حتى يعرفك ! فدنتْ منه وهو يمازح الفتيان الذين معه، وقد بَرَع عليهم بجماله وحُسن كلامه وفَصاحته ، وما عليه من الثياب . فذَهِلت لمّا رأَتْه و بُهِتتْ تنظُر إليه ، وعرَفت ماريةُ مابها وتَبَيَّنَتْه فى وجهها . وانصرفت وقد تبعتْه نفسُها . وانصرف بمثل حالها . فلمّا كان الغدُ تعرّضت له ماريةُ . فلما رآها هَشّ لها،وكان قبل ذلك

---

(١) الفصح : عيد الإفطار : يصومون ثمانية وأربعين يوماً ، و يجعلون فصحهم يوم الأحد الذى يجىء بعد الصوم ، وقبل الفصح بثلاثة أيام : خميس العهد. وظاهر أنه المراد هنا. (انظر الآثار الباقية للبيرونى ، وصبح الأعشى) . (٢) اليلمق : القباء ، فارسى معرب . (٣) فى الأصل : « الجسم » .

لا يُكلِّمها ، وقال لها : ما غدا بك ؟ قالت : حاجةٌ إليك . قال : اُذكريها ،فوالله لا تسأليني شيئاً إلّا أعطيتُك إيّاه . فعرّفته أنها تهواه وأن حاجتها الخَلوةُ به ، على أن تحتال له فى هند ، وعاهدته على ذلك . فأدخلَها حانوتَ خمّارٍ بالحِيرة ووقع عليها . ثم أتتْ هِنْداً فقالت : أمَا تشتهين أن ترَىْ عَدِيًّا ؟ قالت: وكيف لى به ؟ قالت : أَعِدُه مكانَ كذا وكذا فى ظَهْر القَصْرِ وتُشْرِفين عليه . قالت : اُفعلى . فواعدتْه إلى ذلك المكان ، وأشرفت عليه هِنْد . فكادت تموت . وقالت : إن لم تُدخليه إلىّ هلكتُ . فبادرتِ الأَمَةُ إلى النُّعمان وخبَّرته وصدقتْه وذكرتْ أنهـا قد شُغِفَتْ به ، وأن سببَ ذلك رُؤيتها إيّاه فى يوم الفِصْح ، وأنه إن لم يزَوِّجها به افتضحتْ فى أمره أو ماتت . فقال لها : ويلك ! وكيف أبدؤُه ؟ فقالت : هو أرغبُ فى ذلك من أن تبدأه ، وأنا أحتال فى ذاك من حيثُ لا يعلم أنك عرفتَ أمره . فأتتْ عديًّا فأخبرتْه الخبرَ ، وقالت : اُدْعه ، فإذا أخذ الشرابُ منه فاخطُب إليه فإنّه غيرُ رادّك . فقال: أخشى أن يُغضبه ذلك فيكونَ سببَ العداوة بيننا . قالت : ما قلتُ لك هذا حتى فرغتُ منه . فصَنع عدىٌّ طعاماً واُحتفل فيه ، ثم أتى النعمانَ بعد الفِصْح ، وذلك يوم الاُثنين . فسأله أن يتغدَّى عنده هو وأصحابه ، ففعَل . فلما أخذ منهم الشرابُ خَطبها إلى النُّعمان ، فأجابه وزوّجه . فضمّها إليه بعد ثلاث[1] . فمكثت عنده حتى قَتله النُّعمان . فترهّبت وحَبستْ نفسها فى الدَّيرِ المعروف بدَيرِ هِنْد فى ظاهر الحِيرة .

وقيل: بَلْ ترهبت بَعد ثلاثِ سنين من تَزويجه بها ومنعتْه نفسها . واُحتَبست فى الدَّير حتى ماتت .

وكانت وفاتها فى الإسلام فى خلافة معاوية بن أبى سُفْيان ، وكان المُغيرة إذ ذاك والياً على الكوفة .

خطبة ابن شعبة لهند بعد ترهبها

وذُكر أن المُغيرة بن شُعْبَة لما ولاّه معاوية ، مرَّ بدَيْر هند هذه ، ودخل عليها

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ثلاثة أيام » .

بعد أن استأذن عليها ، فأَذِنتْ له وبَسطتْ له مِسْحاً[1] ، فجلس عليه ، ثم قالت : ماجاء بك ؟ قال : جِئْتُ خاطباً : قالت : والصَّليبِ ! لو علمتُ أن فىَّ خَصلةً من جَمال أو شبابٍ رَغَّبتْك فىّ لأجبتُك ، ولكنك أردتَ أن تقول فى المواسم : ملكتُ مملكة النُّعمان بن المُنذر ، ونكحتُ أبنته ، فبحقِّ مَعبودك ! هذا أردْتَ ؟ قال : إى والله . قالت : فلا سبيلَ إليه . فقام المغيرة وانصرف ، وقال فيها :

أدْركتِ ما منَّيتُ نفسِىَ خَالِيًا ... لله دَرُّكِ يابنةَ النُّعمَانِ

فلقد ردْدتِ على المُغيرة ذِهْنه ... إنَّ الملوك نَقِيَّةُ الأذْهان

ياهِندُ حَسْبُكِ قدصَدَقْتِ فَأَمْسِكى ... فالصِّدقُ خيرُ مقالة الإنسان

حديث ميلها إلى زرقاء اليمامة وبناء الدير

وذُكر أن هِنْدًا هذه كانت تَهْوى زَرقاءَ اليَمامة ، وأنها أوّلُ امرأة أحبتْ أمرأة فى العرب . وكانت الزرقاء ترى الجيش على مسيرة ثلاثين ميلاً . فغزا قومٌ من العربِ اليمامة . فلما قَرُبوا من مسافة نظرها قالوا : كيف لكم بالوصول مع الزَّرقاء! فاجتمع رأيهم على أن يَقتَلِعُوا شجراً ، تستُر كلُّ شجرة منها الفارسَ إذا حملها . فقطع كلّ واحد منهم بمقدار طاقته وسارُوا . فأشرفتْ كما كانت تفعل . فقال لها قومُها: ما تَرَيْن يازرقاء ؟ وذلك فى آخر النهار . قالت : أرى شجراً يَسير . فقالوا : كذبتِ ، أو كذبَتْكِ عينُكِ! واستهانوا بقولها. فلما أصْبحوا صَبَحهم القومُ ، فاستباحوا أموالَهم وقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً . وأخذوا الزرقاء ، فقلعوا عَينها ، فوجدوا فيها عُروقاً سوداء . فسُئلتْ عنها ، فقالت : إنى كنت أُديمُ الاكتحالَ بالإثمد ، فلعلَّ هذا منه . وماتتْ بعد أيَّام .

وبلغ هنداً بنتَ النعمان خبرُها ، فترهّبتْ ولبستْ المُسُوح ، وبَنت الدَّير المعروف بدَيْر هِنْد ، فأقامت فيه حتى ماتت .

---

(١) المسح : كساء من شعر .

شعر عدى في مصاهرته للنعمان

وقد ذكر عديٌّ بن زيد مُصاهرته للنُّعمان فى قصيدة يُخاطبه بها ، بعد أن حَبسه ، أولُها :

* أبصرتْ عينى عِشاءً ضوء نارِ *

النعمان فى حجر عدى

يقول فيها :

أَجْلَ نُعْمَى رَبِّهَا أَوَّلَكم ودُنُوِّى كان منكم واصْطِهارِى

ثم هَلك الْمُنْذِر بن ماء السماء ، وهى أُمّه ، وأبوه الْمنذر الأكبر . كما ذكرناه فى نَسبه ، وخلّف ابنه النُّعمان . وكان مَضموماً إلى عدىّ بن زيد ، وآلُ عَدِى هم الذينَ أرضعوه وربَّوه . وخلَّف أيضا الأَسْوَد ، وأمّه ماريةُ بنت الحارث بن جُلْهُم ابن تيم الرَّباب ، وكان أرضعه وربّاه قومٌ من أهل الحيرة يُقال لهم : بنو مَرِينا ، يَنْتسبون إلى لَخْم ، وكانوا أشرافاً . وكان للمُنذر بن المنذر سوى هذين من الوَلد عشرَةٌ . وكان يُقال لولده : الأشاهب ، من جَمالهم . وفى ذلك يقول أعْشَى بن قَيْس بن ثعلبة :

و بنو المُنذر الأشاهبُ بالحِيـ ـرَةِ يَمْشون غُدْوةً كالسُّيوفِ

سعى عدى فى تولية النعمان والخلاف بينه وبين ابن مرينا

وقيل : بل كانوا ثلاثةَ عَشَر . وكان النُّعمان من بينهم أحمرَ أبرش[1] قصيراً ، وأُمه سَلْمَى بنتُ وائل بن عَطِيَّة الصّائغ ، من أهل فَدَك[2] . وأوصى بهم أبوهم إلى [إياس بن] قَبيصةَ الطائى ، وملّكه على الحِيرة إلى أن يَرى كسرى رأيَه . فمكث عليها مُمَلَّكاً أشهراً ، وكسرى فى طَلب رجل يُملّكه عليهم ـ وهو كسرى أبرويز ابن هُرْمُز بن أنُوشِرْوان ـ فلم يجد أحداً يَرْضاه ، فضَجِر وقال : لأبعثنَّ إلى الحِيرة اثنى عشر ألفاً من الأساورة ، ولأُمَلِّكن عليهم رجلاً من الفرس ، ولآمرنّهم أن يَنزلوا على العرب فى دُورهم و يملكوا عليهم أموالَهم ونِساءهم . فكان عدىّ بن

(١) الأبرش : الأرقط الأنمر ، الذى يكون فيه بقعة بيضاء وأخرى أى لون كان .

(٢) فدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان .

زيد واقفاً بين يديه ، فأقبل عليه وقال : ويحك ياعدىّ ! مَن بقى من آل المُنذر ؟ وهل فيهم أحدٌ فيه خير؟ فقال: نعم أيها الملك، إن فى ولد المُنذر لبقيةً ، وفيهم[١] كلهم خير . فقال: أبعث إليهم. فبعث عدىّ إليهم وأحضرهم وأنزلهم جميعاً عنده . فلما نزلوا عليه أرسل إلى النُّعمان : لستُ أُملِّك غيرك فلا يُوحشنَّك ما أفضِّل به إخوتَك عليك من الكرامة ، فإنى إنما أغترُّهم بذلك . ثم كان يفضِّل إخوته جميعاً عليه فى النُّزول[٢] والإكرام والملازمة، ويُريهم تنقُّصًا للنعمان، وأنه غيرُ طامعٍ فى تمام أمر على يديه . وجعل يخلو بهم رجُلاً رجلاً فيقول : إذا أُدخلتم[٣] على الملك فالبَسوا أفخرَ ثيابكم وأجملها ، وإذا دعاكم إلى الطَّعام لتأكلوا تباطأوا فى الأكل ، وصغِّروا اللُّقَم، ونزِّروا ماتأكلون . فإذا قال لكم : أتكفُونني العرب ؟ فقولوا :نعم . فإذا قال لكم : فإن شذَّ أحدكُم عن الطاعة أو فسد[٤] أتكفُونَنيه ؟ فقولوا : لا ، إنّ بعضنا لا يَقدر على بعض ؛ ليهابَكم ولا يَطمع فى تفرّقكم ،ويَعلم أن للعرب مَنَعَةً وبأساً . فقبلوا منه . وخلا بالنُّعمان فقال له : البسْ ثِياب السَّفر وادْخل مُتَقلِّداً سَيْفَك ، فإذا جلستَ للأكل فعظِّمْ اللُّقَمَ وأسْرع المَضغ والبَلْع وزِدْ فى الأكْل ، وتجوَّع قبل ذلك ؛ فإن كسرى يُعْجبه كَثْرةُ الأكل من العرب خاصَّة ، ويَرَى أنه لا خَيْرَ فى العربىّ إذا لم يكن أكُولا ، ولا سيّما إذا رأى غَيْرَ طَعامه وما لا عَهْدَ له بمثله . وإذا سألك : هل تَكْفينى العربَ ؟ فقُل : نعم . فإذا قال : فمن لى بإخوتك ؟ فقل : إن عجزتُ عنهم فإنّى عن غيرهم لأَعْجَزُ .

وخلا ابنُ مَرينا بالأسْود بن المُنذر ، فسأله عمّا وصّاه به عدىّ . فأخبره . فقال : غشَّك والصَّليبِ والمَعْموديّة ! وما نَصحك ! ولئن أطعتنى لتُخالفَنَّ كلَّ ما أمرك به ولتُملَّكَنَّ ، ولئن عصيتَنى لَيُملَّكن النعمانُ . ولا يَغُرَّنك ما أراكه من الإكرام والتَّفضيل على النُّعمان ؛ فإن ذلك دَهاء فيه ومكر وحِيلة . فقال له : إن عَديًّا لم يألنى

---

(١) فى الأصل : « كل » مكان « كلهم ». (٢) فى الأصل : « فى النزل». (٣) فى الأصل : «دخلتم» .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : «وأفسد» .

نُصْحًا ، وهو أعلمُ بكسرى منك ، و إن خالفتهُ أوحشتهُ فأفسد عليّ ، وهو جاءبنا ووصَفنا ، و إلى قوله يرجع كسرى . فلما يَئس ابنُ مَرينا من قَبوله منه ، قال : ستعلم !

ودعا بهم كِسْرى ، فلمّا دخلوا عليه أعجبه جمالُهم وكمالُهم ، ورأى رجالاً قلّما رأى مثلَهم . فدَعا لهم بالطعام ، ففعلوا ما أمرهم به عديّ . فجعل ينظرُ إلى النُّعمان من بينهم و يتأمّل أكله . فقال لعديّ بالفارسيَّة : إن لم يكن فى أحد منهم خَير ففي هذا . فلما غَسلوا أيديَهم جعل يدعو رجلاً رجلاً فيقول له : أتكفيني العربَ ؟ فيقول : أكفيكها كُلَّها إلّا إخوتى . حتى أُنتهى إلى النُّعمان آخرهم ، فقال له : أتكفيني العربَ ؟ فقال : نعم . فقال : كلَّها ؟ قال : نعم . قال : كيف بإخوتك ؟ قال : إن عجزتُ عنهم فأنا عن غيرهم أعجز . فملّكه وخلع عليه وألبسه تاجاً قيمتهُ ستّون ألفَ دينارٍ ، فيه اللُّؤلؤ والذهب .

فلما خرج وقد مُلِّك النُّعمان . قال أبن مَرينا للأَسود : دونك عُقْبى خِلافِك لى . ثم إن عديًّا صَنع طعاماً فى بِيعةٍ . فقال لأبن مَرينا . ائتني بمن أَحببت فإنّ لى حاجةً . فأتى فى ناسٍ فتغدَّوا فى البِيعة . فقال عديّ بن زيد لأبن مَرينا : ياعديّ ، إن أحقَّ من عرف الحق ثم لم يَلُم عليه من كان مثلَك ، وإنى قد عرفتُ أنّ صاحبَك الأسودَ بن المُنذر كان أحبَّ إليك أن يُملَّك من صاحبي النُّعمان ، فلا تَلُمْنى على شيء كنتَ على مثله ، وأنا أحبّ ألّا تَحقِد عليّ شيئاً لو قدرتَ عليه رَكِبْته ، وأُحب أن تُعطِيني مَن نفسك ما أُعطيك من نفسى ، فإن نَصيبى فى هذا الأمر ليس بأوفر من نَصيبك ، وقام إلى البِيعة فحلف ألاّ يَهْجُوه أبداً ، ولا يَبْغيه غائلةً أبداً . ولا يَزْوِى[1] عنه خيراً أبداً . فلما فرغ عديُّ بن زيد، قام عديّ بن مَرينا فحلَف مثل يَمينه ألاّ يزالَ يهجُوه أبداً ، و يَبْغيه الغوائلَ ما بَقِى .

وخَرج النعمانُ حتى نَزل منزلَ أبيه بالحِيرة . فقال عديّ بن مَرينا لعديّ بن زيد :

(١) يزوى : يقبض .

ألاَ أَبلغْ عَدِيًّا عن عَدِيّ ... فلا تَجْزَعْ وإن رَثَّت[١] قُوَاكَا
فإن تَظفَرْ فلم تَظْفَرْ حَمِيدًا ... وإن تَعْطَبْ فلا يَبْعُدْ سِوَاكا
نَدِمْتَ نَدَامةَ الكُسَعِىّ[٢] لمَّا ... رَأَت عَيناكَ ما صنعتْ يَدَاكا

تدبير ابن مرينا للإيقاع بعدى ابن زيد

ثم قال عدىّ بن مرينا للأسود : أما إذا لم تَظفَر فلا تعجزَنّ أن تَطلُب بثأرك من هذا المَعدىّ الذى فَعل بك ما فَعل . فقد كنتُ أُخبرك أنّ معدًّا لا ينام كيدُها ومكرها ، وأمرتك أن تَعْصِيَه ، فخالفتنى .

قال : فما تُريد ؟ قال : أريد ألاّ تأتيك فائدةٌ من مالك وأرضك إلاّ عرضتَها علىّ . ففعل . وكان ابن مَرينا كثيرَ المال والضَّيعة . فلم يكن فى الدَّهر يوم يأتى إلاّ على باب النُّعمان هدّيةٌ من ابن مَرينا . فصار من أكرم الناس عليه ، حتى كان لا يَقْضى فى مُلكه شيئاً إلاّ بأمر ابن مَرينا . وكان إذا ذُكر عدىّ بن زيد عند النُّعمان أحسنَ الثَّناء عليه وشَيَّعَ[٣] ذلك بأن يقُول : إن عدىّ بنَ زَيد فيه مَكْرٌ وخَدِيعة ، والمَعدّى لا يَصْلح إلاّ هكذا . فلما رأى مَنْ يُطيف بالنُّعمان منزلةَ ابن مَرينا عنده لَزِموه وتابعوه[٤] ، فجعل يقول لمن يثِق به : إذا رأيتمونى أذكر عَدِيًّا عند الملك بخير فقُولوا : إنّه لكذلك ، ولكنّه لا يَسْلَمُ عليه أحد ، وإنه ليقول: إن الملك ــ يعنى النعمان ــ عَامِلهُ ، وإنه هو ولاّه . فلم يزالوا كذلك حتى أضْغَنُوه عليه. فكتبوا كتاباً على لسانه إلى قَهْرَمَان[٥] له ، ثم دَسُّوا إليه حتى أخذوا الكتابَ منه وأتَوْا به النُّعْمانَ فقرأه . فاشتدّ غَضَبُه ، وأرسل إلى عدىّ بن زَيد : عزمتُ

(١) رثت : ضعفت .

(٢) الكسعى : نسبة إلى كسع ، حى من قيس ، عيلان ــ وقيل : من اليمن ــ رماة . والكسعى هذا الذى يضرب به المثل رجل رام رمى بعد ما أظلم الليل عيرا فأصابه ، وظن أنه أخطأ فكسر قوسه ، ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولا وسهمه فيه .

(٣) شيع : أتبع . (٤) فى الاصل : « وبايعوه» .

(٥) القهرمان : أمين الملك وخاصته ، وهو كذلك الخازن والوكيل . فارسى معرب .

عليك إلاّ زُرْتَنى . فإنى قد اُشتقتُ إلى رُؤْيتك .وعدىّ يومئذٍ عنـد كسرى . فاُستأذن كسرى ، فأذِن له . فلمّا قَدِم عليه لم ينظُر إليه حتى حَبسه فى مَحْبسٍ لا يدخل عليه فيه أحد .

ثم كان من أمره معه ماسنذكره إن شاء الله تعالى[1] .

عدى وتنصر النعمان

وذُكر أنّ عدىّ بن زَيد كان سببَ تَنَصُّر النعمان بن المُنذر ، وكان يعبُد الأوثان قبل ذلك .

قيل : إنه خرج لَظْهر الحِيرة ، ومعه عدىّ بن زيد العِبادىّ ، فمرَّ على المقابر من ظهر الحِيرة ونهرها . فقال له عدىّ بن زيد . أبَيْتَ اللعن ! أتَدْرى ما تقول هذه المقابر ؟ قال : لا . فقال له : تقول :

أيُّهــا الرَّكْبُ المُخِبُّو نَعلى الأرض[2] المُجِدُّونْ
وكما أنتُمْ كذا كُنَّا وكما نحْن تكونُونْ

وقيل : بل قال : إنها تقُول :

كنّا كما كنتُمُ حيناً فغَــيَّرنا دَهْرٌ فسوف كما صِرْنا تَصيرونَا[3]

فاُنصرف وقد دخلتْه رِقّةٌ . فمكث بعد ذلك يَسيراً ، ثم خرج خَرجةً أُخرى ، فمرَّ على المقابر ومعه عَدِىٌّ ، فقال له : أبَيْتَ اللَّعْنَ ؟ أتدرى ما تقولُ هـذه المَقابر ؟ قال : لا . قال : فإنها تقول :

مَنْ رَآنا فَلْيُحَـدِّثْ نَفْسَه أنَّهُ مُوفٍ على قَرْنٍ[4] زَوَالِ
وصُرُوفُ الدَّهْر لا يَبْقَى لهـا ولِمَا تَأتى به صُمُّ الجِبَـال
رُبَّ رَكْبٍ قد أناخُوا حولنَـا يَشْربونَ الخمرَ بالماء الزُّلاَل

---

(١) انظر بقية أخبار «عدى»فيما سيأتى (ص٢١٢)من هذا الجزء . (٢) فى الأصل : «مجدون» .
(٣) فى الاصل : «تكونونا» . (٤) على قرن زوال ، أى على طرف زوال .

والأباريقُ عليها فُـدُمٌ وجِيادُ الخيل ترْدِى[1] فى الجلال
عَمِـرُوا دَهْراً بعيشٍ حَسَنٍ آمِنِى دَهْرِهِم غَـيرَ عِجَـال
ثم أَضْحَوْا عَصَفَ الدَّهرُ بهم وكذاك الدهرُ يُودِى بالرِّجال
وكذاك الدهرُ يَرْمِى بالفتَى فى طِلابِ العَيشِ حالًا بعد حال

فرجع النُّعمان وتَنصَّر. وهو الصَّحيح .

ورَوى الـكَلْبىُّ أنَّه قال لعدىّ :أْتِنى الليلةَ إذا هدأت الرِّجْلُ لتعرفَ حالى . فأتاه فوجده قد لَبِسَ المُسُوحَ وتَنصَّر وترهَّب وخَرج سائِحاً على وجهه ، فلا يُدْرَى ما كانت حالُه ، وتَنصّر ولدُه بعده ، و بنَوا البِيعَ والصَّوامع .

قلتُ : وأنكر أبو الفَرج هذه الرِّواية جدًّا ؛ فإن الذى فعل هذا الفِعْلَ النُّعمانُ الأكبر جَدُّ النُّعمان الأصغر ، وعدىٌّ لم يدرك الأكبر ، وقد ذكره عدىٌّ فى شعره الذى خاطب به النُّعمان لمّا حَبسه .

حديث خالد عن تنصر النعمان

ثم أَورد أبو الفرج حِكَايةً تَشهد بِصحّة قوله و بُطْلان رواية الـكَلبىّ ، وهى :

حَكَى خَالدُ بن صَفْوان بن الأَهْتَم قال :

أَوْفدنى يوسفُ بنُ عُمر إلى هشام بنِ عبد الملك فى وَفْد أهل العِراق . قال : فقدمتُ عليـه وقد خَرج بِقَرَابته وحَشَمه وغاشيتِه[2] وجُلَسائه ، فنزل فى أرضٍ قاعٍ صَحْصَحٍ[3] مُنيفٍ أَفيحَ[4] ، فى عامٍ قد بَكَّر وَسْمِيُّه[5] ، وتتابع وَلِيُّه[6] ،

(١) الفدم : ما يوضع فى فم الإبريق لتصفية ما فيه من الشراب ؛ الواحد : فدام ، بفتح الفاء وكسرها . وتردى : تعدو وترجم الأرض بحوافرها .
(٢) غاشية الرجل : من ينتابه من زواره وأصدقائه .
(٣) الصحصح : الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغير .
(٤) الأفيح : الواسع .
(٥) الوسمى : مطر الربيع الأول .
(٦) الولى : المطر الذى يلى الوسمى .

وأخذت الأرضُ فيــه زينتَها على اختلاف ألوان نَبْتها ، من نَوْر رَبيع مُونِق ، فهو فى أحسنِ مَنظر ومَخْبَر ومُسْتَمْطَر ، بِصَعِيدٍ كأنّ تُرابه قِطَع الـكافور ، ضُرِب له سُرَادق من حِبَرَةٍ[1] كان يوسفُ بنُ عُمر صنعه له باليمن ، فيه فُسطاط فيه أربعة أفْرِشَة من خَزٍّ أحمرَ مثلُها مرافقُها ، وعليه دُرَّاعة من خزٍّ أحمرَ مثلُها عِمامتُها . وقد أخذ الناسُ مجالسَهم .

قال : فأخرجتُ رأسى من ناحية السِّماط[2] ، فنَظر إلىَّ شِبْهَ المُسْتَنطِق لى . فقلتُ : أتمَّ اللهُ عليك يا أميرَ المؤمنين نِعَمه ، وجَعَل ما قلَّدك من هــذا الأمر رُشْداً ، وعاقبةَ ما تؤُول إليــه حَمْداً ، وأخلصَــه لك بالتُّقى ، وكثَّره لك بالنَّماء ، ولا كدَّر عليك منه ما صَفا ، ولا خالط سُرورَه بالرَّدَى ؛ فلقد أصبحتَ للمُـؤمنين ثِقَةً ومُسْتَرَاحا ، إليك يَقْصِدون فى مَظَالِمهم ، و يفزعون فى أمورهم . وما أجـد شيئاً يا أميرَ المؤمنين هو أبلغُ فى قضاء حَقِّك ،وتَوْقير مجلسك ،وما مَنَّ اللهُ عزّ وجلّ علىّ به من مُجالستك ، من أن أذْكُرك نِعَمَ الله عليك ، وأُنبِّهك لشكرها . وما أجِد فى ذلك شيئاً هو أبلغُ من حديث مَن سَلَفَ قبلك من المُلوك ؛ فإنْ أذن أمير المؤمنين أخبرتُه بِه .

قال : فاستوى جالساً ، وكان مُتَّكِئاً ، وقال : هَاتِ يابنَ الأهتم . قال : قلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ مَلِـكاً من المُلوك قبلك خَرج فى عامٍ مثـلِ عامك هذا إلى الخَوَرْنق[3] والسَّدير[4] ، فى عامٍ قد بَكَّر وَسْمِيُّه ، وتَتابع وليُّه ، وأخذت الأرضُ فيــه زِينَتَها على اختلاف ألوان نَبْتهــا ، فى ربيع مُونِق ، فهو فى أبهج مَنظر وأحسن مَخبر ، بصَعيد كأنّ تُرابَه قِطَعُ الكافور ، وقد كان أُعطى فتاءَ السنّ

(١) الحبرة : ضرب من نسيج اليمن فيه نقط سود .

(٢) السماط : جمع سمط ، أو هو الصف من الناس وغيرهم .

(٣) سيأتى حديث الخورنق . (ص ٢١١) من هذا الجزء .

(٤) السدير : نهر بالحيرة . وقيل : قصر فى الحيرة من منازل آل المنذر .

مع الكثرة والغَلبة والقهْر ، فأبعد النظَر ثم قال لجلسائه : لمن مثلُ هذا ؟ وهل رأيتم مثلَ ما أنا فيه ؟ أو هل أعطى أحدٌ مثلَ ما أُعْطِيتُ . قال : وعنده رجلٌ من بَقايا حَمَلة الحُجَّة ، والمُضىّ على أدب الحقّ ومِنهاجه ـ قال: ولم تخْلُ الأرضُ من قائم لله عزّ وجلّ بحُجَّةٍ فى عباده ـ فقال : أيها الملك : إنّك سألتَ عن أمرٍ ، أفتأذنُ لى فى الجواب عنه ؟ قال : نعم . قال : أرأيتَ هذا الذى أنتَ فيه ؟ أشىءٌ لم تزلَ فيه ، أم صار إليك ميراثاً وهو زائلٌ عنكَ وصائرٌ إلى غيرك كما صار إليك؟ قال : كذلك هو . قال : فلا أراك أُعجبت إلّا بشىء[(1)] يسيرٍ تكون فيه قليلاً وتَغيب عنه طويلا ، وتكون غداً بحسابه مُرْتهناً . قال : ويحك ! فأَيْن المَهربُ وأين المطلب ؟ قال: إمّا أن تُقيم فى ملكك فتعملَ بطاعة رَبِّك على ما ساءك وسَرَّك، وأَمَضَّك[(2)] وأَرْمَضَك[(3)]؛ وإمّا أن تَضَعَ تاجك ، وتَخلع أطمارك ، وتَلْبس أَمْسَاحك، وَتعبد رَبَّك حتى يَأتيك أجلُك . قال: فإذا كان السَّحر فاقْرَعْ علىَّ بابى فإنى مختارٌ أَحَد الرأيين ، فإن اخترتُ ما أنا فيه كُنتَ وزيراً لا يُعْصَى ، وإن اخترْتُ فَلوَاتِ الأرض وقَفْرَ البلاد كنتَ رفيقاً لا تُخَالَف . قال : فقرع عليه عند السَّحَر ، فإذا هو قد وضع تاجه ووضع أَطْمَاره ولَبِس أمْسَاحه وتهيأ للسِّياحة . فلزِمَا والله الجَبَلَ حتى أتاهما الأَجل . فهو حيثُ يقول عَدىّ بن زيد أخو بنى تَميم :

أَيُّها الشَّامتُ المُعيِّر بالدّهْـ ـر أأنت المُبرَّأ المَوفُورُ
أم لديكَ العَهْدُ الوثيقُ من الأيّـ ـام بل أنتَ جاهلٌ مَغرور
مَن رأيتَ المَنُونَ أَبْقين أم مَنْ ذا عليه من أن يُضَام خَفير
أين كِسْرى كسرى الملوك أَنُوشِرْ وانُ أم أين قبلَه سابُور

(١) عجب وأعجب، بمعنى ، يقالان فى الاستحسان . وقيل: أعجب ، فى الاستحسان ؛ وتعجب ، فى الإنكار .

(٢) أمضك : شق عليك .

(٣) أرمضك : أوجعك .

وأخو الحَضْر إذ بَناه وإذ دِجْـ ـلَة تُجبَى إليـه[١] والخابُور
شَاده مَرْمَرًا وجَلَّله كِلْـ ـسًا فللطَّيرِ فى ذُراه وُكُور
لم يَهَبْه رَيْبُ المَنون فبَادالْـ ـمُلك عنـه فبـابُه مَهْجُور
وتَذَكَّر ربَّ الخَوَرْنق إذا أَشْـ ـرَفَ يوماً وللهُدَى تذكير
سَرَّه مالُه وكَثْرَةُ ما يَمْـ ـلكُ والبَحْرُ مُعْرِضاً[٢] والسَّدير
فارْعَوى قلبُه وقال وما غِبْـ ـطةُ حَىّ إلى المَمات يَصِير
ثم بعد الفلاح والمُلكِ والإمَّـ ـة[٣] وارتْهُم هنـاك القبور
ثم صارُوا كأنهم وَرَقٌ جفَّـ ـفألْوَتْ به الصَّبا[٤] والدَّبُور

قال: فبكى والله هشامٌ حتى أخضلَّت لحيته و بُلَّت عمامته، وأمر بنَزْع أبنيته، وأنتقال قَرابتـه وأهله وغاشيته من جُلسائه، ولَزِم قَصْرَه. فأقبلت الموالى والحَشَم على خالد بن صَفْوان وقالوا: ماأردتْ إلى أمير المؤمنين! أفسدت عليه لذَّته ونَغَصْتَ عليه مأدُبتَه[٥]! فقال: إليكم عنِّى، فإنى عاهدتُ الله عز وجلّ ألاّ أخلو بملك إلاّ ذكَّرته الله جلّ وعزّ.

ثم ذكر أبو الفَرج خَبَرَ الحَضْر وصاحبه، وخبر الخورنق وصاحبه، لجريان ذكرهما فى هذا الشعر. خبر الحضر

فأما ذكر الحضر وصاحبه

فقد ذُكر أن الحضر كان قصراً بجبال تَكْريت، بين دِجْلة والفُرات. وصاحبه الذى ذكره عدىّ بن زيد هو الضَّيْزَنُ بن مُعاوية بن العَبيد بن الأجرام بن عمرو ابن النَّخَع بن سَليح، من بنى تَزيدَ بن حُلْوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة. وأُمه جَيْهَلَة[٦] امرأةٌ من بنى يزيد بن حُلْوان، أخى سَليح بن حُلْوان، وكان لا يُعرف إلا بأُمه هذه، وكان مَلِك تلك الناحية وسائرِ أرض الجزيرة، وكان معه من بنى الأَجرام وسائر

(١) الخابور: نهر بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة.
(٢) معرضا: أى متسعا. (٣) الإمة: النعمة. (٤) ألوت به: ذهبت به.
(٥) فى بعض أصول الأغانى: «جبهلة». (٦) فى الأصل. «باديته»

قبائِل قُضاعةَ مالا يحُصى، وكان مُلْكه قد بَلغ الشّأمَ . فأغار الضَّيْزنُ فأصاب أُخْتاً لسابور ذى الأكتاف[١]، وفَتح مدينة نهرشير وفَتك فيهم .

ثم إن سابور ذا الأكتاف جَمع لهم وسار إليهم ، فأقام على الحَضْر أربع سنين لا يَستغل منهم شيئاً . ثم إن النَّضيرة بنت الضَّيْزن عَركَتْ ـ أى حاضت ـ فأُخْرِجَت إلى الرَّبَض[٢] . وكانت من أجمل أهل دَهرها ، وكذلك كانوا يَفعلون بنسائهم إذا حِضْنَ . وكان سابور من أجمل أهل زمانه، فرآها ورأته وعَشِقها وعَشقَتْه . فأرسلتْ إليه : ما تَجعل لى إن دللْتُك على ما تهدمُ به هذه المدينةَ وتقتُل أبى ؟ قال : أُحَكِّمُكِ وأرفعُكِ على نِسائى وأخُصُّكِ بنفسى دونهنَّ . قالت : عليك بحمامةٍ مطوَّقةٍ وَرْقاء فاكتُب فى رِجلها بحَيض جَارية بِكرٍ تكون زرقاء ، ثم أرسلْها فإنها تَقع على حائط المدينة ، فتتداعَى المدينةُ . وكان ذلك طِلَّسْمَها لا يَهْدمها إلاّ هو . ففعل وتأهَّب لهم، وقالت له: أنا أَسْقى الحَرسَ الخمر، فإذا صُرعوا فاقتلْهم وادخُل المدينة . ففعل وتداعت المدينةُ ، وفتحها سابور عَنْوةً ، وقَتل الضَّيْزَنَ وأباد بَنى العَبيد ، وأفْنى قُضاعةَ الذين كانوا مع الضَّيْزَن ، ولم يَبْقَ منهم باقٍ إلى اليَوْم يُعرف، وأُصيبت [قبائل] حُلْوَان ، وانقرضوا ودَرَجُوا . وأَخْرَب سابورُ المدينـــةَ واحتمل النَّضيرةَ بنت الضَّيْزَن ، وأعرس بها بِعَيْن التمر[٣] . فلم تزل ليلتها تتضوّر من خُشُونة فى فُرُشِها ، وهى من حَرير مَحْشُوّة بالقزّ . فالتَمسَ ما كان يُؤذيها ، فإذا هى ورقةُ آسٍ ملتصقةٌ بعُكْنةٍ من عُكَنها ، قد أثَّرَتْ فيهـا . قال : وكان يُنظر إلى مُخِّهـا من لين بَشَرتها . فقال لهـا سابور : ويحكِ ! بأىّ شىء كان أبوكِ يَغْذُوكِ ؟ قالت : بالزُّبْدِ والمُخِّ

(١) ذكر ياقوت فى معجم البلدان فى رسم « الحضر » أن صاحب القصة إنما هو سابور ابن أردشير ، لا سابور ذو الأكتاف ، وهو سابور ابن هرمز . وقال: « إنما ذكرت ذلك لأن بعضهم يغلط ويروى أنه ذو الأكتاف» . وسيشير إلى ذلك ابن واصل صاحب التجريد فى نهاية القصة (ص ٢١) نقلا عن الطبرى من هذا الجزء » . (٢) الربض : ما حول المدينة من خارج .

(٣) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة .

وشُهْدِ الأبكار من النَّحل وصَفْوَة الخمر. فقال: وأبيكِ، لأنا أقربُ عهداً بمعرفتك، وآثرُ لك من أبيك الذي غذّاكِ بما تذكرين! ثم أمر رجلاً فركب فرساً جَمُوحاً وضَفَر غدائرها بذَنبه، ثم استركضه فقطّعها قِطَعاً.

قلت: الذي ذكره أبو جعفر الطبريّ في تاريخه: إن صاحب هذه الواقعة هو سابور بن أردشير بن بابك، وهو جدّ سابور ذي الأكتاف.

خبر الخورنق

وأما خبر الخورنق وصاحبه:

فإنه ذُكر أنّ النُّعمان الأكبر — وهو ابن امرئ القيس، الذي تقدّم نَسبُه في ذكر نَسب النُّعمان الأصغر. وأمه الشَّقيقة وبها يُعرف — بنى الخَوَرْنق. وسَبب بنائه له أن يَزْدَجِرْد بن سابُور كان لا يَبْقى له ولد، فَسَأَل عن مَنزل صَحيح من الأَدْواء والأسقام، فدُلّ على ظَهْر الحِيرة، فدفع ابنه بَهْرام جور بن يَزْدَجِرد إلى النُّعمان بن الشَّقيقة، وكان عامِلَه على أرض العرب، وأمره أن يَبْني الخَوَرْنق مَسْكَناً له ولابنه ويُنزله إيّاه معه، وأمره بإخراجه إلى بَوَادِي العرب. وكان الذي بَنى الخورنق رجلاً يُقال له «سِنِمَّار». فلما فَرَغوا من بنائه عَجِبوا من حُسنه وإتقان عَمله. فقال: لو علمتُ أنكم تُوفُوني أجْري وتَصْنعون بي ما أَستحقُّه لبَنَيْتُه بناءً يدُور مع الشمس حيثما دارت. فقالوا: وإنك لتَبْني ما هو أفضل منه ولم تَبنه! ثم أمر به فطُرِح من رأس الجَوْسق[1].

وفي رواية: إنه قال: أنا أعرِفُ في هذا القصر موضعَ عَيْب إذا هُدِم تَداعى القصرُ أجمعُ. فقال له: أمَا والله لا تدلّ عليه أحداً أبداً! ثم رُمي به من أعلى القَصْر. فقالت الشُّعراء في ذلك أشعاراً كثيرة، منها قولُ أبي الطَّمَحان القَيْنيّ:

جَزَاءَ سِنِمَّارٍ جَزَوْها ورَبِّها ... وباللّاتِ والعُزّى جَزاءَ المُكَفِّر

(١) الجوسق: القصر.

وقال عبدُ العُزَّى بن اُمرئ القيس الكلبيّ :

جَزانِى جَزاه الله شَرَّ جَزائه جَزاءَ سِنمّار وما كانَ ذا ذَنْبِ
سوى رَصِّه البُنْيانَ عِشرين حِجَّةً يُعَلِّى عليه بالقَراميدِ[1] والسَّكْبِ

وعلا أَمْرُ النُّعمان الأكبرُ هذا . وأعطاه يَزْدَجرد كَتيبتين عظيمتين، إحداهما من تَنُوخ : وتُسَمَّى دَوْسَر . والأُخرى من الفُرْس ، وتُسمَّى الشَّهْباء . كان يغزو بهما بلادَ الشَّأم ، وكُلَّ مَنْ لم يَدِنْ له من العرب . فجلس يوماً يُشْرِف من الخَوَرْنق ،فأعجبه ما رأى من مُلكه . ثم جَرى له بعد ذلك ما تقدم ذكره فى خَبر خالد بن صَفْوان .

رجع الحديث

إلى بقية أخبار عدىّ بن زيد العبادى

حبسه وشعره الى النعمان

ولمّا حَبس النُّعمانُ الأصغر بن المُنذر عدىَّ بن زيد وطال حَبْسه ، جَعل يقول الشعر . فممّا قاله قصيدته التى تقدّم ذِكْرُها فى خبر خالد . ومن ذلك قوله :

ليتَ شِعْرى عن الهُمام ويَأْتيـ ـك بخُبْرِ الأَبناء عطفُ السُّؤالِ
أين عَنَّا إخطارُنا المالَ والأَنْـ ـفُسَ إذ ناهَدُوا لِيوم[2] المِحَال
ونِضَالِى فى جَنْبكَ الناس يرمُو ن وأَرْمى وكُلُّنا غيرُ[3] آلِى
فأُصيبُ الذى تُريد بلا غِشٍّ وأَرْبِى عليهمُ وأوالى

ومنها قوله فى قصيدة طويلة :

أَبلغِ النُّعْمانَ عَنِّى مَأْلُكاً[4] أَنَّه قد طال حَبْسى وانتظارى

(١) القراميد : جمع قرمد ، وهو الآجر . والسكب : النحاس أو الرصاص .

(٢) إخطار المال والنفس : بذلها وجعلها خطراً . وناهدوا : ناهضوا . والمحال : الكيد أو المكر .

(٣) غير آلى : غير مقصر . (٤) المألك ، بفتح اللام وضمها : الرسالة.

لو بغير الماء حلقى شرق ... كنت كالغصّان بالماء[1] اعتصارى

فى قصائدَ كثيرة كان يقولها ويكتب بها إليه ، فلا تُغْنى عنه شيئا .

ومما قاله فى الحَبْس:

ليسَ شىءٌ على المَنُونِ بباقِ ... غيرُ وجهِ المسبّحِ الخلّاقِ

إن نكن آمنين فاجأنا شرٌّ ... مُصيبٌ ذا الوُدّ والإشفاقِ

فبرىءٌ صدرِى من الظُّلْم للرّ ... بّ وحِنْثٍ بمُعْقَدِ[2] المِيثاقِ

ولقد ساءنى زيارةُ ذى قُرْ ... بىَ حبيبٍ لودّنا مُشتاقِ

ساءه ما بنا تبيَّنَ فى الأيْ ... دى وإشناقها[3] إلى الأعناقِ

فاذْهبِى يا أُميم[4] غير بعيدٍ ... لا يُؤاتى العِنَاقُ مَنْ فى الوَثاقِ

واذهبى يا أُمَيم[4] إن يشأ اللّـ ... ـهُ يُنفسِّ من أَزْمِ[5] هذا الخناقِ

أو تكن[6] وجهةٌ فتلكَ سبيلُ النّـ ... ـاس لا تَمْنع الحُتوفَ الرَّواقى

ومنها :

يا أبا مُسْهرٍ فأَبْلغ رسولاً ... إخوتى إن أتيتَ صَحْنَ العِراقِ

أبلغا عامراً وأبلغ أخاه ... أنّنى مُوثَقٌ شديدٌ وَثاقى

فى حديد القِسْطاس[7] يرقُبنى الحا ... رسُ والمرءُ كلَّ شىءٍ يُلاقى

فاركَبُوا فى الحَرام فُكّوا أخاكم ... إنّ عِيراً قد جُهِّزَتْ لانطلاقِ

يعنى «بالحرام» : الشهر الحرام .

شعره إلى أخيه وسعى أخيه لإطلاقه وحديث ذلك

وكتب أيضاً إلى أخيه أُبىّ بن زيد ، وهو عند كسرى أَبْرويز :

أَبلغْ أُبيًّا على نأيهِ ... وهل ينفع المرءَ ما قد عَلِمْ

(١) الاعتصار : أن يغص الإنسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يشربه قليلا قليلا ليسيغه.

(٢) معقد الميثاق : أوكده .

(٣) الإشناق : أن تغل اليد إلى العنق . والذى فى الأصل : «وايثاقها».

(٤) فى الأصل: «ياأمى». (٥) الأزم — الشدة . (٦) فى الأصل : «إن» .

(٧) حديد القسطاس ، أى حديد القبان. عن ابن منظور .

بأنّ أخاك شقيقَ الفؤا دِ كُنتَ به واثقاً[(١)] ما سَلِمْ
لدى مَلِكٍ مُوثَقٌ فى الحديـ ـد إمّا[(٢)] بحقٍّ وإمّا ظُلِمْ
فأرضَك أرضَك إن تأتِنا تَنَمْ نومةً ليس فيها حُلُمْ

فلما قرأ أُبَىٌّ كتابَ عدىّ قام إلى كِسْرى فكلّمه فى أمره وعرّفه خبرَه. فكتب إلى النُّعمان يأمره بإطلاقه. وبَعث معه رجلاً، وكتب خليفةُ النُّعمانِ إليه: [إنه] قد كُتِب إليك فى أمره. وأتى النُّعمانَ أعداءُ عدىّ، فقالوا له: أقتُلْه الساعةَ. فأبى عليهم. وجاء الرسولُ، وقد كان أخو عدىّ رشَا الرسولَ وتقدّم إليه أن يَبدأ بعدىّ فيدخلَ عليه وهو محبوس، فقال له: ادخُل عليه وانظر ما يأمرك به فامتثِلْه. فدخل الرسولُ على عدىّ، فقال له: إنّى قد جئتُ بإرسالك، فما عندك؟ قال: عندى الذى تُحب، ووَعده عدةً سنيّة وقال له: لا تخرجَنّ من عندى، وأعطِنى الكتابَ حتى أرسلَه إليه، فإنك والله لئن خرجتَ لأُقتَلنّ. فقال: لا أستطيع إلّا أن آتىَ الملك بالكتاب فأُوصِلَه إليه.

فانطلق بعضُ من كان هناك من أعدائه، فأخبر النعمانَ أن رسول كِسرى دخل على عدىّ وهو ذاهبٌ به، وإن فعل والله لم يَسْتبقِ منّا أحداً: أنت ولا غيرك. فبعث إليه النعمانُ أعداءه فغمُّوه[(٣)] حتى مات، ثم دَفنوه. ودخل الرسولُ إلى النُّعمان فأوصل الكتابَ إليه. فقال: نعم وكرامةً، وأمر له بأربعة آلاف مِثقال ذهباً وجارية حسناء، وقال له: إذا أصبحتَ فادخُل أنت بنفسك فأَخْرِجْه. فلمّا أَصْبح ركب فدخل السجن. فأعلمه الحرسُ أنه قد مات منذ أيام، ولم نجترىء على إخبار الملك خوفاً منه، فقد علمنا كراهتَه لموته. فرجع إلى النُّعمان، فقال: إنّى كنتُ دخلتُ أمسِ على عدىّ وهو حىّ، وجئت اليوم فجَحَدنى السَّجّان وبَهَتنى[(٤)] وذكر أنه

(١) فى الأصل: «واهًا». (٢) فى الأصل: «لحق» مكان «بحق».
(٣) غموه: أى غطوا وجهه. (٤) بهته: قابله بالكذب.

قد مات منذ أيام .فقال له النُّعمان:أيبعثُ بك الملك إلىّ فتدخلَ إليه قبلى! كذبت! ولـكنك أردتَ الرّشوة والخُبثَ ، وتهدَّده . ثم زاده جائزةً وأكرمه ، وتوثّق منه ألّا يُخبِر كسرى إلّا أنه قد مات قبل أن يَقْدَم عليه . فرجع الرسولُ إلى كسرى وقال: إنى وجدتُ عديًّا قد مات قبل أن أدخل عليه. ونَدم النعمانُ على قَتْل عدىّ ، وعرَف أنه اُحتيل عليه فى أمره ، واُجترأ أعداؤه عليه وهابهم هَيْبَةً شديدة .

ابن عدى يكتب للنعمان

ثم إنه خَرج الى الصيد ذاتَ يوم: فلقى ابناً لعدىّ يقال له : زَيد . فلمّا رآه عَرف شَبهَه فقال له : مَن أنت ؟ قال: أنا زَيد بن عدىّ . فـكلّمه ،فإذا غلامٌ ظريف ، ففرح به فرحاً شديداً وقرَّبه وأعطاه ووَصله ، واُعتذر إليــه من أمر أبيه وجَهَّزه . ثم كَتب إلى كسرى : إن عديًّا كان ممن أُعينَ به الملكُ فى نُصحه ولُبِّه ، فأصابه مالابُدّ منه ، واُنقطعت مُدَّته وانقضى أَجلُه ، ولم يُصَبْ به أحدٌ أشدّ من مُصيبتى ؛ وأمّا الملكُ فلم يكن لِيَفقِد رجلاً إلّا جعل الله له منه خَلَفاً ، لِمَا عَظَّمَ الله من مُلكه وشأنه . وقد بَلغ اُبنٌ له ليس بدونه ،رأيته يصلُح لِخِدمة الملك فسرَّحته إليــه . فإن رأى الملك أن يَجعله مكانَ أبيه فَلْيَفْعل ، وليصرف عَمَّه عن ذلك إلى عَمل آخر .

فكان هو الذى يَلى الْمُكاتبةَ عن الملك إلى ملوك الْعرَب فى أُمورها وفى خواصّ أُمور الملك . وكانت له وظيفةٌ مُوَظَّفَة فى كل سنة : مُهْرانِ أشقران ، والـكَمْأَة الرَّطبة فى حِينها،واليابسةُ والأقِطُ ، وسائر تجارات العرب. وكان زيد بن عدى يلى ذلك له . وكان هذا عملَ عدىّ .

فلما وقع زيد بن عدىّ عند الملك هـذا الموقع ، سأله كسرى عن النُّعمان، فأَحسن الثناء عليه . ومَكث على ذلك سَنواتٍ على الأَمر الذى كان أبوه عليه، وأُعجب به كسرى . وكان يُكثر الدخولَ عليه والخدمةَ له .

كيد زيد للنعمان عند كسرى

وكانت لملوك العَجم صفةٌ من النِّساء مكتوبةٌ عندهم ، وكانوا يَبعثون فى تلك الأَرَضين بتلك الصِّفة ، فإذا وُجِـدت حُملت إلى الملك ، غيرَ أنهم لم يكونوا يطلبونها فى أرض العرب .فأمر فـكُتب بها إلى النواحى . ودَخل إليــه زيد بن

عدىّ وهو فى ذلك القول ، فخاطبه فيما دَخل إليه فيه ، ثم قال : إنى رأيتُ الملك كَتب فى نِسوة يُطْلَبْن له ، وقرأت الصفةَ ، وكنتُ بآل المُنذر عارفاً ، وعند عبدك النُّعمان من بناته وأخواته و بنات عمّه أكثرُ من عشرين امرأةً على هذه الصفة . قال : فاكتُب فيهنّ . قال : أيها الملك، إن شَرَّ شيء فى العَرب وفى النُّعمان خاصَّةً أنهم يتكرّمون — زَعَمُوا فى أنفسهم — عن العجم ، فأنا أكره أن يُغَيِّبهن عمَّن تبعث إليه ، أو يَعْرِض عليه غيرَهنّ ، و إن قَدِمتُ أنا عليه لم يَقْدر على ذلك . فابْعثنى وابعثْ معى رجلًا من ثِقاتك يفهم العربيةَ حتى أبلغَ ما تُحبه . فبعث معه رجلا فَهِماً . فخرج به زيد ، فجعل يُكرم الرّجلَ و يُلْطِفه ، حتى بلغ الحيرةَ . فلما دخل عليه أَعظم الملكَ ، وقال : إنه قد أُحتاج إلى نساء لنفسه وولده وأهل بيته ، وأراد كرامَتك بصِهْره [فبعث إليك]. فقال : ماهؤلاء النِّسوة ؟ فقال : هذه صفتُهن قد جِئْنا بها .

وكانت الصِّفَةُ أن المُنذر الأكبر أهدى إلى أنُو شِرْوانَ جاريةً كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبى شَمِر الغَسَّانى . وكتب إلى أنو شروان بصفتها . وقال : إنّى قد وَجهتُ إلى الملك جاريةً معتدلة الخَلق ، نقيةَ اللَّون والثَّغر، بيضاء قَمْراء ، وطْفاء[1] كَحْلَاءَ ، دَعْجَاء[2] حَوْراء ،عَيْناءَ قَنْواء[3]، شَمَّاء[4] بَرْجَاء[5] زَجَّاء[6]، أَسِيلَةَ الخدِّ ، شَهِيَّةَ المُقبَّل ، جَثْلَةَ[7] الشَّعَر ، عظيمة

---

(١) وطفاء : غزيرة الأهداب وشعر الحاجبين .

(٢) دعجاء : شديدة سواد العين ، شديدة بياضها .

(٣) قنواء : مرتفعة أعلى الأنف مع احديداب فى وسطه وسبوغ فى طرفه .

(٤) شماء : مرتفعة قصبة الأنف فى حسن .

(٥) برجاء : جميلة حسنة الوجه .

(٦) زجاء : دقيقة الحاجبين فى طول .

(٧) جثلة الشعر : كثيفته سوداؤه .

الهامة ، بعيدة مَهْوى القُرط ، عَيْطاء[١] ، عَريضةَ الصَّدْر ، كاعبَ الثَّدى ، ضخمة مُشاَش المَنْكِب والعَضُد ، حسنةَ المِعْصم ، لطيفة الكفّ ، سَبْطه البَنان ، ضامِرَة البَطْن ، خميصةَ الخصر ، غَرْثى[٢] الوِشاح ، رَداح[٣] الأقبال[٤] ، رابيةَ الكَفل ، لفّاء الفَخذين[٥] ، ريّا الرّوادف ، ضَخمة المأكمَتين[٦] ، مُفْعمة[٧] الساق ، مُشْبعة[٨] الخلخال ، لطيفةَ الكَعب والقدم ، قَطُوف المشى[٩] ، مِكْسالَ الضُّحى[١٠] ، بَضَّةَ المتجرد[١١] ، سَمُوعاً للسيّد ، ليست بخَنْساء[١٢] ولا سَفْعاء[١٣] ، رقيقة الأنف ، عَزيزة النَّفس ، لم تُغَذَّ فى بُؤْسٍ ، حيِيَّةَ رَزينةً ، حليمةً ركينة ، كريمة الخال ، تقتصر على نَسَبِ أبيها دون فَصيلتها ، وتَستغنى بفَصيلتها دون جِماع قِبيلتها ، قد أَحكمتْها الأُمور فى الأدب ، فرأيها رأى أهل الشَّرف ، وعملُها عملُ أهل الحاجة ، صَناعَ الكفَّين ، قَطيعة اللسان[١٤] ، رَهْوة الصَّوت[١٥] ، ساكِنته ، تَزينُ الوَلِىَّ[١٦] ، وتَشين العدوّ ، إن أردتَها اشْتهَتْ ، وإنْ تركْتها انْتهتْ ، تُحَمْلِقُ

---

(١) غيطاء : طويلة العنق .

(٢) غرثى الوشاح : دقيقة الخصر .

(٣) رداح : عجزاء ثقيلة الأوراك تامة الخلق .

(٤) الأقبال : ما استقبلك .

(٥) لفاء الفخذين : ضخمتهما .

(٦) المأكمتان : اللحمتان اللتان على رءوس الوركين .

(٧) مفعمة : ممتلئة .

(٨) مشبعة الخلخال : كناية عن السمن .

(٩) قطوف المشى : متقاربة الخطو .

(١٠) مكسال الضحى : أى لا تكاد تبرح مجلسها .

(١١) المتجرد : أى الجسم . والبضة : الناعمة .

(١٢) خنساء : لاحقة القصبة بالوجه ضخمة الأرنبة .

(١٣) سفعاء : سوداء .

(١٤) قطيعة اللسان : غير سليطة .

(١٥) رهوة الصوت : رقيقة سهلة . (١٦) فى الأصل : « المولى » .

عيناها[1] ،وتحمرُّ وَجْنتاها ، وتَذَبْذَبُ شَفَتاها ،وتُبادرك الوثبةَ إذا قمْتَ ، ولا تجلسُ إلّا بأمرك إذا جلستَ .

قال:فقبِلها أنو شِروانُ وأَمر بإثبات هذه الصِّفَة فى دواوينه . فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كسرى أبرويز بن هُرْمز . فقرأ زيدُ بن عدى هذه الصفةَ على النُّعمان ، فشَقّت عليه ، وقال لزيد ، والرّسولُ يسمع : أمَا فى مَهَا السَّواد وعِين فارسَ ما يبلغُ به كسرى حاجَته ؟ فقال الرّسولُ لزيد بالفارسية : ما المَها والعِين ؟ فقال له بالفارسّية : كاوان ، أى البقر . فأَمسك الرسول .

وقال زيدٌ للنُّعمان : إنما أراد الملكُ كرامتَك ، ولو يعلم أنّ هذا يشُقُّ عليك لم يكتُب إليكَ به . فأَنزلها يومين عنده ، ثم كَتب إلى كِسْرى : إنّ الذى طَلب كِسرى ليس عندى . وقال لزيد : أَعْذُرْنى عند الملك .

فلمّا رَجعا إلى كِسْرى قال زيدٌ للرسول الذى قدِم معه : اصدُق الملك عمّا سمعتَ ، فإنى سأحدّثه بمثل حديثك ولا أخالفك فيه . فلما دخلا على كسرى ، قال زيد : هذا كتابُه [إليك]. فقرأه عليه .فقال له كسرى : وأين الذى كنتَ خَبَّرتنى به ؟ قال : قد كنتُ خَبَّرتُك بضِنّتهم بنسائهم على غيرهم ؛ وإن ذلك من شقائِهم واختيارهم الُجوعَ والعُرْىَ على الشِّبَع والرِّياش ، وإيثارهم السَّمُوم والرِّياحَ على طيبِ أرضكَ هذه ، حتى إنهم ليُسمُّونها السِّجنَ . فسلْ هذا الرسولَ الذى كان معى عمّا قال ، فإنى أُكرم الملك عن مُشافهته بما قال وأجاب به . قال للرسول :وما قال ؟فقال له الرسولُ : [أيها الملك]،إنه قال:أما فى بَقر فارس والسَّواد ما يكفيه عن طلب ما عندنا . فعُرف الغضبُ فى وجهه ، ووَقع فى قَلْبه منه ما وَقَع ، ولم يَزِد على أن قال : رُبَّ عَبْدٍ قد أراد ما هو أشدُّ من هذا ، ثم صار أمرُه إلى التَّباب ! وشاع هذا الكلامُ حتى بلغ النُّعمانَ ، وسكتَ كِسْرى أشهراً

(١) المحملق من الأعين : ماحول مقلتيها بياض لم يخالطه سواد .

على ذلك ، وجعل النعمانُ يَسْتَعِدُّ ويتوقّع ، حتى أتى إليه أمرُ كسرى : أن أقبل ، فإنّ للملك حاجةً إليك .

استجارة النعمان بسادات العرب ثم تسليمه نفسه

فانطلق حين أتاه كتابُه . فحمل سلاحه وماقوِىَ عليه ، ثم لَحِق بجبلَىْ طيئ . وكانت فَرْعةُ[١] بنتُ سعد بن حارثة بن لأم عنده ، وقد ولدت له رجلاً وامرأة . وكانت أيضاً عنده زينبُ بنتُ أوس بن حارثة . فأراد النعمانُ طَيِّئاً على أن يُدخلوه الجَبَلين [ويمنعوه] ، فأبوا ذلك عليه وقالوا : لولا صِهْرُك لقتلناك ؛ فإنه لا حاجة بنا إلى مُعاداة كسرى ولا طاقةَ لنا به .

وأقبل يطوفُ على قبائل العرب ، ليس أحدٌ منهم يقبله ، غير أنّ بنى رَوَاحَة ابن قُطَيعة بن عَبْسٍ قالوا : إن شئتَ قاتلنا معكَ ، لِمِنّة كانت له عندهم . فقال : ما أُحِبّ أن أُهْلِككم ، فإنه لا طاقة لكم بكسرى . فأقبل حتى نزل بذى قارٍ[٢] فى بنى شَيْبان سِرّاً ، فلقى هانئ بن قَبيصَة — وقيل : بل هانئ بن مَسْعود [ابن عامر] بن عمرو بن أبى ربيعةَ بن ذُهْلِ بن شَيبان ، وكان سيّدا منيعاً ، والبيتُ يومئذٍ من رَبيعة فى آل ذى الجَدّين لِقَيْس بن مسعود بن قيس بن خالد ، ابن ذى الجَدَّين ، فأجاره هانئ وقال : قد لَزِمنى ذِمامُك ، وأنا مانعُك ممّا أمنعُ نفسى وأهلى وَوَلدى منه ، مابَقِىَ من عشيرتى الأَدْنينْ رَجُلٌ ، وإنّ ذلك غيرُ نافعك ، لأنه مُهْلِكى ومُهلِكُكَ ، وعندى رأىٌ لستُ أُشير به لأَدفعكَ عمّا تُريده من مُجاورتى ، ولكنّه الصوابُ . فقال : هاتِه . فقال : إنّ كُل أَمْر يَجْمُل بالرَّجُل أن يكونَ عليه إلاّ أن يكون بعد المُلْك سُوقةً ، والموتُ نازلٌ بكل أحد ، ولأَنْ تموتَ كريماً خيرٌ من أن تتجرّع الذلّ أو تبقى سُوقةً بعد المُلْك ؛ هذا إن بَقيتَ ، فامْضِ

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « قزعة » . وفى بعض آخر : « قرعة » .

(٢) ذو قار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط ، كانت فيه الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس .

إلى صاحبك وأحمل إليه هدايا ومالاً، وألقِ نفسَك بين يديه ، فإمّا أن أصفح عنك فعُدْتَ مَلِكاً عزيزاً ، وإمّا أنْ أصابك،فالموتُ خيْرٌ من أن يتلعّب بك صعاليكُ العرب ، و يتخطّفك ذِئابُها ، وتأكل مالَكَ وتعيشَ فقيراً مُجاوِراً ، أو تُقتلَ مقهوراً. قال : فكيف بُحَرمي؟ قال : [هُنّ فى ذِمّتى لا يُخلص إليهن حتى يُخلص إلى بناتى] . فقال : هـذا وأبيكَ الرأىُ الصحيحُ ، ولن أُجاوِزه . ثم اُختار خَيْلاً وحُلَلاً من عَصْبِ[١] اليمن ، وجوهراً وطُرَفاً كانت عنده ، ووَجَّه بها إلى كسرى ، وكتب إليه يَعتذر و يُعلمه أنه صائرٌ إليه ، ووجَّه بها مع رسوله . فقبلها كِسْرى منه وأمره بالقُدوم . فعادإليه الرسولُ وأخبره بذلك ، وأنه لم يَرَ عند كسرى سُوءاً. فمضى إليه ، حتى إذا وصل إلى ساباط[٢]، لقِيه زيدُ بن عدىّ على قَنطرة سَاباط ، فقـال له : انْجُ نُعَيْمُ إن اُستطعتَ النَّجاة . فقـال له : أفعلتَها يا زيدُ ! أمَا والله لئن عشتُ لأَقْتُلنَّك قِتْلةً لم يَقْتلها عربىٌ قطُّ ، ولأُلحقنَّك بأَبيك !فقـال له زَيد : أُمْض لشأنك نُعيم ، فلقـد والله أَخَّيْتُ لك أخيَّةً[٣] لا يَقْطعها المُهْرُ الأَرِنُ[٤]. فلما بلغ كِسْرى أنَّه بالباب بَعث إليه فقيَّده ، و بعث به إلى سِجْنٍ كان له بخانِقين.[٥] فلم يَزل فيه حتى وقع الطاعونُ هناك فمات فيه .

للأعشى فى موت النعمان

وقيل : بل مات بَساباط فى حَبْسه . وفى ذلك يقول الأعشى :

فذاكَ وما أَنْجى من الموتِ ربَّه ... بساباطَ حتّى مات وهو مُحرزَقُ

---

(١) العصب : ضرب من برود اليمن يعصب غزله ، أى يجمع و يشد ، ثم يصبغ وينسج فيأتى موشياً ، لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ .

(٢) ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبرويز .

(٣) الأخية : العود يعرض فى الحائط و يدفن طرفاه و يصير وسطه كالعروة تشد إليه الدابة . وقد تخفف الياء ، كما قد تمد الهمزة مع تشديد الياء أيضاً .

(٤) الأرن : النشيط .

(٥) خانقين : بلد بسواد بغداد .

والمحرزق : المُضيَّق عليه .

وغضبتْ له العربُ ، وكان قتلُه سببَ وقعة ذِى قار .

ما تمثل به النابغة حين بلغه موته

وقيل : إنه لما نُعِى النعمانُ بن المنذر إلى النابغة الذُّبيانى وحُدِّثَ بما صَنع به كسرى قال : طَلَبه من الدَّهْرِ طالِبُ المُلوكِ ، ثم تَمثَّل :

مَنْ[1] يَطْلُبِ الدهرُ تُدركه مَخالبُه ... والدَّهر بالوِتْرِ ناجٍ غيرُ مطلوبِ

مامنْ أُناس ذَوِى مجدٍ ومَكْرُمة ... إلاّ يَشُدُّ عليهم شَدَّةَ الذِّيب

حتى يُبيدَ على عَمْدٍ سَرَاتَهم ... بالنافذاتِ من النَّبْلِ المَصَاييب

إنّى وجدتُ سِهامَ الموتِ مُغْرِضةً[2] ... بكلّ حَتف من الآجالِ مكتوب

أبيات عدى التى فيها الغناء

والأبيات التى لعدىّ التى فيها الغناء ، وافتتح بها أبو الفرج أخباره ، هى :

* رُبَّ رَكْبٍ قد أناخوا عندنا[3] *

وقد ذكرتُ من شعره الذى تُغُنِّى به وهو مشهور ، قوله :

يا لُبَيْنَى أَوْقِدى النَّارَا ... إنّ من تَهْوَيْن قد حارَا[4]

رُبَّ نارٍ بِتُّ أَرْمُقها ... تَقْضَمُ الهِنْدِىَّ والغَارا[5]

عندها ظَبْىٌ يُؤَرِّثُها ... عاقدٌ فى الجِيد تِقْصارا[6]

---

(١) فى الأصل : «ما» .

(٢) مغرضة : مصيبة الغرض والهدف . وفى بعض أصول الأغانى : « معرضة » بالعين المهملة ، أى متعرضة .

(٣) فى الأصل : «حولنا». وعجزه : * يشربون الخمر بالماء الزلال *

(٤) حار : ضل .

(٥) الغار : شجر طيب الريح .

(٦) يؤرثها : يوقدها ويكثر حطبها . والتقصار : المخنقة .

أخبار الحطيئة

نسبه

وأسمه جَرْوَلُ بن أوس بن مالك بن جُؤَيَّةَ بن مَخْزوم بن مالِك بن غالب ابن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغيض بن الرَّيْث بن غَطَفان بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان ابن مُضَر بن نِزَار بن معدّ بن عَدْنان .

منزلته في الشعر

وهو من فُحول الشُّعراء ومُتقدِّميهم ومن فُصحائهم ، مُتَصَرِّف فى جميع فنُون الشِّعر من المَديح والهجاء والفخر والنَّسيب ، مُجِيدٌ فى ذلك أجمع .

شيء عنه

وكان ذا شَرٍّ وسَفَهٍ ، ونَسَبُهُ مُتَدافَعٌ بين قبائل [العرب] . كان يَنتمى إلى كل واحدةٍ منها إذا غَضِب على الأخرى .

إسلامه وارتداده وشعره فى ذلك

وهو مُخَضْرَمٌ ، أدرك الجاهلية والإسلام ، فأسلم ثم أرتدّ ، وقال فى ذلك :

أَطعنا رسولَ الله إذ كانَ بيننا فيالَعِبادِ الله ما لِأَبى بَكْرِ

أَيُورِثُها بكراً إذا ماتَ بعدَهُ وتلك لعمرُ الله قاصمةُ الظَّهر

سبب تلقيبه بالحطيئة

و يُكْنى الحطيئةُ أبا مُلَيكة . و إنما لُقِّبَ الْحُطيئة لِقِصَره وقُربه من الأرض . وقيل : بل لأنه ضَرِط ضَرْطةً بين قوم ، فقِيل له : ما هذا ؟ فقال : إنما هى حُطيئة[1] . فَسُمِّيَ الْحُطيئةَ .

تردده فى نسبه

وذُكر أنه كان يدَّعى أنه ابنُ عمرو بن عَلْقَمة ، أحد بنى [الحارث بن] سَدُوس . وتارةً كان يَنتمى إلى ذُهْل بن ثَعْلَبَةَ .

---

(١) حطيئة : تصغير : حطأة ، وهى فعلة ، من قولهم : حطأ ، إذا ضرط .

رأى ابن الكلبى

وذَكر ابنُ الكلبىّ أنه كان مغموزَ النَّسب ، وأنّه من أولاد الزِّنا الذين شَرُفوا .

شعره فى هجاء أمه

وتزَوَّج الكَلْبُ بن الكُنَيْس النَّهْشَلىُّ أمَّ الحطيئة ، واسمها الضَّرَّاء ، فقال فيها الحطيئةُ يهجوها :

تَنَحَّىْ فاجلِسى منّى بَعيداً   أراحَ الله منكِ العالَمينا
أغِرْبالاً(١) إذا استُودعْتِ سِرًّا   وكانُوناً(٢) على المُتَحَدِّثينا
حياتُك ما عَلِمتُ حياةُ سَوْءٍ   وموتُكِ قد يَسُرُّ الصالحِينا

وسألها يوْماً : من أبوه ؟ فخلَطَتْ عليه فقال :

تقول لِىَ الضَّرّاءُ لستَ لواحِدٍ   ولا اثنين فانظرْ كيف شِرْكُ أولئكا
وأنتَ امرؤٌ تبغى أباً قد ضَللته   هَبِلْتَ ألَمّا تَستفِق من ضَلالكا

بعض طباعه

وكان جَشِعاً سَؤولا مُلْحِفاً دَنِىء النفْس ، بخيلاً ، قبيحَ المنظر ، رثَّ الهَيْئة ، فاسِدَ الدِّين ، كثيرَ الهجاء ، بذىء اللِّسان .

من ولعه بالهجاء

وذُكر أنّه التَمَس يوماً إنساناً يهجوه فلم يجده ، وضاق عليه ذلكَ . فأنشأ يقول :

أبَتْ شَفَتاىَ اليومَ إلّا تَكَلُّما   بِشَرٍّ فما أدْرى لمن أنا قائلُهْ

وجعل يُدَهْوِر هذا البيتَ فى أشداقِه ولا يَرى إنساناً ، إذ اطّلع فى رَكِيٍّ(٣) أو حَوْضٍ ، فرأى وجهَه ، فقال :

أرى لِىَ وَجهاً قَبَّحَ(٤) الله خَلْقَه   فقُبِّحَ من وجْهٍ وقُبِّحَ حامِلُهْ

فى حفل لسعيد ابن العاص

وذُكر أنه بينا سَعيد بن العاص يُعَشِّى الناسَ بالمدينة ، والناس يَخرجون أولاً

(١) الغربال : النمام .
(٢) الكانون : الثقيل الوخم .
(٣) الركى : البئر .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « شوه » .

فأولا ، إذ نَظر على بساطه إلى رجل قبيح المَنظر ، رثّ الهيئة ، جالسٍ مع أصحاب سَمَره . فذَهب الشُّرَطُ يُقيمونه ، فأَبَى أن يقوم . وحانت من سَعِيدٍ التفاتةٌ ، فقال : دعُوا الرَّجُلَ . فتركوه وخاضوا فى أحاديث العرب وأشعارها مَلِيًّا . فقال لهم الُحطيئة : والله ما أصبتم جَيِّدَ الشِّعر ولا شاعرَ العرب . فقال له سَعيد بن العاص : أفتعرفُ من ذلك شيئاً ؟ قال : نعم . قال : من أشعرُ العرب ؟ قال : الذى يقول :

لا أُعُدُّ الإِقْتار عُدْماً ولكن فَقْدُ من قد رُزِئْتُه الإعدامُ

وأنشدها حتى أتَى على آخرها . فقال : مَنْ يقولها ؟قال : أبو دُوَاد الإيادىّ . قال : ثم مَن ؟ قال : الذى يقول :

أَدْرِكْ[1] بما شئتَ فقد يُدرَكُ بالـ ـجَهْل وقد يُخْدَعُ الأرِيبُ

ثم أَنشدها حتى فَرَغ منها . قال : ومَن يقولها ؟ قال : عَبِيد بن الأبرص . قال : ثم مَن ؟ قال : والله لحسبُك بى عند رَهْبة أو رغبة ، إذا رفعتُ إحدى رِجْلىَّ على الأخرى ثم عويتُ عُواء الفَصِيل الصادى فى إثر القوافى . قال : ومَن أنت ؟ قال : الُحطيئة . فرَحَّب به سَعيد . ثم قال : أسأتَ بكتمانِنا نَفْسَك مُنذ الليلة . ووَصله وكساه .

هو وعتيبه بن النهاس

ومَضى لوجهه إلى عُتَيبة بن النَّهاس العِجْلىّ فسأله . فقال : ما أنا على عَمَل فأُعطِيَك من عَدَده ، ولا فى مالى فَضْلٌ عن قَومى . قال له : فلا عليك ، وانصرف. فقال له بَعْضُ قومه : لقد عَرَّضتنا ونفسك للشّر ! قال :وكيف؟ قالُوا : هذا الحطيئةُ وهو هاجينا أَخْبَثَ هجاء . فقال :رُدُّوه ، فرَدُّوه إليه. فقال له :لِمَ كتمتَنا نَفْسَك

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أفلج » أى فز واظفر . وفى بعض آخر : « أفلح » من الفلاح ، وهو الفوز .

كأنك كنت تطلب العِلَل علينا ! اُجلسْ فلك عندنا ما يَسُرك . فجلس ، فقال له : مَن أشعر الناس ؟ قال : الذي يقول :

وَمَنْ يجْعَلِ المعروف من دُون عِرْضه يَفِرْهُ[1] وَمَن لا يَتّقِ الشّتم يُشْتَمَ

فقال له عُتَيبة: إن هذا من مُقَدّمات أفاعيك ! ثم قال لوكيله : اذهب معه إلى السُّوق فلا يطلبُ شيئاً إلّا اشتريتَه له . فجعل يَعرِض عليه الخزّ ورقيقَ الثياب فلا يُريدها ، ويُومِئ إلى الكرابيس[2] والأكسية الغِلاظ ، فيشتريها له . حتى قضى أربَه ثم مضى . فلما جَلس عُتَيْبَةُ في نادي قومه أقبل الحُطيئةُ ، فلمّا رآه عُتيبة قال: هذا مقامُ العائذ بك يا أبا مُليكة من خيرك وشرّك . قال : لقد كنتُ قلتُ بيتين فاسمَعْهما . ثم أنشأ يقول :

سُئِلْتَ فلم تَبْخَلْ ولم تُعطِ طائلاً فسيَّان لا ذَمٌّ عليكَ ولا حَمْدُ
وأنتَ امرؤ لا الجُود منه سَجِيّةٌ فتُعْطى وقد يُعْدِي على النّائل[3] الوَجْد

ثم ركَض فَرسه وذَهب .

للأحوزى في شعره

وقال أبو صَفْوان الأحوزيّ :

مامن أحدٍ إلاّ لو أشاء أن أَجِدَ في شعره مَطعناً لوجدته ، إلاّ الحُطيئة .

فضله إسحاق على الشعراء بعد زهير

وأنشد إسحاق الموصليّ قولَ الحُطيئة :

وفِتيانِ صِدْقٍ من عَدِيٍّ عليهمُ صفائحُ بُصْرَى عُلِّقتْ بالعَوَاتِقِ
إذا ما دُعُوا لم يَسألُوا مَنْ دعاهمُ ولم يُمْسِكُوا فوقَ القُلوب الخَوافِق
وطارُوا إلى الجُرْدِ العِتاق فألجموا وشَدُّوا على أوساطهم بالمَناطق
أولئك آباء الغَريب وغَاثةُ الصَّـ ـريخ ومأْوَى المُرْمِلين[4] الدَّرادق

(١) يفره : أى يبقيه موفراً طيباً لم ينتقص بشتم . وفرت العرض أفره ، ووفر هو : أكرم ولم يبتذل . (٢) الكرابيس : ثياب من القطن . فارسى معرب .
(٣) يعدى : يعين . والوجد ، مثلثة الواو : اليسار والسعة .
(٤) الدرادق : الصبيان الصغار ، الواحد : دردق .

أحلُّوا حِياضَ الموت فوقَ جِباههم مكانَ النَّواصى من وُجوه السَّوابق

ثم قال: أما إنىّ ما أعلم أحداً بعد زُهير أشعرَ من الحُطيئة.

من بخله

وذُكر أنه مرَّ ابنُ الحَمامة بالحُطيئة، وهو جالسٌ بفناء بَيْته، فقال: السلامُ عليكم. فقال: قلتَ مالا يُنكر. قال: إنى خرجتُ من أهلى بغير زاد. فقال: ما ضَمِنْتُ لأهلك قِرَاك. قال: أفتأذن لى أن آتىَ إلى ظِلِّ بَيتك فأتفَيَّأَ به؟ قال: دونكَ الجبلَ يَفِيءُ عليك. فقال: أنا ابنُ الحَمامة. قال: انصرفْ وكُن ابن أىّ طائر شئتَ.

وقيل:

أتى رجلٌ الحطيئةَ وهو فى غَنم له، فقال: ياصاحبَ الغنم. فرفع الحُطيئةُ العصا وقال: إنها عَجْراء من سَلَم[1]. فقال الرجل: إنىّ ضَيف. فقال: للضِّيفان أعددتُها. فانصرفَ عنه.

شعر له فى ناقة فقدها

وقيل: خَرج الحطيئةُ فى سَفر ومعه امرأتُه أُمامةُ وابنتُه مُليكة، فنزل منزلاً وسَرَّحَ ذَوْدًا[2] ثلاثاً. فلما قام فَقَد إحداها، فقال:

أذِئْبُ القَفْر أم ذِئْبٌ أنيسٌ أصاب البَكْرَ[3] أم حَدَثُ اللَّيالى

ونحن ثلاثةٌ وثلاثُ ذَوْدٍ لقد جار الزَّمانُ على عِيالى

لكعب الحبر فى بيت للحطيئة

وقيل:

أنشد كعبٌ الحِبر[4] قولَ الحُطيئة:

---

(١) العجراء: العصا فيها عقد. والسلم: شجر.

(٣) البكر: الفتى من الإبل، والناقة التى ولدت بطناً واحدا.

(٢) الذود: الثلاث من الإبل إلى العشرة، مؤنثة لا واحد لها من لفظها.

(٤) الحبر، بالفتح ويكسر: العالم، وهو وصف لكعب. وإذا نونت «كعبا» قلت: كعب الحبر. وإذا لم تنون جاز لك أن تقول: كعب الأحبار.

مَن يفعلِ الخيرَ لا يعدَم جوازِيَه ... لا يذهبُ العرفُ بين الله والنّاسِ

فقال: والذى نفسى بيده، إن هذا البيتَ مكتوبٌ فى التّوراة.

وصى ابن شداد ابنه بشعره

وذُكر أنّ عُبيد[1] الله بن شدَّاد، لما حضرته الوفاةُ، دعا ابنَه محمداً وأوصاه، وقال: يا بُنىّ، إن داعِىَ الموت لا يُقلع، وبحقٍّ أنّ من مضَى لا يَرجع، ومن بَقِى فإليه يَنزِع. يا بُنىّ، ليكُن أولى الأُمور بك تقوى الله فى السرّ والعلانية، وصِدْق الحديث والنيّة؛ فإنّ الشّكور مُزاد، والتّقوى خيرُ زاد، كما قال الحُطيئة:

ولستُ أرى السّعادةَ جمعَ مالٍ ... ولكنّ التقىّ هو السعيدُ
وتقوى الله خيرُ الزّاد ذُخراً ... وعند الله للأتقَى مَزيد
وما لا بُدّ أن يأتى قريبٌ ... ولكنّ الذى يَمضِى بعيد

كذبه عمر فى بيت قاله

وقيل:

سَبق رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على فَرَسٍ له، فجَثا على رُكبتيه وقال: إنه لبَحرٌ[2]! فقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه: كذب الحُطيئة حيث يقول:

وإنّ جِيادَ الخيلِ لا تَستفزُّنا ... ولا جاعِلاتُ الرَّيْط[3] فوقَ المَعاصمِ

ولو ترك ذلك أحدٌ لتركه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم.

استعطاف امرأته له وقد أراد سفراً

وقيل:

أراد الحُطيئة سفراً، فأتته امرأتُه، وقد قُدِّمتْ راحلته [ليركبَ]، فقالت:

أُذكُرْ تحنُّنَا إليك وشوقَنا ... واذكُر بناتِك إنهن صِغارُ

---

(١) فى الأمالى: «عبد الله بن شداد».

(٢) أى واسع الجرى.

(٣) الريط: جمع ريطة، وهى الملاءة. ذات لفقين. وهى أيضاً كل ثوب لين رقيق.

فقال : حُطُّوا ، لا رَحلتُ لسفرٍ أبدا .

استحسان ابن شبرمة لشعره

وذُكر أن ابن شُبْرُمة قال : أنا والله عالم بجيِّـد الشِّعْر ، لقد أحسن الحُطَيئة حيث يقول :

أولئــك قومٌ إن بَنَوْا أحسنُوا البِنَى ... و إن عاهدوا أَوْفَوْا و إن عقدوا شَدُّوا

و إنْ كانتِ النَّعماء فيهم جَزَوْا بهـا ... و إنْ أَنْعموا لا كَدَّرُوها ولا كَدُّوا

و إن قال مَوْلاهم على جُلِّ حادثٍ ... من الدَّهر رُدُّوا فَضْلَ أحلامكم رَدُّوا

مدحه ابنى مقلد وقد أكرموا جواره

وقيل :

إنّ الحطيئة أقْحمتْه السنةُ (١) ، فنزل ببنى مُقَـلَّد بن يَرْبُوع ، فمشَى بعضُهم إلى بعض فقالوا : إنّ هذا الرجلَ لا يَسْلم من لسانه أحدٌ ،فتعالَوْا حتى نسأله عما يُحبُّ فنفعلَه ، وعمّا يكره فنَجْتَنِبه . فَأَتَوْه وقالوا : يا أبا مُلَيكة ، إنّك اخترتَنا على سائر العرب ، ووَجب حَقُّك علينا ، فمُرْنا بما تُحِب أن نَفْعَـله ، و بما تُحِب أن نَنتهىَ عنه .فقال:لا تُـكْثِروا زيارتى فَتُمِلُّونى ، ولا تَقطعوهافتُوحشونى ،ولا تَجعلوا فِناء بيتى مجلساً لـكم ، ولا تُسْمِعُوا بناتِى غِناء شُبّانِـكم ؛ فإن الغِناء رُقْيَـةُ الزِّنا . فأقام عندهم،وجمع كُلُّواحد منهم ولدَهوقال:أُمُّكم الطَّلاقُ ،لئن تَغَـنَّى أحدٌ منكموالُحطيئة مُقيم بين أظهرِنا لأَضربنّه ضَرْبةً بِسَيْفِى أخذتْ منه ما أخذتْ . فلم يزَلْ مُقيماً فيما يرضَى ،حتى انْجلتْ عنه السَّنةُ ، فارْتحل وهو يقول :

جاورتُ آلَ مُقـلَّدٍ فَحَمِـدتُهم ... إذ لا يكاد أَخُو جِوَارٍ يُحْمَـدُ

أَزْمانَ مَنْ يُرِدِ الصَّنيعةَ يَصْطَنِعْ ... فيها ومن يُرِدِ الزَّهادَةَ(٢) يَزْهَد

---

(١) السنة : الجدب . وأقحمته : أوقعته فى شدة وضيق .

(٢) رفع المضارع الواقع جوابا لفعل شرط مضارع جائز فى غير الضرورة ، وإن كان خلاف الأصح . ولو روى « يزهد » بالكسر دخل الشعر الإقواء ، وهو اختلاف حركة الروى رفعا وجرا .

خبره مع الزبرقان ابن بدر

ولّى النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم الزِّبْرقانَ بنَ بَدر بنِ أمرىء القيس بنِ خَلَف ابن بَهْدلةَ بن عَوْف بنِ كَعْب بن سَعْد بن زَيْد مَنَاةَ بنِ تَميم عملًا — واسم الزِّبرقان الحُصَين ، و إنما سمِّى الزِّبرقان لحسنه ، شُبِّه بالقمر . وقيل : بل لأنه لَبِس عِمامة مُزَبْرَقَةً (١) بالزَّعفران فَسُمِّى الزِّبْرقانَ بذلك . والزبرقان، فى اللغة القمر . والزبرقان أيضاً : الرجلُ الخفيف اللِّحية — فبقى على عَمله حتى تُوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقرّه أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه بعد النبى صلى الله عليه وسلم على عمله . ثم قَدِم على عُمرَ بن الخطَّاب رضى الله عنه ليؤدِّى صدقاتِ قومه . فلقيه الحُطيئةُ بقَرْقَرى (٢) ومعه ابناه: أوس ، وسَوادَة، و بناته وامرأته، وذلك فى سَنة مُجْدِبة. فقال له الزِّبرقانُ، وقد عرفه ولم يعرفه الحُطيئة: أين تُريد؟ قال : العراقَ، فقد حَطَّمَتْنا هذه السنةُ . قال : وتَصنع ماذا ؟ قال : وددْتُ أن أصادفَ بها رَجُلاً يَكفينى مُؤونة عِيالى وأُصْفِيه (٣) مَدْحِى أبداً. فقال له الزبرقانُ : قد أصبتَه ، فهل لك فيه يُوسعك لبناً وتمراً و يُجاورك أحسنَ جِوار وأكرَمه ؟ فقال الحطيئة : هذا وأبيك العيشُ ! وما كنت أرجو هذا كلَّه . قال : فقد أصبتَه . قال : عند مَنْ ؟ قال : عندى . قال : ومن أنتَ ؟ قال : الزِّبرقانُ بن بدر . قال : وأين محلُّك ؟ قال : اُركبْ هذه الناقةَ واستقبلْ مَطْلَعِ الشمس، وسَلْ عن القَمر حتى تأتى منزلى ، فسِرْ إلى أُم شَذرةَ ، وهى أُمّ الزِّبرقان وعَمّة الفرزدق . وكَتب إليها : أن أَحْسِنِي إليه وأكْثرى له من اللّبن والتّمْر . وقيل : بل أرسله إلى زَوْجته ، وهى هُنَيدة بنتُ صَعْصعة بن ناجية المُجاشعيّة . فأكرمتْه المرأة وأحسنتْ إليه . فبلغ ذلك بَغيضَ بن عامر بن شَمَّاس بن لأى بن جعفر ، وهو أنفُ الناقة بن قُرَيع ابن عَوْف (٤) بن كعب بن سَعْد بن زَيْد مَنَاةَ بن تَميم ، و بلغ إخوته و بنى عمّه،

---

(١) مزبرقة : مصبوغة بحمرة أو صفرة .

(٢) قرقرى : أرض باليمامة .

(٣) أصفيه : أخلصه .

(٤) فى الأصل : « عمرو » . تحريف .

وكانوا يَغضبون من تَلْقيبِ أباهم جعفراً بأَنف الناقة — و إنما سُمِّى جعفرٌ بأنف الناقة ، لأنّ أباه قُرَيعاً نَحر ناقةً فقسَمها بين نسائه ، فبعثتْ جعفراً هذا أُمُّه ، وهى الشَّمُوس، من وائل ثم من سَعد هُذَيم ، فأتى أباه ولم يَبْق من النَّاقة إلَّا رأسُها وعنُقها ، فقال : شأنَك بهذا . فأَدخل يدَه فى أنفها وجرَّ ما أعطاه . فكانوا لذلك يغضبون من هذا اللَّقب ،حتى مَدحهم الحطيئةُ فقال :

قومٌ همُ الأنفُ والأذنابُ غيرهُمُ ومَن يُسوِّى بأنْف النَّاقةِ الذَّنبَا

فصار بعد ذلك فخراً لهم ومدحاً ، فكانوا يُنازعون الزِّبرقانَ الشرفَ — وكانوا أشرفَ من الزِّبرقان إلا أنّه قد كان استعلاهم بنَفْسه . وكان الحطيئةُ قبيحَ المَنْظر ، وكان عيالُه كذلك . فلما رأت أُمُّ شَذْرة حالَه هان عليها وقصَّرت به . ورأى بنو أنْف الناقة و بَغِيضٌ ما تَصنَع به أُمُّ شَذْرة ، فأرسلوا إليه : أن ائْتنا . فأبى عليهم وقال : إنّ من شأن النّساء التَّقصيرَ والغَفْلة ، ولستُ بالذى أحمل على صاحبها ذَنْبَها ؛ فإن تُركتُ وجُفيتُ تحوّلتُ إليكم .فأَطمعوه ووَعدوه وعداً عظيما . وقيل : لمّا لم يُجِبْهم دَسُّوا إلى هُنَيدة ، زوجةِ الزِّبرقان،أنّ الزِّبرقان يُريد أن يتزوّج ابنته مُليكة ، وكانت جميلةً . فظهرتْ من المرأة للحُطيئة جفوةٌ ، وهى فى ذلك تُداريه، ثم أرادُوا النُّجْعة .[1] فقالت له هُنيدةُ : قد حَضرت النُّجعةُ فاُركب أنت وأهلُك هذا الظَّهرَ إلى مكان كذا وكذا ، ثم أُرْدُدْه إلينا حتى نَلْحقك ؛ فإنه لا يَسَعُنا جميعاً . فأرسل إليها : بل تقدَّمى فأنت أحقُّ بذلك . ففعلتْ وتثاقلتْ عن ردِّها[2] إليه،و تركتْه يومين أو ثلاثةً ، وألَحَّ بنو أنف النَّاقة عليه ،وقالوا : قد تُركتَ بمَضْيعة . وكان أشدَّهم فى ذلك قولاً بغيضُ بن شمَّاس ، وعَلْقمة بن هَوذة . وكان الزبرقانُ قد قال فى عَلْقمة :

(١) النجعة : طلب الكلأ .

(٢) يريد : الظهر . وهو مذكر ، الا أنه أنث الضمير ملتفتاً إلى أن معناه : الدابة . وهى تقع على الأنثى والمذكر .

لِي ابنُ عَمٍّ لا يزا ل يَعيبنى ويُعين عائبْ
وأعينُه فى النـائبا ت ولا يُعين على النّوائبْ
تَسْرى عقـاربُه إلـىّ ولا تَدِبُّ له عقاربْ
لاهِ[1] ابنُ عَمّك لا يَخا فُ المُخزِياتِ من العواقبْ[2]

وكان عَلقمةُ ممتلئاً غيظاً عليه . فلما ألَحّوا على الحطيئة أجابهم وقال : أمّا الآن فنعمْ ، أنا صائرٌ معكم . فتحمّل معهم ، فضَربوا له قُبةً ، ورَبطوا بكُل طُنُب من أطنابها جُلّة[3] هَجَرِيّة ، وأراحوا[4] عليه إبلَهم ، وأكثروا له من اللّبن والتّمر ، وأعطَوْه لِقاحاً[5] وكُسوةً . فلما قَدِمَ الزِّبرقانُ سأل عنه ، فأُخْبر بقصّته ، فنادى فى بَهْدلةَ بن عَوْف . وركب الزِّبرقانُ فرسَه ، وأخذ رُمْحه ، وسـار حتى وقف على نادى بنى شَمّاس القُرَيْعيّين فقـال : ردُّوا عليّ جاري . فقالوا : ما هو لك بجارٍ ، وقد أطّرحتَه وضيّعتَه . فألَمّ[6] أن يكون بين الحيّيْن حربٌ . فحضَرهم أهلُ الحِجا من قومهم ، فلامُوا بَغيضاً وقالوا : أُرْدُدْ على الرجل جارَه . فقال : لست مُخْرِجَه وقد آويتُـه ، وهو رجلٌ حرٌّ مالكٌ لأمره ، فخيّروه فإن أختارنى لم أُخْرِجْه ، وإن أختاره لم أُكْرِهْه . فخيّروا الحُطيئةَ ، فأختار بَغيضاً ورَهْطَه . فجاء الزِّبرقانُ فوقف عليـه وقال : أبَا مُليكة ، فارقتَ جِوَارِى عن سُخْط وذَمّ ؟ قال : لا . فأنصرفَ وتركه .

وقيل :

أستعدَى الزِّبرقانُ عُمَرَ بن الخطّاب رضى الله عنـه على بَغيضٍ ، فحكم عمرُ

---

(١) لاه : لله . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « المحزنات » .
(٣) الجلة : وعاء من خوص للتمر .
(٤) إراحة الإبل : ردها فى العشى .
(٥) اللقاح : جمع لقوح ، وهى الناقة الحلوب .
(٦) ألم : قرب وأوشك .

أن يُخْرَجَ الحطيئةُ حتى يُقَام فى موضعٍ خالٍ بين الحيَّيْن وحْدَه ، ويُخَلَّى سبيلُه ، ويكون جارَ أيِّهما اُختار . ففُعل ذلك به ، فاختار القُرَيْعيّين . وجعل الحطيئةُ يَمدحهم من غير أن يَهْجُوا الزِّبرقان ، وهم يحضّونه على ذلك ويُحَرِّضُونه ، فيأبَى ويقول : لا ذنبَ للرجل عندى . حتى أرسل الزبرقانُ إلى رجل من النَّمِر بنْ قاسِط ، فهجا بَغيضاً ، فحينئذٍ قال الحطيئةُ ، يهجو الزِّبرقان ويُناضل عن بَغيض ، قصيدتَه التى يقول فيها :

والله ما مَعشرٌ لامُوا امرأً جُنُباً ... فى آل لَأْىِ بن شَمَّاس بأَكياسِ

ما كان ذنبُ بَغيضٍ لا أبالكمُ ... فى بائسٍ جاء يَحْدو آخرَ الناس

لقد مريتُكمُ لو أنّ دِرَّتكم ... يوماً يَجىء بهامَسْحِى[1] وإبساسِى

وقد مدحتُكمُ عمداً لأُرْشِدَكم ... كيما يكونَ لكم مَتْحِى[2] وإمراسِى

لما بدا لىَ منكم غَيْبُ أنفسِكم ... ولم يكن لجراحى فيكمُ آسى

أزمعتُ يأساً مُبيناً من نَوالكمُ ... ولن يُرَى طارِداً للحُرِّ كالياس

جارٌ لقومٍ أطالُوا هُونَ منزلِه ... وغادرُوه مُقيماً بين أرْماس

مَلُّوا قِرَاه وهَرَّتْه كلابُهمُ ... وجَرَّحُوه بأنيابٍ وأضراس

دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغْيَتِها ... واُقعُد فإنك أنت الطَّاعِم الكاسى

من يَفْعَلِ الخيرَ لا يَعْدَم جَوازِيَه ... لا يذهبُ العُرْف بين الله والناس

ما كان ذنبِىَ أن فَلَّت مَعَاوِلَكم ... من آل لأىٍ صَفاةٌ أصلُها راسى

قد ناضَلُوك فسَلُّوا من كنائنهم ... مَجْداً تَليداً ونَبْلاً غيرَ[3] أنْكاس

(١) المرى : مسح ضرع الناقة . يريد : داريتكم ومدحتكم لتدروا على بالعطاء . والدرة : اللبن . والإبساس : صوت الراعى تسكن به الناقة عند الحلب . (٢) المتح : جذب الدلو . والإمراس : إعادة الحبل إلى مجراه ، بعد أن يقع فى أحد جانبى البكرة ، بين الخطاف والبكرة .

(٣) أنكاس : جمع نكس ، وهو أضعف السهام . قال ابن منظور : ومعنى البيت : أن العرب كانوا إذا أسروا أسيراً خيروه بين التخلية وجز الناصية والأسر ، فإن اختار جز الناصية جزوها وخلوا سبيله ، ثم جعلوا ذلك الشعر فى كنائنهم ، فإذا افتخروا أخرجوه وأروه مفاخرهم .

فاُستعدَى عليه الزِّبرقانُ عُمرَ بن الخطّاب رضى الله عنـه ، فَرفعه عمرُ إليه واُستنشده ، فأَنشده . فقال عُمر رضى الله عنـه لحسّان بن ثابت : أتُراه هَجاه ؟ قال : نعم ، وسَلَح عليه . فَحبسه عُمر .

وقيل :

إنّ الزِّبرقان لما أتى عُمر رضى الله عنـــه بالحُطيئة ، قال : هَجانى . قال : وما قال فيك ؟ قال ، قال :

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغْيتها — واُقعُدْ فإنّكَ أنت الطاعمُ الكاسِى

فقال عمر : ما أَسمع هجاءً ولكنّها مُعاتبةٌ . فقال الزبرقان : أوما تبلُغ مُروءتى إلّا أن آكُل وألبس ! وسأل عُمر رضى الله عنه لبيدَ بن رَبيعه عن ذلك .فقال : ما يَسرُنى أنه لَحِقنى من هــذا الشِّعر ما لَحِقـه وأنّ لى حُمرَ النَّعَم . فأَمر به عُمر رضى الله عنـه فجُعل فى نَقِـيرٍ[1] فى بئر ، ثم أُلْقى عليه شىء . فقال فى الحَبس أبياتاً و بَعث بها إلى عُمر ، وهى :

أعوذ بجَـدِّك إنِّى اُمـرؤٌ — سَقَتْنِى الأَعادىَ سَمًّا[2] سِجَالَا

فإنّك خـيرٌ من الزِّبرقانِ — أَشَـدُّ نَـكالًا وأَرْجَى نوَالا

تَحَنَّنْ علىّ هـــداكَ المَليكُ — فإنّ لـكُلِّ مقـامٍ مَقَــالا

ولا تأْخُـذَنِّى بقول الوُشـاة — فإنّ لـكُلِّ زمانٍ رِجَالا

فإنْ كان ما زَعموا صـــادقاً — فسِيقَتْ إليك نِسَـائى[3] رِجَالا

حوَاسِرَ لا يَشْتَكِينَ[4] الوَجَى — يُخَفِّضْنَ آلًا ويَرْفعن آلا

(١) النقير : ما نقر وحفر .

(٢) السجال : جمع سجل ، وهى الدلو الضخمة المملوءة .يريد : مرة بعد مرة . والرواية فى بعض اصول الأغانى : « سقتنى الأعادى اليك السجالا » .

(٣) رجال : راجلة تمشى . الواحدة : رجلة ، بفتح الراء وضم الجيم .(٤) الوجى : الحفى .

فلم يلتفت إليه عُمر . فكلّمه فيه عمرو بنُ العاص ، فأخرجه من الحَبس ، فأنشده قولَه فيه :

ماذا تقول لأفْراخٍ بذى أَمَرٍ [١] زُغْبِ الحَواصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ
غَادَرْتَ [٢] كاسِبَهم فى قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فاغفر هداك مليكُ الناس ياعُمَر
أنت الإمامُ الذى من بعدِ صاحبه ألقتْ إليك مقاليدَ النُّهى البَشَر
لم يُؤْثِروك بها إذ قدَّموك لها لكن لأنفسهم كانت بكَ الأُثَر [٣]
فامنُنْ على صِبْيَةٍ بالرَّمل مَسْكنُهم بين الأباطحِ تَغْشَاهم بها القِرَر [٤]
أهلى فِداؤُك كم بينى وبينهمُ من عَرْض داويَّةٍ [٥] تَعْمَى بها الخُبَر

فبكى عُمر رضى الله عنه حين قال : « ماذا تقول لأفراخ » . فقال عمرو بن العاص : ما أظَلَّتِ الخضراء ، ولا أقَلَّتِ الغبراء ، أعْدلَ من رجل يَبكى على تركه الحطيئةَ . ثم قال عمرُ رضى الله عنه : علىّ بالكُرسىّ . فأُتى به ، فجلس عليه ثم قال : أشيرُوا علىّ فى الشاعر ، فإنه يقول الهجْوَ ويَنْسُب بالحُرَم ويمدَح النَّاس ويذمّهم بغير ما فيهم ، ما أرانى إلّا قاطِعاً لسانَه . ثم قال : علىّ بالطَّسْتِ . ثم قال : علىّ بالمِخْصَف [٦] ، علىّ بالسِّكّين ، لا بل علىّ بالمُوسَى ، فهو أوْحَى [٧] . فقالوا : لا يعود يا أمير المُؤمنين . فأشاروا إليه أن قُل : لا أعُود . فقال : لا أعود يا أمير المؤمنين . فقال له : النَّجاء . فلما ولَّى قال له عُمر : يا حُطيئة ، كأنّى بك عند فتًى من قريش قد بَسط لك نُمْرُقة [٨] وكَسر لك أخرى . وقال : غَنِّنا يا حُطيئة . فطفقْتَ تُغَنِّيه بأعراض الناس .

(١) ذو أمر : موضع بنجد من ديار غطفان . قال ياقوت : « وهى الرواية المشهورة » . ويروى : « بذى مرخ » وهو واد بين فدك والوابشية . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « ألقيت »
(٣) الأثر : المكرمات ؛ الواحدة : أثرة .
(٤) القرر : جمع قرة ، بالكسر ، وهى البرد . (٥) الداوية والدوية : الفلاة الواسعة
(٦) المخصف : المخرز . (٧) أوحى : أسرع . (٨) النمرقة : الوسادة .

فحكى أسلم قال : ما انقضت الدُّنيا حتى رأيتُ الحُطيئة عند عُبَيد الله بن عُمر قد بَسط له نُمرقة وكسر له أُخرى ، وقال:غَنّنا يا حُطيئة . فجعل يُغنّيه . فقلت لهُ : يا حطيئة ، أتذكر قولَ عُمر ؟ ففَزِع وقال : يرحم الله ذلك المرء ، أما لو كان حَيًّا ما فعلتُ .

قال : وقلتُ لعُبيد الله : سمعتُ أباك يقول : كذا وكذا ، فكنتَ أنت ذلك الرجل .

وقيل: إنّ عُمر رضى الله عنه قال للحُطيئة : إيّاك وهجاء النَّاس . قال : إذاً يموت عِيالى جُوعاً ، هذا مكسَبى ومنه معاشِى . قال : إيّاك والمُقْذِعَ من القول . قال : وما المُقذع ؟ قال : أن تُخايِرَ بين النَّاس فتقولَ : فُلانٌ خَير من فلان ، وآل فلان خير من آل فلان . فقال : فأنتَ واللهِ أهجَى منّى . ثم قال : لولا أن تكون سُنَّةً لقطعت لسانَك ،ولكن اُذهب فأنت له . خُذه يا زِبْرقان . فألْقَى الزِّبْرقان فى رَقبته عمامتَه فاقتاده بها . وعارضتْه غَطَفَان ، فقالوا لهُ : يا أبا شَذْرَة ، إخْوتُك و بنو عَمِّك ، هَبْه لنا . فوهبه لهم .

شراء عمر الأعراض منه

وذُكر أنّ عُمَر رضىالله عنه لمّا أطْلق الحُطيئةَ أراد أن يُؤَكِّد عليه الحجّة ، فاُشترى منه أعراض المُسْلمين بثلاثةِ آلاف دِرْهم . فقال الحُطيئةُ :

وأخذتَ أطْرافَ الكلام فلم تَدَعْ ... شَتماً يَضرُّ ولا مَديحاً ينْفَعُ

وحَمَيْتَنِى عِرْضَ اللَّئيم فلم يخَفْ ... ذَمّى وأصبح آمنًا لا يفْزَعُ

وصيته عند موته

وقيل :

لمّا حَضرت الحُطيئةَ الوفاةُ اجتمع إليه قومُه ، وقالوا : يا أبا مُلَيْكَة ، أَوصِ . فقال : ويلٌ للشِّعْرِ من رِاوية السُّوء . قالوا :أَوْص يرحمك الله يا حُطَىْ . قال : مَن الذى يقول :

إذاأنْبض(١) الرَّامون عنهاترَنَّمتْ ... تَرَنُّمَ ثَكْلَى أوجعتْها الجنَائزُ !

---

(١) أنبض القوس : بجذب وترها لتصوت .

قالوا : الشَّماخ . فقال: أبلغوا غَطَفَانَ أنّه أشعرُ العرب . قالوا : ويحك ! أهـذه وصيَّة ! أوْصِ . قال : أبلغُوا أهلَ ضابىء[١] أنّه شاعرٌ حيث يقول :

لـكلِّ جَـديدٍ لذَّةٌ غـيرَ أنّنى ... رأيتُ جَديدَ الموتِ غَـيْرَ لَذِيذِ

فقالوا : أوْصِ ، ويحك بما ينفعك ! فقال : أبلغُوا أهل امرىء القيس أنّه أشعرُ العرب حيث يقول :

فيَـالَكَ من لَيْـلٍ كأَنَّ نُجُومَه ... بِـكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّت[٢] بِيَذْبُلِ

فقالوا : اتَّقِ الله ودَعْ عنك هذا ! فقال : أبلغُوا الأنصار أن صاحبَهم أشعرُ العرب حيث يقول :

يُغْشَونَ حتى ما تَهِرّ كِلاَبُهم ... لا يُسـألون عن السَّوَادِ المُقْبِـلِ

فقالوا : إنّ هذا لا يُغْنِى عنك شيئاً ، فَقُلْ غيرَ ما أنت فيه . فقال :

الشِّعر صعبٌ وطويلٌ سُـلَّمهْ ... إذا ارتقى فيه الذى لا يَعْـلَمهْ

زَلَّتْ به إلى الحَضِيضِ قَدَمُهْ ... يريد أن يُعْرِبه فيُعْجِمـهْ

فقالوا : هذا مِثْلُ الذى كنتَ فيه . فقال :

قد كنتُ أحيـاناً شديدَ المُعْتَمَدْ ... وكنتُ ذا غَرْبٍ على الخَصْمِ الألَدّ

فوَرَدَتْ نفسى وما كادتْ تَرِدْ

فقالوا : يا أبا مُليكة ، ألك حاجة ؟ قال : لا ، ولـكن أجزَع على المديح الجَيِّـد يُمدح به من ليس له أهلًا . قالوا : فمن أشعرُ النَّاس؟ فأومأ بيده إلى فيـه، وقال : هـــذا الجُحَير[٣] إذا طَـمِعَ فى خَير ، واسْتَعبر باكياً . فقالوا لهُ : قُلْ لا إله إلّا الله ! فقال :

---

(١) هو ضابئ بن الحارث البرجمى ، ثم اليربوعى ، الشاعر ، من بنى تميم .

(٢) مغار الفتل : محكمه ؛ أغار الحبل إغارة : شد فتله . ويذبل : جبل لباهلة .

(٣) يعنى : « فمه » .

قالت وفيها حَيْدَةٌ وذُعْرُ عَوْذٌ بربِّى منكمُ[1] وحُجْرُ

فقالوا له : ما تقول فى عَبيدك ؟فقال: هم عَبيدٌ قِنٌّ ما تعاقب[2] الليلُ والنهار .
فقالوا : أَوْصِ للفقراء بشيء . فقال : أُوصيهم بالإلحاح فى المسألة فإنها تجارةٌ لا تبُور، وأسْتُ المسئولِ أضيقُ[3] . قالوا : فما تقول فى مالِك ؟ فقال : للأنثى من ولدى مِثْلَا حَظِّ الذَّكَر . فقالوا : ليس هكذا قَضى اللهُ عزَّ وجل لهنَّ . قال : لكنى هكذا قضيتُ . قالوا : فما تُوصى لليتامى ؟ قال : كُلُوا أموالهم ونيكوا أُمهاتِهم . قالوا : فهل شيء تَعهد فيه غير هذا ؟ قال : نعم . تحْملوننى على أَتان وتتركوننى راكبَها حتى أَموت ، فإن الكريم لا يموتُ على فِراشه ، والأَتانُ مَرْكَبٌ لم يَمُتْ عليه كَرِيمٌ قطُّ . فَحَملوه على أتانٍ وجعلوا يذهبون به ويجيئون وهو عليها حتى مات ، وهو يقول :

لا أحدٌ ألأَمُ من حُطَيْئَهْ هجَا بَنيه وهَجا المُريَّهْ
من لُؤمِهِ ماتَ على فُرَيَّهْ

والفُريَّة : الأتان .

وذُكر أنه أُنشد عمر بن الخطّاب رضى الله عنه قولَ الحطيئة :

تكذيب عمر له فى بيت سمعه

متى تَأْتِه تَعْشُو[4] إلى ضَوْء نَارِه تجِدْ خَيْرَ نارٍ عندها خَيْرُ مُوقِدِ

فقال عُمر: كذب ! بل تلك نَارُ موسى صلّى الله عليه وسلم .

---

(١) حيدة : صدود و نفور. وحجر : دفع ومنع . (٢) فى الأصل : «ماعاقب»
(٣) كناية عن العجز . (٤) تعشو : تقصد فى الظلام .

أخبار ابن عائشة

اسمه وولاؤه

هو محمّد، ويُكْنَى: أبا جَعفر. ولم يكُنْ يُعرف له أب. وإنما نُسب إلى أُمه. وهو يزعم أن اسم أبيه جعفر، وليس يعرف ذلك. وأُمُّه عائشة مَوْلاة لكَثير بن الصَّلْت الكِنْدىّ، حَليف قُريش. وقيل: إنها مَوْلاة لآل المُطَّلِب بن وَداعة السَّهْمىّ.

منزلته فى الغناء

وأخذ الغناء عن مَعبد ومالك، ولم يَمُوتا حتى ساواهما، على تَقْديمه لهما واعترافه بفضلهما. وكان أحسن النَّاس صوتاً، وكان ابتداؤه بالغناء أحسنَ ابتداء، حتى قيل: لو كان أوّلُ غِنَائه مثلَ آخره لقُدِّم على ابن سُرَيج.

من تيهه

وكان سَيِّئَ الخُلُق، إذا قال له إنسان: تغنَّ، قال: لِمِثْلى يُقال هذا! وإن قال إنسان، وقد ابتدأ بغناء: أحسنتَ! قال: لِمِثْلى يقال: أحسنتَ! ثم يسكُت. فكان قليلاً ما يُنتفع به.

أكرهه الحسن على الغناء فغناه

فسال العقيقُ، مرّةً فدخل عَرْصَةَ سعيد بنِ العاصى الماء حتى ملأها، فخرج النَّاسُ إليها، وخرج ابنُ عائشة فجلس على قَرْن البئر. فبينا هم كذلك أقبل الحسنُ بنُ الحسن بن علىّ بن أبى طالب على بَغلةٍ، وخَلفَه غُلامان أسودان كأنّهما من الشّياطين، فقال لهما: أمضيا رُوَيْدًا حتى تَقِفا بأصْل القَرْن الذى عليه ابنُ عائشة. فخرجا حتى فعلا ذلك. ثم ناداه الحسنُ: كيف أصبحتَ يا ابنَ عائشة؟ قال: بخير، فِداك أبى وأُمى! قال: انُظر مَنْ إلى جَنبك. فإذا العبدان. فقال لهُ: أتعرفهما؟ قال: نَعم. قال: فهما حُرّان لئن لم تُغَنِّنى لآمُرنّهما بطَرْحِك فى البئر، وهما حُرّان لئن لم يفعلا لأُقطعنّ أيديهما. فاندفع ابنُ عائشة، فكان أوّلُ ما ابتدأ به صوتاً لهُ، وهو:

ألَا لله دَرُّكَ مِن فَتَى قَوْمٍ إذا رَهِبُوا
وقَالُوا مَنْ فَتًى للحر ب[(١)] يرقُبنا و يرتقب
فكنتَ فتاهُمُ فيها إذا تُدْعى لها تَثِب

ثم لم يسكُت حتى غَنَّى مائة صوت. فيقال : إن النَّاسَ لم يَسمعوا من اُبن عائشة أكثرَ ممّا سمعوا ذلك اليوم . وكان آخرَ ما غنّى :

قُل للمنَازل بالظَّهْرَان[(٢)] قد حانا أنْ تَنْطق وتُبينى القولَ تبْيانَا
قالت ومَن أنت قُل لى قلتُ ذو شَغَفٍ هِجْتِ لهُ من دَواعى الشّوق أحْزانا

فما رُئى يومٌ أحسنُ منه . ولقد سمع النَّاسُ شيئاً لم يَسمعوا مثلَه ، وما تشاغل النَّاس عن اُستماعه بشىء ، وما اُنصرف أحدٌ لقضاء حاجة ولا لغير ذلك حتى فَرغ . ولقد تبادر الناس من المدينة و مما حولها حيث بلغهم الخبرُ لاستماع غنائه، فما رُئى جمع فى ذلك الموضع مثل ذلك الجمع ، ولقد رَفع النَّاس أصواتَهم يقولون : أحسنتَ والله ! أحسنت والله ! ثم اُنصرفوا حولَه يزُفونه إلى المدينة زَفا .

غنى بالموسم فحبس الناس عن المسير

وقيل : إن اُبن عائشة كان واقفاً بالموسم مُتحيِّراً ، فمرّ به بعض أصحابهُ فقال : ما يُقيمك هاهنا ؟ فقال : إنى أعرف رجلًا لو تكلّم حَبس النَّاسَ هاهنَا فلم يذهبْ أحدٌ ولم يَجىء . فقال له الرّجل : ومن ذاك ؟ قال : أنا ، ثم اندفع يُغَنِّى :

جَرتْ سُنُحاً[(٣)] فقلتُ لها أجيزى نَوًى مَشْمولةً فمتى اللقاء
بنفسى مَنْ تذكُّره سَقَامٌ أُعَانيه ومَطْلَبُه عَناء

قال : فحُبس النَّاسُ واُضطربتْ المحاملُ ومدَّت الإبل أعناقَها ، وكادت الفتنةُ تقع . فأُتِى به هِشام بن عبد الملك ، فقال لهُ : يا عدوّ الله ! أردتَ أن تَفْتن

(١) فى الأصل : «للحى» . (٢) الظهران : واد قرب مكة .
(٣) سنحا ، أى من الشمال . وأجيزى : انفذى . ومشمولة : سريعة الانكشاف . قال أبوالفرج : «أخذه من السحابة المشمولة وهى التى تصيبها الشمال فتكشفها ، ومن شأن الشمال أن تقطع السحاب . واستعارها هاهنا فى النوى، لسرعة انكشافهم فيها عن بلدهم ، وأجرى ذلك مجرى الذم للسانح ، لأنه يتشاءم به » .

النَّاسَ ! قال : فأمسك عنه وكان تيَّاهاً . فقال له هشام : أرفُق بتِيهك . فقال : حَقّ لمن كانت هذه مَقْدِرتَه على القلوب أن يكون تيَّاهاً[1] . فضحك منه وخلّى سبيلَه.

في حضرة الوليد بن يزيد

وحَكَى صاحبُ سِتْر الوليد بن يزيد بن عبدالملك قال : رأيتُ ابن عائشة عنده وقد غنّاه :

إنّى رأيتُ صَبيحة النَّفْرِ حُوراً نَفَيْن عَزيمة الصَّبْرِ
مثلَ الكواكب فى مَطالعها بعد العشاء أطَفْن بالبدر
وخرجتُ أبغى الأجْرَ مُحْتسباً فَرجعْتُ مَوْفوراً من الوِزْر

فطرِب الوليدُ حتى كَفَر وألحدَ وقال : يا غلام ، اسْقِنا بالسّماء الرابعة . وكان الغِنَاء يعمل فيه عملًا ضلّ عنه مَن بعدَه ، ثم قال له : أحسنتَ والله يا أميرى ! أعد بحق عبد شمس . فأعاد . ثم قال :أعدْ بحق أُميَّة .فأعاد. ثم قال : أعدْ بحق فلان ،أعد بحق فلان ،حتى بلغ من المُلوك نفسَه ،فقال:أعد بحَياتى .فأعاد.قال :فقام إليه فأكبَّ عليه .فلم يبْق عُضْوٌ من أعضائه إلّا قبَّله،وأهوى إلى هَنِه فجعل ابنُ عائشة يضمّ فخذيه عليه . فقال : والله العظيم لا تَريم حتى أُقبِّله . فأبداه لهُ . فقبَّل رأسَ ذَكَره .ثم نَزع ثيابَه فألقاها عليه ،و بقى مجرّداً إلى أن أتوْه بمثلها . ووَهب له ألفَ دينار وحَمله على بغلة ، وقال : اركبْها بأبى أنت وانصرفْ ، فقد تركتَنى على مثل المَقْلى من حرارة غنائك . فركبها على بساطه وانصرف .

هو ورجل من أهل وادى القرى يشتهى الغناء

وقيل : خرج ابنُ عائشة من عند الوليد بن يزيد وقد غنَّاه :

أبعدكَ مَعْقِلا أرجو وحِصْنًا قد اُعيتْنِى المعاقلُ والحُصونُ

فأطربَه ، وأمر له بثلاثين ألفَ دِرْهم و بمثل كارةِ القصّارة كُسوةً . فبينا ابنُ عائشة يسير على بغلته ،إذ نظر إليهِ رجلٌ من أهل وادى القُرى كان يشتهى الغِنَاء ويَشرب النَّبيذ ، فدنا من غُلامه وقال : مَن هذا الراكب ؟ قال : ابنُ عائشة

(١) فى الأصل : «تائها» .

المُغَنِّى . فدنا منه وقال : جُعلتُ فداك ؟ أنت ابنُ عائشة أُم المُؤمِنين ؟ قال : لا ، أنا مولًى لقُريش وعائشــة أُمّى ، وحَسْبك هــذا ، ولا عليك أن تُكثر . قال : وما هــذا الذى أراه بين يديك من المال والـكُسوة ؟ قال : غَنّيت أميرَ المؤمنين صوتاً فأطربتُه ، فـكَفر وترك الصلاةَ وأمر لى بهذا المال وهذه الـكُسوة . قال : جُعلتُ فداك ! فهل تمُنّ علىّ بأن تُسمِعَنى ما أَسمعتَه إيَّاه ؟ فقال له: ويحك ! أمثلِى يُكلَّم بهذا فى الطريق ! قال: فما أصنَع . قال : الحقْنى بالباب . وحرّك ابنُ عائشة بغلتَه لينقطع عنه ، فعدَا معه حتى وافيَا البابَ كفرسَىْ رِهانٍ ، ودخل ابنُ عائشة فمـكث طويلا طمعاً فى أن يَضْجَر فينصرفَ ، فلم يفعل . فلما أعياه قال لغُلامه : أَدخله . فلما دَخل قال له : ويلك ! من أين صَبَّك الله علىّ ؟ قال : أنا رجلٌ من أهل وادى القُرى أَشْتهى هذا الغناء . فقال له : هل لك فيما هو أنفعُ لك منه ؟ قال: وماذاك؟ قال: مائتادينارٍ وعشرةُ أثواب تَنْصرف بها إلى أهلك . فقال له : جُعلتُ فداك ! والله إنّ لى لبُنَيّة مافى أُذنها — علم الله — حَلقــة من الوَرِق فضلاً عن الذهب ، و إنّ لى لزوجةً ما عليها — يشهد الله — قميصٌ ، ولو أعطيتنى جميع ما أمر لك به أميرُ المؤمنين على هذه الخَلّة[1] والفقر اللذين عرّفتكهما ، وأضعفتَ لى ذلكَ ، لـكان الصوتُ أعجبَ إلىّ . وكان ابنُ عائشة تائهاً لا يغنّي إلّا لخليفةٍ أو لذى قَدْر جليــل من إخوانه . فتعجّب ابنُ عائشة ورحمه وغنّاه الصوتَ ، فطرب له طرباً شديداً وجعل يُحرّك رأسَه حتى ظنّ أنّ عُنُقه سَينقصف . ثم خَرج من عنــده ولم يَرْزأه شيئاً . و بلغ الخبرُ الوليدَ بنَ يزيد ، فسأل ابنَ عائشة عنه، فجعل يَغيب عن الحديث . ثم جدّ الوليــدُ به ، فصدَقه عنــه . وأمر بطلب الرجل ، فطُلب حتى أُحضر، ووَصله صلةً سنيّة، وجعله فى نُدمائه ووكّله بالسّقى . فلم يزل معه حتى قُتل .

غناؤه لفتيــة من بنى هاشم

وقيل : دعا فِتْيةٌ من بنى هاشم ابنَ عائشة فأجابهم . فلما دخل جعلوه فى صدر المجلس فتحدّثوا حتى حضر الطعام. فلماطَعِموا دعَوْا بالشراب فشربوا. وكان ابنُ عائشة

---

(١) الخلة : الحاجة والخصاصة.

إذا سُئل أن يُغنى أبى وغَضِب ، فإذا تحدَّث القوم بحَديث ومَضى فيه شعرٌ قد غُنى فيه ابتدأ هو فغنّاه ، فكان مَن فَطِن له يفعل ذلك به . فقال رجلٌ منهم : حدّثنى رجلٌ من الأعراب ممّن كان يَصحبُ جَميلاً بحديث عَجيب . فقال القومُ : وماهو؟ قال : حدّثنى أن جميلًا بينا هو يحدِّثه ، كما كان يَفعل، إذ أنكره ورأى منه غَيْر ما كان يرَى . فثار نافراً ، مُقشعرّ الشعر مُتغيّر اللون ، إلى ناقة له مُجتمعة (١) قريبة من الأرض مُوثّقة الخَلْق ، فشَدَّ عليها رَحْلَه ، ثم أتاها بمِحْلَب فيه لبنٌ فشربته،ثم ثنّى بآخر فشربتْ حتى رويتْ .ثم قال : اُشدُد أداة رَحْلك واُشرب واسقِ جَملك ، فإنى ذاهب بك إلى بعض مَذَاهبى . ففعلتُ ، فجال فى ظَهْر ناقته وركبتُ معه جَملى . فسِرنا بياضَ يومنا وسَواد ليلتنا ، ثم أصبحنا فسِرْنا يومَنا ، لا والله ما نَزلنا إلّا لصلاة . فلما كان اليومُ الثالث دَفَعْنا إلى نسوة ، فمال إليهنّ. فوجدنا الرجالَ خُلوفاً(٢) ، و إذا قِدْرُ لبَأ ،(٣) وقد جُهدت جُوعاً وعَطشاً،فلمارأيتُ القِدْر اُقتحمتُ(٤) عن بَعيرى وتركتُهم جانباً،ثم أدخلتُ رأسى فى القِدر ما يَثْنينى حَرُّها حتى رَوِيتُ ، فذهبتُ أُخرج رأسى من القدر فضاقت علىَّ ، فإذا هى على رأسى قلنسوة . فضَحكنَ منّى وغَسَلْن ما أصابنى . وأُتى جَميلٌ بقرًى ، فوالله ما التفتَ إليه . فبينا هو يحدّثهن إذا رَوَاعى الإبل ، وقد كان السلطانُ أحلَّ لهم دَمَه إن وجدوه فى بلادهم . وجاء الناسُ فقُلن(٥) : ويحك ! اُنْجُ وتقدَّم ، فوالله ما أكبرَهم ذلك الإكبار ، فإذا بهم يَرْمونه ويَطْردونه ، فإذا غَشَوْه قاتلهم ورَمى فيهم . وقام بى جَملى ،فقال لى: يَسِّر لنفسك مَرْكباً خَلْفى. فأردفنى خَلْفه، لا والله

---

(١) مجتمعة : شديدة قوية .

(٢) خلوفا : غائبين عن الحى .

(٣) اللبأ : أول اللبن فى النتاج .

(٤) اقتحمت : بادرت بالنزول .

(٥) فى الأصل : « فقالوا » . وهى رواية أكثر أصول الأغانى .

ما انكسر حتى رَجع إلى أهله ، وقد سار ستَّ ليالٍ وستة أيام وما التفتَ إلى طعام ، وقال فى ذلك :

إنّ المنازل هيَّجتْ أطرابِي — وأُستعجمتْ آياتُها بجوابِي
قَفْرٌ تلوح بذى اللُّجَيْن كأنها — أنضاءُ رسْمٍ[1] أو سُطورُ كتاب
لما وقفتُ بها القَلوصَ تبادرت — منّى الدموعُ لفُرقةِ الأَحباب
وذكرتُ عصراً يابُثَينة شاقَنى — إذ فاتنى وذكرتُ شَرْخَ شبابى

وقال ، وهو من قصيدة :

وأحسنُ أيّامى وأبهجُ عِيشتى — إذا هيجَ بِي يوماً ونحن[2] قُعودُ

فقال ابنُ عائشة : أفلا أُغنى لكم ذلك ؟ فقلنا : بلى والله . فاَندفع فغنَّاه . فما سَمِع السامعون شيئاً أحسنَ من ذلك . و بقى الجماعةُ يتعجَّبون من الحديث وحُسْنه والغناء وطِيبه . فقالوا لهُ : يا أبا جعفر ، إنا مُستأذنون ، فإن أذنت لنا سألناك . و إن كرهتَ تركناك . قال : سَلوا . قالوا : نُحب أن تُغنِّينا فى مجلسنا هذا ما نَشطْتَ هذا الصوتَ . فقال لهم : نَعم و نعمةَ عينٍ وكرامةً . فما زِلنا فى غاية السرور حتى انقضى المجلس .

هو وجماعة من قريش جروه إلى الغناء

وحَكى يونُس الكاتب قال : كُنّا [يوما] متنزِّهين بالعَقيق أنا وجماعةٌ من قُريش ، فبينا نحن على حالنا إذ أقبل ابنُ عائشة يمشى ، ومعه غلام من بنى لَيْث وهو مُتوكِّيء على يده ، فلما رأى جماعَتنا وسَمِعنى أُغَنِّى جاء فسلَّم ، وجلس [إلينا] وتحدّث معنا . وكانت الجماعةُ تَعرف سُوء خُلقه وغَضَبه إذا سُئل أن يغنى ، فأقبل بعضُهم على بعض يتحدّثون بأحاديث كُثيِّر وجَميل وغيرهما من الشعراء ، يَسْتَجِرُّون

(١) أنضاء رسم ، أى بقايا .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وهن » مكان « ونحن » .

بذلك أن يَطْرب فيُغنِّيَ. فلم يجدوا عنده ما أرادوا، فقلتُ لهم أنا: لقد حدّثنى اليومَ بعضُ الأعراب حديثًا يأكل الأحاديث، فإن شئتم حدّثتكم إيّاه. قالوا: هات. قلتُ: حدّثنى هذا الرجلُ أنه مَرَّ بناحية الرَّبذة[1] فإذا صِبْيان يتغاطَسُون فى غَدير، وإذا شابٌّ جميل منهوك الجسم عليه أثرُ العِلّة، والنُّحول فى جسمه بَيِّن، وهو جالسٌ ينظر إليهم، فسلّمت عليه، فردّ علىّ السلام، وقال لى: من أين وَضَح[2] الراكب؟ قلت: من الحِمَى. قال: ومتى عَهْدك به؟ قلت: رائحًا. قال: وأين كانَ مبيتُك؟ قلت: بنَى فلان. قال: أوّه! وألقى بنفسه على ظهره وتنفّس الصُّعداء تنفُّسًا قلت إنّه قد خَرّق حجاب قلبه. ثم أنشأ يقول:

سَقَى بلداً أمستْ سُلَيمى تحلُّه ... من المُزْن ما يَرْوَى به[3] ويُسِيمُ
وإن لم أكُن مِن قاطنيه فإنه ... يحُلّ به شَخصٌ علىّ كريم
ألَا حبّذا مَن ليس يَعْدِلُ قُرْبَه ... لَدَىّ وإنْ شَطّ المَزارُ نَعِيم
ومَن لامَنى فيه خليلٌ وصاحبٌ ... فَرُدَّ بغَيظ صاحبٌ وحَمِيم

قال: ثم سكن كالمغشىّ عليه. فصحتُ بالأُصَيبية. فأتَوْا بماء فصَبَبْتُه على وجهه، فأفاق وأنشأ يقول:

إذا الصبُّ الغريبُ رأى خُشوعى ... وأنفاسى تَزَيَّن بالخُشوعِ
ولى عَيْن أضَرَّ بها التفاتى ... إلى الأجراع مُطْلَقةَ الدُّموع
إلى الخَلَوات يأنس فيكِ قلبى ... كما أَنِس الغَريبُ إلى الجميع

فقلتُ له: ألا أنزلُ فأُساعدَك وأكُرّ عَوْدى على بَدْئى إلى الحِمَى فى حاجة أو رسالة، إن كانت لك حاجة أو رسالة. فقال: جُزيت خيراً وصحبتْك السلامةُ، امض

(١) الربذة: قرية على ثلاثة أميال من المدينة.
(٢) وضح: بدا وطلع.
(٣) أسام: أرعى. يريد ما يجعله صالحاً للإسامة.

لطيّتك[١] ، فلو علمتُ أنك تُغْنى عنى شيئاً لـكنتَ موضعاً للرغبة وحقيقاً بإسعاف المسألة، ولـكنك أدركتنى فى صُبَابَة من حياتى يسيرة . فانصرفتُ وأنا لا أراه يُمسى ليله إلّا ميّتاً . فقال القوم : ما أعجب هذا الحديث ! واندفع ابنُ عائشة يغنّى فى الشعرَيْن جميعاً .وطَرِب وشَرِب بقيّـة يومه ، ولم يزل يُغنِّينا إلى أن انصرفنا .

عند ابن هشام وقصة موته

وذُكر أنّ ابن عائشة أقبل من عند الوليد بن يزيد ، وقد أجازه وأحسن إليه ، فجاء بما لم يأت به أحدٌ من عنده ، فلما قرُب من المدينة نزل بذى خُشب[٢] على أربعة فراسخ من المدينة، وكان واليها إبراهيمُ بن هشام، ولّاه إياها [هشامٌ] وهو خالُه، وكان فى قَصره هناك . فقيل له : أصلح الله الأمير ، هذا ابنُ عائشة ورد من عند الوليد بن يزيد ، فلو سألته أن يقيم عندنا فيُطْربنا ويَنصرف من الغـد ؟ فدعا به فسأله المُقـام ، فأجابه إلى ذلك . فلما أخذوا فى شُربهم أخرج المخزومىّ جواريَه، فنظر إلى ابن عائشة وهو يَغْمز جاريةً منهن ، فقال لخادمه : إذا خرج ابنُ عائشة يُريد حاجة فارْمِ به . وكانوا يشربون فى سَطْح ليس له إفريز ولا شُرفات، يُشرف على بُستان . فلمـا قام ليبول رَمى به الخادمُ من فوق السطح فمات . فقبرهُ معروف هناك .

وقيل :

إنه أقبل من الشام حتى نزل بقصر ذى خُشب ومعه مالٌ وطيبٌ وكُساً ، فصعد إلى القَصر. ثم نظر فإذا بنسوة يتمشّين فى ناحية الوادى، فقال لأصحابه : هل لـكم فيهنّ ؟ قالوا : وكيف بهن ؟ فنَهض ولَبِس مُلاءة مَدْلوكة[٣]، ثم قام على شُرفة من شُرفات القَصر فتغنّى بشعر ابن أُذينة :

---

(١) لطيتك : لوجهك .

(٢) ذو خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة فى الطريق إلى الشأم .

(٣) مدلوكة : مصقولة .

سُـليمى أزمعتْ بَيْنـاَ   فأين تقولها[١] أيناَ
وقـد قالت لأَتراب   لهـا زُهْرٍ تلاَقينـا
تعالَيْن فقـد طاب   لنـا العيشُ تعالَيْنـا

فأقبلْن إليه . فطرب واستدار، فسقط فمات . ولما مات قال أشعب : قد قلتُ لـكم ! ولـكنه لا يُغنى حذرٌ من قدَر : زوِّجو ابن عائشة من رُبيحة الشّماسـيّة تخرج لـكم بينهما مزاميرُ داود ! فلم تفعلوا . وجعل يبكى والناس يضحكون .

---

(١) تقولها ، أى تظنها .

أخبار ابن أرطاة

نسبه

هو عبدالرحمن بن أَرطاة.وقيل : عبدالرحمن بنُ سَيْحان بن أرطاة بن سيْحان ابن عمرو بن نُجَيد بن سعْد بن لاحِب بن ربيعة بن شُكم بن عبد الله بن عَوْف بن زيد بن بكر بن عُمَير بن عليّ بن جَسْر بن مُحارب بن خَصَفة بن قيْس بن عيْلانَ بن مُضَر بن نِزار بن معدّ بن عدنان .

وشُكم بن عبد الله أولُ مُحاربيّ ساد قَوْمه وأفردَهم رأساً بنفسه . وكانوا جيراناً فى هوَازنَ . وآلُ سيْحان حلفاء حَرْبِ بن أُميَّة بن عبدِ شمس ، و بمنزلة بعضهم عندهم خاصّة ، وعند سائر بنى أُميَّة عامّة .

منزلته فى الشعر وحلفه فى أمية

وكان عبدُ الرحمن بن أرطاة شاعراً مُقلاًّ إسلامياًّ ، ليس من الفُحول المشهورين ، ولكنه كان يقول فى الشَّراب والغَزَل والفَخْر ومَدْح أحلافه من بنى أُميَّة . وهو أحدُ المُعاقرين للشَّراب والمحدودين فيه.وكان مع بنى أُميَّة كواحدٍ منهم، إلّا أن اختصاصه بآل أبى سُفيان وآل عُثمان خاصّة كان أكثر . وخُصوصَه بالوليد بن عثمان ومُؤانسته إيّاه أزيدُ من خُصوصه بسائرهم ، لأنهما كانا يتنادمان على الشَّراب .

قيل :

مدحه للوليد ابن عثمان

كان الوليد بن عُثمان بن عفّان ذا غَلّة فى الحجاز ، يخرج إليها فى زمان التَّمر بنفر من قومه ، يَجنون له ويُعاونونه ، وكان إذا حضَر خروجُهم دفع إليهم نفقاتٍ لأهليهم إلى رُجوعهم. فخرج مرّةً كما كان يخرُج،وفيهم ابنُ سَيْحان ـ وهو ابن أرطاة ـ فأتى ابنَ سَيحان كتابٌ من أهله يسألونه القُدوم لحاجةٍ لا بدَّ منها،فاستأذنه فأذِن له،فقال له

ابنُ سيْحان: زوِّدنى من شَرابكم هذا . فزوّده إداوةً ملأها له من شرابهم . فكان يشربها فى طريقه ،حتّى قدِم على أهله ، فألقاها فى جانب البيت فارغةً مطروحةً . فمكث زماناً لا يذكرها ، ثم كَنسوا البيت فرآها مُلْقاةً فى الكُناسة ، فقال فى ذلك . ومن هذا الشعر الأبيات التى فيها الغناء ، وافتتح بها أبو الفرج أخبار ابن أرطاة :

بأبى الوليدُ وأمٍّ نفسى كُلّما ... بدَتِ النُّجومُ وذَرّ قرْنُ الشارقِ

كم عنده من نائلٍ وسَماحةٍ ... وشمائلٍ ميمونةٍ وخلائق

وكرامةٍ للمُعْتفين إذا اعتفَوا ... فى ماله حقًّا ووَعْدٍ صادق

أَثْوَى فأكْرم فى الثَّواء وقُضِّيتْ ... حاجاتُنا من عِند أرْوعَ باسِق

لما أتيناه أتيْنا ماجدَ الْ ... أخلاق سبّاقاً لقَرْمٍ[1] سابق

قال الوليدُ يَدِى لكم رهْنٌ بما ... حاولتُمُ من صامتٍ أو ناطق

فإلى الوليد إليه[2] حنّت ناقتى ... تهْوِى بمُغبرّ المُتون[3] سَمالق

حنّتْ إلى بَرْق فقلتُ لها قِرِى ... بعضَ الحنين فإن شجْوك شائقى

لا تبْعدَنّ إداوةٌ مطروحةٌ ... كانت قديماً للشراب العاتق

إن تُصبحى لا شىءَ فيكِ فربّما ... أُترِعْتِ من كأسٍ تلذُّ لذائق

حده الوليد بن عثمان فى الخمر وأبطله عنه معاوية

وذُكر أنّ ابنَ سيْحان ، وهو عبد الرحمن بن أرطاة المُحاربى ، كان حُلوَ الأحاديث ، عنده أحاديثُ حسنةٌ غريبةٌ من أخبار العرب وأيّامها وأشعارها ، وكان على ذلك يُصيب من الشّراب ، فكان كل مَن قدِم من وُلاة بنى أُميّة وأحداثهم ، ممن يُصيب الشراب يدعوه ويُنادمه . فلمّا وَلِى الوليدُ بن عُتبة

(١) القرم : السيد .
(٢) فى اللسان (سملق) : « اليوم » .
(٣) سمالق : جمع سملق ، وهى الأرض المستوية الجرداء التى لا شجر فيها .

ابن أبى سُفيان المدينةَ وعُزل عنها مروان بنُ الحكم ، وَجَد مروانُ فى نفسه . وكان الوليد يُصيب من الشراب ويَبعث إلى ابن سيْحان فيشرب معه ، وابن سيْحان لايظنّ أن مروان يفعل به الذى فعله . وقدكان مَدَحه ابنُ سيْحان ووَصله مَرْوان . ولكنّ مروان أراد فضيحةَ الوليد ، فرَصده ليلةً من المسجد ، وكان ابنُ سيْحان يخرج فى السَّحر من عند الوليد ثَمِلاً فيمرّ فى المقصورة من المسجدِ حتى يخرج فى زُقاق عاصِم . وكان محمدبن عمرو يبيتُ فى المسجد يصلّى ، وكذلك عبدالله بن حَنْظلة وغيرهما من القُرّاء . فلمّا خرج ابنُ سيْحان ثمِلاً من دار الوليد أَخذه مَرْوان وأعوانُه ، ثم دعا له محمدَ بنَ عمرو ، وعبدَ الله بن حنظلة، فأشهدهما على سُكْره ، وقد سأله أن يقرأ أُمَّ الكتاب ، فلم يقرأها ، فدَفعه إلى صاحب شُرَطَه فحَبسه. فلمّا أصبح الوليدُ بلغه الخبرُ وشاع فى المدينة ، وعَلِم أنّ مرْوان إنما أراد أن يَفضحه ، وأنه لو لَقِى ابنَ سيْحان ثملاً خارجاً من عند غيره لم يَعْرض له . فقال الوليد : لا يُبرّئنى من هذا عند أهل المدينة إلّا ضربُ ابن سيْحان . فأَمر صاحب شُرَطه فضَربه الحدّ ثم أرسله . فجلس ابنُ سيْحان فى بيته [لا يخرُج] حياءً من الناس . فجاءه عبدُ الرحمن بن الحارث بن هشام فى ولده ، وكان له جليساً ، فقال له : ما يُجلسك فى بيتك ؟ قال : الاستحياء من الناس . قال : أُخرُج أيُّها الرجل . وكان عبد الرحمن قد حَمل له معه كُسوة ، فقال له : البسها ورُحْ معنا إلى المسجد ، فهذا أحرى أن مُكذِّب به مُكذِّب ، ثم تَرحل إلى أمير المؤمنين فتُخبره بما صَنع بك الوليد ، فإنه يَصلك ويُبطل هذا الحدّ عنك . فراح مع عبد الرحمن فى جماعة وَلده متوسِّطاً لهم حتى دخل المسجد ، فصلّى ركعتين ، ثم تساند مع عبد الرحمن إلى الأُسطوانة ، فقائل يقول : لم يُضرب ، وقائل يقول : أنا رأيتُه يُضرب ، وقائل يقول : عُزِّر أسْواطاً . ثم رحل إلى مُعاوية بن أبى سُفيان ، فدخل إل يزيدَ بن مُعاوية فشرب معه . فكلَّم يزيدُ أباه مُعاوية فى أَمره ، فدعا به

فأخبره بقصّته وما صَنعه به مَروان . فقال : قَبح الله الوليـدَ ! ما أضعفَ عقلَه ! أما اُستحيا أن يضرِ بك فيما شَرِب ! وأمّا مرْوان فإنّى كنتُ لا أحسَبه يبلغ هذا منك مع رأيك فيه ومودّتك له ! ولـكنّه أراد أن يضع الوليد عندى ولم يُصب، وقد وضع نفسه فى حدٍّ كُنّا نُنزِّهه عنـه ، صار شُرطيا ! ثم قال لـكاتبه : اكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله مُعاوية أمير المؤمنين إلى الوليـد ابن عُتبة . أما بعد . فالعجبُ من ضَربك ابن سيْحان فيما تَشرب منه ! مازِدْت على أن عرّفتَ أهل المدينة ما كنتَ تشرب به ممّا حرّم الله عليك . فإذا جاءك كتابى هذا فأبطل الحدَّ عن ابن سيْحان ، وطُف به فى حِلَق المسجد، وأَخبرهم أنّ صاحب شُرْطتك تعدّى عليه وظلمه ، وأنّ أمير المؤمنين قد أَبطل ذلك عنـه . أليس ابن سيحان الذى يقول :

و إنّى امرؤٌ أنْمَى إلى أَفْضَـل الورى ... عديداً إذا ارْفضّتْ عصا المُتحلِّفِ
إلى نَضَـدٍ من عبـد شَمس كأنّهم ... هِضابُ أجاً(١) أركانُهـا لم تقَصَّف
مَيامينُ يَرْضوْن الـكِفاية إنْ كُفوا ... و يكْفُون ما وُلُّوا بغـير تكلُّف
غَطارفةٌ(٢) ساسُـوا البلاد فأحْسنوا ... سِـياستها حتى أقرّت لمُرْدِف
فمن يكُ منهم مُوسراً يُغْشَ فضـلُه ... ومن يكُ منهم مُعْسراً يتعفّف
و إن تُبْسَطِ النُّعْمَى لهم يَبْسطوا بهـا ... أكفّاً سِـبَاطاً نفعُها غير مُقْرِف(٣)
و إن تُزْوَ عنهم لا يَضِجُّوا وتُلفهم ... قليلِى التشكّى عنـدها والتكلُّف
إذا انصرفُوا للحقِّ يوماً تصرّفوا ... إذا الجاهلُ الحيْران لم يتصرّف
سَمَوْا فعـلَوْا فوق البريّة كلّهـا ... ببُنيـانِ عالٍ من مُنيفٍ ومُشْرِف

(١) النضد : الأعمام والأخوال المتقدمون فى الشرف . وأجا ، بالهمز وسهل : أحد جبلى طيِّئ ، والآخر يقال له : سلمى .

(٢) غطارفة : سادة شرفاء . الواحد : غطريف . ومردف : تابع .

(٣) سباط : جمع سبط ، وهو السمح . وغير مقرف : ليس فيه ما يشين .

وكتب له أن يُعطَى أربعمائة شاةٍ وثلاثين لِقْحةً ، وأمر له بخمسمائة دينار . وأعطاه يزيدُ بن مُعاوية مائتى دينار . ثم قدِم بكتاب مُعاوية إلى الوليد ، فطاف به فى المسجد ، وأبطل ذلك الحدّ عنه ، وأعطاه ما كتب له به مُعاوية . وكتب معاويةُ إلى مَرْوان يلومه فيما فعله بابن سَيْحان ، وما أراده بذلك . ودعا الوليدُ عبدَ الرحمن بن سَيْحان أن يعود للشُّرب معه . فقال : والله لا ذقتُ معك شراباً أبداً .

وقيل : إنّ مُعاوية كتب إلى مَروان بإبطال الحدّ عنه ، وإن مروان هو الذى أقام عليه الحدّ فى ولايته ، وأن يَخطب بذلك فوق المِنبر . فلما ورد عليه الكتابُ عظُم عليه ودعا بابنه عبد الملك فقرأه عليه ، وشاوره فيه . فقال له عبد الملك : راجعْه ولا تكذِّب نفسك ولا تُبطل حكمك . فقال مروان : أنا أعلم بمُعاوية إذا عَزم على شىء وأراده ، لا والله لا أُراجعه فيه . فلمّا كان يوم الجمعة وفرَغ من الخَطبة قال : وابنُ سَيحان ، فإنّا كشفنا أمره فإذا هولم يَشرب مُسْكِراً، وإذا نحن قد عجّلنا عليه ، وقد أبطلتُ عنه الحدَّ . ونَزل وأرسل إليه بألفى دِرهم .

مقتل سعيد بن عثمان ورثاؤه له.

وذُكر أن سَعيد بن عثمان بن عفّان لمّا قدم المدينة بعد قُفوله من الصُّغْد[1] ، كان معه غِلْمان جاء بهم من تلك الناحية ، فوثبوا به فى المَدينة فقتلوه . . وكان معه يومئذ عبدُ الرحمن بن أرطاة بن سَيحان ، فهَرب عنه . فقال خالد بن عُقبة ابن أبى مُعَيط — وقيل : بل قال ذلك أبو قَطيفة :

* يا عينُ جُودى بدمعٍ منك تَهْتانا *

البيتين اللذيْن تقدّم ذكرُهما فى أخبار أبى قَطيفة .

(١) الصغد ، بالصاد و بالسين : إقليم قصبته سمرقند . (عن ياقوت) .

فقال ابنُ سَيْحان يعتذر من ذلك :

فإن كان نادَى دَعْوةً فسمعتُها فشَلَّتْ يدى واستَكَّ منّى المَسامعُ
وإلّا فكانتْ بالذى قال باطلاً ودارتْ عليه الدّائراتُ القوارِع
يلومُوننى أن كنتُ فى الدار حاسراً وقد فرَّ عنه خالدٌ وهو[1] دارع

فقال بعضُ الشعراء يُجيبه :

فإنك لم تَسمع ولكن رأيتَه بعينَيك إذ مَجْراك فى الدّار واسعُ
وأسلمتَه للصُّغْد تَدْمَى كُلومُه وفارقْتَه والصوتُ فى الدار شائع
فلا زلتما فى غُلٍّ سَوْء بِعِبْرةٍ ودارتْ عليكم بالشّمات القَوارع

ولما قُتل سعيد بن عثمان بن عفّان قالت أُمه[2] : أشتهى أن يرثيه شاعرٌ كما فى نفسى حتى أُعطيه ما يحتكم . فقال ابنُ أرطاة :

إن كنتِ باكيةً فتًى فابكى هَبِلْتِ[2] على سَعيدِ
فارقتَ أهلَكَ بَغْتَةً وجلبتَ حَتْفك من بعيد
أَذْرِى دموعَكِ والدِّما ءَ على الشَّهيد ابن الشهيد

فقالت : هكذا كنت أشتهى أن يقال فيه ، ووصلت ابنَ أرطاة ، وكانت تندُبه بهذا الشعر .

هو وابن أبى معيط فى رثاء سعيد بن عثمان

وقيل : جلس ابنُ أرطاة بن سَيحان وخالدُ بن عُقبة بن أبى مُعَيط بعد قَتْل سَعيد بن عُثمان بن عفّان يتحدّثان ، فجرى ذِكْرُه فبكيا عليه ، فقال ابن سَيحان يَرثيه :

أَلَا إنَّ خيرَ الناس إن كنتَ سائلاً سعيدُ بن عُثمانَ القتيلُ بلا[3] ذَحْلِ

(١) الدارع : لابس الدرع .
(٢) هبلت : ثكلت .
(٣) الذحل : الثأر .

تَداعتْ عليــه عُصْبةٌ فارســيَّةٌ فأضْحَى ســعيدٌ لا يُمِرُّ ولا يُحْلِي

وقال خالد بن عُقبة :

ألاَ إنَّ خَيرَ النــاسِ نفساً ووالداً سعيدُ بن عُثمانٍ قَتيلُ الأعاجمِ

بكتْ عينُ من لم يَبْكه وَسْطَ يَثْرِبٍ يَدَ الدَّهر(١) منه بالدُّموع السواجم

فإن تَكُن الأيام أرْدت صرُوفُها سعيداً فَمَنْ هذا من الموت(٢) سالم

أراد ابن عم له على شرب الخمر

وقيل : دخل ابنُ سَيحان على أبن عَمٍّ له يقال له : الحـارث بن سَرِيـع ، فوجده يَشرب نبيـذاً لَزبيب . فجعل يَعظه و يأمره بشُرب الخمر ، وقال له : يابن سَريع ، إن كنت تَشربه على أن نَبيذ الزبيب حلالٌ فأنت أحمق ، و إن كنت تَشربه على أنه حرام تَستغفر اللهَ منه وتَنْوى التوبة ، فاْشرب أجوده ، فإن الوِزْر واحد . ثم قال :

دَعِ أبنَ سَرِيعٍ شُرْبَ ما مات مَرةً وخُــذْها سُــلافاً حَيَّـةً مُزَّةَ الطَّعْمِ

تَدعْك على مُلْك أبن ساسانَ والياً إذا حَرَّمت قُرَّاؤنا حَلَبَ الكَرْمِ

فَشتّانَ بين الحيِّ والمَيْت فاْعتزمْ على مُزَّة صَهْبـاء رَاوُوقها يَهْمِي

فإنَّ سَرِيعاً كان أوصى بحُبِّهـــا بَنيــه وعَمِّى جاوز اللهُ عن عَمِّى

ألا ربَّ يومٍ قد شهــدتُ بنى أَبى عليها إلى أن غابَ تاليــةُ(٣) النَّجم

حَسَوْها صلاةَ العَصْر والشمسُ حَيّةٌ تُدار عليهم بالصَّــغير و بالضَّخْم

فمــاتُوا وعاشـــوا والمُدامة بينهم مُشَعْشعة كالنَّجْم تُوصَف بالوَهم

منادمته الوليد ابن عقبة

وقيل : كان ابن سَيْحان يُنادم الوليدَ بن عُقبة بن أبي مُعيط و يشرب معه الخمر ، وهو القائل له :

---

(١) يد الدهر : كلمة يراد بها الدوام .

(٢) هذه رواية التجريد . وعليها الإقواء . وفى بعض أصول الأغانى :

* سعيدا فمن هذا عليهـا بســالم *

(٣) تالية النجم : آخرها .

إصْبَح نَدِيمَك من صَفْراء صافيةٍ حتّى يروح كريماً ناعمَ البالِ
واشربْ هُدِيت أبا وَهْبٍ مُجاهَرةً واُخْتَلْ فإنك من قوم أُولى[1] خالى
أنت الجوادُ أبا وَهْبٍ إذا جَمَدتْ أيدى الرجالِ بما تَحْويه من مال
لما تَواصَوْا بقَتْلِى قُمْتُ مُعتزماً حتى حَمَيْتُ من الأعداء أَوْصالى
عمَّ الوليدُ بمعروفٍ عَشيرتَه والأَبْعدون حَظُوا منه بإفضال

حماية الوليد له وشعره فيه

وكان ابن سَيحان قد ضرب رجلاً من أخواله بالسيف فقطع يده ، ولم تقُم عليه بيِّنة ، فتآمر به القومُ ومَنع منه ابنُ خالٍ له ، وخاف الوليدُ بن عُقبة أن يرجع إلى المدينة هارباً منهم وخوفاً من جنايته عليهم فيفارقَه وينقطع عنه ، فدعاهم وأرضاهم وأعطاهم ديةَ صاحبهم . فلم يزل عند الوليد حتى عُزل ، وهو نَديمُه وصفيّه . وهو القائل فى الوليد :

بات الوليدُ يُعاطينى مُشعشعةً حتى هَوَيْتُ صَريعاً بين أصحابى
لا أستطيع نُهوضاً إن هَممتُ به وما أُنَهْنَهُ عن حَسْو وتَشْراب
كأننى من حُمَيَّا كأسِه جَمَل صَحَّت قوائمُه من بَعد أَوصاب

هو وسعيد بن العاص فى وصفه للخمر وما كان من معاوية

وذُكر أنه دخل عبدُ الرحمن بن سَيحان بن أرطاة على سَعيد بن العاص ، وهو أمير المدينة ، فقال له : ألست القائل :

إنّا لنشربُها حتى تَميلَ بنا كما تَمايل وَسْنانٌ بوَسْنانِ

فقال له عبدالرحمن : مَعاذَ الله أن أشربَها وأنعتَها ! ولكنِّى الذى أقول :

سَموتُ بحِلْفِى للطِّوالِ من الذُّرَى ولم تَلْقَنى كالنَّسْر فى مُلْتقَى جَدْبِ
إذا ما حَليفُ القوم أقْعى مكانَه ودَبَّ كما يَمْشى الكَسيرُ[2] على[3] نَقْب

(١) الخال : الخيلاء والكبر .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « الحسير » . وهو المعي .
(٣) النقب : رقة الأخفاف .

وَهَصْتُ[١] الحَصَى لا أرهبُ الضيمَ قائماً إذا أنا راخَى لى خِنَــاقى بنو حَرْب

وقام يجُرُّ مِطْرَفَه بين الصفَّين حتى خَرج . فأقبل عمرو بنُ سـعيد على أبيه فقال : لو أمرتَ بهـذا الـكلب فضُرب مائتى سَوْط لـكان خيراً له . فقـال : يا بُنى ، أضربُه وهو حَليف حَرْب بن أُمية ! ومعاويةُ خليفةٌ بالشأم ! إذاً لا يرضى . فلمّا حجَّ معاويةُ بن أبى سفيان لقيه بمِنَى ، فقال : إيهٍ يا سـعيد ! أمركَ أحمقُكَ أن تضرب حَليفى مائة سوط ! أمَا والله لو جلدتَه سوطاً لجلدتُكَ سوطين ! فقال له سعيد : ولِم ذلك؟ أولَم تجلدْ أنت حليفَكَ عمرو بن جَبَلة ؟ فقال له معاوية : هو لَحمى آكلُه ولا أُوكله . وكان ابنُ سَيْحان قد قال :

لا يَعْدَمنِّى نَديمى ماجــداً أَنِفاً لا قائلاً خالطاً زُوراً ببُهتَــانِ

أُمْسِى أُعاطيــه كأساً لذَّ مَشْرَبُها كالمِسْك حُفَّت بنِسْرِينٍ ورَيْحان

سَبيئةً[٢] من قُرى بَيْروت صافيةً أو التى سبِئَت من أرضِ[٣] بَيْسَان

إنا لنَشْربها حتى تَميـــل بنا كما تَمَــايل وَسْنان بوَسْنَان

(١) الوهص : الدق والكسر .
(٢) بيسان : مدينة بالأردن ، بين صوران وفلسطين .
(٣) السبيئة : الخمر تشترىها لتشربها .

أخبار ابن ميادة

نسبه

واسمه الرَّمّاح بن أَبْرَد بن ثَرْيان[1] بن سُراقة بن حَرْملة . وقيل : ثريان ابن سُراقة بن قيس بن سَلْمى بن ظالم بن جَذِيمة بن يَرْبوع بن غَيْظ بن مُرّة بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبْيان بن بَغِيض بن رَيْث بن زيد بن غطفان بن سعد بن قَيْس بن عَيلان بن مُضَر بن نزار بن معدّ بن عدنان .

وأُمّه مَيّادة ، أم ولدٍ بَرْبريّة . وقيل : صَقْلَبيّة .

ويُكنى أبا شُرَحْبِيل . وقيل : أبا شَراحيل .

وقيل : كانت أُمه فارسيّة . وفى ذلك يقول :

أنا ابنُ أبى سَلْمى وجَدّىَ ظالِمٌ ... وأُمّى حَصانٌ أَخْلصتْها الأعاجِمُ

أليس غلامٌ بين كِسْرى وظالمٍ ... بأكرمِ مَن نِيطَتْ عليه التمائم

من خبر أمه

وكانت مَيّادةُ هذه لرجل من كَلْب، زوجةً لعبدٍ له يقال له : نَهْبَل. فاشتراها بنو ثَرْيان فأقبلوا بها من الشأم ، فلما قَدِموا وصَبّحوا بها المُلَيْحةَ . ماءة لبنى سَلْمى نَظَر رجل من بنى سَلْمى إليها وهى ناعسة تَمايلُ على بعيرها ، فقال : ما هذه ؟ قالوا :اشتراها بنو ثَرْيان . قال : وأبيكم ، إنَّها لميّادة تَميد وتَميل على بعيرها . فغَلب عليها « ميّادة » .فوقع عليها أبرد بن ثَرْيان فأتتْ بالرَّمّاح ؛ وكان أبردُ يَرْعى على إخوته وأهله ، وكان ضِلَّةً[2] من الضَّلَل ، ورِثَّةً من الرِّثَث[3] ، جِلْفًا لا تَخْلُص إحدَى يديه من الأُخرى ، وإخوتُه كلّهم كانوا ظُرفاء غيرَه . ولمّا حملت ميّادة

---

(١) هذه رواية الأصل . وفى أكثر أصول الأغانى : « ثوبان » هنا وفيما سيأتى .

(٢) الضلة : الذى لاخير فيه .

(٣) الرثث : سفلة الناس وضعفاؤهم .

بالرِّمَّاح سألوها : لِمَن ما فى بَطْنك ؟ قالت : لأَبْرد . وسألوا أَبْرَدَ ، فجعل يسكُت ولا يُجيبهم. ولمّا أتتْ بالرِّمَّاح، ورأوْه نَجيباً، أَقرّ به أَبردُ . فبنَوْا لميّادة بيتاً وأَقعدُوها فيه . فجاءت بعد الرّمّاح يثربان ، وخليل، و بَشير ، بنىأَبْرَدَ . وكانت أولَ نسائه وآخرَهنّ ، وكانت امرأةَ صِدْق ، وما رُميت بشىء ولا سُبَّت إلا بنَهْبل ، وهو العَبد الذى كانت مزوَّجة به .

لابن جهيم يهجوه ورده عليه وفخره بوالديه

وقال عبدُ الرحمن بن جُهَيم الأَسدىّ فى هجائه ابنَ ميّادة :

لعمرِى لئن شابتْ حَليلةُ نَهْبلٍ ... لبئس شَبابُ المرء كان شَبابُها
ولم تَدْر حَمْراء العِجانِ أَنَهْبلٌ ... أبوه أم الْمُرِّى تَبَّ تَبَابُها [(١)]

وقال ابن ميّادة يفخر بأُمه :

أنا ابنُ ميّادةَ تَهْوِى نُجُبى ... صَلْتُ الجبين حَسَنٌ مُرَكَّبى [(٢)]
تَرفعُنى أُمّى ويَنْمِينى أَبى ... فوق السَّحاب ودُوَيْن الكوكبِ

وقال أيضاً يفخر بنَسب أبيه فى العرب وأُمه فى العجم :

لو أنّ جميعَ النّاسِ كانوا بتَلْعةٍ ... وجئتُ بجدِّى ظالمٍ وابنِ ظالمِ
لظلّت رِقابُ الناسِ خاضعةً لنا ... سُجوداً على أقدامنا بالجماجِمِ
أليس غلامٌ بين كِسْرى وظالمٍ ... بأكرمِ من نيطَتْ عليه [(٣)] التّمائمُ

وقد تقدّم ذكرُ هذا البيت الأخير [(٤)] .

(١) العجان : الدبر . وكان العرب إذا سبوا الأعجمى قالوا له : يابن حمراء العجان . وتب تبابها : دعاء عليها بالخسران والهلاك .

(٢) النجب : جمع نجيب ، وهو كل كريم عتيق ، بعيراً أو فرساً . وصلت الجبين : واضحه مشرقه . ومركبه ، أى جسمه .

(٣) فى البيت إقواء ، وهو اختلاف حركة الروى فى الإعراب .

(٤) انظر (ص ٣٥٦) من هذا الجزء .

وسمع الفرزدقُ البيتين الأوّلين ، فقال لراويته أضْمُمهما إليك . وجعل مكان « ظالم » « دار ما » ، وأدعاهما ، وذلك بمَحضر ابن ميّادة ، فلم يُنكر عليه[1] .

من وصفه

قيل :

وكان ابن ميّادة أحمرَ سَبْطاً[2] ، عظيم الخَلْق، طويلَ اللِّحية ، لبّاساً عَطِراً . وكان فصيحاً يُحتجُّ بشعره . وهو مُخضرم الدَّولتَين : الأُموية والعبّاسيَّة . مَدح من بنى أُمية الوليدَ بن يزَيد ، وعبدَ الواحد بن سُليمان بن عبد الملك ؛ ومَدح من بنى العبّاس أبا جَعفرٍ المنصور ، وجعفر بن سُليمان بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس .

نسبه بأم جحدر وشعره فيها

وكان يَنْسُب بأُم جَحْدر بنت حسّان المُرِّية ، إحدى نِساء بنى جَذِيمة . فحلف أبوها ليُخرجنَّها إلى رجلٍ من غير عشيرته ولا يزوّجها بنَجد . فقَدِم عليه رجلٌ من أهل الشأم ، فزوّجه إيّاها ، فلَقِى عليها ابنُ ميّادة شدّة . فلما خرج بها زوجُها إلى بلاده اندفع ابن ميّادة يقول :

ألا ليتَ شِعْرِى هل إلى أمِّ جَحْدَرٍ ... سَبيلٌ فأمّا الصبرُ[3] عنها فلا صَبْرَا
إذا نزلت بُصْرَى تَراخَى مَزارُها ... وأغلقَ بَوّابانِ مِن دُونها قَصْرا
فلو كان نَذْرٌ مُدْنياً أمَّ جَحْدَرٍ ... إلىّ لقدْ أوْجَبْتُ فى عُنُقِى نَذْرا
ألَا لا تَلُطِّى السِّتْرَ يا أُمَّ جَحْدرٍ ... كَفى بذُرَا الأَعلام مِنْ دُوننا سِتْرا
لعمْرِى لئن أمسيتِ يا أُمَّ جَحدرٍ ... نأيتِ لقد أبليتُ فى طَلب عُذْرا
فَبهْراً لقومى إذ يَبيعون مُهْجتى ... بجاريةٍ بَهْراً لهم بَعدها بَهرا

(١) يريد بيتى الفرزدق :

لو ان جميع الناس كانوا بتلعة ... وجئت بجدى دارم وابن دارم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا ... سجوداً على أقدامنا بالجماجم

(٢) السبط : الطويل الحسن القد .

(٣) يجوز فى « الصبر » النصب على أن مفعول له ؛ والرفع على أنه مبتدأ . (انظر الكتاب لسيبويه ١ : ١٩٣) .

حديث عشقه لها

وحكى رجلٌ من غَطَفان قال :

كنّا بباب بعضِ الوُلاة بالمدينــة ، فغَرِضْنا(١) من طُول الثَّواء ، فإذا أعرابىّ يقول : يا معشرَ العرب ، أمَا فيكم رجلٌ يأتينى أُعلّله إذ غَرِضْنا من هذا المــكان ، فأُخبره عن أُمّ جَحْدرٍ وعنّى ؟ فجئتُ إليــه فقلتُ : مَن أنتَ ؟ قال أنا الرّمّاح بن أبرد . قلتُ : فأَخْبرنى ببَدْءِ أمركما . قال : كانت أُمّ جَحْدر من عَشيرتى فأعجبتْنى ، وكانت بينى و بينها خُلّة ، ثم إنّى عَتبتُ عليها فى شىء بلغنى عنها ، فأتيتُها فقلتُ : يا أُم جحــدر ، إنّ الوَصْل عليك مَرْدود . قالت : ما قَضى الله فهو خَير . فلَبِثتُ على تلك الحال سنة ، وذهبتْ بهم نُجْعةٌ فتباعدوا ، واشتقتُ إليها شوقاً شديداً ، فقلتُ لامرأة أخٍ لى : والله لئن دنتْ دارُنا من أُم جَحدرٍ لآتينّها ولأطلبنّ إليها أن تردَّ الوَصْل بينى و بينها ، ولئن ردّته لا نَقضتُه أبداً . ولم يكن يومانِ حتى رَجعوا . فلما أصبحتُ غدوتُ عليهم فإذا ببيتين نازلَين إلى سَنَدٍ أبرقَ(٢) طويلٍ ، و إذا امرأتان جالستان فى كِساء واحدٍ بين البيتين ، فجئتُ فسلّمت ، فردّت إحداهما ولم ترُدّ الأُخرى . فقالت : ما جاء بك يا رمّاح إلينــا ؟ ما كنّا حَسِبنا إلّا أنه قد انقطع ما بيننا و بينك ! فقلتُ: إنّى جعلتُ علىّ نَذْراً لئن دَنتْ بأُم جَحــدر دارٌ لآتينَّها ولأطلبنّ منها أن ترُدَّ الوصلَ بينى و بينها ، ولئن هى فعلتْ لا نقضتُه أبداً . و إذا الذى تُــكلّمنى امرأةُ أخيها ، و إذا الساكتةُ أُم جَحــدر . فقالت امرأةُ أخيها : فادخُلْ مُقــدَّم البيت . فدخلتُ ، وجاءتْ فدخلتْ من مُؤخَّره ، فدنتْ قليلا ، ثم إذا هى قد بَرَزَتْ . فساعةَ برزتْ جاء غُرابٌ فنَعب على رأس الأَبْرق . فنظرتْ إليه وشَهقتْ وتغيَّر وجهُها . فقلتُ : ما شأنكِ ؟ قالت : لا شىء . قلت : بالله إلا أَخْبرتِنى . قالت : أرى هذا الغراب يُخبرنى أنّا لا نجتمع بعد هــذا اليوم

(١) غرضنا : ضجرنا .

(٢) السند : ما ارتفع من الأرض . والأبرق : ما كان له لونا ن : سواد وبياض .

إلّا ببلد غير هـذا البلد . فتقبّضت نفسى ثم قلتُ : جاريةٌ واللهِ ما هى فى بَيْت عِيَافة[١] ولا قِيَافة[٢] . فأقمتُ عنـدها ثم تروّحتُ إلى أهلى فمكثتُ عنـدهم يومين ، ثم أصبحتُ غادياً إليها . فقالت لى اُمرأةُ أخيها : وَيْحك يا رمّاح ! أين تذهب ؟ فقلت : إليكم . فقالت : وما تُريد ؟ قد واللهِ زُوِّجتْ أُمُّ جَحْدر [البارحة] . فقلت : بمن؟ ويحك ! فقالت : برجل من أهل الشأم من أهل بيتهـا ، جاءهم من الشأم فخَطبها فزُوِّجها وقد حُملت إليـــه . فمضيتُ إليهم ، فإذا هو قد ضَرب سُرادقاتٍ . فجلستُ إليــه فأنشدته وحدّثته ، وعُدت إليه أيّاماً . ثم إنه اُحتملها فذهب بها . فقلت :

أجارتَنــا إنّ الخُطوب تَنُوبُ ... علينـا وبعضَ الآمنين تُصيبُ
أجارتَنا لستُ الغَـداةَ ببـارحٍ ... ولـكنْ مُقيمٌ ما أقام[٣] عَسِيب
فإن تسأليني هل صَــبَرْتَ فإنّنى ... صَبُورٌ على رَيْب الزمانِ صَلِيب
جَرى باُنْبتاتِ الحَبْل من أُم جَحْدرٍ ... ظِبــاءٌ وطـيرٌ بالفِراقِ نَعُوب
فقالت حرامٌ أن نُرَى بعد هذه ... جَميعَيْن إلا أنْ يُلِمَّ غريب
أجارتَنا صــبراً فيــارُبَّ هالكٍ ... تَقَطّعُ من وَجْدٍ عليـــه قُلوب

ثم اُنحدرتُ فى طلبها ، وطمعتُ فى كلمتها : « إلّا أن نجتمع فى بلد غير هذا البلد» فدُرْتُ الشّأمَ زماناً ، فتلقّانى زوجُها . فقال : مالك لا تغسِل ثيابَك هذه ! أرسل بها إلى الدار تُغسل . فأرسلتُ بها . ثم إنى وقفتُ أنتظر خُروج الجارية بالثياب ، فقالت أُم جَحدر لجاريتها : إذا جاء فأَعْلِمينى . فلما جئتُ إذا أُم جَحْدرٍ وراءَ البـاب ، فقالت : ويحكَ يا رَمّاح ! قد كنتُ أحسَب أنّ لك عقلًا ! أمَا تَرى أمراً قد حِيل

(١) العيافة : زجر الطير ثم التفاؤل بأسمائها ومرها . والمعروف بالعيافة من العرب : بنو أسد وبنو لهب ، من الأزد .

(٢) القيافة : تتبع الآثار ومعرفتها . والمعروف بالقيافة من العرب : بنو مدلج قبيلة من كنانة.

(٣) عسيب : جبل بعالية نخلة . ويقال : لا أفعل كذا ما أقام عسيب ، أى لا أفعله أبداً .

دونه وقد طابتْ أنفسُنا عنه ؟ اُنصرف إلى عَشيرتك فإنى أستحيي لك من هـذا المُقَام . فانصرفتُ وأنا أقول :

عَسَى إنْ حَجَجْنا أنْ نَرى أُمَّ جَحْدرٍ ويجمَعنا مِن نَخْلَتَيْن[1] طَريقُ
وتَصْطكَّ أعضـادُ المَطِيِّ و بَيْننا حَديثٌ مُسَرٌّ دونَ كلِّ[2] رفيق

والبيتان الأوّلان، من الأبيات البائية ، أغار ابنُ ميّادة على معنييهما[3] ، وهو بيت قاله امرؤ القيس بأَنْقرة ، وهو :

أجارتَنـا إنَّ الخطوب تَنُوبُ وإنِّى مُقيمٌ ما أقام عَسِيبُ

والبيت الثالثُ لشاعر من شعراء الجاهليّـة أغار عليه ابنُ ميّادة فَسرقه برُمّته ونَقَله نقلاً ، وقد تمثّل به عليٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى رسالة كتب بها إلى أخيه عَقِيل بن أبى طالب .

من شعره فى أم جحدر

ومما قاله ابنُ ميّادة فى أُمّ جَحدر و يُغنَّى فيه :

ألا يا لَقَوْمى للهوَى والتذكُّرِ وعينٍ قَذَى إنسانِها أُمُّ[4] جَحْدرِ
فلم ترَ عَيْنِي مثـلَ قلبِيَ لم يَطِرْ ولا كضُـلوعٍ فوقَه لم تُـكَسَّر

ذكر

بعض ما وقع من التّهاجى بين ابن ميّادة والحَكَم الخُضْرى .

قد طوّل أبو الفَرَج القولَ فى ذلك ، فنذكُر بعضه :

تلاحيا فى بيتين

قيل : إنه حَـكَم بن مَعْمَر بن قَنْبَر بن جِحَاش بن سَلَمة بن ثَعْلبة بن مالك ابن طَرِيف بن مُحارِب ـ والخُضْر: ولدُ مالِك بن طَريف،[سُمُّوا بذلك] لأنَّ مالكاً

(١) النخلتان : واديان عن يمين بستان ابن عامر وشماله .
(٢) فى البيت إقواء ، وهو اختلاف حركة الروى فى الإعراب .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « نصفيهما » .
(٤) يريد أن أم جحدر سبب جريان دموعه ، شأن القذى فى العين فإنه يسيلها .

كان شديدَ الأُدْمة ، وكذلك خرج ولدُه فسمُّوا الخُضْر لذلك — نزل بسُمَير ابن سَلَمة بن عَوْسَجة بن أَنَس بن يَزِيدَ بن مُعاوية بن ساعدةَ ، بن عَمْرو ، وهو خُصَيلة بن مُرّة . فأقبل ابنُ ميّادة إلى حَكَم الخُضْرِىّ ليعرضَ عليه شعرَه وليسمعَ من شعره . وكان حَكَم أسَنَّهما . فأنشدا جميعاً جماعةَ القوم . ثم قال ابنُ ميّادة : والله لقد أعجبنى بيتان قُلتَهما يا حَكَم . قال : أوَمَا أعجبك من شِعرى إلّا بيتان ! فقال : والله لقد أعجبانى . يردِّد ذلك مراراً لا يزيد عليه . فقال له حَكَم : فأىُّ بيتَيْن هما ؟ قال : حين تُساهم بين ثَوْبَيْها وتقول :

فوالله ما أدرِى أَزِيدتْ مَلاحةً وحُسْناً على النِّسوان أم ليس لى عَقْلُ
تَساهَمَ ثوباها ففى الدِّرع رَأْدةٌ وفى المِرْط لَفّاوانِ رِدْفُهما عَبْلُ[1]

فقال له حَكَم : أوَما أعْجبكَ غيرُ هذين البيتَيْن ؟ فقال له ابنُ ميّادة : قد أعْجبانى . فقال : أوَما فى شِعْرى ما أعْجبك غيرهما ؟ فقال: لقد أعجبانى . فقال له حَكَم : فإنى سوف أعيب عليك قولك :

ولا بَرِحَ المَدْور[2] ريّانَ مُخْصِباً وجِيدَ[3] أعالِى شِعْبِه وأسافلُهْ

فاستسقيتَ لأعلاه وأسفلَه [وتركتَ وسطَه ، وهو خير موضع فيه] . فقال: وأىَّ شىء تُريد ؟ تركتُه لا يزال ريّان مُخْصِبا . وتهاترَا . فغضِب حَكَم فارتحل ناقتَه وهَدر[4] ثم قال :

* فإنه يومُ قَريضٍ ورَجزْ *

فقال رجلٌ من بنى مُرة لابن ميّادة : اُهْدِر كما هَدَر يا رمَّاح . فقال : إنما يَغِطّ[5] البَكْر .

(١) تساهم ثوباها : تقارعا وتقاسما . والرأدة : الشابة الحسنة السريعة الشباب مع حسن غذاء . والمرط : كساء يؤتزر به . واللفاء : الفخذ الضخمة .
(٢) المدور : موضع فى ديار غطفان . (٣) جيد : سقى مطراً جودا ، أى غزيراً .
(٤) هدر : صوت كما يصوت الفحل . (٥) يغط : يهدر فى شقشقة .

ثم قال الرّماح :

فإنَّه يومُ قريضٍ ورَجَز مَن كان منكم ناكزاً فقد نَكَزْ
وبيَّن الطِّرْفُ النَّجيبُ فبَرز

فهذا أول ما هَاج التَّهاجى بينهما .

قصيدته فى هجاء الحكم

ومما هجا ابنُ ميَّادة به الحكَم الخضرى قصيدتُه التي ينْسُب فيها بأُم جَحْدر ، وأوّلهُا :

يُمنُّوننى منكِ اللِّقاء وإنّنى لأَعْلَمُ لا ألقاكِ من دون قابِلِ

يقول فيها :

مِن الصُّفرِ لا وَرْهاء سَمْجٌ دَلالُها وليستْ من السُّود القِصَار[1] الحوائل
ولكنها ريحانةٌ طاب نَشْرُها وردتْ عليها بالضُّحَى والأَصائل

ومنها :

فياليتَ رَثَّ الوَصْلِ من أُم جَحْدر لنا بجديدٍ مِن أُولاكَ البدائل
فلم يَبْقَ مما كان بينى و بينها من الوُدِّ إلّا مُخْفَيات الرسائل
و إنّى إذا استَنْبَهتُ من حُلْوِ رَقْدةٍ رُميتُ بحُبِّيها كرَمْى المنَاضِل
فما أَنْس مِ الأشياء لا أنسَ قولَها وأدمُعها يُذْرِينَ حَشْوَ المَكاحِل
تَمتَّعْ بذا اليوم القصير فإنَّه رَهينٌ بأيّام الدُّهور الأَطاوِل
وكنتُ امرأً أَرْمِى[2] الزَّوائل مرّةً فأصبحتُ قد ودَّعتُ رَمْىَ الزَّوائل
إذا حلّ بيتى بين بَدْرٍ ومازنٍ ومُرَّةَ نِلْتُ الشمسَ واشْتدَّ كاهِلى
فَضَلْنا قُريشاً غيرَ رهْطِ محمدٍ وغيرَ بنى مَرْوانَ أهلِ الفَضائل

---

(١) الورهاء : الخرقاء الحمقاء . والسمج : الذى لا ملاحة فيه . والحوائل : جمع حائلة ، وهى المتغيرة اللون . (٢) الزوائل ، يريد : النساء ، على التشبيه بالوحش . يقال : فلان يرمى الزوائل ، إذا كان طبا بإصباء النساء إليه .

و بلغ قولُه هذا إبراهيمَ بن هشام المخزومىّ ، فقال له : أنت فضلتَ قريشاً ! وجرّده فضرَبه أسواطاً .

وقال له الوليدُ بن يزيد بن عبد الملك : قدَّمتَ آلَ محمدٍ قبلنا . قال : ما كان يمكن يا أميرَ المؤمنين غَيْر ذلك .

فلمّا أفضتْ الخلافةُ إلى بنى هاشم وفَد ابنُ ميّادة إلى المَنصور ومدحه ، فقال المنصورُ، لمّادخل إليه : كيف قال لك الوليدُ ؟ فأخبره بما قال . فجعل المنصور يتعجّب .

من تهاجيهما

ومن قصائد ابن ميّادة التى يهجو فيها الحَكَم قصيدتُه التى يقول فيها :

تَرى بوُجوه الُخضرِ خُضْرِ مُحَاربٍ طوابعَ لُؤمٍ ليس يَنْمَتُّ طِينُهَا
وما حَملتْ خُضريَّةٌ ذاتَ ليلةٍ من الدَّهر إلّا ازداد لُؤماً جَنِينُها

وأجابه الُخضرى بقصيدة منها :

فما حَملتْ مُرِّية قط ليلةً منَ الدّهر إلّا ازداد لُؤماً جَنِينُها
وما حَملتْ إلّا لِألأَم مَن مَشَى ولا ذُكِرتْ إلّا بأمرٍ يَشينها

من هجاء ابن ميادة

ومما قاله ابنُ ميّادة فى الحَكَم الُخضْرى قصيدتُه التى أوّلها :

لقد سَبقتْك اليومَ عيناكَ سَبقةً وأبكاكَ من عَهد الشباب ملاعِبُهْ
فوالله ما أَدْرِى أيَغلبُنى الهوى إذا جَدَّ جِدُّ البَيْن أم أنا غالبُه
فإن أستطع أَغْلِبْ وإن يَغلِبِ الهَوَى فمثلُ الذى لاقيتُ يُغْلَب صاحبُه

يقول فيها :

لقد طال حَبْس الوَفْدِ وَفْدِ مُحارِبٍ عن المَجد لم يَأْذَنْ لهم بَعْدُ حاجِبُه
وقال لهم كُرُّوا فلستُ بآذنٍ لكم أبداً أو يُحصِىَ التُّربَ حاسبُه

وهى طويلة .

تمثل بعض ولد الحسن ولد له

وقيل : سبَّ رجلٌ من قُريش، فى أيّام بنى أُميّة، بعضَ ولد الحَسن بن علىّ ابن أبى طالب عليهما السلام ، فأغلظ له وهو ساكتٌ ، والناسُ يتعجّبون من

صَبْره عليه ، فلما أطال أقبل الحسَنِىّ عليه متمثّلًا بقول ابن ميّادة يهجو الحكم الخضرى المحاربىّ :

أَظنّتْ سَفَاهاً من سَفاهة رأيها ... أَنَ اُهجُوَها لمّا هَجَتْنى مُحارِبُ
فلا وأَبيها إنّنى بعَشِيرتى ... ونَفْسِىَ عن ذاك المقام لراغِب

فقام القُرشىّ خَجِلاً وما ردّ عليه جواباً .

آخر ما كان بينهما وموت الحكم

وجرتْ بينهما أهاجٍ كثيرة ، وآخر ذلك أنهما اجتمعا واصطلحا وانصرفا راضيَيْن ، فركب بعضُ بنى مُرّة إلى إبراهيم بن هِشام ، فاستغْضبه على الحكم الخضْرى فى قوله :

وما وَلدتْ مُرّيّةٌ ذاتَ ليلةٍ ... من الدّهر إلّا ازداد لُؤماً جَنِينُها

فأَطْرَده[1] وأَقسم : لئن ظَفِر به ليُسْرِجَنّه ولَيحمِلنّ عليه أحدَهم . فقال ابنُ ميّادة — وساءه ما صَنعوا — : عَمَدتم إلى رجل قد صَلَح ما بينى وبينه فاستعديتُم عليه وجئتم بإطراده ! وبلغ الحَكَمَ الخضْرىَّ الخبرُ فطار إلى الشأم فلم يَبْرحها حتى مات .

وقيل : مات فى بعض أنهارها غرَقاً ، وكان لا يُحسن العَوْم ، وهو وَجْهُه[2] الذى مَدح فيه أَسْوَد بن بلال المحاربىّ فى قصيدته التى يقول فيها :

واستيقنتْ ألّا رَوَاحَ من السُّرَى ... حتى تُنَاخ بأَسْوَدَ بنِ بلالِ
قَرْمٌ إذا نَزل الوُفود ببابه ... سَمتِ العيونُ إلى أَشمَّ طُوَال

هو وشقران بين يدى الوليد ابن يزيد

وحكى ابنُ ميّادة قال : وصلتُ أنا والشعراء إلى الوليد بنِ يزيد وهو خليفة ، وكان مَوْلًى من موالى خَرَشة ، يقال له : شُقْران ، يعيب ابنَ ميّادة ويَحْسُده على

(١) أطرده : أمر بإخراجه وطرده .
(٢) وجهه ، أى رحلته وسفره .

مكانه من الوليد،فقال الوليد لشُقْران لمّا اجتمعت الشعراء : ما عِلْمُكَ بأبن ميّادة ؟ قال : عِلْمى فيه يا أميرَ المؤمنين أنه :

لئيمٌ يُبَارِى فيه أَبْرَدُ نَهبلًا ... لئيمٌ أتاه اللؤْمُ من كلّ جانبِ

فقال الوليد : يأبن ميّادة ، ما عِلْمك فى شُقران ؟ فقلت : كان عِلْمى يا أمير المؤمنين أنه عبدٌ لعَجوز من خَرَشة كاتبْته على أربعين درهماً ووعدتْه أن تُجيزه بعشرين درهماً ، فقبّضْته إيّاها . فأَغْنِه عنّى يا أمير المؤمنين، فإنه ليس بأصلٍ أحتقره ، ولا بفَرْع أَهْتصره . فقال له الوليد : أُجْتَنِبْه يا شُقْران ، فقد أُبلغ إليك فى الشّتيمة . فقَصَر شُقْران صاغراً . ثم أنشدتُه ، فأُقيمت الشعراء [جميعاً] غيرى . فأمر لى بمائة لِقْحَةٍ وفَحلها وراعيها وجاريةٍ بِكْر وفَرَس عربىّ . فأختلتُ ذلك اليومَ وقلتُ :

أعطيتَنى مائةً صُفْراً مدامعُها ... كالنّخْل زيّن أعلَى نَبْته الشَّرَبُ(١)

يَسُوقُها يافعٌ جَعْدٌ مَفارقُهُ ... مِثْلُ الغُرابِ غَذاه الصرُّ والحلب

وذا سَبِيبٍ(٢) صُهَيْبِيًّا له عُرُفٌ ... وهامةٌ ذاتُ فَرْقٍ نابُها صَخِب

وهذه الأبياتُ من قصيدة يمدح بها أبنُ ميّادة الوليدَ بن يزيد ، أجاد فيها وأحسن ، وأولها :

هل تَعرِفُ الدار بالعَلْياء غَيَّرها ... سافى الرِّياحِ ومُسْتَنٌّ له(٣) صَبَبُ

دارٌ لبيضاء مُسْوَدٍّ مسائحُها ... كأنها ظبيةٌ تَرعى وتَنْتَصبُ

يقول فيها :

يا أَطْيَبَ الناسِ رِيقاً بعد هَجْعَتها ... وأملحَ الناسِ عَيْناً حين تَنْتَقب

ليستْ تجودُ بنَيْلٍ حين أسألُها ... ولستُ عند خَلاء اللّهو أَغْتصب

---

(١) المدامع : المآق . وذكر أبو حنيفة الدينورى أن الماشية تصفر إذا رعت ما يخضر من الشجر ، ترى مغابنها ومشافرها وأوبارها صفرا . والشرب : جمع شربة ، وهى ما يحفر حول الشجرة كالحويض و يملأ ماء فتتروى منه . (٢) السبيب : شعر الذنب والناصية . يريد الفرس المهدى إليه .

(٣) المستن : المنصب ، يريد مطراً . والصبب : الهاوى فى تدفق . وفى بعض أصول الأغانى : « طنب » مكان « صبب » .

في مِرْفَقَيْهــا إذا ما عُونقت جَمَم ... على الضَّجيع وفي أنيــابها(١) شَنَب

ومنهـا :

إلى الوليــد أبي العبّاس ما عَجِلتْ ... ودونَه المُعْطُ من نيَّــانَ(٢) والكُثُب

لمـا أتيتُكَ من نَجدٍ وسـاكِنه ... نفحتَ لى نفحةً طارتْ بهـا العَرب

إنّي أمرؤٌ أعْتفِي الحـاجاتِ أطلُبهـا ... كما اعتفَى سَنِقٌ يُلْقَى له(٣) العُشُب

ولا أُخادع نَدْماني لأخــدَعَه ... عن ماله حين يَسْـترخى به(٤) اللَّبَب

ولا أُلِحّ على الخُلّان أسـألهُم ... كما يُلِحّ بعظْمِ الغـارب(٥) القَتَب

وأنتَ وأبنـاكَ لم يُوجد لـكم مَثَـلٌ ... ثلاثةٌ كلّكم بالتّـاج مُعْتَصِب

الطيِّبون إذا طابتْ نفوسُهمُ ... شُوسُ(٦) الحواجِبِ والأبصارِ إن غَضِبوا

قِسْنِي إلى شُـعراء النّـاس كلِّهم ... وأدْعُ الرُّواة إذا ماغَبَّ(٧) ما أجْتَلبوا

إنّي وإنْ قال أقوامٌ مـديحَهُمُ ... فأحْسـنوه وما حابُوا وما كَذَبوا

أجرى أمامَهُم جَرْىَ امرىءٍ(٨) فَلَجٍ ... عِنـانُه حين يَجْرِي ليس يَضْـطرب

شـعره في الحنين إلى وطنه وحديث الوليد معه

وحكى ابنُ ميّادة قال : قلت وأنا عنـد الوليد بن يزيد بأبَاين ، وهو موضع كان ينزله في الرَّبيع :

---

(١) الجمم : كثرة اللحم . والشنب : ماء ورقة يجرى على الثغر .

(٢) أبو العباس : كنية الوليد بن يزيد . والمعط : جمع معطاء ، وهى الأرض الجرداء . ونيان : موضع قرب تيماء . وفى بعض أصول الأغانى : « لبنان » .

(٣) أعتفى : أطلب . والسنق : الذى قد شبع حتى بشم .

(٤) الندمان : المنادم على الشراب ، وكذلك هو كل رفيق ومصاحب . واللبب : البال . واسترخاء البال : دليل الرخاء والسعة . ومنه : فلان فى لبب رخى . وأصل اللبب : مايشد على صدر الدابة أو الناقة .

(٥) الغارب : الكاهل . والقتب : إكاف البعير .

(٦) شوس : ينظرون بمؤخر العين تكبراً وتغيظاً . الواحد : أشوس .

(٧) غب : فسد وردؤ . وما اجتلبوا ، أى ماساقوه .

(٨) فلج ، بالفتح وحرك الشعر : ظافر فائز .

لَعَمْرك إنّى نازلٌ بأبانٍ ... لصَوْءَرَ[١] مُشْتاقٌ وإنْ كنتُ مُكْرَما

أَبِيتُ كأنّى أرْمَدُ العين ساهرٌ ... إذا بات أصحابى من اللّيل نُوّما

فقال لى الوليد : يابْنَ ميّادة ، كأنك غَرِضْتَ[٢] من قُرْبنا ! فقلت : ما مثلك يا أميرَ المؤمنين يُغْرَض من قُربه ، ولكن :

ألا ليتَ شِعْرى هل أبيتنّ ليلةً ... بحرّةِ ليلَى حيثُ ربّبنى[٣] أهلِى

وهل أسمعنّ الدهرَ أصواتَ هَجْمةٍ ... تَطَالَعُ من هَجْلٍ خَصِيبٍ[٤] إلى هَجْل

بلادٌ بها نِيطَتْ علىّ تمائمى ... وقُطِّعن عنّى حين أدركنى عَقْلى

فإن كنتَ عن تلك المَواطن حابِسِى ... فأيْسِرْ علىّ الرِّزْقَ وأجْمع إذاً شَمْلى

فقال : كم الهَجْمة ؟ قلتُ : مائة ناقةٍ . قال : قد صَدَرْتَ بها كُلِّها عُشَراء[٥] .
قال ابنُ ميّادة : فذكرتُ وِلْداناً لى بنجد إذا استطعموا اللهَ عزّ وجلّ أطعمهم الله وأنا ، وإذا استَسْقَوا الله سقاهم الله وأنا ، وإذا استَكْسَوْا اللهَ كساهُم الله وأنا .
فقال: يابنَ ميّادة ، وكم وِلْدانُك ؟ فقلتُ : سَبعةَ عَشَر ، منهم عشرةُ نَفَر وسبعُ نِسْوة . فذكرتُ ذلك منهم ، فأخذ بقلبى . فقال : يابْن ميّادة ، قد أطعمهم الله وأميرُ المؤمنين ، وسقاهم الله وأميرُ المؤمنين ، وكساهم الله وأميرُ المؤمنين .
أمّا النّساء فأربعُ حُللٍ مُختلفاتُ الألوان ، وأمّا الرجالُ فثلاثُ حُلل مختلفاتُ الألوان . وأمّا السَّقْى فلا أرى مائة لِقْحةٍ إلّا ستُرويهم ، فإن لم تُرْوهم زِدْتُهم عينَيْنِ من الحِجاز . قلتُ : يا أميرَ المُؤمنين ، لسنا بأصحاب عُيون يأكلُنا بها

---

(١) صوءر : ماء لكلب على مسافة يوم من الكوفة .
(٢) غرضت : ضجرت .
(٣) ربّبه : رباه .
(٤) الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل . والهجل : المطمئن من الأرض .
(٥) العشراء : الناقة أتى على حملها عشرة أشهر .

البَعُوض ، وتأخذنا بها الحُمَّيَات . قال : فقد أخلفها الله عليك ، لك كُلَّ عام فيه مثلُ ما أعطيتُك العامَ : مائة لِقْحةٍ وفَحْلُها وجاريةٌ وفَرس عَتيق .

أراد بنو كلب إبدال ما أجازه الوليد فقال شعراً

وقيل : إنّ الوليدَ بن يزيد لمّا أمر لأبن ميّادة بالمائة من الإبل جَعلها على صَدَقات بنى كَلْب . فلمّا أتى الحَوْلُ أرادوا أنْ يبتاعوا له من الطّرائد ، وهى الغرائب ، وأنْ يُمسكوا التِّلاد[1] ، فقال ابنُ ميّادة :

ألم يَبْلُغْك أنّ الحىَّ كَلْباً أرادوا فى عَطيّتك ارتدادَا

وقالوا إنّها صُهْبٌ ووُرْقٌ وقد أَعْطَيتها دُهْماً[2] جِعادا

فعلموا أن الشعر سيبلغه فيُغضبه ، فقالوا : انطلق فخُذْها صُفْراً جِماداً .

رثاؤه للوليد ابن يزيد

ولمّا قُتل الوليدُ بن يزيد قال ابنُ ميّادة يَرثيه :

ألَا يا لهفَتَىَّ على وليدٍ غداةَ أصابه القَدر[3] المُتاحُ

ألَا تَبكّى الوليدَ فتَى قُريش وأسمَحها إذا عُدَّ السِّماح

وأجبرَها لذى عُظْمٍ مَهيضٍ إذا ضَنَّتْ بدِرّتها اللِّقاح

لقد فَعلتْ بنو مَرْوان فِعْلاً وأمراً ما يَسوغ به[4] القَرَاح

للمؤلف فى مقتل الوليد

قلت : الذى قتل الوليدَ بن يزيد ابنُ عمّه يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وأطاعه على ذلك جَمعٌ كبير لأجل فِسْقه وتهتّكه . وسيأتى ذكر مَقْتله فى هذا الكتاب.

وكانت مدة خلافته سنةً واحدةً وأشهراً . وولى الخلافة قاتلُه نحو ستة أشهر . واضطرب حَبل بنى أمية بقَتلهم الوليد ، ولم ينتظم لهم أمر بعده ، حتى أفضى الأمرُ إلى بنى العبّاس .

(١) التلاد : ماننتج عندهم .

(٢) الصهب : التى فى ظاهر شعرها حمرة وفى أصوله سواد . والورق : التى لونها سواد فى بياض . والدهم : السود . والجعاد : الملتوية الوبر .

(٣) المتاح : المقدر. (٤) القراح : الماء الخالص لم يخالطه شىء .

هو وزينب بنت مالك

وحكى ابنُ ميّادة قال :

خرجتُ قافلاً من سَلْع[١] إلى نَجد حتى إذا كنتُ ببعض هِضاب الحرّة رُفِع لى بيتٌ كالطِّراف[٢] العظيم ، وإذا بفنـــائه غَنم لم تَسْرَح ، فقلت : بيت من بُيوت بنى مُرّة وبى من العَيْمة[٣] إلى اللبن ما ليس بأحد . فقلتُ : آتيهم وأُسلّم عليهم وأشْرب من لَبَنهم . فلما كنتُ غيرَ بعيد سلّمتُ . فردّتْ علىّ امرأةٌ بَرْزة[٤] بفِناء البيت، وحيّت ورحّبتْ واُستنزلتْنى، فنزلتُ . فدعتْ بلبن ولِبأٍ[٥]، ورِسْلٍ من رِسْل تلك الغَنم . ثم قالت : هَيَا فُلانة ، اُلْبَسى شَفًّا[٦] واُخرُجى . فخرجتْ علىّ جاريةٌ ما رأيتُ فى الخلْق مثلَها قبلُ ولا بعدُ ، فإذا شَفُّها ذلك ليس يُوارى منها شيئاً، وقد نبَا عن رَكَبها[٧] ما وقع عليه من الثّوب، فكأنّه قَعْبٌ[٨] مُــكْفَأٌ ، ثم قالتْ : يابنَ ميّادة الخبيثة ، أأنت القائلُ :

وتُبدى الُحْميسيّاتُ فى كُل زِينة فُروجاً كآثار الصِّغار من البَهمِ

فقلتُ : لا والله — جَعلنى الله فِداك يا ســيدتى — ما قلتُ هــذا قطُّ ، وإنما قلت :

وتُبْدى الُحمَيْسيّاتُ فى كُلِّ زِينة فُروجاً كأمثال المُقَيسرةِ[٩] الدُّهْمْ

وكان يقال للجارية الُحمَيْسيَّة : زَينب بنت مالك . وفيهـــا يقول ابن ميّادة قصيدتَه التى أولهُا : * ألمّــا فزُورا اليومَ خَير مَزارِ *

(١) سلع : جبل قرب المدينة .
(٢) الطراف : البيت من أدم ليس له سترة فى مؤخره .
(٣) العيمة : شهوة اللبن .
(٤) البرزة : التى تبرز للناس ويجلس إليها القوم ، مع عفة وعقل .
(٥) اللبأ : أول اللبن عند النتاج . والرسل : اللبن .
(٦) الشف : الرقيق من الثياب .
(٧) الركب : الفرج . (٨) القعب : القدح الضخم . والمكفأ : المقلوب .
(٩) المقيسرة : الإبل المسان .

يقول فيها :

نظرنا فهاجتْنا على الشَّوق والهَوى لزينَبَ نارٌ أُوقِدت بجُبَارِ
كأنَّ سَناها لاح لى مِن خَصاصة على غير قَصْدٍ والمَطِىُّ سَوَارِى
حُمَيْسِيَّةٌ بالرَّملتَيْن مَحَلُّها تَمُدُّ بحِلْف بيننا وجِوَار
تُجاور مِن سَهْم بن مُرَّة نِسْوةً بمُجتمَع النقبين غيرَ عوَارى
نواعمَ أبكاراً كأَن عُيونَها عيونُ ظِبَاء أو عيونُ صُوار (١)

شعره فى جارية أعطاه إياها الوليد

وقيل : أعطى الوليدُ بن يزيد ابنَ مَيَّادة جاريةً طَبَرِيَّةً (٢) أعجميَّة لا تُفْصح، حَسناء جميلةً كاملةً لولا العُجْمة ، فعَشِقها وقال فيها :

جزاكَ الله خَيراً من أمير فقد أعطيتَ مِبْراداً سَخُونَا
بأهلى ما ألذّكِ عند نفسى لو أنّكِ بالكلام تُعَرِّبينا
كأنكِ ظَبيةٌ مَضَغتْ أراكا بوادي الجِزْع حين تُبَغِّمينا (٣)

جوابه للوليد حين سأله عمن ترك عند نسائه

وذُكر أنّ الوليد بن يزيد قال لابن ميّادة فى بعض قَدَماته عليه : مَن تركتَ عند نسائك ؟ فقال : رَقيبين لا يُخالفانى طرفَةَ عَيْن : الجوع والعُرْى .

عدوله عن الخروج

وذُكر أن ابن ميّادة مَدح أبا جعفر المنصور بقَصيدته التى يقول فيها :

* طلعتْ علينا العيسُ بالرَّمّاح *

ثم خَرج من عند أهله يُريده ، فمر على إبله ، فحُلبت له ناقةٌ من إبله ، وراح عليه راعيه بلَبنها فشربه، ثم مَسح على بَطْنه ثم قال : سُبحان الله ! إنهذا لشَرَهٌ ! يَكفينى لبن بَكْرة وأنا شيخ كبير ، ثم أخرجُ وأغتربُ فى طلب المال ! ثم رَجع ولم يخرُج . وهذه القصيدة من أجود شعر ابن ميّادة ، وأولها :

(١) الصوار : القطيع من البقر .
(٢) طبرية : نسبة إلى طبرستان .
(٣) التبغيم : ترخيم الصوت .

وكواعبٍ قد قُلن يومَ تواعُدٍ قولَ المُجِدِّ وهنّ كالمُزّاحِ
ياليتنا فى غير أمرٍ ثائرٍ طَلعتْ علينا العيسُ بالرّماحِ
بينا كذاكَ رأيننى متعصِّباً بالخزِّ فوق جُلالةٍ[(١)] سِرْداحِ
فيهنّ صَفْرَاءُ المعاصِمِ طَفْلَةٌ بيضاءُ مِثلُ غَريضةِ[(٢)] التفّاحِ
فنظرْن من خَلَل الحِجال بأعْينٍ مَرْضَى يُخالطُها السَّقامُ صِحاحِ
وأرتَشْن[(٣)] حينَ أردْنَ أنْ يَرْمِينَني نَبْلاً بلا رِيشٍ ولا بِقداحِ

يقول فيها فى مَدْح المَنْصور وسائر بنى علىّ بن عبد الله بن العبّاس :

فلئن بقيتُ لألحقنّ بأبحُرٍ يَنْمِينَ لا قُطْعٍ[(٤)] ولا أنزاحِ
ولآتينّ بنى علىٍّ إنهم مَنْ يأتِهم يَتَلقَّ بالإفْلاحِ
قومٌ إذا جُلبَ الثّناءُ إليهمُ بيعَ الثناءُ هناكَ بالأرباحِ
ولأَجْلسنّ إلى الخليفةِ إنه رَحْبُ الفِناءِ بواسعٍ بَحْباحِ

وهى طويلة .

شعر له فى مطر أصاب الحاج وصواعق

وحكى بعضُهم قال :

اعتمرتُ فى رجب سنةَ خمس ومائة ، فصادفنى أبنُ ميّادة بمكة وقَدمها مُعْتمراً، فأصابنا مطرٌ شديد تهدّمت منه البيُوت وتوالتْ فيه الصَّواعق ، فجلس إلىّ ابنُ ميّادة الغَدَ من ذلك المطر ، فجعل يأتينى قومٌ من قومى وغيرهم فأستخبرهم عن ذلك الغَيث ، فيقولون : صَعِق فلان ، وأنهدم مَنزلُ فلان . فقال أبنُ ميّادة : هذا العَيث[(٥)] لا الغيثُ . فقلت : فما الغيث عندكَ ؟ فقال :

(١) الجلالة : الناقة العظيمة . والسرداح : الطويلة . وقيل : الكثيرة اللحم .
(٢) الطفلة : الجارية الرقيقة الناعمة . والغريضة : الطرية .
(٣) ارتشن : اتخذن لها ريشاً .
(٤) قطع : قد انقطع ماؤها . الواحد : أقطع . وأنزاح : قد نزح أكثر مائها . الواحد : نزح ، بالتحريك . (٥) العيث : الفساد .

سحائبُ لا من صَيِّبٍ ذى صَواعقٍ ولا مُحْرِقاتٍ ماؤهن حَميمُ
إذا ماهبطْنَ الأرضَ قد داء[١] عودُها بكَيْن بها حتى يَعيش هَشيم

وفوده على عبدالواحد ومدحه إياه

ووَفد ابنُ مَيّادة على عبد الواحد بن سُليمان بن عبدالملك بن مَروان أميرالمدينة ، فمدحه بقوله :

مَن كان أخطأه الرّبيعُ فإنما نُصِرَ الحجازُ بغَيْثِ عبد الواحدِ
إنّ المدينةَ أصبحتْ مَعمورةً بمُتوّجٍ حُلْو الشّمائل ماجد
ولقد بَلَغْتَ بغير أمرِ تَكلُّفٍ أعلَى الحُظُوظ برغم أنفِ الحاسد
وملكتَ ما بين العِراق ويَثْرِبٍ مُلْكاً أجارَ لمُسلمٍ ومُعاهِد
ماليْهما ودَمَيْهما من بعد ما غَشّى الضعيفَ شُعاعُ سيفِ المارِد

مدحه جعفر بن سليمان معرضاً بالعفو عن بنى أمية

ومَدح ابنُ مَيادة جعفر بن سُليمان بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس ، وعرّض بإشارته عليه بالعفو عن بنى أُمية والتذكير بأرحامهم بقوله :

لَعَمْرُك ما سُيوفُ بنى علىٍّ بنابيةِ الظُّباة[٢] ولا كِلَالِ
همُ القومُ الأُلَى وَرِثوا أباهم تُراثَ محمّدٍ غيرَ انتحال
وهم تَركوا المَقالَ لهم رفيعاً وما تركوا عليهم من مَقال
حَذَوتم قومَكم ما قد حذَوْكم كما يُحْذَى المِثال على المثال
فرُدُّوا فى جِراحكُمُ[٣] أساكم فقد أبلغتُمُ مُرَّ النَّكال

وذُكر أنّ جعفر بن سُليمان قال لابن مَيّادة : أنت الذى تقول :

بَنى أسَدٍ إنْ تَغضبُوا ثمّ تَغْضبُوا وتَغْضبْ قُريشٌ تَحْمِ قَيْساً غِضابُها

فقال : لا والله ما هكذا قلتُ . قال : فكيف قُلتَ ؟ قال : قلتُ :

بنى أسد إن تغضبوا ثم تغضبوا وتعدل قُريش تَحْمِ قيساً غِضَابها

---

(١) داء عودها : أصابه الداء .
(٢) الظباة : جمع ظبة ، وهى حد السيف والسنان والنصل . (٣) الأسى : المداواة .

قال : صدقتَ ، هكذا قلتَ . وهذا البيتُ من قصيدة يهجو بها ابنُ ميّادة بنى أسد و بنى تميم و يفتخر بقَيْس ، منها :

وأحقرُ محقُور تميمٌ أخوكمُ … و إن غَضبتْ يَرْبُوعها[1] ورِبَابُها
ألَا ما أُبالى أَنْ تُخَنْدِف[2] خِنْدِفٌ … ولستُ أبالى أن يَطِنَّ ذُبابها
ولوأنّ قيساً قَيْسَ عَيْلانَ أقْسَمتْ … على الشَّمس لم يطلُعْ عليك حِجَابها
ولو حار بتْنا الجنُّ لم نَرفع القنَا … عن الجنّ حتى لا تَهِرّ كِلَابها
لنا المُلْك إلّا أن شيئاً تَعدُّه … قُريشٌ ولو شئنا لذلَّت رِقَابها
و إن غَضبتْ من ذا قُريشٌ فقُل لها … مَعاذَ الإلٰه أن أكونَ أهابها
و إنّى لقَــوّالُ الجواب و إنّنى … لَمُفْتَجِر[3] أشياء يُعْيِي جوابها
إذا غضبتْ قيس عليك تقاصَرتْ … يداكَ وفات الرِّجلَ منك رِكابها

هو وعبد الصمد ابن على

وقيل : إن عبد الصمد بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس أحضر ابن ميادة ، فلما دَخل إليه سلّم عليه بالإمرة ، فقال له : لا سَلّم الله عليك ياماصّ كذا وكذا من أمه . فقال ابنُ ميّادة : ما أكثرَ الماصِّين ! فضحك عبدُ الصمد ودعا بدَفْتر فيه قصيدةُ ابن مَيّادة هذه ، ثم قال لابن ميّادة : أُعتق ما أملك ، إن غادرت منها شيئاً، إن لم أبلُغ غيظَك. فقال ابن ميّادة : أُعتق ما أملك إن أنكرتُ منها بيتاً قلتُه أو أقررتُ ببيت لم أقُلْه . فقرأها عبدُ الصمد ثم قال له : أنتَ قلت هذا ؟ — يعنى قوله :

لنــا المُلْك إلّا أن شيئاً تَعدُّه … قريشٌ ولو شئنا لذلَّتْ رقابُها —

فقال : نعم . قال : أفكنت أمنتَ يا بن ميّادة أن ينقضّ عليك بازٍ من قريش فيضربَ رأسكَ ! فقال : ما أكثر البازِين ! أفكان ذلك البازى آمناً أن يلقاه

(١) يربوع والرباب : قبيلتان . (٢) تخندف : تهرول ، ومنه كان اسم القبيلة « خندف » .
(٣) الافتجار فى الكلام : اختراقه من غير أن تسمعه من أحد فتتعلمه .

بازٍ من قيس وهو يسير فيرميه فتَشُولَ رجْلاَه(١) ؟ فضحك عبدُ الصمد وأمر له بكُسوة .

وفاته

وتُوفى ابن ميّادة فى صدر خلافة المَنصور ، وقد كان مَدَحه ثم لم يفدْ إليه ولا أنشده ، لِمَا بَلَغهُ من قلّة رغبته فى مدائح الشعراء .

شعره الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغِناء لأبن ميّادة واُفتتح به أبو الفَرج أخبارَه هو :

يا خليــلىَّ هجِّــرا كى ترُوحا   هِجتُما للرّواح قلبــاً قَريحا
إنْ تُريغا(٢) لتعلَما سِرَّ سُعْدى   تجدانى بسِرِّ سُعْدىَ شَحيحا
إنّ سُــعْدى لمُنيــةُ المُتمَنِّى   جَمعتْ عِفّــةً ووَجْهاً صَبيحا
كلّمتْنى وذاك ما نِلتُ منها   إنّ سُعْدى ترَى الكلامَ رَبيحا(٣)

(١) تشول رجلاه : ترتفع . كناية عن الموت .
(٢) تريغا : تبغيا وتريدا .
(٣) ربيح : ذو ربح .

أخبار حُنَين

نسبه وشيء عنه

وهو حُنين بن بَلوَع الحِيرىّ . وقد اُختلف فى نسبه ، فقيل: إنه من العِبَاديّين. وقيل : إنه من بنى الحارث بن كَعْب ، وقيل : إنه من قوم بقُوا من جَدِيس وطَسْم ، فنزلوا فى بنى الحارث بن كعب فعُدّوا فيهم . ويُكْنى أبا كعب . وكان شاعراً مغنيًّا فحلاً من فُحول المغنِّين . وله صَنْعة فاضلة متقدِّمة . وكان يسكُن الحِيرةَ ويُكْرِى الجِمالَ ، وكان نصرانيًّا ، ومنزلُه بها . وهو القائل :

أنا حُنَينٌ ومنزلى النَّجَفُ   وما نَديمى إلّا الفتَى القَصِفُ[1]

أَقْرع بالكأسِ ثَغْرَ باطيةٍ[2]   مُتْرَعةٍ تارةً وأَغْترِف

من قهوةٍ باكَرَ التِّجارُ بها   بيتَ يَهُودٍ قَرارُها الخَزَف

والعيشُ غَضٌّ ومنزلى خَصِبٌ   لم تَغْذُنى شِقْوَةٌ ولا عُنُف

مع هشام فى الحج

وذُكر أنه حَجّ هشامُ بن عبد الملك بن مَروان ، وعديلُه[3] الأَبرش الكَلْبى ، فوقف له حُنَين بظَهر الكوفة ومعه عُود وزامرٌ له ، وعليه قُلَنْسِيَة[4] طَويلة . فلما مرّ به هشامٌ عَرض له ، فقال : مَن هذا ؟ فقيل : حُنين . فأَمر به هشامٌ فحُمِل فى مَحْمِل على جَمل وعديلهُ زامره ، وسِير به أمامه وهو يتغنَّى :

أَمِنْ سَلْمى بظَهْرِ الكو   فةِ الآياتُ والطَّلَلُ

يلوحُ كما تلوحُ على   جُفون الصَّيقل[5] الخِلَل

---

(١) القصف : حليف اللهو والعب .   (٢) الباطية : إناء الخمر .

(٣) العديل : الذى يعادلك فى المحمل .

(٤) القلنسية : القلنسوة ، إن ضممت كسرت السين وقلبت الواو ياء .

(٥) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها . والخلل : جمع خلة ، وهى بطانة يغشى بها جفن السيف تنقش بالذهب وغيره .

فأمر له هشام بمائتي دينار، وللزّامر بمائة .

وقيل بل غنّى :

صاح هل أبصرتَ بالخبْـ تَيْن من أسماء نارا
مَوْهِناً شُبَّت لعينَيْـكَ ولم توقَدْ نَهارا
كتلالي البَرْق فى المُزْ نِ إذا البرقُ استطارا
أذكرتْنى الوصلَ من سُعْـدَى وأيّاماً قِصارا

جوابه وقد سئل عن غلوه فى ثمن غنائه

وقيل لحنين : أنت تُغنّي منذُ خمسين سنةً ، ما تركتَ لكريم مالاً ولا داراً ولا عَقاراً إلّا أتيتَ عليه ! قال : بأبي أنتم ! إنّما هى أنفاسى أقْسِمها بين الناس ، أفتلُومُونني أن أغْلِيَ بها الثَّمن !

فى حضرة بشر مع الشعبي

وحكى الشَّعبيُّ رحمه الله قال : لمّا وَلى بِشْر بن مَرْوان الكوفة كنتُ على مَظالمه ، فأتيتُه عشيّةً وحاجِبه أَعْيَن — صاحب حمّام أعْيَن — جالسٌ ، فقلتُ له : استأذِنْ لى على الأمير . فقال : يا أبا عَمْرو ، هو على حال ما أظُنك تَصل إليه معها . فقلت : أعْلِمْه ، وخَلاكَ ذَمٌّ ، فقد حدث أمرٌ لا بدَّ من إنهائه إليه — وكان لا يجلس بالعَشيّ — فقال :لا ، ولكن اكتُب حاجتَك فى رُقعة . فما لَبِث أن خرج التَّوقيع على ظهرها : ليس الشَّعبيّ ممن يُحْتشم منه ، فأْذَن له . فاذن لى . فدخلتُ فإذا بِشْر بن مروان عليه غِلالةٌ[1] رقيقة صَفْراء ، ومُلاءةٌ تقوم قياماً من شدّة الصِّقال ، وعلى رأسه إكليل من رَيْحان ، وعلى يمينه عِكْرمة ابن رِبْعىّ ، وعلى يساره خالد بن عتّاب[2] بن وَرْقاء ، و إذا بين يديه حُنَين ابن بَلْوَع ومعه عودُه ، فسلّمت . فردّ علىَّ السلامَ ورحّب وقرّب ، ثم قال : يا أبا عمرو ، لوكان غيرُك لم آذنْ له على هذه الحال . فقلت : أصلح الله الأمير ،

(١) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب .

(٢) فى الأصل : « خالد بن زياد بن ورقاء » . والتصويب من الطبرى .

لك عندى السترُ فى كل ما أرى منك والدخولُ معك فيما لا يجملُ والشكرُ على ما تُولينى . فقال : كذاك الظنُّ بك . ثم التفتُّ إلى حُنين وعودُه فى حجره وعليه قباء خُشْكشوِى[1] ومُستُقَة[2] حمراء، وخُفّان مُكَعَّبان . فسلّم علىّ . فقلت : كيف أنت أبا كعب ؟ فقال : بخير . فقلت : أحْزِق الزِّير[3] وأرْخِ البَمّ[4] . ففعل وضرب. فأجاد. فقال بشر لأصحابه : تلومُوننى على أن آذَن له على كُل حال ! ثم أقبل علىّ فقال : يا أبا عمرو ، من أين وقع لك حَزْق الزِّير ؟ فقلت : ظننتُ أنّ الأمر هناك . فقال : إن الأمر كما ظننتَ هناك كُلّه ، فمن أين تعرف حُنَيناً ؟ فقلت : هذا بَطّة أعراسِنا ، فكيف لا أعرفه. فضحك وغَنّى حُنَين فأجاد . فطرب وأمر له بجائزة . ثم ودّعتُه وقمتُ بعد أن ذكرتُ له ما جئتُ فيه . فأمر لى بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب . فقمتُ مع الخادم حتى قبضتُ ذلك منه .

نزوله بحنين متنكراً

وقيل : قَدم ابنُ سُريج الحيرةَ ومعه ثلثمائة دينار ، فأتى بها منزلَ حُنين ، وذلك فى ولاية بِشْر بن مَروان ، وقال : أنا رجلٌ من أهل الحجاز من أهل مكّةَ بلغنى طِيبُ الحِيرة وجَوْدة خَمرها وحُسن غنائك فى هذا الشعر :

حنَتْنى حانياتُ الدّهر حتَّى ... كأنّى خاتل[5] يَدْنو لصَيْدِ
قريبُ الخطْو يحْسَب من رآنى ... ولستُ مُقيَّداً — أنّى بقَيْدِ

فخرجتُ بهذه الدنانير لأُنفقها معك وعندك ، ونتعاشر حتى تَنْفَد وأنصرف إلى منزلى . فسأله حُنين عن اسمه ونَسبه . فغيّرهما وادعى ولاء بنى مخزوم . فأخذ حُنين المالَ منه وقال : هذا موفَّر عليك ، ولك عندنا كُل ما يَحتاج إليه مثلك

(١) خشكشوى : فارسية ، ومعناها : قميص خشن .
(٢) المستقة : الفرو الطويل الكم . فارسى .
(٣) احزق : اشدد . والزير : أرفع أوتار العود .
(٤) البم : أغلظ أوتار العود.
(٥) فى الأصل : « حابل » مكان « خاتل » .

ما نَشِطْتَ للمُقام عندنا ، فإذا دعتْك نفسُك إلى بلدك جهّزناك إليه ، ورددنا عليك مالَك ، وأخلفنا ما أنفقته عليك إلى أن جئتَنا . وأسكنه داراً كان ينفرد فيها . فمكث عند حُنين شهرين لا يعلم حُنين ولا أحد من أهله أنه يُغنِّى . فانصرف حُنين من دار بِشْر بن مروان فى يوم صائف مع قيام الظَّهيرة ، فصار إلى باب الدار التى كان أَنزل ابنَ سُريج فيها ، فوجده مُغلقاً ، فارتاب بذلك ، ودقّ الباب فلم يفْتح له ولم يُكلِّمه أحد ، فصار إلى منازل الحُرَم ، فلم يجدْ فيها ابنته ولا جَواريها ، ورأى ما بين الدّار التى فيها الحُرم ودار ابن سُريج مَفْتوحاً ، فانتضى سيفَه ودخل الدار ليقتلُ ابنته . فلما دخل رأى ابنته وجواريَها وقوفاً على باب السِّرْداب ، وهنّ يومئْن إليه بالسُّكوت وتَخْفيف الوطء ، فلم يلتفتْ إلى إشارتهنّ ، لمَا تداخله ، إلى أن سمع ترَنُّم ابن سُريج فى الصوت المنسوب إليه ، وهو :

فتركْتُه جَزَر السِّباع[1] يَنُشْنَه ما بين قُلّة رأسه والمِعْصَمِ

فألقى السيفَ من يده وصاح به ، وقد عَرفه من غير أن يكون قد رآه ، ولكن بالنَّعت والحِذْق : أبا يحيى ! جُعلت فداك ! أتيْتَنا بلثمائة دينار لتُنفقها عندنا فى جيرتنا ، فوحقِّ المسيح لاخرجتَ منها إلا ومعك ثلثمائة دينار ، وثلثمائة دينار ، وثلثمائة دينار ، سوى ما جئت به معك ! ثم دخل إليه فعانقَه ورحّب به ، ولقيه بخلاف ما كان يلْقاه به ، وسأله عن هذا الصوت . فأخبره أنه صاغَه فى ذلك الوقت . فصار معه إلى بشر بن مروان . فوصله بعشرة آلاف درهم أول مرة ، ثم وصله بعد ذلك بمثلها . فلما أراد الخروج ردّ عليه حُنين ما لَه وجهّزه ووصله بمقدار نفقته التى أنفقها من مكة إلى الحيرة ، ورجع ابنُ سُريج إلى أهله وقد أخذ جميعُ من كان فى دار حُنين منه هذا الصوت .

قدومه على مغنى الحجاز وموته

وقيل: كان المغنُّون فى عصر حُنين أربعة : هو وحدَه بالعراق ، وثلاثة بالحِجاز ،

(١) يقال : تركه جزر السباع : وذلك إذا قطعه إرباً إرباً وصيره معرضاً لسباع الطير . وينشنه : يتناولنه .

هم : ابن سُريج ، والغَريض ، ومَعبد . وكان يبلغهم أن حُنيناً قد غنّى فى هذا الشعر :

هلّا بكَيْتَ على الشّباب الذّاهِب وكففْتَ عن ذَمِّ المَشِيب الآئِبِ
هذا ورُبَّ مُسوِّفين[1] سقيتُهم من خَمر بابلَ لذةً للشارب
بَكَروا علىّ بسُحْرة فَصَبَحتُهم من ذاتِ كُوبٍ مثل َقعْب الحالب
بزُجاجةٍ ملء اليدَيْن كأنّها قِنْديلُ فِصْحٍ[2] فى كَنِيسةِ راهِب

فاجتمعوا فتذاكروا أمر حُنين ، وقالوا : ما فى الدنيا أهل صنعة شرٌّ منّا ! لنا أخٌ بالعراق ونحن بالحجاز لا نزوره ولا نَسْتزيره. فكتبوا إليه ووجّهوا إليه بنَفَقة وكتبوا يقولون : نحن ثلاثة وأنت وحدك ، فأنت أولَى بزيارتنا . فشَخص إليهم . فلما كان على مَرْحلة من المدينة بَلَغهم خَبرُه ، فخرجوا يتلقَّوْنه . فلم يُرَ يومٌ كان أكثرَ حَشْداً ولا جَمْعاً من يومئذ . ودخلوا ، فلما صاروا فى بعض الطريق قال لهم مَعبد : صِيرُوا إلىّ . فقال له ابنُ سُريج : إن كان لك من الشَّرف والمروءة مثلُ ما لمَوْلاتى سُكينة بنت الحسين عَطَفْنا إليك . فقال : مالى من ذلك شىء . وعَدلوا إلى منزل سُكينة ، فأذنتْ للناس إذناً عامًّا . فغَصَّت الدارُ بهم ، وصَعِدوا فوق السطح ، وأمرت لهم بالأطعمة . فأكلوا . ثم سألوا حُنيناً أن يُغنِّيهم صوتَه الذى أوله :

* هلّا بكيتَ على الشباب الذاهِب *

فغنّاهم إياه بعد أن قال لهم : أبدءوا أنتم . فقالوا : ما كنّا لنتقدمَ قبلك حتى نسمع هذا الصوت . فغنّاهم إياه . وكان من أحسن الناس صوتاً . فازدحم الناسُ على السَّطح وكثرُوا ليسمعوا . فَسقط الرِّواق على من تحته . فسلموا جميعاً وأُخرجوا أصحّاء ، ومات حُنين تحت الهدم . فقالت سُكينة : لقد كدّر علينا حُنين سُرورنا ! انتظرناه مدةً طويلة كأنّا كنّا نَسوقه إلى مَنيّته . وكان عُمره مائة سنة وسَبْع سنين .

---

(١) المسوف : الصبور. (٢) الفصح : من أعياد النصارى .

أخبار الغريض

اسمه وكنيته وولاؤه

واسمه عَبد الملك . وكُنيته أبو زيد . وقيل : أبو مَروان . وهو مولى العَبلات . وكان مولَّداً من مولّدى البَربر .

ومَوْلياته : الثريّا صاحبة عُمر بن أبى ربيعة ، وأخواتها الرُّضيّا ، وقُرَيبة ، وأُم عثمان ، بنات علىّ بن عبد الله بن الحارث بن أُمية الأصغر بن عبد شمس ابن عبد مناف .

لقبه

وإنما لُقِّب الغريض لأنه كان طرىّ الوَجه غضّ الشباب حَسَن المنظر . والغريض : الطَّرىّ من كل شىء . وقيل : سمى بالإغريض ، وهو الجُمّار . وثقُل ذلك على الألسنة فحُذفت الألف منه ، وقيل : الغريض .

حديث تعلمه الغناء

وكان يَضْرب بالعُود وينقُر بالدُّفّ ويُوقع بالقَضيب . وكان قبل أن يُغنِّىَ خيّاطاً . وأخذ الغناء عن أبن سُريج فى أول الأمر . فلما رأى أبن سُريج حذقَه وطَبْعه وظَرْفه وحلاوة مَنْطقه خَشِى أن يأخذ غناءه فيغلبَه عليه عند الناس ، ويفوقَه بحُسن وجهه ، فحسده . فأعتلّ عليه وشكاه إلى مَوْلياته ، وهُنّ كُنّ دفعنه إليه ليعلّمه الغناء . وجعل يَتجنّى عليه ثم أطّرحه . وشكا ذلك إلى مَوْلياته وعرّفهن غرضَ أبن سُريج فى تنحيته إيّاه عن نفسه ، وأنه حَسده على تقدُّمه . فقُلْن له : هل لك أن نُسمعك نَوْحَنا على قَتلانا فتأخذَه وتُغنى عليه ؟ قال : نعم ، فأفعلْنَ ، فأَسمعنَه المراثى ، فأحتذاها . وخرّج غنـاءه عليها كالمراثى . وكان ينُوح مع ذلك فيدخل المآتم وتُضْرب دونه الُحجب ، ثم ينُوح فيَفتن كلّ من يَسمعه . ولما كثُر غناؤه أشتهاه الناس وعدلُوا إليه ، لمـا كان فيه من الشَّجا[1] ، فكان لا يُغنِّى ابنُ سُرَيج صوتاً إلّا عارضه فيه

---

(١) الشجا : الحزن .

فغنّى فيه لحناً آخر . فلما رأى ابنُ سُرَيج موقع الغَريض اشتدّ عليه. فغنّى الأرمالَ والأهزاج ، فاشتهاها الناسُ ! فقال له الغريض : يا أبا يحيى . قصَّرت الغناء وحدفتَه . فقال : نعم يا مُخنَّث . حيث جعلتَ تنوح على أبيك وأمك .

خبر نفيه وغيره من المغنين عن مكة

وذُكر أن أميراً من أمراء مكة أمر بإخراج المُغنِّين بالحَرَم . فاجتمع مَعبدٌ وابنُ سريج والغريض وقالوا : هلمّ نبْكِ على أهل مكة . فلمّا كان فى الليلة التى عَزم بهم على النَّفى فى غَدِها، اجتمعوا على أبى قُبيس، وكان معبد قد زارهم ، فبدأ معبد فتغنّى :

أترْبَيّ مِن أعلَى مَعَدّ هُديتُما ... أجِدَّا البُكا إن التفرُّق باكرُ
فما مُكْثُنا دام الجميلُ عليكما ... بثَهْلان(١) إلا أنْ تُزَمّ الأباعر

فتأوه أهل مكة وأنُّوا ، وأندفع الغريض فغنّى :

أيها الرَّائح المُجدّ ابتكارا ... قد قَضى مِن تِهامة الأَوْطارَا
مَن يكن قَلْبُه الغداةَ خَليًّا ... ففؤادِى بالخَيْف أمْسى مُعَارا
ليت ذا الحجّ(٢) كان حتماً علينا ... كلَّ شهرين حِجَّةً واعتمارا

فارتفع البكاء والنَّحيب . وأندفع ابنُ سُريج فتغنّى :

جَدِّدى الوصلَ يا قُريبُ وجُودى ... لمُحبٍّ فراقُه قد ألمَّا
ليس بين الحياة والموت إلّا ... أن يردُّوا جمالَهم فتُزَمَّا

فارتفع الصُّراخ من الدُّور بالوَيْل والحَرب(٣) . فاجتمع الناس إلى الأمير واستعْفَوه من نَفيِهم ، فأعفاهم .

طرب ابن جعفر بغناء جارية له

وذُكر أنّ جاريةَ علىّ بن جَعفر غنَّته ذات يوم :

ليس بين الرَّحيل والبَيْن إلّا ... أنْ يردُّوا جمالهم فتُزَمّا

(١) ثهلان : جبل بنجد . وفى الأصل : « بنجران » .
(٢) فى الأصل : « ليت ذا الدهر » . (٣) الحرب : ما يصيب من مكروه .

فطرِب علىّ بن جعفر وصاح : سُبحان الله العَظيم ! ألَا يُوكُون[(١)] قِرْبةً ! ألَا يشدُّون مَحْمِلا ! ألا يُعلِّقون سُفْرة[(٢)] ! ألَا يُسلِّمون على جارٍ ! هذه والله العجلة !

تحاكم هو وابن سريج إلى سكينة فى الحج

وذُكر أنّ سُكينةَ بنت الُحسين عليه السلام حجّت، فدخل إليها ابنُ سُريج والغَريض ، وقد استعار ابنُ سريج حُلّةً لأمرأة من قُريش فلَبِسها . فقال لها ابنُ سريج : يا سيدتى ، إنّى صنعتُ صوتاً وحسّنتُه وتنوقْت فيه وخَبأته لك فى حَرِيرة فى دُرْج مملوءٍ مِسْكاً، فنازعنيه هذا الفاسقُ — يعنى الغريض — فأردنا أن نتحاكَم إليك فيه ، فأيّنا قدّمتِه تقدَّم . قالت : هاتِه . فغنّاها :

عُوجِى علينا ربةَ الَمَوْدج ... إنّك إلّا تفعلى تَحْرَجِى

فقالت : هاته أنت يا غَريض . فغنّاها إياه . فقالت لابن سُريج : أعِدْه . فأعاده وقالت : يا غريض ، أعِدُه . فأعاده . فقالت : ما أُشبهكما إلا باللُّؤلؤ والياقوت فى أعناق الجوارى الحِسَان ، لا يُدْرَى أيهما أحسن .

صلة عائشة بنت طلحة له فى الحج لصوت غناء إياها

وذُكر أنه حجّت عائشةُ بنتُ طلحة بن عُبيد الله ، فجاءتْها الثريّا وأخواتها ونساء أهل مكة القرشيّات وغيرهنّ ، وكان الغريض ممّن جاء . فدخل النّسوة عليها. فأمرتْلهن بكُسوة وألْطاف[(٣)] كانت قد اتخذتْها لمن جاءها . فجعلت تخرج كُل واحدة ومعها جاريتها ومعها ما أمرت لها به عائشةُ بنتُ طلحة ، والغريض بالباب. حتى خرج مَوْلياتُه مع جوارِيهنّ بالِخلع والأَلْطاف . فقال الغريضُ : فأين نَصيبى من عائشة ؟ فقلن له : أغفلناك وذهبتَ عن قلوبنا . فقال : ما أنا ببارح عن بابها أو آخُذَ بحَظى منها ، فإنها كريمةٌ بنت كِرام . وأندفع يُغنِّى بشعر جميل :

(١) أوكى القربة : شدها بالوكاء ، وهو الرباط .

(٢) السفرة : طعام المسافر . هذا أصله . والمراد به : جلد مستدير يحمل فيه الطعام .

(٣) الألطاف : ما ألطفت به .

تذكّرتُ ليلَى والفـؤاد عَميد وشَطَّت نَواها والمزارُ بعيـدُ

فقالت : ويلـكم ! هذا مَوْلى العَبَلات بالباب يذكّر بنفسه ، هاتُوه . فدخل . فلمّا رأتْه ضحكت وقالت : لم أعلم مكانَك . ثم دعتْ له بأشـياء أمرت له بها ، ثم قالت له : إن غنيتَنى صوتاً فى نفسى فلك كذا وكذا — لشىء سمَّته — فغنّاها فى شعر كُثيِّر :

ومازلتُ من لَيْلى لدُن طَرّ شاربى إلى اليوم أُخْفِى حُبَّها وأُداجِنُ
وأحمل فى ليلى لقومٍ ضَغينةً وتُحمل فى لَيْلى علىّ الضغـائن

فقالت له : ما عَدوْت ما فى نفسى ، ووصلتْه وأجزلت إليه .

سبب طرب عائشة بهذا الصوت

وكان السبب الحامل لعائشة على ذلك ما حَكَى الشعبىُّ قال : دخلت المسجد فإذا أنا بمُصْعب بن الزُّبير جالس والناسُ عنده ، فسلّمت ثم ذهبتُ لأنصرف . فقال لى : أُدْن . فدنوتُ حتى وضعتُ يدى على مَرافقـه(١) . ثم قال : إذا قمتُ فاُتْبعنى . فجلس قليلاً ثم نهض فتوجّه نحو دار موسى(٢) بن طلحة ، فتبعتُه . فلمّا طَعَن فى الدار اُلتفتَ إلىّ فقال : ادخُلْ ، فدخلتُ معه . ومضى نحو حُجرته وتبعتُه . فالتفتَ إلىّ وقال : ادخل . فدخلتُ معه . فإذا حجَلة(٣) . وإنها لأول حَجَلة رأيتها لأمير، فقمتُ ودَخل الحَجَلة . فسمعتُ حركةً ، وكرهتُ الجلوسَ ولم يأمرنى بالاُنصراف . وإذا جارية قد خرجتْ وقالت : يا شعبىّ ، إنّ الأمير يأمرك أن تجلس . فجلستُ على وِسادة ، ورُفع سَجْف الحجلة ، وإذا أنا بمُصْعب ابن الزُّبير . ورُفع السِّجف الآخر فإذا أنا بعائشة بنت طلحة . فلم أر زوجاً قطُّ كان أجملَ منهما : مُصعب وعائشة . فقال مصعب . يا شَعبىّ ، هل تعرف هذه ؟ قلت :

(١) المرافق : المخدات ؛ الواحدة : مرفق ومرفقة . (٢) فى الأصل : « دار أبى موسى » .
(٣) الحجلة : مثل القبة .

نعم ، أصلح الله الأمير . قال : ومن هى ؟ قلتُ : سيدة نساء العالمين عائشة بنتُ طلحة . قال : لا ، ولـكن هذه لَيْلى التى يقول فيها الشاعر :

* وما زلتُ من ليلى لدُن طرّشار بى *

وذكر البيتين . ثم قال : إذا شئتَ فقُم . فلما كان العشىّ رُحْتُ فإذا هو جالس على سَريره فى المسجد ، فسلّمت . فلمّا رآنى قال : أُدْن . فدنوتُ حتى وضعتُ يدى على مَرافقه . فأصغى إلىّ[1] فقال : هل رأيت مثل ذلك لإنسانٍ قطّ ؟ قلت: لا والله . قال : أفلا تَدرى لِم أَدْخلناك ؟ قلت : لا . قال : لَتُحدّثَ بما رأيت . ثم التفت إلى عبد الله بن أبى فَرْوة فقال : أَعْطِه عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوباً. فما انصرف أحدٌ يومئذ بمثل ما انصرفتُ به : بعشرة آلاف درهم، و بمثل كارةِ[2] القَصّار ثياباً ، و بنظرة من عائشة بنت طلحة .

شىء عن عائشة بنت طلحة

وكانت عائشة هذه عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصدّيق ، وكان أبا عُذْرتها[3] . ثم هلك فتزوّجها مُصعب بن الزُّبير . فقُتل عنها . ثم تزوّجها عُمر ابن عُبيدالله بن مَعمر التَّيمى، فبَنى بها بالحيرة ، فمُهّدت له يومَ عُرْسه فُرُش لم يُرَ مثلُها : سبع أذرع فى عرض أربع . فانصرف تلك الليلة عن سَبْع مَرّات . فلقيتْه مولاةٌ لها حين أصبح فقالت : يا أبا حفص ، كَمُلتَ فى كل شىء حتى فى هذا ! فهلك عنها . ولما مات ناحتْ عليه وهى قائمة ولم تنُح على أحد منهم قائمةً غيره وكانت العرب إذا ناحت المرأة على زَوْجها قائمة عُلم أنها لا تُريد أن تتزوّج بعده . فقيل لها : يا عائشة ، ما صنعتِ هذا بأحدٍ من أزواجك ! قالت : إنه كان فيه خِلال ثلاث لم تكن فى أحـدٍ منهم : كان سيّد بنى تَيْم ، وكان أقربَ القوم بى قرابة ، وأردتُ ألّا أتزوّج بعده .

(١) أصغى إلى : أمال رأسه إلى .
(٢) كارة القصار : ما يجمعه ويكوره من الثياب فى ثوب يحمله، فيكون بعضها فوق بعض .
(٣) أبو عذرتها : أى أول من تزجها .

غنــاؤه يزيد ابن عبــد الملك فى مكة

وقيل :

قدم يزيدُ بن عبــدُ الملك بن مَروان إلى مكة : فبعث إلى الغريض سرًّا فأتاه فغنّاه بشعر كُثيِّر :

وإنى لأَرْعَى قومها من جَلالها   وإن أظهروا غِشًّا نَصحتُ لهم جَهْدِى
ولو حاربُوا قَوْمى لكُنتُ لقومها   صديقاً ولم أحمل على قومها حِقْدى

فأشير إلى الغريض : أن اُسكُت . وفَطِن يزيد فقال : دعُوا أبا يزيد حتى يُغنِّينى بما يُريد . فأعاد عليه الصوتَ مِراراً . ثم قال : زدْنى ممّا عندك . فغنّاه بشعر عَمرو بن شأس الأسدىّ :

فوانَدمى على الشباب ووا ندمْ   ندمتُ وبان اليومَ منّى بغير ذَمّْ
أرادتْ عِرَاراً[1] بالهوَان ومن يُرِدْ   عِرَاراً لعَمْرى بالهــوَان فقد ظَلَمْ

فطرب يزيدُ وأمر له بجائزة سنيّة .

حديث بيتى كثير

ثم أتبع أبو الفرج هــذه الحكاية بأن ذكر السبب الذى من أجله أُشير إلى الغريض أن يسكت حين غنّاه بشعر كُثيِّر ، قال : كان عبــد الملك بن مَروان من أشدِّ الناس حُبًّا لعاتكة بنت يزيد بن مُعاية بن أبى سُفيان ، وهى امرأته . وهى أُم ابنه يزيد بن عبد الملك . وأُمها أم كُلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كُريز . فغضبت مرةً على عبد الملك ، وكان بينهما بابٌ ، فحجبتْه وأغلقتْ ذلك الباب . وشق غَضَبها على عبد الملك وشكاها إلى رجل من خاصّته، يقال له: عُمرُ بن بِلال الأسدى : فقال له : مالى عندك إن رَضيتْ ؟ قال : حُكمك . فأتى عمر بابهاَ وجعل يتباكَى . وأرسل إليها بالسلام . فخرجتْ إليه حاضنتُها ومواليها وجَواريها وقُلْن : مالك ؟ قال : فَزِعتُ إلى عاتكة ورجوتُها ، فقد علمتْ مكانِى مِن أمير المؤمنين مُعاوية

(١) عرار : هو ابن عمرو بن شأس .

ومن أبيها بعده . قُلْن : ومالك ؟ قال : أبنان لم يكُن لى غيرهما قَتل أحدُهما صاحبَه ، فقال أمير المؤمنين : أنا قاتلٌ الآخر به . فقلتُ : أنا الولىّ وقد عفوتُ . فقال : لا أُعوِّدُ الناسَ هذه العادةَ . فرجوتُ أن يُنْجِىَ الله أبنى هذا على يدها . فدخَلْنَ إليها فذكَرْن ذلك لها . فقالت : وكيف أَصنع مع غَضبى عليه وما أظهرتُ له ؟ قُلْن : إذًا واللهِ يُقْتَل . فلم يزَلْن حتى دعتْ بثيابها فأَجْمَرتْها[1] ، ثم خَرجت نحوَ الباب . فأَقبل حُدَيج الخصىّ، فقال : يا أمير المُؤمنين، هذه عاتكةُ قد أَقْبلت . قال : ويلك ! ما تقول ؟ قال : قد واللهِ طلعتْ . فأَقبلت وسلّمت . فلم يَرُدّ عليها . فقالت : أَمّا والله لولا عُمر ما جئتُ . إن أحـد أبنيه تَعدَّى على الآخر فقتَله ، فأردتَ قَتْلَ الآخر ، وهو الولىّ ، وقد عفا . قال : إنّى أكره أن أُعوِّد الناسَ هذه العادةَ . قالت : أَنشُدكَ الله يا أمير المُؤمنين ، فقد عَرفتَ مكانَه من أمير المُؤمنين مُعاوية ومن أمير المُؤمنين يَزيد ، وهو ببابى . فلم تَزلْ به حتى أَخـذت برجْله فقبّلتها . فقال : هولك . ولم يَبْرحا حتى اصطلحا . ثم راح عمر بن بلال إلى عبد الملك فقال : ياأمير المؤمنين ، كيف رأيت ؟ قال : رأينا أثرَك ، فهات حاجتك . قال : مَزْرعة بعُدّتها وما فيها ، وألف دينار ، وفرائض لولدى وأهل بيتى وعيالى . قال : ذلك لك . وأندفع عبدُ الملك يتمثّل بشعر كُثيِّر :

* وإنى لأرعى قومها من جَلالهـا *

البيتين . فعلمتْ عاتكةُ ما أراد . فلمّـا غنّى الغريضُ يزيدَ بن عبد الملك بهذا الشّعر كرهتْ مواليه ؛ إذ كان عبدُ الملك تمثّل به فى أُمه ، ولم يكرهْه يزيدُ وقال : لو قيل هـذا الشّعر فيها ثم غُنّى به ما كان عَيْباً ، فكيف وإنما هو مَثَل تَمثَّل به أميرُ المؤمنين فى أجمل العالَمين .

---

(١) أجمرتها : بخرتها .

حديث بيتى ابن شأس

ثم حكى أبو الفرج السَّبب الذى لأجله غنَّى الغريضُ ثانياً بشعر عَمرو بن شأس الأسدىّ ، وحكاية عِرَار بن عمرو ، فقال : إن ابن الأشعث لما قُتل بعث الحجّاجُ ابن يوسف برأسه إلى عبد الملك بن مَروان مع عِرار بن عمرو بن شأس . فلما وَرد به وأوْصل كتابَ الحجّاج ، جعل عبدُ الملك يقرؤه ، وكلّما شكّ فى شىء سأل عِراراً عنه . فأخبره . فعَجب عبدُ الملك من بيانه وفصاحته ، فقال متمثِّلا :

وإنّ عراراً إن يكن غير واضحٍ ... فإنى أُحب الجونَ ذا المنْكِب[1] العَمَمْ

فضحك عرار من قوله ضَحِكا غاظ عبدَ الملك . فقال : مما ضحكت ؟ ويحك ! فقال : أتعرف عِراراً يا أمير المُؤمنين الذى قيل فيه هذا الشعر ؟ قال : لا . قال : أنا واللهِ هو . فضحك عبدُ الملك وقال : حظٌّ وافَق كلْمة . ثم أحسن جائزته وسَرَّحه .

وإنما أراد الغريضُ أن يُغَنِّى يزيدَ بمُتَمثِّلات أبيه عبد الملك فى الأمور العِظام ، فلما تبيّن كَراهةَ مواليه غِناءه فيما تَمثَّل به فى عاتكة أَراد أن يُعْقِبه بما تَمثَّل به فى فَتْح عظيم كان لعبد الملك ، فغنّاه بشعر عَمرو بن شأس فى عرار .

خروج معبد إليه وسماعه غناءه

وحكى مَعبد قال : خرجتُ إلى مكة فى طلب لقاء الغريض ، وقد بلغنى حُسن غنائه فى لحن :

وماأَنْسَ مِ الأشياء لاأَنْسَ شادناً ... بمكة مَكحولًا أسيلاً مدامعُهْ

وقد كان بلغنى أنه أول لحن صَنعه ، وأن الجنّ نَهتْه أن يُغنّيه، لأنه فتَن طائفةً منهم ، فانتقلوا عن مكّة من أجل حُسْنه . فلمّا قدمتُ مكةَ سألت عنه فدُلِلْتُ على منزله . فأتيته فقرعتُ الباب . فما كلّمنى أحد . فسألتُ بعضَ الجيران فقلت : هل فى الدار أحد ؟ فقالوا لى : نَعم ، فيها الغَريضُ . فقلت : إنّى قد أكثرتُ

(١) منكب عمم : طويل .

دقّ الباب فما أجابني أحد . قالوا : إنّ الغَريض هناك. فرجعتُ فدققتُ الباب فلم يُجبني أحد .فقلت: إنْ نَفَعني غِنائي يوماً نفعني اليوم.فاندفعتُ فغنَّيتُ لحني في شعر جميل:

عَلِقتُ الهوى منها وليداً فلم يزلْ إلى اليوم يَنمى حبُّها و يزيدُ

فوالله ما سمعتُ حركةَ الباب ، فقلْتُ : بَطل سِحْري[1] وضاع سفري وجئتُ أطلُب ما هو عسيرٌ عليّ ، واُحتقرتُ نفسي وقلتُ : لم يتوهّمني[2] لضَعْف غنائي عنده . فما شَعرتُ إلّا بصائح يَصيح : يا مَعْبدُ المُغنّي ، افْهم وتَلَقَّ عنّي شِعْر جَميل الذي تُغنّي فيه يا شَقِيّ البَخْت ، وغنَّى :

وما أَنْسَ مِ الأشياء لاأَنْس قولَهَا وقد قرَّبت نِضْوى[3] أَمِصْر تُريدُ

ولا قولَهَا لولا العيونُ التي تَرى أتيتُك فاعذِرْني فَدتْك جُدود

خليليّ ما أُخفي من الوجد باطِن ودَمعي بما قلتُ الغداةَ شَهيد

يقولون جَاهِد يا جميلُ بغزوة وأيّ جِهادٍ غيرهنّ أُريد

لكلّ حديثٍ عندهنّ بشاشةٌ وكلُّ قتيلٍ بينهنّ شَهيد

قال : فلقد سمعتُ شيئاً لم أسمع أحسَن منه ، وقَصّر[4] إليّ نفسي ، وعلمتُ فضيلته عليّ بما أحسّ من نفسه ، وقلت: إنّه لحرِيٌّ بالاُستتار من الناس ، تنزيهاً لنفسه وتعظيماً لقدره ، و إن مِثْله لا يستحقّ الابتذال ، ولا أن تتداوله الرجال . فأردتُ الاُنصراف إلى المدينة راجعاً ، فلما كنتُ غيرَ بعيد إذا بصائح يَصيح بي : يا معبد ، انظرُ[5] أكلّمك. فرجعتُ . فقال لي: إنّ الغريض يَدْعوك . فأسرعتُ فرحاً ، فدنوتُ من الباب. فقال لي : أتُحب الدُّخول ؟ فقلت : وهل إلى ذلك مِن سَبيل ؟ فقَرع الباب ففُتح . فقال لي : اُدخُل ولا تُطِل الجلوسَ . فدخلتُ ، فإذا شمس طالعةٌ في بيت، فسلّمتُ . فَردّ السلام . فقال : اُجلس . فجلستُ ، فإذا أنبل

---

(١) بطل سحري ، أي ضاعت حيلتي وخاب مكري. والذي في الأصل : « بطل شعري » .
(٢) لم يتوهّني : لم يتبيني ولم يعرفني . (٣) النضو : المهزول من الإبل .
(٤) قصر : صغر. (٥) انظر : انتظر.

الناس وجهاً وخَلْقا وخُلقا . فقال:يا معبد ، كيف طرأتَ[١] إلى مكة ؟ قلتُ : جُعلت فداك ! فكيف عرفتَنى ؟ قال : بصوتك . قلتُ : وكيف وأنت لم تَسمعه قط ؟ قال : لما غنّيتَه عرفتكَ به وقلت : إن كان مَعْبد فى الدُّنيا فهذا . فقلتُ : جُعلت فِداك ! فكيف أجبتنى بقولك :

* وما أَنس م الأَشياء لا أَنْس قولَها *

فقال : علمتُ أنك تُريد أن أُسمعك صوتى :

* وما أَنْس مِ الأَشياء لا أَنْس شادناً *

ولم يكن إلى ذلك سبيل ، لأنه صوتٌ قد نُهيت أن أُغنِّيه ، فغنَّيتُك هذا الصوت جواباً لما سألتَ . فقلتُ : والله ما عدوتَ ما أردتُ ، فهل لك حاجةٌ ؟ فقال لى : ياأبا عبّاد ، لولا مَلالةُ الحديث وثِقل إطالة الجلوس لاستكثرتُ منك ، فأعذِرْ .فخرجتُ من عنده ، وإنه لأَجلُّ الناس عندى ، ورجعتُ إلى المدينة فتحدّثتُ بحديثه وعجبتُ من فِطْنته وقيافته . فما رأيتُ إنساناً إلّا وهو أجلُّ منه فى نَفْسى. وذكرتُ جَميلاً وبُثَينة فقلتُ : ليتنى أصبتُ إنساناً يُحدّثنى بقصّة جَميل وخبر[٢] هذا الشعر ،فأكونَ قد أخذت بفَضيلة الأَمر كُلّه فى الغِناء والشِّعر .فسألتُ عن ذلك فإذا الحديثُ مَشهور . وقيل لى : إن أردتَ أن تُخَبَّر بمشاهدته فأْتِ بنى حَنْظلة ، فإن فيهم شيخاً منهم يقال له فلان ، يُخبرك الخبر بمُشاهدته . فأتيتُ الشيخَ فسألتُه . فقال : نعم ، بينا أنا فى إبلى فى الرَّبيع إذا أنا برجل مُنْطوٍ على رَحْله[٣] كأنه جانٌّ، فسلَّم علىَّ ثم قال : ممن أنت ياعبدَالله ؟قلت : أحدُ بنى حَنْظلة . قال : فنَسبنى[٤] ، فانتسبتُ حتى بلغتُ فَخذِى الذى أنا منه .ثم سألنى عن بنى عُذْرة أين نَزلوا . فقلت : هل تَرى ذلك السَّفح فإنهم نَزلوا من ورائه . فقال :

(١) طرأت : أقبلت إلى مكة فجأة .والذى فى الأصل : «تطرقت» . (٢) فى الأصل : « بقصة جميل وقوله هذا الشعر ، وليتنى كنت عرفت خبر ... الخ » .

(٣) فى الأصل : « راحلته » . (٤) نسبنى : سألنى أن أنتسب .

يا أخا بنى حَنظلة ، هل لك فى خَير تَصْطنعه إلىّ ؟ فوالله لو أعطيْتنى ما أصبحتَ تَسوق من هذه الإبل ما كنتُ بأشكر منّى لك عليه . فقلت : نعم ، ومَن أنت أولاً ؟ قال : لا تَسألنى من أنا ولا أُخبرك ، غير أنى رجل بينى و بين هؤلاء القوم ما يكون بين بنى العمّ ، فإن رأيتَ أن تأتيهم فإنك تجد القومَ فى مجلسهم فتَنْشُدهم بَـكْرةً أدماء تجرّ خُفَّيْها غُفْلاً من السِّمة ، فإن ذكروا لك شـيئاً فذاك ، و إلّا استأذنتَهم فى البُيوت وقلت : إنّ المرأة والصبىّ قد يرَيان ما لا يَرى الرّجال ، فتَنْشُدهم ولا تَدَعْ أحداً تُصيبه عينُك ولا بيتاً من بيوتهم إلا نَشَدتَها فيه . فأتيتُ القومَ فإذا هم على جَزور يَقْتسمونها ، فسلَّمتُ وأنتسبتُ لهم ونَشدتهم ضالّتى . فلم يذكُروا لى شيئاً ، فاستأذنتُهم فى البيوت وقلت : إنّ الصبىّ والمرأة يرَيان مالا يَرى الرجال . فأَذِنوا . فأتيتُ أقصاها بيتاً ثم أستقريتُها بيتاً بيتاً أنشُدهم ، فلا يذكُرون شيئاً . حتى إذا أنتصف النهار وآذانى حَرُّ الشَّمس وعَطِشْتُ وفرَغتُ من البيوت وذهبتُ لأنصرف ، حانتْ منّى ألتفاتةٌ ،فإذا بثلاثة أبيات ، فقلت : ما عند هؤلاء إلّا ما عند غيرهم ، ثم قلت فى نفسى : سوءة ! وَثِق بى رجلٌ وزَعم أنّ حاجَته تعْدل مالى ، ثم آتيه فأقول:عَجَزتُ عن ثلاثة أبيات ! فانصرفت عامداً إلى أعظمها بيتاً ، فإذا هو قد أُرْخى مُقدَّمه ومؤخَّره ، فسلّمت فرُدّ علىّ السلام ، وذكرتُ لهم ضالّتى . فقالت جارية منهم : ياعبد الله ، قدأصبتَ ضالَّتك، وما أظنّك إلّا قد اشتدّ عليك الحرّ واشتهيتَ الشراب ؟ قلت : أجل . فقالت : أُدخل . فدخلتُ . فأَتَتْنى بَصْحفة فيها تَمر من تمر هَجر ، وقَدح فيــه لَبن . والصَّحفة مِصْريّة مُفَضَّضة ، والقَدح مفضَّض . ولم أر قطُّ إناء أَحسنَ منه. فقالت: دونَك . فتجمَّعتُ وشربتُ من اللبن حتى روِيتُ . ثم قلت : يا أمة الله ، والله ما أتيتُ اليوم أكرمَ منك ولا أحقّ بالفضل ، فهل ذكرتِ من ضالّتى ذكراً ؟ فقالت :

هل تَرى هذه الشجرةَ فوق الشَّرف ؟[١] قلتُ : نعم . قالت : فإن الشمس غَربتْ أمسِ وهى تُطيف حولَها ، ثم حال الليل بينى و بينها . فقمتُ وجزيتُها الخير ، وقلت: والله لقد تَغدّيتُ ورَويتُ . فخرجتُ حتى أتيتُ الشجرةَ ، فأطفتُ بها ، فوالله ما رأيتُ من أثرٍ . فأتيتُ صاحبى فإذا هو مُتَّشح فى الإبل بكسائه ورافعٌ عَقيرته يُغَنِّى . فقلت : السلام عليك . قال : وعليك السلام ، ماوراءكَ ؟ قلتُ : ماورائى من شىء . قال : لا عليك ، فأَخْبرنى بما فعلْتَ . فاقتصصتُ عليه القصّة حتى انتهيتُ إلى ذكر المرأة وأخبرتُه بالذى صنعتْ . فقال : قد أصبتَ طَلِبتَك . فعجبتُ من قوله وأنا لم أجد شيئاً . ثم سألنى عن صفة الإناءين : الصَّحفة والقدح. فوصفتُهما له . فتنفّس الصُّعداء وقال : أصبت طَلِبتك ، ويحك ! ثم ذكرتُ له الشجرة وأنها رأتْها تُطيف بها . فقال : حَسْبك ! فمكثتُ حتى إذا أوت إبلى فى مَباركها دعوتُه إلى العشاء . فلم يَذق منه وجلس منّى بمزجَر الكلب.[٢] فلما ظَنّ أنى قد نِمتُ رمقتُه ، فقام إلى عَيْبة له فاستخرج منها بُرْدَين فاتّزر[٣] بأحدهما وتردّى بالآخر ، ثم انطلَق عامداً نحو الشَّجرة . واستبطنتُ الوادىَ وجعلتُ أُخفى نفسى ، حتى إذا خفْت أن يرانى أنبطحتُ . فلم أزل كذلك حتى سبقتُه إلى شَجرات قريبٍ من تلك الشجرة حيث أسمع كلامَهما ، فاستترتُ بهنّ ، فإذ صاحبتُه عند الشجرة . فأقبل حتى إذا كان منها غيرَ بعيد . فقالت : اجلس . فوالله لكأنّه لَصق بالأرض. فسلّم عليها وسألها عن حالها أكرم سُؤال سمعتُ به وأبعده من كل ريبة . وسألته مثل مسألته . ثم أمرت جاريةً معها فقرَّبت إليه طعاماً . فلمّا أكل وفرغ منه ، قالت : أَنْشدنى ما قلت . فأنشدها :

عَلقتُ الهوى منها وليداً فلم يزل ... إلى اليوم يَنْمِي حُبُّها ويَزيدُ

فلم يزالا يتحدّثان ، ما يقولان فُحْشاً ولا هُجْراً ، حتى اُلتفتت اُلتفاتةً ،

---

(١) الشرف : المكان العالى . (٢) بمزجر الكلب ، أى غير بعيد .

(٣) فاتزر ، مثل : فأتزر ، أدغمت الهمزة فى التاء .

فنظرتْ إلى الصُّبح ،فودّع كلٌّ واحد منهم صاحبَه أحسنَ وداع ما سمعتُ به قطٌّ . ثم انصرفا . فقمتُ ومضيت إلى إبلى واُضطجعت. وكل واحد منهما يَمشى خُطوة ثم يلتفت إلى صاحبه. فجاء بعد ما أَصبحنا ،فَرفع بُرْديه ثم قال : يا أخا بنى تميم ، حتّى متى تنام ؟ فقمتُ وتوضّأت وصلّيت وحلَبت إبلى وأعاننى عليها ، وهو أظهر الناس سُروراً ، ثم دعوتُه إلى الغَداء فتغدّى ، ثم قام إلى عَيْبته ففتحها ، فإذا فيها سِلاح و بُردان مما كستْه المُلوك .فأَعطانى أحدَهما وقال : أما والله لو كان معى شىء ما اُدْخرته عنك . وحدَّثنى حديثَه وانتسب لى ، فإذا هو جَميـل والمرأة بُثَينة . وقال لى : إنى قد قلتُ أبياتاً من بعد مُنْصرفى من عندها ، فهل لك إن رأيتها أن تُنشدها ؟ قلت : نعم . وأَنشدنى :

فما أَنْس م الأشياء لا أَنْس قولَها   وقد قَرَّبتْ نِضْوى أَمِصْر تُرِيدُ

الأبيات : ثم ودّعنى واُنصرف. فمكثتُ حتى أخذتِ الإبل مراعيَها . ثم عمدتُ إلى دُهْنٍ كان معى فدهنتُ به رأسى ، ثم ارتَديتُ بالبُرْد وأتيتُ المرأة ، فقلتُ : السلامُ عليكم ، إنّى جئتُ أمسِ طالباً واليومَ زائراً ، أفتأذنون ؟ قالت : نعم . فسمعتُ جُوَيرِيَةً تقول لها : يا بُثَينة ، عليه والله بُرْد جَميل ! فجعلت أُثنى على ضَيفى وأذكر فَضْله ، وقلت : إنه قد ذكَرك بأَحسن الذِّكر ، فهل أنتِ بارزةٌ لى حتى أنظُر إليك ؟ قالت : نعم . فلبست ثيابها ثم برزت ودَعت لى بطُرَف ، ثم قالت : يا أخا بنى تَميم ، والله ما ثَوباك هذان بمُشْتبهين ، ودعتْ بعَيْبتها فأَخرجت لى مِلْحفةً مُشْبَعةً من العُصْفر ، ثم قالت : أقسمتُ عليك لتقومَنّ إلى كِسْر البيت ولتخلعَنّ مِدْرَعتك[1] ثم لتتزرنّ بهذه المِلْحفة، فهى أَشبه ببُرْدك . ففعلتُ ذلك وأخذتُ مِدْرعتى بيدى وجعلتُها إلى جانبى ، ثم أنشدتُها الأبيات .

---

(١) المدرعة : ثوب من الصوف .

فَدَمعت عيناها ، وتحدّثنا طويلاً من النهار ، ثم انصرفتُ إلى إبلى بِملْحفة بُثينة وبُرْد جَميل .

قال مَعبد : فجزيتُ الشيخ خيراً ، وانصرفتُ من عنده ، وأنا والله أحسنُ الناس حَالاً بنَظْرة من الغَريض واستماع لغنائه ، وعِلْمٍ بحديثِ جَميل وبُثينة ، فيما غَنَّيتُ أنا به وفيما غَنَّى به الغَريض ، على حقّ ذلك وصِدْقه . فما رأيتُ ولا سَمِعْتُ بزوجين قط أحسن من جميل وبُثينة ، ومن الغَريض ومِنّى .

ومن هذه القصيدة التى لجَميل :

وأفنَيتُ عُمْرى فى انتظارى نَوالَها ... وأفنتْ بذاكَ الدهرَ وهو جَدِيدُ
فلا أنا مَرْدودٌ بما جئتُ طالِباً ... ولا حُبُّها فيما يَبِيد يَبِيـــد
إذا قلتُ مابى يا بُثينـــة قاتلِى ... من الحُب قالتْ ثابتٌ ويزيد
وإن قلتُ رُدِّى بعضَ عَقْلى أعِشْ به ... تولَّت وقالتْ ذاكَ مِنْكَ بَعيد

ومنها ، وهو أولها :

ألا ليتَ رَيْعانَ الشَّباب[١] جَديدُ ... ودهـــراً تَوَلَّى يا بُثين يَعُودُ
فنَغْنَى كما كُنّا نكونُ وأنتمُ ... قَريبٌ وما قد تَبْذُلين زَهِيـد
ألا ليتَ شِعْرى هل أبيتنّ ليلةً ... بوادى القُرى[٢] إنِّى إذاً لَسعِيد
وهل ألقينْ سُعْدى من الدهر ليلةً ... وما رثَّ من حَبل الصَّفاء جَدِيد
فقد تَلْتقى الأهـــواء بعد تفاوتٍ ... وقد تُطْلَب الحاجاتُ وهى بَعيد

نصيب يصف نفسه وجميلا وكثيرا وابن أبى ربيعة

وحكى بعضُهم ، قال : قَدم نُصيب الكوفة فأرسلنى أَبى إليــه ، وكان له صديقاً ، فقال : أَقْرِئه منّى السلامَ وقُل له : إن رأيت أن تُهدى لنا شيئاً مما قلتَ ؟ فأتيتُه فى يوم جُمعة وهو يصلِّى ، فلما فرغ أقرأته السلامَ وقلت له . فقال : قد علم

(١) ريعان الشباب : أوله . (٢) وادى القرى : بين المدينة والشام .

أبوك أنّى لا أُنشد فى يوم الُجمعة ، ولكن تلْقانى فى غيره ، فأَبلُغ ما تحب . فلما خرجت وانتهيتُ إلى الباب رُدِدْت إليه . فقال : أتروى شيئاً من الشعر ؟ قلت : نعم . قال : أنشدنى . فأنشدته قولَ جميل :

إنى لأحفظ سركم ويسُرّنى ... لو تعلمين بصالح أن تُذكرى
وَيكون يومٌ لا أرى لك مُرسَلا ... أو نلتقى فيه علىّ كأشهر
ياليتَنى أَلْقى المنيّة بغتةً ... إن كان يومُ لقائكم لم يُقْدَر

فقال نُصيب : أَمسكْ ! أَمسك ! لله درّه ! ما قال أحدٌ إلّا دون قوله . ولقد لَحَب[1] للناس مِثَالا يَحتذون عليه. ثم قال: أمّا أصدَقُنا فى شعره فجَميل، وأمّا أوصفُنا لربّات الحِجال فكُثيِّر، وأمّا أكذبُنا فعمر بن أبى رَبيعة، وأمّا أنا فأقُول ما أَعرف.

وقد رَوى أبو الفرج هذه الأبياتَ الثلاثةَ لعُمر بن أبى ربيعة ، وزاد فيها :

ما كُنتِ والوعدَ الذى تَعدِينَنى ... إلّا كبرْقِ سَحابةٍ لم تَمْطُرُ
تُقْضَى الدّيونُ وليس يُنْجِزُ عاجلاً ... هذا الغَرِيم لنا وليس بمُعْسِر

صنع لحنا عند سماعه أصوات رهبان

وذُكر أنّ الغَريض سَمع أصواتَ رهبان بالليل فى دَيْرٍ لهم، فاُستحسنها. فقال له بعضُ مَنْ كان معه : يا أبا يزيد، ضَع على مثل هذا الصوت لحناً . فصاغ مثلَه فى لحنه:

يا أُمَّ بَكْرٍ حُبُّكِ البادِى ... لا تَصْرِمينى إنّنى غادِى
جَدَّ الرحيلُ وحثّنى صَحْبى ... وأُريد إمتاعاً من الزّاد

ثم اُستطرد أبو الفَرج بذكْرِ واقعة ظَريفة وهى :

حَكى عمرو بن عُقبة ، و يُعرف بابن الماشطة ، قال :

ابن أبى الهيثم وناسك

خرجت أنا وأصحابٌ لى ، فيهم إبراهيمُ بن الهَيثم ، إلى العَقيق ، ومعنا رجلٌ ناسك كُنّا نَحتشم منه ، وكان محموماً نائماً ، وأَحببنا أن نَسمع مَنْ معنا من الُمغنِّين ،

(١) لحب : أوضح وبين .

ونحن نَهابه ونَحْتَشمه ، فقلت له : إنّ فينا رجلاً يُنشد الشعرَ فيُحْسن . ونحن نُحب أن نَسمعه ، ولكنّا نَهابك . قال : فما علىّ منكم ، أنا محموم نائم ، فاصْنعوا ما بدالكم . فاندفع إبراهيم بن الهَيثم يُغنِّى :

* يا أُمَّ بَكْرٍ حُبُّكِ البَادِى * البيتين

فأَجاده وأَحسنه . قال : فوثب الناسكُ فجعل يرقُص ويَصيح : أُريد إمتاعاً من الزاد ! والله أُريد إمتاعاً من الزاد ! ثم كشف عن أمره ، وقال : أنا أَنيك أُمَّ الْحُمَّى . قال : فقلت : أعتقت ما أَملك إن كان ناك أُمَّ الْحُمَّى أحدٌ قبله .

هربه الى اليمن وموته

وذُكر أن سُليمان بن عبد الملك بن مروان ولّى نافعَ بن عَلْقمة[1] مكةَ ، فخافه الغَريضُ ، لأنّه كان كثيراً ما يطلبُه ولا يَجيئه ، فاستخفَى فى بعض منازل إخوانه . فذكر رجلٌ كان يَخْدُمه من أهل مكة أنه دَفع إليه يوماً رَبعةً[2] له ، وقال : صِرْ بها إلى فُلانٍ العطّار يملؤها لى طِيباً . قال : فصِرت بها إليه ، فلقينى نافعُ بن عَلْقمة فقال : هذه رَبْعة الغَريض والله ! فلم أَقْدر أن أكتُمه ، فقلت : نعم . قال : ما قِصَّته ؟ فأخبرتُه الخبر . فَضحك وقال صِرْ معى إلى المنزل . ففعلتُ . فملأها طِيباً وأعطانى دنانير . وقال : أَعْطه وقُل له : يَظْهر ولا بأس عليه . فصرتُ إليه مَسروراً فأخبرتُه بذلك فَجزِع ، وقال : الآن يَنبغى لى أن أَهرُب ! هذه حيلةٌ أُحتالها علىّ لأقَع فى يده . ثم خَرج من وقته إلى اليمن .

تحكَى بعضُ بنى مَخْزوم أنه لمـّا صار إلى اليمن وأقام بها ، اُجتزنا به فى بعض

---

(١) الذى ولى « نافع بن علقمة » هو الوليد . وسياقة الخبر فى الأغانى على هذا ، وكأن ابن واصل حين جرد أخل . والعبـارة فى الأغانى : « وكانت وفاة الغريض فى أيام سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز لم يتجاوزها . والأشبه أنه مات فى خلافة سليمان ، لأن الوليد كان ولى نافع بن علقمة مكة » .

(٢) الربعة : جونة العطر.

أسفارنا ، قال : فلمّا رآني بَـكى . قلتُ له : ما يُبكيك ؟ قال : بأَبى أنت ! وكيف يَطيب لى أن أعيشَ بين قوم يَروْننى أحمـل عُودى ، فيقُولون لى : ياهَناه[1] ، أتبيع مُؤخرة الرّحل[2] ؟ فقلت له : اُرجع إلى مكّة فبها أهلُك . قال : يابن أخى ، أنا كنتُ أستلذُّ مكة وأعيشُ بها مع أبيك ونحوه . وقد أوطنتُ هـذا المكانَ ولست تاركَه ما عشتُ . فقلنا له : فغنِّنا بشىء من غِنائك . فأَبى . ثم أقسمنا عليه فأجاب . ثم عَمدنا إلى شاة فذَبحناها وخَرَطنا من مُصْرانها أوتاراً ، فشدّها على عوده واُندفع يُغنى فى شعر زُهير :

جَرَى دَمْعى فهيَّج لى شُجونَا فَقَلْبى يَسْتَجنُّ به جُنـونَا

فما سمعنا شيئاً أحسنَ منه . فقلتُ له: اُرجع إلى مكة، فـكُل مَن بها يشتاقك .

قال : ولم نَزل نُرغِّبه فى ذلك حتى أجاب إليه . ومَضَينا لحاجتنا. ثم عُـدْنا فوجدناه عليلاً ، فقُلنا : ما قصّتُك ؟ فقال : جاءنى مُنـذ ليالٍ قومٌ ، وقد كنت أغنىِّ فى الليل ، فقالوا : غَنِّنا . فأنكرتُهم وخِفْتهم ، فجعلت أُغنِّيهم ، فقال لى بعضُهم : غنِّني :

لقـد حَثُّوا الجِمـالَ لِيَهْـ رُبُوا منّا فـلم يئِلوا[3]

ففعلت . فقام إلىّ هَنٌ منهم أَزَبُّ ، فقـال لى : أَحسنتَ والله ! ودَقَّ رأسى حتى سقطتُ لا أُدرى أين أنا . فأَفقتُ بعد ثالثةٍ وأنا عليـلٌ كما تَرى ، ولا أُرانى إلّا سأموت . فأقمنا عنده بقيّةَ يومنا. ومات من غده، فدفنّاه واُنصرفنا .

---

(١) الهن : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان . وقد تزاد فى النداء الألف والهاء ، فيقال : ياهناه ، بالضم والكسر . فالضم على أنها آخر الاسم . والكسر لالتقاء الساكنين .

(٢) مؤخرة الرحل : ما يستند إليه الراكب ، أو هى خلاف قادمته .

(٣) لم يئلوا : لم يجدوا موئلا وملجأ يعتصمون به .

أخبار أخرى عن موته

وزَعم المكيّون أنّ الغَريض خَرج إلى بلاد عَكّ[١] فغنّى ليلاً :

هُمُ رَكْبٌ لَقُوا رَكْبا[٢] كما قد تجمعُ السُّبلُ

فصاح صائحٌ : اكفُفْ يا أبا مَرْوان ! فقد سفَّهت حُلَماءَنا وأصْبَيْت سُفهاءنا . وأَصبح ميتاً .

وذَكر آخر قال :

شهدتُ مَجْمعاً لآل الغَريض ؛ إمّا عُرْساً وإمّا خِتَاناً . فقال له بعضُهم : غنّ . فقال : هو ابنُ زانية إن فعل . فقال له بعضُ مواليه : فأنت والله كذلك ! قال : أو كذلك أنا ! قال : نعم . قال : أنت أعلمُ بى والله ! ثم أخذ الدُّف فرَمى به وتمشَّى مِشْيةً لم أَرَ أحسنَ منها ، ثم تغنَّى :

تَشرَّب لونَ الرّازقىّ[٣] بياضُه أو الزّعفرانِ خالَط المِسْكَ رادعُهْ

فجعل يُغنّيه مُقبلاً ومُدبراً حتى التوتْ عُنقه ، فخرّ صريعاً ، وما رَفعناه إلا ميتاً وظننا أنّ فالجاً عاجَله .

وكانت وفاتُه فى خلافة عُمر بن عبد العزيز ، أو سُليمان بن عبد الملك . ورجّح أبو الفَرج هذا الثانى .

---

(١) عك : قبيلة . والبلاد التى تضاف إليها : مخلاف باليمن .

(٢) فى الأصل : « زادا » .

(٣) الرازقى : الأبيض من ثياب الكتان . وقيل : هو ضرب من عنب الطائف أبيض اللون.

أخبار الحكم بن عبدل

نسبه

وهو الحَكَم بن عَبْدل بن جَبَلة بن عَمْرو[1] بن ثَعْلبة بن عِقَال بن بِلال ابن سعد بن حِبَال بن نَصْر بن غاضِرة بن مالك بن ثَعْلبة بن دُودَان بن أَسد ابن خُزَيمة بن مُدْركة بن اليأس بن مُضَر بن مَعدّ بن عَدْنان .

شعره ونشأته وشىء عن عصاه

شاعر مُتقدِّم فى طَبقته ، هجّاء خَبيث اللسان ، من شُعراء الدولة الأُموية . ومنشؤه بالكوفة ، وكان أعرجَ أحدبَ ، وكان لا تُفارقه العَصا ، فترَك الوقُوفَ بأَبواب المُلوك . وكان يكتب حاجَته على عصاه ، فيبعثُ بها مع رُسُله ، ولا يُحْبس له رسول ، ولا تُؤخَّر له حاجة . وفى ذلك يقول يحيى بن نَوْفل :

عصَا حَكَمٍ فى الدّار أولُ داخلٍ ... ونحنُ على الأبواب نُقْصَى ونُحْجَبُ

وكانتْ عصَا موسى لفِرْعونَ آيةً ... وهـذى لعَمْرُ الله أَدهى وأعجب

تُطاع ولا تُعْصَى ويُحْذَر سُخْطُها ... ويُرْغَب فى المَرْضاة منها[2] وتُرْهب

فشاعت هذه الأبياتُ بالكوفة وضَحِك الناسُ منها ، فكان ابن عَبْدل بعد ذلك يقول ليحيى : ياابنَ الزّانية ! ما أردتَ من عَصاى حتى تركتَها ضُحْكة ! وأُجتنَب أن يَكْتب عليها كما كان يفعل ، وكاتَب الناسَ بحوائجه فى الرِّقاع .

هو وأبو علية وصاحب العسس

وقيل :

كان للحَكَم بن عَبْدل صديقٌ أعمى ، يقال له : أبو عُليَّة ، وكان أُبن عَبْدل قد أُقْعد ، فخرَجا ليلةً من منزلهما إلى منزل بعض إخوانهما ، والحَكَم يُحمل وأبو عُليّة يُقاد . فلقيهما صاحبُ العسس بالكُوفة فحبسهما . فلما أُستقرّا فى الحَبْس

---

(١) فى الأصل : « عمر » .   (٢) فى بعض أصول الأغانى : « ويرهب » .

نَظر الحَكَم إلى عصا أبي عُلَيّة موضوعةً إلى جانب عَصاه ، فضَحك وأنشأ يقول :

حَبْسي وحَبْسُ أبي عُلَيّـــة من أعاجيب الزَّمانِ
أَعْمى يُقـــاد ومُقْعَدٌ لا الرِّجْل منه ولا اليَدان
هذا بلا بَصَرٍ هُنــا كَ وبي يَخُبّ الحامِلان
يا مَنْ رأى ضَبَّ الفَـلا ة قَرِينَ حُوتٍ فى مَكان
طِرْفِي وطِرْفُ أبي عُلَيّــة دَهْـرَنا مُتوافقان
مَن يَفْتخر بجَـــواده فَجِيادُنا عُـكّازتان
طِرْفان لا عَلَفاهمــا يُشْرَى ولا يتَصــاوَلان
هَبْنى وإيّاه الحَــرِ يقَ أكان يَسْطع بالدُّخان

شعره فى عرجان

وقيل :

وَلِي الشُّرطة بالـكُوفة رجلٌ أعرج ، ثم وَلى الإمارة آخر أعرج ، وخرج ابنُ عَبْدل وكان أعرج ، فلقى سائلاً أعرج ، وتَعرَّض للأمير يسأله ، فقال ابنُ عبدل للسائل :

أَلْقِ العَصا ودَعِ[1] التَّخامُعَ والْتَمِسْ عَمَــلاً فهذِى دَوْلةُ العُـرْجانِ
لأميرنا وأمــيرِ شُرْطتنا معاً ياقَوْمنا لـكلَيْهما رِجْــلان
فإذا يكونُ أمــيرُنا[2] ووزيرُه وأنا فَرَابِعُنــا إذاً[3] شَـــيْطانُ

فبلغت أبياتُه الأميرَ ، فبعث إليه بمائتى درهم وسأله أنْ يكُفَّ عنه .

---

(١) التخامع : التظاهر بالخمع ، وهو العرج .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ووزيرنا » مكان « ووزيره » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى :

* وأنا فإن الرابع الشيطان *

وعلى الروايتين فالإقواء . وهو اختلاف حركة الروى بالرفع والكسر .

هو وعبد الملك ابن بشر فى رؤيا

وقيل :

كانت لأبن عَبْدل حاجةٌ إلى عبد الملك بن بِشْر بن مروان ، فَجعل يدخُل عليه ولا يتهيّأُ له الكلامُ ،حتى جاءه رجلٌ فقال له : إنِّى رأيت لك رُؤْيا . فقال : هاتِها . فقَصّها عليه . فقال ابنُ عَبْدل : وأنا قد رأيتُ أيضاً . فقال : هاتِ ما رأيتَ . فقال :

أغْفَيتُ قبلَ الصُّبح نوم مُسَهَّدٍ ... فى ساعةٍ ما كنتُ قبلَ أنامُها

فحَبَوْتَنى فيما أرى بوَليدةٍ ... مَغْنوجةٍ[1] حَسَنٍ علىّ قيامها

و ببَدْرةٍ حُمِلتْ إلىّ وبَغْلةٍ ... شَهْباءَ ناجيةٍ يَصِلُ[2] لجامُها

ليت المَنابرَ يابْنَ بِشْرٍ أصبحتْ ... تُرْقَى وأنتَ خطيبُها و إمامُها

فقال له أبنُ بشر : إذا رأيتَ هذا فى اليَقَظة أتعرفُه ؟ قال : نعم . و إنما رأيته قُبيل الصُّبح . قال : يا غلام ، ادْعُ فلاناً . فجاء بوكيله . فقال : هاتِ فُلانة . فجاءتْ . فقال : أين هذه مما رأيتَ ؟ قال : هى هى ، و إلّا عليه وعليه . ثم دعا له ببَدْرة ، فقال : مثلَ ذلك . و ببغلة فركبها . وخرج فلقيه قَهْرمان[3] عبد الملك . قال : أتبيعها ؟ قال : نعم . قال : بكم ؟ قال بستّمائة : قال : هى لك . فأعطاه ، ثم قال : أمَا والله لو أبيتَ إلّا ألفاً لأعطيتُك . قال : إيّاى تُندم ! لو أبيتَ إلّا ستةً لأعطيتُك[4] .

هو وابن هبيرة

وقيل :

قدم الحَكَم بن عَبْدل واسطاً[5] على أبن هُبَيرة ، وكان بَخيلاً ، فأقبل حتى وقف بين يديه ، ثم قال :

(١) مغنوجة : حسنة الدل . والمسموع : مغناجة أو غنجة .

(٢) ناجية : سريعة . ويصل : يصوت .

(٣) القهرمان : الوكيل ، أو أمين الدخل والخرج .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « تبعتك » .

(٥) واسط : بلد بين البصرة والكوفة ، يصرف ولا يصرف .

أتيتُك فى أمرٍ مِنَ أمر عَشيرتى ... وأعيَا الأُمور المُفظعات[1] جَسِيمُها

فإنْ قلتَ لى فى حاجتى أنا فاعلٌ ... فقد ثَلِجتْ نَفْسى وولَّتْ هُمُومها

فقال : أنا فاعل إن اقتصدتَ ، فما حاجتُك ؟ قال : غُرْمٌ لَزِمنا فى حَمَالة[2] . قال : وكم هى ؟ قال : أربعة آلاف . قال : نحن مُناصِفُوكها . قال : أصلح الله الأمير ، أتخاف علىّ التُّخمة إن أتْممتَها ؟ قال : أكره أن أُعوِّد الناسَ هذه العادةَ . قال : أَعطنى جميعَها سرًّا وامنَعْنى جميعَها ظاهراً ، حتى تُعوِّد الناسَ المَنْع ، وإلّا فالضَّرر عليك واقعٌ إنْ عوَّدتَهم نصفَ ما يطلُبون . فضَحك ابنُ هُبيرة وقال : ما عندنا غيرُ ما بذلناه لك . فجثا بين يدَيْه وقال : امرأتُه طالقٌ لا أخذتُ أقلَّ من أربعة آلاف أو أنصرفُ وأنا غَضبان . فقال : أعطوه إيّاها فإنه ما علمتُ حَلَّاف مَهِين[3] . فأخَذها وانصرف .

هو وأبو المهاجر

وقيل :

دعا أبو المُهاجر الحَكَم بن عَبْدل لِيشرب عنده ، وله جاريةٌ تُغنِّى ، فغنَّت . فقال ابنُ عَبْدل :

يا أبا المُهاجر قد أردتَ كَرامتى ... فأهَنْتَنى وضررتَنى لو تَعْلَمُ

عند التى لو مَسَّ جِلْدِى جِلْدَها ... يوماً بقيتُ مُخلَّداً لا أهْرَم

أو كنتُ فى أعلى[4] جَهنَّم بُقْعةً ... فرأيتُها بَرَدَتْ علىّ جَهنّم

فَجعل أبو المُهاجر يَضحك ويقول : وَيْحك ! واللهِ لو كان إليها سبيلٌ لوهبتُها لك ، لكن لى منها وَلَد .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « المقطعات » .

(٢) الحمالة : الكفالة ، أى الضمان .

(٣) مهين : فاجر .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « فى أحمى » .

هو وابن يزيد الآسدى

وقيل :

كان عُمر بن يَزيد الأَسدىّ مُبخَّلاً ، ووَجـده أَبوه مع أَمةٍ له ، فكان يُعيَّر بذلك . فجاءه الحكَم بن عَبْدل ومعه جَماعةٌ من قومه يسألونه حاجةً ، فدخلوا إليه وهو يأكل تَمراً ، فلم يَدْعُهم إليه ، وذكروا حاجَتهم فلم يَقضِها ، فقال ابنُ عَبْدل :

جِئْنا و بين يَديْه التَّمرُ فى طَبَقٍ   فما دَعَانا أبو حَفْصٍ ولا كادَا

علاَ على جِسْمه ثَوْبانِ من دَنَسٍ   لُؤمٌ وجُبنٌ[1] ولولا أَيْرُه سادا

هو وامرأة سألته قضاء دينها

وذُكر أنّ امرأة كانت موسرةً بالكوفة، وكانت لها على الناس ديون بالسَّواد. فاستعانتْ بابن عَبْدل فى دَيْنها وقالت : إنّى امرأةٌ وليس لى زَوْج ، وجعلت تُعرِّض بأنها تُزوِّجه نَفْسها . فقام ابنُ عَبْدل فى دَيْنها حتى اقتضاه ، فلما طالَبها بالوَفاء كتبتْ إليه :

سيُخطئك الذى حاولتَ منّى   فقطِّع حَبْل وَصْلك مِن حِبالِى

كما أَخطاك مَعروفُ ابن بِشْر   وكنتَ تَعد ذلك رأسَ مال

وكان ابن عَبْدل أتى ابنَ بِشر بالكوفة فسأله ، فقال: خَمسمائة أحبُّ إليك الآن أم ألفٌ فى قابل ؟ فقال : ألف فى القابل . فلما أتاه قال : ألف أحبّ إليك الآن أم ألفان فى القابل ؟ فلم يزل ذلك دأبَه حتى مات ابن بِشْر وما أعطاه شيئاً .

وقيل :

دخل ابنُ عَبدل على عبد الملك بنُ بِشْر فقال : ما أَحدثتَ بعدى ؟ قال : خطبتُ امرأة من قومى فردّت على جوابَ رسالتى بيتين شعراً . قال : وما هما ؟ قال : قالت :

* سيُخطئك الذى حاولتَ منّى *

(١) فى الأصل : « وكفر » .

وذكر البيتين . فضَحك عبدُ الملك وقال: لَجاد[١] ما أذْكرتَ بنفسك ! وأمر له بألفى درهم .

هو وابن هبيرة وقد طلبه للغزو

وقيل :

أراد عُمر بن هُبيرة أن يُغْزِى الحَكَم بن عَبْدل ، فاُعتل بالزَّمانة[٢] ، فحُمِل وأُلقى بين يديه . فَجرَّده فإذا هو أعرج مَفْلوج ، فوضع عنه الغَزْو وضمّه إليه ، وشَخص به معه إلى واسط ، فقال الحكم :

لَعَمْرى لقد[٣] جَرَّدتَنى فوجدْتَنى ... كَثيرَ العُيوب سَيِّئَ[٤] المُتجرَّدِ

فأَعْفَيْتَنى لمّـا رأيتَ زَمانتى ... ووُفِّقْت منّى للقضاء المُسـدَّدِ

فلما صار عُمر إلى واسِط شكا إليه الحَكَمُ الضَّبْعَة[٥] . فوهب له جاريةً من جواريه . فوَاثبها ليلةَ صارتْ إليه ، فنكحها تسعةً أو عَشرة طَلَقاً[٦] . فلما أصبحتْ قالت له : جُعلت فِداك ! من أىّ الناس أنت ؟ قال : اُمرؤٌ من أهل الشأم . قالت : بهذا العمل نُصِرْتم .

رثاؤه لبشر ابن مروان

وقيل :

كان الحَكم بن عَبْدل مُنقطعاً إلى بِشْر بن مروان ، وكان يأْنس به ويُحبه ويَسْتَطِيبه ، وأخرجه معه إلى البَصرة لمّا وَلِيها ، فلما مات بِشْر جَزِع عليه الحَكَم وقال يَرْثيه :

أصبحتُ جَمَّ بَلابلِ الصَّدْرِ ... مُتعجِّباً لتصرُّف الدَّهْـــرِ

ما زلتُ أَطلُب فى البلاد فتًى ... ليكونَ لى ذُخْراً من الذُّخْر

ويكون يُسْعدنى وأُسْــعدُه ... فى كُلّ نائبةٍ من الأمر

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : «لحاك الله ما أذكرت ... الخ» .

(٢) الزمانة : العاهة . (٣) فى الأصل : « الذى» . (٤) سيىء المتجرد : سيىء الجسم .

(٥) الضبعة : شدة الشهوة . والذى فى الأصل : «الضيعة» . (٦) طلقا : شوطاً واحداً .

حتى إذا ظَفِرتْ يداىَ به … جاء القضاء بحَيْنه يَجْرى
إنّى لَفِى هَمٍّ يُباكِرُنى … منه وهَمٍّ طارقٍ يَسْرى
ولأَصْبِرنَّ فما رأَيتُ دَوا … ءَ الهمِّ مِثل عَزِيمة الصَّبْر
واللهِ ما اُستعظمتُ[1] فُرْقتَه … حتى أَحاط بفَضْله خُبْرى

هو وعبد الملك بعد خروجه إلى الشام

وقيل :

لما ظَفِر عبدُ الله بن الزُّبير بن العوّام بالعِراق وأَخرج منها عُمّالَ بنى أُمية ، خرج ابنُ عَبْدل معهم إلى الشأم ، وكان فيمن يدخُل على عبد الملك بن مَروان ويَسْمُر معه ، فقال لعبد الملك ليلةً :

يا ليتَ شِعْرى وليتٌ رُبّما نَفعتْ … هل أُبْصِرَنَّ بَنِى العوّام قد شُمِلُوا
بالذُّل والأَسْر والتَّشريد إنّهمُ … على البرِيّة حَتْفٌ حيثما نزلوا
أَم هل أراك بأَكناف العِراق وقَد … ذلَّت لعِزِّك أقوامٌ وقد نَكَلوا

فقال عبد الملك بن مَروان ، وقيل إنّه صاحبُ هذا الشعر :

إنْ يُمْكِنِ اللهُ من قَيْسٍ ومن جَدَسٍ[2] … ومن جُذَام ويُقْتَلْ صاحبُ الحَرَمِ
نَضْربْ جَماجِمَ أقْوامٍ على حَنَقٍ … ضَرْباً يُنَكِّلُ عنّا سائرَ الأُمَمِ

هو وصاحب العسس

وقيل :

مَرَّ صاحبُ العَسس ليلةً بابن عَبدل وهو سَكران محمولٌ فى مِحَفّة ، فقال له : مَن أنت ؟ فقال : يا بَغِيض ، أنت أعرفُ بى من أن تسألَنى مَن أنا ، اُذهبْ إلى شُغلك فإنك تَعلم أنّ اللُّصوص لا يَخرجون باللّيل للسَّرقة محْمولين فى مِحَفّة ! فضَحك الرجلُ وانصرف عنه .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ما استطعمت » . (٢) هذه رواية الأصل . وجدس : بطن من كندة . وفى بعض أصول الأغانى : «جرش» وهى بطن من حمير . وفى بعض آخر : «جرش» . وهو اسم لعدة قبائل .

تفضيل الحجاج له على الشعراء

وقيل :

اُجتمع الشُّعراء عند الحجّاج بن يُوسف ، وفيهم اُبنُ عَبْدل ، فقالوا : إنما شِعر اُبن عَبْدل كُلّه هُجر وسَخْف . فقال له : سمعتَ قولهم فاستمعْ منّى . قال : هات . فأَنشده قولَه :

وإنّى لأَسْتَغنِى فما أبْطَرُ الغِنَى وأَعْرِضُ مَيْسُورى لمن يَبْتَغى قَرْضِى

وأُعْسِر أحيانًا فتَشْتدُّ عُسْرتى فأُدْرِكُ مَيْسورَ الغِنَى ومَعى عِرْضى

حتى اُنتهى إلى قوله :

ولستُ بذى وَجْهَيْن فيمن عرفْتَه ولا البُخْلُ فاُعلَمِن سَمائِى ولا أَرْضِى

فقال له الحجاج : أحسنتَ ! وفضَّله فى الجائزة عليهم بألف درهم .

والشِّعر الذى يُغَنَّى فيه لاُبن عبدل واُفتتح به أبو الفرج أَخباره ، هو :

لقد حَثُّوا الجِمالَ ليهـ ـرُبُوا منّا فلم يَئِلُوا

على آثارهنّ مُقَـ ـلَّصُ السِّربال[1] مُعْتَمِلِ

وفيهم قَلْبُك المَتْبو ل بالحسناء مُخْتَبَل

(١) مقلص : قد تشمر وارتفع . ومعتمل : قد أعمل نفسه .

أخبار قيس بن الخطيم

اسمه وكنيته

هو قَيْس بن الخطيم بن عدىّ بن عمرو بن سُود بن ظَفَر . ويُكْنى أبا يزيد .

خبر أخذه بثأر أبيه وجده

وكان أبوه قُتِل وهو صَغير ، قَتله رجلٌ من بنى حارثة بن الحارث ، يقالُ له : مالك . قَتله غِيلةً . وكان عدىّ أبو الخطيم قَبل ذلك قَتله رجلٌ من عبد القَيس . فلما بلغ قَيْسُ بن الخطيم وعَرف أخبار قَومه وموضعَ ثأره ، لم يَزل يلتَمِس غِرَّةً من قاتل أبيه وجدّه فى المَواسم ، حتى ظَفر بقاتل أبيه بيَثْرِبَ فقَتله ، وظَفر بقاتل جدّه بذى المَجاز[1] . فلما أَصابه وَجَده فى رَكْب عَظِيم من قَومه ، ولم يكن معه إلا رَهْط من الأَوس . فَخَرج حتى أَتى حُذَيفةَ بن بَدْر الفَزارىّ ، فاستنجده ، فَلم يُنْجده . فأَتى خِدَاش بن زُهير ، فَنَهض معه ببَنِى عامر حتّى أتَوْا قاتلَ عدىّ ، فإذا هو واقفٌ على راحلة فى السُّوق ، فَطَعنه قيسٌ بحَرْبة فقتله ، فأَراده رَهْطُ الرَّجل ، فحالتْ بنو عامر دونه . فقال فى ذلك قَيْسُ بن الخطيم :

ثأرتُ عَديًّا والخَطِيمَ فلم أُضِعْ ... وِلايةَ أشياخٍ جُعلتُ[2] إزاءَهَا
ضَربتُ بذى الزِّرَّيْن رِبْقة[3] مالكٍ ... فأُبْتُ بنفسٍ قد أصبتُ شِفاءها
وسامحنى[4] فيها ابن عُمرو بنِ عامرٍ ... خِـداشٌ فأدّى نِعْمةً وأَفاءها
طعنتُ ابن عبد القَيْس طَعْنةَ ثائرٍ ... لها نَفَذٌ لولا الشُّعاع[5] أضاءها

---

(١) ذو المجاز : موضع بعرفه : كانت تقام فيه فى الجاهلية سوق من أسواق العرب .
(٢) أى جعلت القيم عليها .
(٣) بذى الزرين ، يعنى سيفه . والزر : حد السيف . والربقة : العروة . يريد موضعها ، وهو العنق . (٤) سامحنى : وافقنى .
(٥) النفذ : الثقب . والشعاع ، بضم الشين : حمرة الدم ، وبالفتح : انتشاره .

مَلَكْتُ بها كَفِّى وأَنْهَرْتُ[١] فتقْها   يَرَى قائمٌ مِن دُونِها ما وراءَها

وذُكر أنّ أمّ قيس كانت خَشِيت على ابنها أن يخرُج فيطلُب بثأر أبيه وجدّه فيهلِك ، فعمدتْ إلى كُومة تُراب عند بابهم فوضَعتْ عليها أحجاراً وجعلت تقول لقيس : هذا قبر أبيك وجدّك . فكان قَيس لا يشُك أنّ ذلك كذلك . ونَشأ أيِّداً شديدَ الساعدَيْن ، فنازع يوماً فتًى من فِتيان بنى ظَفَر ، فقال له ذلك الفتى : والله لو جعلتَ شدّةَ ساعدَيْك على قاتل أبيك وجدّك لكان خيراً لك من أن تُخرِجَها علىّ ! قال : ومَن قاتل أبى وجدّى ؟ قال : سل أُمك تُخْبِرْك . فأخذ السيفَ فوضع قائمه على الأرض وذُبَابَه[٢] بين ثَدْيِيه ، ثم قال لأُمه : أخبرينى مَن قَتل أبى وجدّى . قالت : ماتَا كما يموت الناسُ ، وهذان قبْراهما بالفِناء . فقال : والله لتُخْبِرِينّى مَن قَتلهما أو لأتحامَلَنّ على هذا السيف حتى يَخْرُج من ظَهرى . فقالت : أمّا جدُّك فقتله رجلٌ من بنى عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر ابن صَعْصعة ، يقال له : مالك . وأمّا أبوك فقَتله رجلٌ من عبد القيس ممّن يسكُن هَجَر . فقال : والله لا أنتهى حتى أقتُلَ قاتل أبى وجدّى . فقالت : يا بُنى ، إنّ مالكاً قاتِلَ جدِّك من قومِ خِداش بن زُهير ، ولأَبيك عند خِداش نِعْمةٌ هو لها شاكر ، فأْتِه فاْستَشِرْه فى أمرك واْستَعِنْه يُعِنْك . فخرج قيسٌ من ساعته حتى أتَى ناضِحَه[٣] ، وهو يَسْقِى نخْلَه ، فضَرب الجرِير[٤] بالسَّيف فقطعه ، فسقط الدَّلوُ فى البئر ، فأخذ برأس الجمل فحمل عليه غِرارَتَيْن من تمر ، وقال : مَن يَكْفِينى أمر هذه العَجوز ؟ ـ يعنى أُمّه ـ فإن مِتُّ أنفق عليها من هذا الحائط[٥]

---

(١) ملكت : شددت وضبطت . وأنهرت : أوسعت .

(٢) ذباب السيف : طرفه الذى يضرب به .

(٣) الناضح : البعير يستق عليه الماء .

(٤) الجرير : الحبل .

(٥) الحائط : البستان .

حتى تموت ، ثم هو له . و إن عشتُ فهو عائدٌ إلىَّ وله منه ما يشاء أن يأكل من تمره ؟ فقال له رجل من قومه : أنا له . فأعطاه الحائط ، ثم خرج يسأل عن خِداش بن زُهير ، حتى دُلَّ عليه بَمرِّ الظَّهران[١] ، فأتى إلى خِبائه فلم يجدْه . فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافُه ، ثم نادى امرأةَ خِداش : هَل من طَعام ؟ فأطْلَعتْ عليه ، فأعجبها جمالُه ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، فقالت : والله ما عندنا من بِرّك[٢] مَا نَرضاه لك إلّا تمرا . فقال : لا أبالى ، فأخرجى ما كان عندك . فأرسلت إليه بقُبَاع[٣] فيه تمر . فأخذ منه تمرة فأكل شِقَّها وردَّ شِقَّها الباقى فى القُباع ، ثم أمر بالقُباع فأُدخل على امرأة خِداش بن زُهَير ، ثم ذَهب لبعض حاجته . ورَجع خِداشٌ فأخبرتْه بخبر قَيس ، فقال : هذا رجل مُتحرِّم[٤] . وأقبل قيسٌ راجعاً ، وهو مع امرأته يأكل رُطَبا ، فلما رأى خِداشٌ رِجْلَه ، وهو على بعيره ، قال لامرأته : هذا ضيفُك ؟ قالت : نعم . قال : كأنّ قَدمه قَدمُ الخطيم صديقى اليَثْربىّ . فلما دنا منه قَرَع طُنُبَ البيتِ بسنان رُمْحه ، واستأذن . فأذن له خِداشٌ . فدخل ، فَنَسبه[٥] فانْتسب ، وأخبره بالذى جاء له ، وسأله أن يُعينه و يُشير عليه فى أمره . فرحَّب به خِداشٌ وذكر نِعمة أبيه عنده ، وقال : إنّ هذا الأمر ما زلتُ أتوقّعه منذُ حين ، فأما قاتلُ جدِّك فهو ابن عمٍّ لى ، وأنا أُعينك عليه ، فإذا اجتمعنا فى نادينا جلستُ إلى جَنْبه وتحدّثتُ معه ، فإذا ضربتُ فَخِذه فثِبْ إليه فاقتُله . قال قيس : فأقبلتُ نحوه حتى قمتُ على رأسه لمّا جالَسه خِداشٌ ، فحين ضَرب فخذه ضربتُ عُنقه . فثار إلىّ القومُ ليقتلونى ، فحال خِداشٌ بينهم و بينى وقال : دعُوه فإنّه واللهِ ما قَتل إلّا قاتلَ جدّه .

---

(١) الظهران : واد قرب مكة . ومر : قرية قريبة منه تضاف إليه .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : نزل نرضاه » . والنزل : ما يهيأ للأضياف .

(٣) القباع : المكيال الضخم . (٤) متحرم ، أى له عندنا حرمة وذمة .

(٥) نسبه : طلب إليه أن ينتسب .

ثم دعا خِداشٌ بجَمل من إبله فرَكبه وانطلق مع قَيس إلى العبْدى الذى قَتل أباه ، حتى إذا كان قريباً من هَجر ، أشار عليه خداشٌ أن ينْطلق حتى يسأل عن قاتل أبيه ، فإذا دُلَّ عليه قال له : إنّ لصًّا من لُصوص قومك قد عارَضنى فأخذ متاعاً لى ، فسألتُ : مَنْ سيّدُ قومه ؟ فدُلِلْتُ عليك . فانطلقْ معى حتى تأخُذَ متاعى منه . فإن اتّبعك وحدَه فستنال منه ما تُريد ، وإن خَرج مع غيره فاضحك ، فإن سألك : مِمّ ضَحِكْت ؟ فقل له : إنّ الشَّريف عندنا لا يَصْنع كما صَنعت إذا دُعى إلى اللِّص من قَومه ، إنما يخرج وحدَه بسَوْطه دون سَيفه ، فإذا رآه اللِّص أَعطى كُلَّ شىء أخذ هَيبةً له . فإن أمر أهلَه بالرُّجوع فسبيلُ ذاك ، وإن أبى إلّا أن يَمضُوا معه فأْتنى به ، فإنى أرجو أن نَقْتله ونَقْتل أصحابَه . ونزل خداش تحت ظلّ شجرة ،وخَرج قيسٌ حتى أتى العَبْدىَّ ، فقال له ما أمره خِداش . فأحفظه وأَمر أصحابَه فرَجعوا ، ومَضى مع قيس . فلما طَلع على خِداش ، قال له : اُختر يا قَيس : إمّا أن أُعينك وإما أن أَكْفيك ؟ قال : لا أُريد واحدةً منهما ، ولكن إن قَتلنى فلا يُفْلِتنَّك . ثم نازَله فطعَنه قيسٌ بالحربَة فى خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر ، فمات مكانَه . فلما فَرغ منه قال له خِداشٌ : إنّا إن فَرَرْنا الآن طَلبنا قومُه ، ولكن ادخُل بنا مكاناً قريباً من مَقْتله ، فإنّ قومه لا يَظُنون أنك قتلتَه وأقمتَ قريباً منهم ، ولكنّهم إذا افتقدوه اقتصُّوا أثره ، فإذا وجدوه قتيلاً خَرجوا فى طَلبنا فى كُل وجه ، فإذا يَئسوا رَجعوا . قال : فدخَلا فى داراتٍ من رِمال ، وفُقد العبدىُّ فاقتصّ قومُه أثره ، فوجدوه قتيلاً . فخرجوا يطلبُونهما فى كُل وجه ، ثم رجعوا . فكان من أمرهم ما قال خِداش . وأقاما بمكانهما أيّاما ثم خَرجا ، فلم يتكلما حتى أَتيا منزلَ خِداش ، ففارقه عنده قيسُ بن الخطيم ورَجع إلى أهله .

وهذه الرواية تُفارق الروايةَ الأُولى فى قاتل أبى قَيس وجَدّه .

وقال قيسٌ الأبيات المتقدم ذِكْرها ، من قصيدة طويلة ، منها :

تَذَكَّر ليلَى حُسنَها وصفاءها ... وبانتْ فما إن يستطيع لقاءها

ومِثْلُكِ قدأَصْبيتُ ليست[1] بكَنَّةٍ ... ولا جارةٍ أفضتْ[2] إلىّ خباءها

إذا مااصطبحتُأربعاً خَطَّمِئْزَرى ... وأتبعتُ دَلْوِى فى السَّماح[3] رِشَاءها

إعجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره

ورَوى أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جلس رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّمَ فى مجلس ليس فيه إلّا خَزْرجىٌّ ، ثم استنشدهم قصيدةَ قَيس بن الخطيم :

أتعرفُ رسماً كاطِّراد[4] المَذاهِب ... لِعَمْرةَ وحشاً غيرَ موقِف راكبِ

فأنشَده بعضُهم إيّاها ، فلما بلغ إلى قوله :

أُجالدهم يومَ الحديقة حاسِراً ... كأنّيدى بالسَّيف مِخْراقُ[5] لاعبِ

فالتفت إليهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : هل كان كما ذَكر ؟ فشَهد له ثابتُ بن قَيس بن شَمّاس وقال : والذى بَعثك بالحقّ يا رسولَ الله ، لقد خَرج إلينا يومَ سابع عُرْسه عليه غِلالةٌ ومِلْحفة مُورَّسة[6] فجالدنا كما ذَكر .

استجاد النابغة شعره

وقيل :

قدِمَ النابغةُ الذُّبيانى المدينةَ ، فتقدَّم قيسُ بن الخطيم فَجلس بين يدَيْه ، وذلك

(١) الكنة : امرأة الابن أو الأخ .

(٢) أفضت إلى خباءها ، أى ليس بينها وبينه ستر .

(٣) خط مئزرى ، أى إنه اختال حتى جرثوبه من الخيلاء . وأتبعت دلوى .. الخ : أى إنه يبلغ فى السماح منتهاه .

(٤) المذاهب : جمع مذهب ، وهو جلد تجعل فيه خطوط مذهبة بعضها فى إثر بعض . واطرادها : تتابعها .

(٥) الحديقة : قرية من أعراض المدينة فى طريق مكة . والمخراق : خرقة مفتولة يلعب بها الصبيان ، وهى ما تسمى فى مصر : « الطرة » .

(٦) مورسة : مصبوغة بالورس ، وهو نبت أصفر تصبغ به الثياب .

بعد أن أَنْشد النابغة قصيدةً له[١] ، وقال : أَلَا رجلٌ يُنشد ؟ ثم أنشده قيس :

* أَتعرف رسماً كاطّراد المَذاهِب *

حتى فَرَغ منها . فقال : أَنت أَشعر الناسِ يا بْن أَخى . قال حسّان بن ثابت : فَدَخلنى منه ، و إنّى فى ذلك لأَجد القُوة فى نَفسى عليهما ، ثم تقدَّمتُ فجلستُ بين يديه ، فقال : أَنشِد ، فوالله إنّك شاعرٌ قبل أن تتكلّم ، وكان يعرفنى من قبل ذلك . فأنشدتُه ، فقال : أنت أشعر الناس .

من جماله

وقيل :

كان قيس بن الخطيم مَقْرون الحاجبين ، أدعَج العينين ، أحمرَ الشَّفتين، برَّاق الثَّنايا ، ما رأته حَلِيلة رجل قطُّ إلّا ذَهب عقلُها .

طلب حسان إلى الخنساء هجاءه فأبت

وقيل :

إنَّ حسّان بن ثابت قال للخَنساء : اُهْجِى قيسَ بن الخطيم . فقالت : لا أَهجو أحداً حتى أَراه . فجاءتْه يوماً فوجدتْه فى مَشْربة[٢] مُلتَفًّا فى كِساء له ، فنخستْه برجلها وقالت : قُم . فقام . فقالت : أَدبر . فأَدبر . ثم قالت : أَقبل. فأَقْبل . قال: والله لكأنها تَعْترض عبداً تَشْتريه . ثم عاد إلى حاله ثانياً[٣] . فقالت : والله لا أَهجو هذا أبداً .

شعره فى يوم الربيع

وكانت بين الأوس والخزرج حُروب لم يكُن يومٌ من أيامها أعظمَ من يوم بُعَاث[٤] ، وفيه يقول قَيس بن الخطيم :

« أَجالدهم يومَ الحديقة . . . البيت »

(١) له ، أى للنابغة .

(٢) المشربة : الغرفة التى يشرب فيها .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « نائما » .

(٤) بعاث : موضع فى نواحى المدينة ، وبه كانت هذه الوقعة .

وإنما كانُوا فى غَيره من الأيّام يترامَوْن بالحجارة ، ويتَضاربون بالخشب .

ومن تلك الأيّام اليوم الذى يقال له يوم الرَّبيع[١] . وفى هذا اليوم يقول قَيسٌ الأبياتَ التى فيها الغناء ، وافتتح بها أبو الفرج أخبار قيس ، وهى :

أَجَــدَّ بعَمْرة غُنْيانُها ... فتَهْجُرَ أم شأنُنا[٢] شانُها

فإن تُمْسِ شَطَّت بها دارُها ... وباحَ لك اليومَ[٣] هِجْرانُها

فما رَوضةٌ من رِياض القَطا ... كأنّ المَصابيحَ[٤] حَوْذَانها

بأَحسنَ منها ولا مُزْنةٌ ... دَلُوحٌ تكَشَّفَ[٥] إدْجانها

وعَمْرةُ من سَرَوات النِّسا ... ءِ تنفَحُ بالمِسْك[٦] أرْدانُها

ومنها :

ونحنُ الفوارسُ يومَ الرَّبيـــع قد عَلِموا كيف فُرْسانُها

حِسانُ الوُجوه حِدادُ السيو ... فِ يَبتدِر المجدَ شُبَّانُها

وكان هذا اليوم للأوس على الخزرج ، فلذلك افتخر به قيس . وعَمْرة التى ذَكرها فى شعره ، هى عَمْرة بنت صامت بن خالد ، زوجة حسّان بن ثابت . وكان حسّان ذكر ليلَى بنت الخَطيم فى شعره ، فكافأه قيس بذلك .

حسان وليلى أخت قيس

ذُكر أن حسّان بن ثابت مرّ بليلى بنت الخَطيم ، وقيس أخوها بمكة حين خرجوا يطلبون الحِلْف فى قريش ، فقال لها حسان : اظْعَنى فالْحَقى بالحىّ فقد ظَعَنوا ، وليت شعرى ! ما خَلَّفَكِ؟ وماشأنُكِ؟ أقلَّ ناصرُكِ أم راثَ[٧] رافدُكِ؟ فلم تُكلِّمه وشتمتْه نساؤها . فذكرها فى شعره يوم الرَّبيع الذى يقول فيه حسّان :

---

(١) الربيع : موضع من نواحى المدينة .

(٢) جد : استمر . وغنيانها : استغناؤها . وشأننا شأنها ، أى أم هى على ما نحب .

(٣) شطت : بعدت . وباح : ظهر .

(٤) الحوذان : نبات سهلى حلو طيب الطعم .

(٥) دلوح : ثقيلة . وإدجانها : سوادها .

(٦) الأردان : ما يلى الذراعين جميعاً والإبطين من الكمين .

(٧) راث : أبطأ .

لقد هاج نفسَك أشجانُها وعاودها اليومَ [١] أديانُها
تذكَّرتَ ليلى وأنَّى بها إذا قُطِّعتْ منك [٢] أقرانها
وحَجَّل فى الدّار غِرْبانُها وخَفَّ مِن الدار سُكّانها
وغَيَّرها مُعصِراتُ الرِّياح وسَحُّ الجُنوب وتَهْتانها
مَهاةٌ من العِين تَمْشى بها وتَتْبَعها ثمّ غِزْلانهـا
وقفتُ عليهـا فساءلتُها وقد ظَعن الحىُّ : ما شانها
فعيَّتْ وجاوَبنى دونَهـا بمـا راع قلبىَ أعْوانها

وهى طويلة .

وعَمرة بنت رَواحة هى أمُّ النُّعمان بن بَشير .

غنـاء عزة الميلاء للنعمان بشعره

وقد ذُكر أن النُّعمان بن بَشير قَدِم المدينةَ فى أيام يزيدَ بن مُعاوية وابن الزُّبير فقال : والله لقد أَخْفقتْ [٣] أذناى من الغناء ، فأَسْمِعونى . فقيل له : لو وجَّهت إلى عَزّة فإنها مَن قد عرَفْتَ . فقال : إى وربِّ البِنْية ، إنها لَمن تَزيدُ النَّفس طِيباً ، والعقلَ شَحْذاً ، ابعثوا إليها عن رسالتى ، فإنْ أبتْ صِرْنا إليها . فقال له بعضُ القوم : إن النُّقْلة تشتدّ عليها لِثقَل بَدنها ، وما بالمَدينة دابّةٌ تحملها . فقال النُّعمان : وأين النَّجائب عليها الهَوادج ! فوجَّه إليها بِنَجيب . فذكرتْ علَّة . فلما عاد الرسولُ إلى النُّعمان بن بشير ، قال لجليسه : أنت كنتَ أَخْبَرَ بها ، قُوموا بنا . فقام هو مع خواصّ أصحابه حتى طَرقوها . فأَذِنت وأكرمتْ واعتذرتْ . فقَبل النُّعمانُ عُذْرَها ، وقال : غنِّى . فغنَّته :

أجَــدّ بعَمْرةَ غُنْيانُها فتهجُرَ أَم شأنُنا شانها

فأُشير إليها أنّها أُمه . فسكتتْ . فقال : غنِّى ، فوالله ما ذَكرتِ إلّا كرماً

(١) الأديان : جمع دين ، وهو الداء . يريد : حبه القديم .
(٢) الأقران ، الحبال ، الواحد : قرن . (٣) أخفقت : أوحشت ، لطول العهد .

وطِيباً . لا تغنّيني سائرَ اليوم غيرَه . فلم تزل تُغنّيه هذا اللحنَ فقطْ حتى أنصرف .

قضاء النعمان بين امرأة وزوجها

وقيل : إن النُّعمان بن بَشير لما انصرف من منزل عزَّة ، إذا امرأة بالباب منتظرة له . فلمّا خرج شكتْ إليه غِشْيان زَوجها إيّاها . فقال لها النُّعمان بن بَشير : لأَقْضينّ بينكما بقضيّة لا تُردّ عليّ : قد أُحلّ له من النّساء مَثْنى وثُلاثَ ورُباع ، فله مرّتان بالنّهار ومرّتان[1] باللّيل .

شعر له وخبر الحرب بينهم وبين بنى جحجبى

ومن شعر قَيس بن الخطيم الذى يُغنّى فيه قولُه :

حَوْراء مَمْكورةٌ منعَّمةٌ　　كأنما شفّ وجهَها[2] نُزُفُ

تَنامُ عن كُبْرِ شأنها فإذا　　قامتْ رُويداً تكاد تَنْقَصِف

وهذا الشعر من قصيدة يقولها قَيسٌ فى حربٍ كانت بينهم وبين بنى جَحْجَبى وبنى خَطْمة[3] ولم يَشْهدها قَيس ، ولا كانت فى عَصره ، وإنما أجاب بها شاعراً يقال له : دِرْهم بن يزيد[4] .

وخبر هذه الحرب أن رجلاً من غطفان من بنى ثَعلبة بن سَعد بن ذُبيان بَعث إلى يَثْرب بفرسٍ وحُلَّة مع رجل من غطفان ، وقال : ادْفعهما إلى أعز أهل يَثْرب — وقيل : إنّ الباعث بهما عبدُ ياليل بن عمرو الثّقفى . وقيل : بل عَلْقمة ابن عُلَاثة — فجاء الرسولُ بهما حتى وَرد سوق بنى قَيْنُقاع ، فقال ما أُمر به . فوثب إليه رجلٌ من ثعلب[5] كان جاراً لمالك بن العَجْلان الخَزْرجىّ ، يقال له ، كَعْب الثَّعلبى ، فقال : مالك أعزُّ أهل يثرب . وقام رجل آخر فقال : بل أُحَيحة ابن الجُلَاح أعزُّ أهل يثرب . وكثُر الكلام . فقَبِل الرسولُ الغطفانى قولَ الثّعلبىّ

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « امرأتان . . . وامرأتان » .

(٢) ممكورة : مدمجة الخلق . ونزف ، بالضم وسكن للشعر : خروج الدم . وقيل ، هو بياض اللون مع صفرة . . وفى بعض أصول الأغانى : « ترف » .

(٣) فى بعض الأصول : « حجناء وبنى خطمة » . (٤) فى الأصل : « درهم بن زيد » .

(٥) فى الأصل : « تغلب » . وفى بعض أصول الأغانى : « غطفان » .

الذى كان جاراً لمالك بن العَجْلان ودفعهما إلى مالك . فقال كعب : ألم أقل لكم إن حليفى أعزُّكم وأفضلُكم ، فغَضِب رجلٌ من بنى عمرو بن عَوف يقال له : سُمَير ، فرصد الثَّعلبىَّ حتى قتله . فأُخبر مالك بذلك، فأرسل إلى بنى عمرو بن عَوف ابن مالك بن الأَوْس : إنكم قد قتلتم منّا قتيلا ، فأرسلوا إلينا بقاتله . فلمّا جاءهم رسولُ مالك تَرامَوْا به . فقالت بنو زيد : إنما قتلتْه بنو جَحْجبى . وقالت بنو جَحجبى : إنما قتلتْه بنو زيد . ثم أرسلوا إلى مالك : إنه قد كان فى السوق التى قُتل فيها صاحبُكم ناسٌ كثير ، ولا يُدرى أيّهم قتله . فأمر مالكٌ أهلَ تلك السوق أن يتفرّقوا ، فلم يَبْق فيها غيرُ سُمَير وكَعب . فأرسل مالك إلى بنى عمرو ابن عَوْف بالذى بَلَغه من ذلك ، وقال : إنما قَتله سُمير ، فأَرْسلوا به إلىَّ أقتلْه . فأرسلوا إليه : إنه ليس لك أن تقتُل سُميراً بغير بيّنة ، وكثُرت الرُّسل بينهم فى ذلك : يسألهم مالك أن يُعطوه سُميرا ، و يأبَوْن أن يعطوه إياه . ثم إنّ بنى عمرو بن عَوف كرهوا أن يُنْشِبوا بينهم و بين مالك حرباً ، فأرسلوا إليه يَعْرِضون عليه الدِّية ، فقبلها . فأرسلوا إليه : إنّ صاحبكم حليف وليس لكم فيه إلا نصفُ الدِّية، فغضب مالك وأبى أن يأخذ فيه إلّا الدية كاملة أو يقتل سُميرا . فأبت بنو عمرو بن عوف أن يُعْطوه إلّا ديةَ الحليف ، وهى نصف الدِّية ، ثم دعَوْه أن يحكَّم بينهم و بينه عمرو بن أُمرىء القيس ، أحد بنى الحارث بن الخزرج، وهو جدّ عبد الله بن رَواحة رضى الله عنه ، ففعل . فانطلقوا حتى جاءوه فى بنى الحارث بن الخَزْرج، فقضى على مالك بن العَجْلان أنه ليس له فى حليفه إلا دية الحليف ، وأبى مالك أن يرضَى بذلك، وآذن بنى عمرو ابن عَوف بالحرب ، واُستنصر قبائلَ الخزرج . فأبت بنو الحارث بن الخزرج أن تنصُره غضباً حين ردّ قضاءَ عمرو بن أُمرىء القيس . فقال مالك يذكُر خِذْلان بنى الحارث بن الخزرج له وحَدَبَ بنى عمرو بن عوف على سُمَير ، ويحُضّ بنى النّجار على نُصرته :

إنّ سُمَيراً لدى[1] عشيرته | قد حَدِبوا دونه وقد أَنِفُوا
إن يكن الظنُّ صادقاً ببنى النّـ | ـجار لا يَطْعَموا الذى[2] عُلِفوا
لا يُسْلِمونا لمعشرٍ أبداً | ما دام منّا ببَطْنها[3] شَرَف
لكنْ مَوالىَّ قد بدا لهمُ | رأىٌ سِوَى ما لدىّ أو ضَعُفُوا
بين بنى جَحْجبى وبين بنى | زَيْدٍ فأنّى لجارِكَ التّلَف
يمشُون فى البَيْض والدُّروع كما | تمشى جمالٌ مَصاعبٌ[4] قُطُف
كما تَمَشَّى الأُسود[5] فى رَهَج الْـ | ـموت إليهم[6] وكلُّهم لَهِف

وقال دِرْهم بن يزيد، أخو سُمير، فى ذلك :

يا قومِ لا تقتلوا سُمَيراً فإنّ الـ | ـقتلَ فيه البَوارُ والأَسَفُ
إنْ تقتلوه تَرِنَّ[7] نِسْوتُكم | على كريمٍ ويَفزَعِ السَّلَف
إنّى لعمرُو الذى يَحُجّ له النّـ | ـاس ومَن دون بَيته[8] سَرِف
يَمينُ بَرٍّ بالله مُجتهدٍ | يَحْلِف إن كان ينفع الحَلِف
لا يَرفع العبدَ فوق سُنَّته | ما دام منّا ببَطْنها شَرَف

وقال دِرْهم فى ذلك :

يا مالِ لا تَبغِين ظُلامَتنا | يا مالِ إنّا مَعاشِرٌ أُنُفُ
يا مالِ والحقُّ إن قَنِعْتَ به | فينا وفيه لأمرنا نَصَف

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أرى » .
(٢) علف الضيم : أقر به . (٣) الشرف : الشريف .
(٤) البيض : جمع بيضة ، وهى ما يلبس على الرأس كالخوذة ، للوقاية فى الحرب . والمصاعب : جمع مصعب ، وهو الفحل الذى لم يركب ولم يمسه حبل حتى صار صعباً . والقطف : السريع الخطو .
(٥) الرهج : الغبار . (٦) فى بعض أصول الأغانى : « إليه » مكان « إليهم » .
(٧) ترن : ترفع أصواتها بالبكاء .
(٨) سرف : على ستة أميال من مكة ، تزوج به رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث ، وهناك بنى بها ، وهناك توفيت .

إنّ سُمَيراً[1] عبدٌ فخُذ ثَمناً فالحقُّ يُوفَى به ويُعترف
ثم اعلَمنْ إنْ أردتَ ضَيمْ بنى زَيدٍ فإنّى ومَن له الحَلِف
لأُصبِحَن دارَكم بذى لَجَبٍ جَوْنٍ له من أمامه[2] عزَف
البَيْض حِصْنٌ لهم إذا فزِعوا وسابغاتٌ كأنّها[3] النُّطَف
والبيضُ قد ثُلِّمت مَضاربُها بها نفوسُ الكُماةِ تُختَطف
كأنّها فى الأَكُفّ إذ لَمَعتْ وَميض برقٍ يَبْدو ويَنكشِف

وقال قَيسُ بن الخطيم فى ذلك، ولم يُدْركه، وإنما قاله بعد انقضاء هذه الحرب بزمان :

رَدَّ الخليطُ الجِمالَ فانْصرفوا ماذا عليهم لو أنهم وقَفُوا
فيهم لَعُوب العِشاء آنسةُ الـ دَّلّ عَرُوب[4] يَسُوءها الخُلُف
حَوْراء جَيْداء يُسْتضاء بها كأنّها خُوطُ بانةٍ[5] قَصِف

ومنها البيتان اللذان تقدّم ذكرها . ومنها :

نَفْلى بحَدّ الصَّفيح هامَهمُ وفَلْيُنا هامَهم بها[6] عُنُف
إنّ بنى عَمِّنا طَغَوْا وبَغَوْا ولَجَّ منهم فى قومِهم سَرَف

فقال حسَّان بن ثابت، ولم يُدْرك ذلك، يَرُدّ على قيس :

ما بالُ عَيْنيك دَمْعُها يَكِفُ مِن ذكر خَوْدٍ شَطَّت بها[7] قُذُفُ

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بجير » .
(٢) العزف، بالفتح، وحرك للشعر : الصوت .
(٣) النطف، جمع نطفة، وهى اللؤلؤة الصافية اللون وقطرة الماء . تشبه بها الدروع لصفائها .
(٤) لعوب العشاء : تسمر مع السمار وتلهو . والعروب : الحسناء المتحببة إلى زوجها .
(٥) حوراء : ذات حور، وهو سعة العينين . وجيداء : طويلة العنق . والخوط : الغصن .
(٦) فلاه بالسيف : علاه . والصفيح : السيوف العريضة، الواحد : صفيحة . وعنف، يريد أن قتلنا إياهم عنف منا لأنهم قومنا وبنو عمنا . (٧) قذف : بعيدة .

بانتْ بهــا غَرْبةٌ تؤُمّ بهــا　　أرضاً سِوانا والشّــكل مُخْتَلِفُ
ما كنتُ أدْرى بوَشْك بَيْنِهِمُ　　حتى رأيتُ الحُــدوج تَنْقَذِف
دَعْ ذا وعَــدِّ القَرِيض فى نفر　　يَرْجُون مَدْحى ومَدْحِىَ الشَّرَف
إن تَدْعُ قَومى للمَجْـد تَلْفِهِمُ　　أهل فَعَالٍ يَبْـدو إذا وُصِــفوا
إنّ سُمَيراً عبـــدٌ طَغَى سَفَهاً　　ســـاعده أعبُدٌ لهم[1] نطَف

ثم أرسل مالكُ بن العَجْلان إلى بنى عمرو بن عَوْف يُؤْذِنهم بالحرب و يَعِدهم يوماً يلتقون فيــه ، وأمر قومه فتهيَّأوا للحرب ، وتحاشــد الحيَّان بعضهم لبعض ، وكانت يهود قد حالفتْ قبائل الأوس والخزرج ، إلّا بنى قُرَيظة و بنى النَّضير ، فإنهم لم يُحالفوا أحداً منهم حتّى كان هذا الجمع ، فأرسلت إليهم الأوسُ والخزرج ، كُلٌّ يدعوهم إلى نفسه ، فأجابوا الأوس وحالفوهم ، والتى حالفت قُرَيظةُ والنضير من الأوس أوس الله ، وهى خَطْمةُ وواقِف وأُميةُ ووائل ، فهذه قبائل أوس الله .

ثم زَحف مالكٌ بمن معــه من الخزرج ، وزحفت الأوس بمن معها و بحُلفائها من قُرَيظة والنَّضير ، فالتقَوْا بفضاء كان بين سالِمٍ وقُباء ، فــكان أوّلَ يوم التقَوْا فيه . فاقتتلوا قِتالاً شــديداً ، ثم انصرفوا وهم مُنْتَصِفون جميعاً . ثم التقَوْا مرةً أُخْرى عندأُطم بنى قَيْنُقاع . فاقتتلوا حتى حَجز الليلُ بينهم ، فــكان الظَّفر يومئذ للأَوس على الخزرج . فقال أبو قَيْس بن الأَسْلت فى ذلك :

لقــد رأيتُ بنى عَوْفٍ[2] فما وَهَنوا　　عنــد اللِّقــاء ولا هَمُّوا بتــكذيبِ
ألا فِــدًى لهمُ أُمِّى وما ولدتْ　　غَداةَ يَمْشُونَ إرقالَ[3] المَصاعيب
بكُل سَلْهبةٍ[4] كالأَيْم[5] ناميــةٍ　　وكُلِّ أَبيضَ ماضِى الحدِّ[6] مخْشوب

---

(١) النطف : القرط . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « عمرو » .
(٣) الإرقال : ضرب من العدو . والمصاعيب ، أراد « مصاعب » جمع مصعب ، وهو الفحل الذى لم يمسسه حبل ولم يركب ، فزاد الياء .
(٤) السلهبة : الطويل من الخيل ، والأيم : الثعبان الذكران من الحيات ، وهى التى لاتضر أحدا .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « ماضية » مكان « نامية » . (٦) مخشوب : مصقول .

فلبثت الأوسُ والخزرج مُتحاربَيْن عِشرين سنةً فى أمر سُمير ، يتعاودون القتالَ فى تلك السِّنين . وكانت لهم فيها أيّام ومواطن لم تُحفظ . فلما رأت الأوس طُول الشَّر ، وأنَّ مالكاً لا يَنْزِع[1] ، قال لهم سُويد بن صامت الأوسىّ ، وكان يُقال له الكامل فى الجاهليّة — وكان الرَّجلُ عند العرب إذا كان شاعراً شُجاعاً كافياً سابحاً رامياً سمَّوه الكاملَ . فكان سويد أحد الكملة — : يا قومى ، أَرْضُوا الرَّجل من حليفِه . ولا تُقيموا على حَرب إخوتكم فيقتلَ بعضُكم بعضاً ، ويطمع هذا فيكم غيرُكم ، وإن حملتم على أنفسكم بعضَ الحَمْل . فأرسلت الأوسُ إلى مالك ابن العَجْلان يَدْعونه إلى أن يحكُم بينه وبينهم ثابتُ بن المُنذر بن حَرام ، أبو حسّان ابن ثابت . فأجابهم إلى ذلك . فخرجوا حتى أتوا ثابت بن المُنذر ، وهو فى البئر التى يقال لها سُمَيحة[2] . فقالوا : إنَّا قد حكَّمناك بيننا . فقال : لاحاجةَ لى فى ذلك . قالوا : ولِمَ ؟ قال : أخاف أن تَردُّوا حُكمى كما ردَدْتُم حكم عَمرو بن أمرىء القَيس . قالوا : فإذن لا نَرُدّ حُكمك ، فاحكُم بيننا . قال : لا أحكم بينكم حتى تُعطونى مَوْثقاً وعهداً لتَرْضوُنّ بحُكمى وماقضيتُ ولَتُسْلِمُنّ له . فأعْطوه على ذلك عُقودهم ومواثيقَهم ، فحَكم أن يَدُوا حليفَ مالك ديةَ الصَّريح[3] ، ثم تكون السُنةُ بعده على ما كانت عليه : الصَّريحُ على ديته والحليف على ديته ، وأن تُعَدَّ القَتْلى الذين أصاب بعضُهم من بعض فى حربهم ، ثم يكون بعضٌ ببعض ، ثم تُعطى الدية لمن كان له فَضل فى القَتْلى من الفريقين . فرَضى مالكٌ بذلك وسلَّمت الأوس ، وتفَرقوا على أن على بنى النّجار نِصْفَ دية جارِ مالك معونةً لهم ، وعلى بنى عمرو بن عوف نِصْفها . فرأت بنو عمرو بن عَوف أنهم لم يُخْرِجوا إلا الذى كان عليهم . ورأى مالك أنه قد أدرك ما كان يطلُب . ووُدى جارُه دية الصَّريح . ويقال : بل الحكم المُنْذر أبو ثابت .

(١) لا ينزع : لا يكف. (٢) سميحة ، بالتصغير ، وبفتح السين : بئر بالمدينة .
(٣) الصريح : الرجل الخالص النسب .

مقتل قيس بن الخطيم

قتلته الخزرج فقتل به قومه أبا صعصعة

لمّا هدأت الحربُ بين الأوس والخزرج ، التى كانت فى أيّام قَيس ، تذكّرت الخزرجُ قَيس بن الخطيم ونِكايتَه فيهم ، فتآمروا وتواعدوا قتله ، فخرج عشيةً من منزله بين مُلاءتَيْن يُريد مالاً له ، حتى مَرّ بأُطم[1] بنى حارثة . فرُمى من الأُطم بثلاثة أسهم ، فوقع أحدُها فى صَدره ، فصاح صيحةً أسْمعها رهطَه ، فجاءوا فحملوه إلى مَنزله . فلم يرَوْا له كُفئاً إلّا أبا صَعصعة يزيدَ بن عَوْف بن مُدْرك[2] النجّاريّ . فاندسّ إليه رجلٌ حتى اُغتاله فى منزله ، فضرَب عُنقه واُشتمل على رأسه ، فأتى به قيساً وهو بآخر رَمق ، فألقاه بين يديه وقال : يا قيس ، قد أدركتُ بثأرك . فقال : عَضَضْتَ بأيْرِ أبيك إن كان غيرَ أبى صَعصعة ! قال : هو أبو صَعصعة ، وأراه الرّأسَ . فلم يلبث قَيس بعد ذلك أن مات .

وكان مَقْتلهُ قبل هِجرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة .

(١) الأطم : الحصن . (٢) فى الأصل : « بن مبدول » .

أخبار طويس

اسمه وكنيته ولقبه

وهو عيسى بن عَبد الله . وكُنيته أبو عبد المُنعم . وغَيّرها المُخنَّثون فجعلوها ، أبا عبد النَّعِيم .

وهو مولَى بنى مَخْزوم .

وطُوَيس ، لَقب غَلب عليه .

شيء عن غنائه وخلقه وعلمه

وهو أوّل من غَنَّى بالعربيّة فى المدينة . وأوّل من أَلْقى الخَنَث بها . وكان أحولَ طويلاً . وكان لا يضْرب بالعُود ، إنما ينْقُر بالدفّ . وكان ظريفاً عالمًا بأَمر المدينة وأنساب أهلها . وكان يُتَّقَى للسانه .

من شؤمه

وذُكر أنه وُلد يومَ تُوفِّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وفُطِم يوم تُوفِّى أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه ، وخُتِن يوم قُتل عُمر رضى الله عنه ، وزُوِّج يوم قُتل عثمان رضى الله عنه ، ووُلد له يومَ قُتل علىّ رضى الله عنه . وقيل : وُلد له يوم مات الحسن بن علىّ عليهما السلام .

عن أمه

ورُوى عنه أنه قال : كانت أُمى تَمشى بين نساء الأَمصار بالنَّميمة .

تسميته بالذائب

وقيل : أوّل غِناء غنّاه :

كيف يأتِى من بَعيدٍ ... وهو يُخْفيه القَريبُ

نازحٌ بالشأم عنّا ... وهو مِكْسال هَيُوب

قد براني الحبُّ حتى ... كِدْتُ من وَجْدى أَذُوب

فسُمِّى « الذائب » لذلك .

هيت المخنث وبادية بنت غيلان

وذُكر أنَّ هِيت المُخنَّثَ قال لعبد الله بن أبى أُميَّة المَخزومى، وهو أخو أُم سَلَمَة زَوْج النبىِّ صلّى الله عليه وسلّم، والنبىُّ صلّى الله عليه وسلّم يُحاصر الطائفَ: إن فتح الله عليكم الطائفَ فسلِ النبىَّ صلّى الله عليه وسلّم بادية بِنْت غَيْلان بن سَلَمة ابن مُعتِّب، فإنها هَيفاء شَمُوع[١] نجْلاء، إن تكلّمت تغنّت، و إن قامتْ تثنّت، تُقبل بأربع وتُدْبر بثمان[٢]، مع ثَغر كأنه الأُقْحوان، و بين رجليها كالإناء المُكْفأ. كما قال قيسُ بن الخطيم:

تغترق الطرفَ وهى لاهيةٌ ... كأنما شفَّ وجهَها نُزُفُ[٣]

بين شُكول النِّساء خِلْقتُها ... قصْدٌ فلا جَبْلةٌ ولا قَضَفُ[٤]

فقال النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم: لقد غلْغلت النَّظرَ يا عدوَّ الله! ثم جَلاه عن المدينة إلى الحِمّاء[٥]. فلما فُتحت الطائفُ تزوَّجها عبدُ الرحمن بن عَوف رضى الله عنه، فولدتْ له بُريهة. ولم يزل هِيتٌ بذلك المكان حتى تُوفِّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، فلمّا وَلِى أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه كُلِّم فيه، فأَبى أن يرُدَّه. وقال: إن رأيتُه ضربت عُنقه. فلما وَلى عُمر رضى الله عنه كُلِّم فيه. فأَبى أن يردَّه. فلمّا ولى عثمان رضى الله عنه كُلِّم فيه. فأبى أن يرُدَّه. فقيل له: إنّه كَبِر وضعُف واُحتاج. فأَذِن له أنْ يدخُلَ فى كُل جُمعة فيسأل ويَرْجع إلى منزله.

وكان هيتٌ مولًى لعبد الله بن أبى أُميَّة بن المُغيرة، وكان طُويس له، فمن ثَمَّ قيل: الخِنث.

(١) الشموع: اللعوب الضحوك. (٢) يريد أن عكن بطنها إذا أقبلت أربع وإذا أدبرت ثمان.

(٣) تغترق، أى تشغلهم بالنظر إليها عن النظر إلى غيرها بحسنها. وشفه: جعله رقيقاً بادى المحاسن. والنزف، بالضم، وحرك للشعر: الاسم من نزف الدم، إذا أخرجه كثيراً حتى يضعفُ صاحبه، والنزف: الضعف الحادث عن ذلك. وقيل: النزف، ها هنا: الجرح الذى ينزف عنه دم الإنسان. يريد أنها رقيقة المحاسن حتى كأن دمها منزوف.

(٤) الشكول: الضروب، الواحد: شكل، بالفتح. وجبلة: غليظة. وقضف: دقيقة قليلة اللحم. (٥) الحماء: جبل بالمدينة على ثلاثة أميال من العقيق.

من إغرائه بين الأوس والخزرج

وقيل : كان طُويس ولعاً بالشِّعر الذى قالته الأوس والخزرج فى حُروبهم ، وكان يُريد بذلك الإغراءَ بينهم ، فقلَّ مجلسٌ أجتمع فيه هذان الحيَّان فغنَّى فيه طُويس إلا وقع فيه شىء ، فنُهِى عن ذلك ، فقال : والله لا تركتُ الغناءَ بشعر الأنصار حتى تُوسِّدونى التراب ؛ وذلك لكثرة تولُّع القوم به . وكان يُبْدى السرائرَ ويُخرج الضمائر(١) ، فكان القوم يتشاءمون به . وكان يُستحسن غناؤه ولا يُصبر عن حديثه . فغنَّى يوماً بشعر قيس بن الخطيم ، حتى بلغ قولَه :

أَبلغْ بني جَحْجَبي وقومَهمُ خَطْمَـةَ أنّا وراءهم أُنُفُ

فتكلّموا وانصرفوا ، وجرتْ بينهم دماء ، وانصرف طُويس من عندهم سَالِماً لم يُكلَّم ولم يُقل له شىء .

حديث نزول عبد الله بن جعفر به فى إخوان له

وقيل : كان عبدُ الله بن جَعفر بن أبى طالب معه إخوان له(٢) فى عَشيَّة من عشايا الرَّبيع، فراحت عليهم السماءُ بمطر جودٍ فأَسال كُلَّ شىء . فقال عبد الله : هل لكم فى العَقيق ؟ وهو مُتنزَّه أهل المدينة فى أيّام الرّبيع والمطر . فركبوا دوابَّهم ثم انتهَوْا إليه ، فوقفوا على شاطئه وهو يرْمى بالزَّبَد مثل مدِّ الفُرات . فإنهم لينظُرون إليه إذ هاجت السماء . فقال عبدُ الله لأصحابه : ليس معنا جُنَّة نَسْتجنُّ بها . وهى سماء خليقة أن تبُلَّ ثيابَنا ، فهل لكم فى منزل طُوَيس فإنه قريبٌ منّا فنستكنَّ فيه ويحدِّثنا ويُضحكنا ؟ قال : وطُويس فى النظّارة يَسمع كلامَ عبد الله بن جعفر . فقال له عبدُ الرحمن بن حسّان بن ثابت : جُعلت فداكَ ! وما تُريد من طُويس؟ عليه غَضبُ الله ! مخنَّثٌ شائن لمن عَرفه . فقال له عبد الله : لا تقُل ذاك ، فإنّه مَليح خَفيف لنا فيه أُنس . فلمّا استوفى طويسُ كلامَهم تعجَّل إلى منزله فقال لامرأته : وَيحَكِ ! قد جاء عبد الله بن جعفر سيِّدُ الناس ،

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الضغائن » .
(٢) فى الأصل : « أحداث » مكان « إخوان له » .

فما عندكِ ؟ قالت : نذبح هـذه العناق(١) — وكانت عنـدها عُتَيِّقة قد ربّتها للّبن(٢) — ونختبز رُقاقاً . فبادر فذبحها واختبزت هي . ثم خَرج فتلقّاه مُقبلاً إليه . فقال له طُويس: بأبي أنتَ وأُمي هذا المطر ! فهل لك في المَنزل تستكنُّ فيه إلى أن تكُفَّ السماء ؟ قال : إيّاك أُريد . قال : فامضِ على بَركة الله . وجاء يمشي بين يديه حتّى نزلوا ، فتحدّثوا حتى أدرك الطعام . فقال : بأبي أنت وأُمي ! تُكرمني إذا دخلت منزلى بأن تعشى عندى . قال : هاتِ ما عنـدك . فجاءه بعناقٍ سَمينة ورُقاق. فأكل القوم حتى شَبعوا وأعجبه طِيبُ طعامه . فلما غَسلوا أيديهم قال : بأبي وأُمي ! أَتَمشّى لك(٣) وأُغنيك ؟ قال : افعـل يا طويس . فأخذ مِلْحفةً فأتّزر بها وأَرخَى لها ذَنَبين ، ثم خذ المُرَبَّع(٤) فتمشّى وأنشأ يغنِّي :

يا خليلِي نابنى سُهـدى	لم تـنَم عيِني ولم تَـكَدِ
فَشرابى ما أُسِيغ وما	أشتكَى ما بى إلى أحـد
كيفتَلحون(٥)علىرجُلٍ	آنسٍ تلتـذُّه كـبِدِى
مثلُ ضوء البـدرِ صُورته	ليس بالزُّمَّيـلة(٦) النَّـكد

فطرب القوم وقالوا : أحسنتَ والله يا طُويس ! ثم قال : يا سيدى ، أتدرى لمن هذا الشعر ؟ فقال : لا والله ، لا أدرى لمن هو ؟ إلّا أنى سمعتُ شعراً حسناً . قال : هو لفارعة بنت ثابت أختِ حسّان بن ثابت ، وهى تتعشّق عبدَ الرحمن ابن الحارث بن هشام المَخزومى ، وتقول فيه هذا الشعر . فنكّس القومُ رءوسَهم . وضَربَ عبدُ الرحمن بن حسّان برأسه على صدره ، فلو شُقّت الأرض لدخل فيها .

---

(١) العناق : الأنثى من ولد المعز . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « باللبن » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « معك » .

(٤) المربع : يريد دفا . وسيأتى ذكر ذلك (ص ٣٢٧) من هذا الجزء .

(٥) تلحونى : تلومنى وتعذلنى .

(٦) الزميلة : الرذل الجبان الضعيف ، يتزمل فى بيته خوفاً وجبناً .

هو وجارية تبعها فزجرته

وقيل : إنّ طويساً تَبع جارية ، فراوغته فلم ينقطع عنها . فوقفت على مجلس لقوم ثم قالت : ياهؤلاء ، لى صديق ولى زَوج ومولًى يَنكحوننى . فسلُوا هذا مايُريد منى ؟ فقال : أُضيِّق ما وسَّعوه . ثم جعل يُغنِّى :

أَفِقْ يا قلبُ عن جُمْلٍ ... وجُملٌ قطَّعت حَبْلِى
وكيف يُفيق محزونٌ ... بجُمْلٍ هائمُ العقلِ
بَراه الحُبّ فى جُملٍ ... فحَسبى الحبُّ من ثِقْلِ
وحَسبى فيكِ ما أَلقى ... من التَّفْنيد والعَذْلِ
وقد وَبَّخنى فيها ... فلم أَحْفِل بهم أَهلى

هو والرجل المسحور

وحكى بعضُهم قال :

خَرجنا فى سَفر ومعنا رجل ، فانتهينا إلى وادٍ ، فدعَوْنا بالغَداء . فمدَّ الرجُل يدَه إلى الطعام فلم يقدِر عليه ، وهو قبل ذلك يأكل معنا فى كُل منزل . فخرجنا نسأل عن حاله . فلقينا رجلاً طويلاً أحولَ مضطربَ الخَلْق فى زىّ الأَعراب ، فقال لنا : ما لكم ؟ فأنكرنا سؤالَه لنا . فأَخبرناه خبرَ الرجل . فقال : ما اسمُ صاحبكم ؟ فقلنا : أسد[١] . فقال : هذا وادٍ قد أُخِّذت[٢] سِباعُه ، فارحلوا ، فلو قد جاوزتم الوادى استمرّ[٣] صاحبكم أسدٌ وأَكل . فقُلنا فى أنفسنا : هو[٤] من الجِنّ ، ودخلتنا فَزْعة . ففهِم ذلك وقال : ليُفرِخ رَوْعكم[٥] فأنا طُويس . فقال له بعضُ من معنا من بنى غِفار — أو من بنى عَبْس — : مرحباً بك يا أبا عبد النَّعيم ، فما هذا الزّىّ ؟ فقال : قد دَعانى بعضُ أودَّائى من الأعراب فخرجتُ إليهم ،

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أسيد » .
(٢) أخذت : سحرت .
(٣) استمر : قوى واستقام أمره .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « هذا » .
(٥) ليفرخ روعكم : ليذهب رعبكم وفزعكم .

وأحببتُ أن أتخطّى الأحيــاء فلا يُنْــكرونى . فسألت الرجل أن يغنِّينا . فاندفع ونَقر بدُفٍّ كان معه مُربَّع . فلقد خُيِّل إلىّ أنّ الوادى ينْطق معه حُسناً ، وتعجّبنا من عِلْمه وما أخبرنا به من أمر صاحبنا .

وكان الذى غنَّى به فى شِعر عُروة بن الوَرْد فى سَلْمى امرأته الغِفاريّة ، حيث رَهنها على الشراب ، وهو :

سَــقَوْنى الخمرَ ثم تكنّفونى ... ألا للهِ[1] من كَذِب وزُورِ
وقالوا لستَ بعــدَ فداء سَلْمَى ... بمُغْنٍ ما لديك ولا فَقــير
فلا واللهِ لو مُلِّــكْتُ أمرى ... ومَنْ لى بالتــدبُّر فى الأُمور
إذاً لعصيتُهم فى حُبّ سَــلْمَى ... على ما كان من حَسَك[2] الصُّدور
فيا للنّاس كيف غُلِبْتُ أمرى ... على شىء ويكرهُــه ضَميرى

حــديث عروة وامرأته سـلمى الغفارية

ثم ذكر أبو الفرج سَبب هذه الأبيات ، فقال :

لمـا غزا رسولُ الله صلّى الله عليــه وسلّم بنى النَّضير من اليهود وأجلاهم عن المدينة ، خَرجوا يُريدون خَيْبر يَضربون بالدُّفوف ويَزْمُرون بالمَزامير ، وعلى النِّساء المُعصْفراتُ وحُلِىُّ الذَّهب ، مُظْهرين بذلك تجلُّداً ، ومرَّتْ فى الظُّعن[3] يومئــذٍ سَــلمَى امرأة عُروة بن الوَرد ، وكان عُروة حَليفاً فى بنى عمرو بن عَوْف ، وكانت سَلمى من بنى غفار ، فسباها عُروة من قومها ، وكانت ذات جمال فولدتْ له أولاداً . وكان شديدَ الحُبّ لها ، وكان ولدُه يُعيَّرون بأُمهم ويُسَمَّوْن بنى الأَخيــذة ، أى السبيَّة . فقالت : ألا ترَى ولدك يُعــيَّرون ! قال : فماذا ترَيْن ؟ قالت : أرى أن ترُدَّنى إلى قومى حتى يكونوا هم الذين يزوِّجونك . فأنعم لهــا[4] . فأرسلت

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عداة الله » مكان « ألا لله » .
(٢) الحسك : الشوك . ويريد بحسك الصدور ، الحقد والعداوة .
(٣) الظعن : جمع ظعينة ، وهى المرأة فى هودجها . (٤) أنعم لها : قال لها : نعم .

إلى قومها : أنِ اسْقُوه بالخمر ثم اتركوه حتى يَسكَر ويَثْمل ، فإنه لا يُسأل حينئذٍ شيئاً إلّا أعطاه . فلقُوه ، وقد نزل فى بنى النَّضير ، فسقَوْه الخمر . فلما سَكِر سألوه سَلْمى . فردَّها عليهم . ثم أنكحوه بعدُ . ويقال : إنما جاء بها إلى بنى النضير . وكان صُعلوكاً بغير مال[1] ، فسقوه الخمر . فلما انتشى منعوه ، ولاشىء معه إلا امرأته فرَهنها عندهم . ولم يزل يشرب حتى غَلِقَتْ[2] . فلما قال لها : انْطلقِى . قالوا[3] : لا سبيلَ إلى ذلك ، فقد أَغْلقتها[3] . فبهذا صارت عند بنى النَّضير . فقال فى ذلك الشعرَ المُتقدِّم ذكرُه .

مروان بن الحكم والنغاشى المخنث وطويس

وذُكر أنه كان بالمدينة مُخَنَّث يقال له النُّغَاشىّ ، فقيل لمروان بن الحكم : إنه لا يقرأ من أُمِّ الكِتاب شيئاً . فبعث إليه ، وهو يومئذ والٍ على المدينة ، فاستقرأه أُمَّ الكتاب . فقال : واللهِ ما معى من بناتِها شىء فكيف أَقرأ أُمهم ! فقال : أتهزأ ! لا أُمَّ لك ! فأمر به فقُتل فى موضع يقال له : بَطِحَان[4] . وقال : مَن جاءنى بمخنَّث فله عشرة دنانير . فأُتى طُويسٌ ، وهو فى بنى الحارث ابن الخزرج من المدينة ، وهو يُغنِّى بشعر حسَّان بن ثابت الأنصارى :

لقد هاج نفسك أشجانُها وعاودها اليوم أَدْيانُها

فأُخبر بمقالة مَرْوان ، فقال : ما فضَّلنى الأميرُ عليهم بفَضل حين جعل فىّ وفيهم شيئاً واحداً ! ثم خَرج حتى نَزل السُّوَيداء — على ليلتين من المدينة فى طريق الشأم — فلم يزل بها عُمْرَه .

موته

ومات فى خلافة عبد الملك بن مَروان .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يغير » من الإغارة .
(٢) غلق الرهن فى يد المرتهن : استحقه ، ولم يقدر الراهن على افتكاكه فى الوقت المشروط .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « قالت ...... أغلقتنى» .
(٤) بطحان ، بفتح أول وكسر ثانيه : واد بالمدينة .

أخبار سعيد الدارمى

نسبه وحلفه وشىء عنه

وهو من ولد سُوَيد بن زيد . وحِلْفُه إلى بنى نَوفل بن عبد مَناف . وكان فى أيّام عُمر بن عبد العزيز . وكان له أشعار ونَوادر وأصوات من الغناء . وكان من ظُرفاء أهل مكّة . وهو القائل :

ولمّا رأيتُك أوليتنى الْـقبيحَ وأبعدتَ عنّى الجَميلَا
تركتُ وِصالَك فى جانبٍ وصادفتُ فى النّاس خِلًّا بَديلَا

حديث تنفيقه خمراً سودا

وقيل : قَدم تاجر من أهل الكوفة بخُمُرٍ[1] فباعها و بَقِيت السُّود منها فلم تَنْفُقْ[2] . وكان صديقاً للدارمىّ ، فشكا ذلك إليه ، وقد كان نَسك[3] وترك الغناء وقولَ الشِّعر ، فقال له : لا تهتمّ بذلك فإنّى سأُنَفِّقها[4] لك حتى تَبيعها أجمعَ ، ثم قال :

قُل للمَليحة فى الخِمار الأَسودِ ماذا فعلتِ براهبٍ مُتعبِّدِ
قد كان شَمَّرَ للصَّلاة ثيابَه حتى وقفتِ له بباب المَسجد

وغنّى فيه أيضاً سِنانٌ الكاتب ، وشاع فى الناس وقالوا : قد فَتك[5] الدارمىّ ورَجع عن نُسْكه . فلم تَبقَ فى المدينة ظَريفةٌ إلا ابتاعت خماراً أسودَ ، حتى نَفِد ما كان مع العراقىّ منها . فلمّا عَلم بذلك الدارمىُّ رَجع إلى نُسكه ولَزم المسجدَ .

---

(١) الخمر : جمع خمار . وهو ما تغطى به المرأة رأسها .

(٢) تنفق : تروج ويرغب فيها .

(٣) نسك : تزهد وتعبد .

(٤) أنفقها : أروجها .

(٥) فتك : مجن .

ويَحكى أبو هَفّان قال : حضرتُ يوماً بعض مجالس قُوّاد الأتراك ، وكانت له سِتارةٌ فنُصبت ، فقال لها[١] : غنّ صوتَ الِحمار الأَسود المَليح . فلم نَدْر ما أراد حتى غنّت :

* قُل للمَليحة فى الِحْمار الأسودِ *

ثم أَمسك ساعةً ، ثم قال لها : غنِّى :

* إنى خَريتُ وجئتُ أَنتقله *

فضحكتْ ثم قالت : هذا يُشبهك ! فلم نَدر ما أراد حتى غنّتْ :

* إنّ الخليط أَجـدَّ مُنْتقله *

من بخله وظرفه

وحكى بعضهم قال : كان الدّارمىّ المَكىّ شاعراً ظريفاً ، وكانت[٢] مُتَفَتِّياتُ أهل مكّة لا يَطيب لهن مُتنزَّه إلا بالدّارمى ، فاُجتمع جماعةٌ منهنّ فى مُتنزَّه لهنّ ، وفيهنّ صديقةٌ له ، وكُل واحدة منهنّ قد واعدتْ هَواها[٣] . فخرجْن حتى أتين الجُحْفة[٤] وهو معهنّ . فقال بعضُهنّ لبعض : كيف لنا أن نَخْلُوَ مع هؤلاء الرجالِ من الدارمىّ ؟ فإنّا إنْ فعلنا قَطَّعَنا فى الأرض قِطَعا[٥] . فقالت لهنّ صاحبتُه : أنا أَكفيكُنّه . قُلن : إنّا نريد ألّا يلومَنا . قالت : علىّ أن ينصرفَ حامداً . وكان أبخلَ الناس ، فأتتْه فقالت : يا دارمىّ ، إنّا قد تَفِلْنا[٦] فاجلُبْ لنا طِيباً . قال : نعم ، هو ذا ، آتِى سوقَ الجُحْفة آتيكنّ منها بطيبٍ . فأتى المُكَارين فاُكترى حِماراً فطار عليه إلى مكّة ، وهو يقول :

(١) كذا فيما بين أيدينا من أصول الأغانى ، يريد الجارية التى أمرها بالغناء . ولم يتقدم لها ذكر .

(٢) تفتت الجارية : راهقت فحبست ومنعت من اللعب مع الصبيان .

(٣) هواها : من تهواه وتحبه .

(٤) الجحفة : قرية بطريق المدينة على أربع مراحل من مكة . وهى ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة . فإن مروا بالمدينة فيقاتهم ذو الحليفة .

(٥) أى إنه يمزق أعراضهن وينشر ذلك فى الأرض بين الناس .

(٦) تفلنا ، أى تغيرت رائحتنا لطول العهد بترك الطيب .

أنا بالله ذى العـــزّ وبالرُّكْن وبالصَّخْرَهْ
من اللّائى يُرِدْنَ الطِّيـ ـبَ فى اليُسرة والعُسْرَه
وما أقوى على هـــذا ولو كنتُ على البَصْره

فمكث النسوةُ ما شِئن . ثم قدم مكة فلقيتْه صاحبتُه ليـلةً فى الطَّواف ، فأخرجته إلى ناحيـة المسجد فجعلت تُعاتبه على ذَهابه ويُعاتبها ، إلى أن قالت : يا دارمىّ ، بحق هذه البَنِيَّة(١) ، أتُحبّنى ؟ قال : نعم . فبحقِّ هذه البَنِيّة أتُحبينى ؟ قالت : نعم . قال : فيالَكِ الخـيراتُ ! أنت تُحبّينى وأنا أُحبك ، فما مَدْخل الدراهم بيننا !

وقيل :

هو عبد الصمد ابن على

كان الدارمىّ عند عبد الصَّمد بن علىّ بن عبد الله بن العبَّاس يُحدّثه ، فأَغْفى عبدُ الصمـد . فعطَس الدارمىُّ عَطْسَةً هائلة ، ففزِع عبد الصمد فَزَعاً شـديداً وغَضِب غضباً شديداً ، ثم استوى جالساً وقال : يا عاضّ كذا من أُمه ، أتُفزِّعنى ، قال : لا والله ، ولـكن هكذا عُطَاسى ! قال : والله لأَنْقعنَّك فى دَمك أو لتأتينّى ببيّنة على ذلك . قال : فخرج ومعـه حَرَسِىٌّ(٢) لا يدرى أين يَذهب به . فلقيه أبو الزِّناد المكّى(٣) ، فسأله . فقال : أنا أشهد لك . فمضى حتى دخل على عبد الصمد ، فقال له : بِمَ تَشهد لهـذا ؟ قال : إنّى رأيتُه مرةً عَطس عطسةً فسقط ضِرْسُـه . فضَحك عبدُ الصَّمد وخلَّى سبيلَه .

---

(١) البنية : الكعبة .

(٢) الحرسى ، نسبة إلى الحرس ، جعل علما على الجمع لهذه الحالة المخصوصة ، ولا يستعمل له واحد من لفظه ، ولهذا نسب إلى الجمع .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ابن الريان المكى » وهو أبو حامد محمد بن عبد الرحمن ابن هشـام .

هو ومحمد بن إبراهيم

وقيل :

قال محمدُ بن إبراهيم الإمام للدارمىّ : لو صلحت عليك ثيابى لكسوتُك .
قال : فَديتُك ! إنْ لم تَصلُح علىّ ثيابُك صَلَحت علىّ دنانيرُك .

مع عبد الصمد ابن على وقد أحضر رجل من الشراة

وقيل :

مَدح الدارمىُّ عبدَ الصَّمد بن علىّ بقصيدة واستأذنه فى الإنشاد، فأذن له . فلما فرغ أُدخل إليه رجلٌ من الشُّراة[1] ، فقال لغُلامه : أَعْطِ هذا مائة دينار ، واُضرب عُنقَ هذا . فوثب الدارمىُّ فقال : بأَبى وأُمّى ! برُّك وعقوبتُك جميعاً نقْد ، فإن رأيتَ أن تبدأ بقتل هذا ، فإذا فرَغ منه أمرتَه فأَعطانى ، فإنى لن أرِيم من حَضرتك حتى تفعل ذلك . قال : ولِمَ ؟ ويلك ! قال : أَخشى أنْ يغلَط فيما بيننا ، والغلَط فى هذا لا يُستقال . فضَحك وأَجابه إلى ما سأَل .

كلامه وقد أصابته قرحة

وقيل :

أَصابت الدارمىَّ قُرحةٌ فى صدره ، فدَخل إليه بعضُ أصدقائه [يعوده] فرآه قد نَفَث مِن فيه نفْثاً أخضرَ ، فقال له : أَبْشر فقد أُخضرّت القَرحة وعوفيت .
فقال : هيهات ! والله لو نَفثتُ كل زمرُّدة فى الدُّنيا ما أَفلتُّ منها .

شعره الذى فيه الغناء

وشعرُه الذى فيه الغناء وافتتح أبو الفرج به أخباره ، هو :

أَفِقْ يا دارمىُّ فقد بُليتا ... وإنَّك سوف تُوشك أن تَموتا
أراك تَزِيد غَشْياً[2] كُلَّ يومٍ ... إذا ما قلتَ إنك قد بَريتا

---

(١) الشراة : الخوارج .

(٢) غشى عليه ، بالبناء للمجهول ، غشيا ، بالفتح والضم : نابه ما غشى عقله . وفى بعض أصول الأغانى : « عشقا » .

أخبار هلال بن الأسعر المازنى

نسبه وشىء عنه

هو هِلال بن الأَسعر بن خالد بن الأَرْقم بن قُسَيْم بن ناشِرةَ بن سيّار بن رِزَام بن مازن بن مالك بن عمرو بن تَميم بن أُدّ بن طابخة بن اليأس بن مُضَر ابن نزار بن مَعَـدّ بن عَدْنان . شاعر إسلامىّ من شعراء الدولة الأموية — قال أبو الفرج : وأظنّه قد أدرك الدولةَ العبّاسيّة — وكان رجلاً شديداً عظيمَ الخَلْق ، أ كولاً معدوداً من الأَ كَلة ، فارساً شُجاعاً عظيمَ الغَناء فى الحرب . وعُمِّر عُمراً طويلاً ، ومات بعد بَلَايا عظامٍ مرّت على رأسه .

رثاؤه لابن قنبر

وكان رجلٌ من قومه من بنى رِزام ، يقال له : المُغيرة بن قَنْبر ، يَعُوله ويُفْضِل عليه ويحتمل ثِقْله وثِقْل عِيالِه فهلك ، فقال هلالٌ يرْثيه :

ألا ليتَ المُغيرةَ كان حيّا   وأَفْنَى قبلَه الناسَ الفَناء

لِيَبْكِ على المُغيرة كلُّ خيلٍ   إذا أَفنى عَرائكَها[1] اللِّقاء

ويَبْكِ على المُغيرة كلُّ جَيْشٍ   تَمُور[2] لدى مَعارِكه الدِّماء

لقد وارَى جديدُ الأرضِ[3] منه   خِصالاً عَقْدُ عِصْمتها الوَفاء

فصبراً للنَّوائب إن أَلَمّت   إذا ما ضاق بالحَدَث الفضاء[4]

هِزَبْرٌ تَنْجلى الغَمْراتُ عنه   نَقِىُّ العِرْض هِمَّتُه العَلاء

إذا شَهِد الكَرِيهةَ خاض منها   بُحوراً لا تكدِّرها الدِّلاء

---

(١) العرائك : جمع عريكة ، وهى القوة والشدة .

(٢) تمور : تجرى وتسيل .

(٣) جديد الأرض : ظهرها .

(٤) فى الأصل : « النساء » مكان « الفضاء » .

جَسُورٌ لا يُرَوَّع عنــد رَوْعٍ ولا يَثْنى عزيمَتَـــه اتِّقــاء
حَلِيمٌ فى مَشـــاهده إذا ما حُبَـا الحُلمـاء أَطلقهـا المِرَاء[١]
فإن تكن المَنِيَّة أَقْصَـدتْه وحُمَّ عليـه بالتَّلفِ القضاء[٢]
فقـــد أَوْدَى به كَرمٌ وخِيرٌ وعَوْدٌ بالفضــائل وابتـــداء

من قوته

وذُكر أنّ هِلالَ بن الأَسْعر كان فى إبل له ، وذلك عند الظَّهيرة فى يوم شديدِ وَقْع الشَّمس مُحْتَدِم الهاجرة ، وقد عَمَدَ إلى عَصاه فطرح عليها كِساءه ، ثم أَدخل رأسَـه تحت كسائه من الشَّمس . فبينا هو كذلك إذ مرَّ به رجلان : أحدهما من بنى نَهْشَل والآخر من بنى تَميم[٣] ، كانا أشـدَّ تميميَّيْن فى ذلك الزمان بطشاً ، وقد أقبـلا من البحريْن معهما أَنْوَاطٌ[٤] من تَمر هَجَر . وأُتيهيا إلى الإبل ولا يعرفان هِلالاً بوجهه ولا يَعرفان أنَّ الإبل له، ثم نادَيا : يا راعِى . أعندك شرابٌ تسْقينا ؟ وهما يظُنانه عبداً لبعضهم . فنـاداهما هلالٌ ورأسُه تحت كسائه : عليكما الناقةَ التى صفَتُها كذا فى موضع كذا فأُنتحياها[٥] ، فإنّ عليها وَطْبَين[٦] من لَبن ، فاُشربا منهــا ما بدا لـكما . فقال أحدُهما : انهض وَيْحك يا غلام ! فأتِنــا بذلك اللَّبن . فقال : إنْ تكن لـكما حاجة فستأتيانها فتحدُران[٧] الوَطْبين فتشربان . فقال أحدُهما : يأُبن اللَّخْناء ، إنك لغَليظ الـكلام ، قُم فاُسْـقنا . فقال : أراكما والله ستَلْقيان هواناً وصَغاراً . وسَمعا ذلك منه . فدنا أحدُهما فأَهْوى له ضرباً بالسَّوط

(١) الحبا : جمع حبوة : وهى الثوب يحتبى به . وإطلاق الحبا : كناية عن السفه والطيش . والمراء : المخاصمة والمجادلة .
(٢) أقصدته : أصابته . وحم : قضى وقدر .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « فقيم » .
(٤) أنواط : جمع نوط ، وهو الجلة الصغيرة فيها التمر ونحوه .
(٥) انتحياها : اقصداها .
(٦) الوطب : سقاء اللبن .
(٧) تحدران : تدنيان . وفى بعض أصول الأغانى : « فتجدان » .

على عَجُزه . وهو مُضطجع . فتناول هلالٌ يدَه فاجتذبه إليه فرَمى به تحت فَخذه ثم ضَغطه ضغطة . فنادى صاحبَه : ويحك ! أَغِثني فقد قتلني . فدنا صاحبُه منه ، فتناوله هلالٌ أيضاً فاجتذبه فرَمَى به تحت فخذه الأخرى ، ثم أَخذ برقابهما فجعل يَصُك رأسَيْهما بعضاً ببعض ، لا يَستطيعان أن يَمْتنعا منه . فقال أحدُهما : كُن هلالاً ولا نُبالى [ما صنعت] . فقال لهما : أنا والله هلالٌ ، ولا والله لا تُفلتان منّى حتى تُعطيانى عهداً وميثاقاً لا تخيسان[١] به لتأتيانِّ المِرْبد[٢]، إذا قدمتُما البصرة ، ثم لتُناديانِّ بأعلَى صوتكما بما كان منّى ومنكما . فعاهداه وأَعطياه نَوْطاً من التَّمر الذى معهما ، وقدما البصرةَ فأتيا المِربد فناديا بما كان منه ومنهما .

وحدّث كُنيف بن عبد الله المازنىّ قال :

كنتُ يوماً مع هلال ونحن نبْغى إبلاً لنا ، فدَفعْنا إلى قوم من بكر بن وائل ، وقد لَغِبْنا[٣] وعطِشْنا . وإذا نحن بفتْية شبابٍ عند رَكِيّة لهم ، وقد وَردت إبلُهم . فلمّا رأوا هلالاً اسْتَهولُوا خَلْقه وقامَته . فقام رجلان منهم إليه ، فقال له أحدُهما : يا عبد الله ، هل لك فى الصِّراع؟ فقال له هلالٌ : أنا إلى غير ذلك أحوجُ . قال : وما هو ؟ قال : إلى لَبن وماء فإنِّى لَغِب ظمآنُ . قال : ما أنت بذائقٍ من ذلك شيئاً حتى تُعطِيَنا عهداً لتُجيبنَّنا إلى الصِّراع إذا أَرحْت[٤] ورويت . فقال لهما هلال: إنِّى لكما ضيفٌ ، والضيفُ لايُصارعُ آهِلَه[٥] ، ورَبَّ منزله ، وأنتم مُكْتفون من ذلك بما أقول لكم : اُعمدوا إلى أشدّ فحْل فى إبلكم شدّةً وهيْبة وصوْلة ، وإلى أشدّ رجل منكم ذراعاً ، فإن لم أقبض على هامة البعير وعلى يَد صاحبكم ،

(١) لا تخيسان : لاتغدران .

(٢) المربد : من أشهر محال البصرة .

(٣) لغبنا : تعبنا وأصابنا الإعياء .

(٤) أرحت : رجعت إليك نفسك بعد الإعياء .

(٥) آهله : أى المرحب به .

فلا يمتنع الرجلُ ولا البعيرُ حتى أُدخلَ يد الرجل فى فم البعير ، فإن لم أفعلْ ذلك فقد صرعتمونى ، و إن فعلتُه عرفتم أن صِراع أحدكم أيسرُ من ذلك . فعجبوا من مقالته تلك ، وأومأوا إلى فحل من إبلهم هائجٍ صائلٍ قَطِم [1] . فأتاه هلالٌ ومعه نفرٌ من أولئك القوم وشيخٌ لهم ، فأخذ بهامةِ الفحل مما فوق مِشْفره فضغطها ضَغطةً جَرْجر [2] الفحل منها واُستخذى ورَغَا . وقال : ليُعْطِنى من أحببتم يدَه حتى أُولجها فى فَم هذا الفَحل . فقال الشيخ : يا قوم ، تنكّبوا عن هذا الشيطان ، والله ما سمعتُ أنّ فلاناً [3] — يعنى الفحل — جَرْجر منذ بَزَل [4] قبل اليوم . لا تَعْرِضوا لهـذا الشَّيطان . وجعلوا يَتْبعونه و ينظرون إلى خطْوه و يعجبون من طُول أعضائه حتى جازهم .

وحكى هلال قال : قدمتُ المدينـةَ وعليها رجلٌ من آل مَروان ، فلم أَزل أضعُ عن إبلى وعليها أحمالٌ للتجّار ، حتى أُخِذ بيدى وقيل : أجب الأمير . فقلت لهم : وَيْحـكم ! إبلى وأحْمالى ! فقيـل : لا بأسَ على إبلك وأحمالها . قال : فاُنطُلِق بى حتى أُدخلت على الأمير . فسلّمْت عليـه ثم قلتُ : جُعلتُ فداكَ ! إبلى وأمانتى ! فقـال : نحن ضامنون لإبلك وأمانتك حتى نؤدِّيها إليك . قال : فقلت عند ذلك : فما حاجةُ الأمير إلىّ ؟ جعلنى الله فداه ! فقال لى — و إلى جانبه رجل أصفر —: لا والله ما رأيتُ أشدَّ خلقاً منه ولا أغلظَ عُنقاً ، ما أدرى أطُولُه أكثر أم عرْضه — إنّ هذا العبد الذى تَرى لا والله ما ترك بالمدينة عربيًّا يُصارِع إلّا صَرعه ، و بلغنى عنك قُوة ، فأردتُ أن يُجْرِىَ الله صَرْعَ هذا العبدِ على

---

(١) القطم : الهائج .

(٢) جرجر : ردد صوته فى حنجرته .

(٣) المسموع أن « فلاناً » و « فلانة » بغير أل يكنى بهما عن الآدميين ؛ وأنهما مع « أل » يكنى بهما عن غيرهم .

(٤) بزل : فطرنا به ودخل فى سنته التاسعة .

يَدَيْك فتُدْرِكَ ما عنده من أوتار العرب . قال : فقلت : جَعلنى الله فداء الأمير ، إنّى لَغِبٌ نصِبٌ جائع ، فإن رأى الأميرُ أنْ يَدعنى اليوم حتى أضع عن إبلى وأُوَدِّى أمانتى وأُرِيحَ يومِى هـذا وأجيئَه غداً فليفعل . فقال لأعوانه : انطلقوا معه فأعينوه على الوَضْع عن إبله وأداء أمانته ، وانطلِقوا إلى المطبخ فأَشْبعوه . ففعلوا جميعَ ما أمرهم به . قال : فظَلِلْتُ يومى ذلك و بتُّ ليلتى تلك بأحسن حال شِبعاً وراحة وصـلاحَ أمر . فلمّا كان من الغد غدوتُ عليه وعلىّ جُبَّة لى صوفٌ [و بَتٌّ][1] وليس علىَّ إزار ، إلّا أنِّى قد شددتُ بعمامتى وسَطى . فسلَّمت عليه . فردَّ علىّ ، وقال للأصفر : قُم إليـه فقد أتاك الله بما يُخزيك . فقال العبدُ : اتَّزِرْ يا أعرابىّ . فأخذتُ بَتِّى فاتَّزرتُ به على جُبَّتى . فقال : هيهات ! هذا لا يثبُت ، إذا قبضتُ عليـه جاء فى يدى . قال : فقلت : والله مالى من إزار . فدعا الأمير بمِلْحفة، ما رأيتُ قبلها ولا عَلا جِلْدى مثلُها، فشددتُ بها على حَقْوِى[2]، وخلعت الجبة . وجَعل العبـدُ يدُور حولى و يُريد خَتْلى ، وأنا منه وجِلٌ لا أدرى كيف أَصنع به ، ثم دنا منى دَنوةً، فنَقد[3] جبْهتى بظُفْره نقدةً ظننتُ أنه قد شَجَّنى ، فأَوجعنى . فغاظنى ذلك ، فجعلتُ أنظر فى خَلْقه بم أقبض منـه ، فما وجدتُ فى خلقه شيئاً أصغر من رأسه ، فوضعتُ إبهامىّ فى صُدْغيه وأصابعى الأُخرى فى أصل أُذنيـه ، ثم غَمزته غمزةً صاح منها : قَتلنى ! فقال الأمير : اُغمِس رأسَه فى التُّراب . فقلت له : ذلك لك علىّ. فغمستُ والله رأسه فى التُّراب، ووقع شبيهاً بالمَغشىّ عليـه . فضحك الأميرُ حتى اُستلقى ، وأمر لى بجائزة وكُسوة ، ثم اُنصرفتُ .

---

(١) البت : كساء غليظ مهلهل .

(٢) الحقو: الخصر .

(٣) نقد : نقر .

خبره مع الجلانى

وكان هلال بن الأسعر ضربه رجلٌ من بنى جَلَّان ، يقال له : عُبَيد ابن حَرِىّ ، فى شىء كان بينهما ، فشَجَّه وخَمَشه خُمَاشةً . فأتى هلالٌ بنى جَلَّان فقال : إنَّ صاحبكم قد فعَلَ بى ما تَرَوْن ، فخذُوا لى بحقِّى . فأوعدوه وزَبروه(١) . فخَرَج من عندهم وهو يقول : عسى أن يكون لهذا جزاء حتى آتيَ بلادَ قومه . فمضى لذلك زمنٌ طويل حتى درس ذِكْره . ثم إنَّ عُبيد بن حَرِىّ قدِم الوَقَبى — وهو موضع من بلاد مالك — فلمّا قدِمها ذكَر هلالاً وما كان بينه و بينه ، فتخوّفه ، فسأل عن أعزّ أهل الماء ، فقيل له : مُعاذ بن جَعْدة بن ثابت بن زُرارة ابن ربيعة بن سيّار بن رِزام بن مازن . فأتاه فوَجده غائباً عن الماء ، فعقد عُبَيد ابن حرىّ طرف ثيابه إلى جَنب طُنُبِ بيت مُعاذ — وكانت العربُ إذا فعلت ذلك وَجب على المَعقود بطُنُب بيته للمُستجير به أن يُجيره وأن يطلب بظُلامته — وكان يوم فعل ذلك غائباً عن الماء . فقيل : رجلٌ استجار بآل مُعاذِ بن جَعْدة . ثم خَرج عُبيد بن حَرىّ ليستقيَ ، فوافق قُدومَ هلالٍ بإبله يومَ وُروده . وكان هلال يأكل ما وجد عند أهله ثم يَرِد مع الإبل، ثم يَرجع إلى أهله بعد أيّام ولا يتزوّد طعاماً ولا شراباً . فلما نَظر هلالٌ إلى ابن حرىّ ذَكر ما كان بينه و بينه . ولم يعلم باستجارته بمُعاذ بن جَعدة ، فطلب شيئاً يَضرِبه به فلم يَجِد ، فانتزع المِحْورَ من الساقية فعلاه به ضربةً على رأسه ، فَصرعه وَقيذاً(٢) . وقيل : قَتل هلالُ ابن الأسْعر جارَ مُعاذ بن جَعدة ! فلما سَمِع ذلك هلالٌ تخوّف بنى عمّه الرِّزاميِّين، فأتى راحلتَه ليركَبها ، فتعلَّقت به خولةُ بنت يَزيد بن ثابت ، وقالت : عدوّ الله ! قتلتَ جارَنا ! والله لا تفارقنى حتى يأتيك رجالُنا . قال هلال : والمِحْور فى يدى لم أضعه ، فهممتُ أن أعْلُو به رأس خَولة ، ثم قلت فى نفسى : عجوزٌ لها سِنٌّ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وزجروه » وهما بمعنى .

(٢) الوقيذ : الذى أشفى على الموت .

وقرابة . فضربتُها برجلى ضربة رميتُ بها من بعيد ، ثم أتيتُ ناقتى فأركبُها ثم أضربها هارباً . وجاء مُعاذ بن جَعدة وإخوتُه ، وهم يومئذ تسعة ، وعبد الله ابن مالك زَوج بنت مُعاذ ، وذلك فى آخر النهار ، فسمعوا الواعية(١) على الجلانيّ ، وهو دَنِفٌ [لم يمت] . فسألوا عن تلك الواعية ، فأُخبِروا بما كان من استجارة الجلّانى بمُعاذ بن جَعْدة ، وضَرْب هلال له بعد ذلك . فركب الإخوة التّسعة وعبد الله بن مالك عاشرُهم ، وكانوا أمثال الجبال فى شدّة خَلقهم مع نَجدتهم . وركبوا معهم بعشرة غِلْمة لهم أشدّ خِلْقة منهم ، لا يقع لأحدٍ منهم سهمُه فى غير موضعه الذى يُريده ، حتى تبعوا هلالاً . وقد نَسل(٢) هلالٌ من الهرب يومَه ذلك كلّه وليلَته ، فلما أصبح أمِنهم وظنّ أن قد أبعد فى الأرض ونجا منهم . فلما أصبحوا من تلك الليلة قَصُّوا أثَره ، وكان لا يَخفى أثرُه على أحدٍ لِعظَم قَدَمه . فلحقوه من بَعد الغد . فلمّا أدركوه، وهم عِشرون ومعهم النَّبْل والقِسىّ والسُّيوف ، ناداهم : يا بنى جَعدة ، أنشدُكم الله ! أن أكونَ قتلتُ رجلاً غريباً بترةٍ تقتلوننى وأنا ابنُ عمّكم ! وظَن أنّ الجلّانى قد مات ، ولم يكن مات إلى أن اتّبعوه وأخذوه . فقال مُعاذ : والله لو أيقنّا أنه مات ما ناظرنا بك القتلَ(٣) من ساعتنا ، ولكنّا تركناه ولم يَمُت ، ولسنا نحب قتلَك إلا إن تمتنع منّا ، ولا نُقدِمُ عليك حتى نَعلم ما يَصنع جارنا . فقاتلهم وامتنع منهم . وجعل مُعاذ يقول لأصحابه وغِلْمانه : لا ترْموه بالنَّبل ولا تَضربوه بالسُّيوف ، ولكن ارمُوه بالحِجارة واضربوه بالعصىّ حتى تأخذوه . ففعلوا ذلك ، فما قَدروا على أخذه حتى كسروا من [إحدى] يديه ثلاثَ أصابع ومن الأُخرى إصْبعين ، ودقُّوا ضِلَعين من أضلاعه، وأكثروا الشِّجاج فى رأسه ،

---

(١) الواعية : الصراخ على الميت .

(٢) نسل : أسرع فى سيره .

(٣) ما ناظرنا بك القتل ، أى ما أخرناه .

ثم أخذوه وما كادوا يقدِرون على أخذه ، فوضعوا فى رجله أدْهم[١] ، ثم جاءوا به وهو مَعروض على بعيرٍ حتى انتهَوْا به إلى الوَقَبى ، فدَفعوه إلى الجَلّانى ولم يمُت . فقالوا : أنطلقوا به إلى بلادكم ولا تُحدثوا فى أمره شيئاً حتى تنظُروا ما يُصْنَع بصاحبكم ، فإن مات فاُقتلوه ، و إن حَيِىَ فأَعلمونا حتى نحملَ إليكم أَرْش[٢] الجناية . فقال الجَلّانيُّون : وَفَتْ ذمّتكم يا بَنى جَعْدة ، وجَزاكم الله أفضلَ ما يَجْزى خِيار الجيران ، إنّا نتخوّف أن يَنْزِعه منّا قومُكم إن خَلّيتم عنّا وعنهم وهو فى أيدينا. فقال لهم مُعاذ : فإنى أحمله معكم وأُشيعكم حتى تَردوا بلادَكم . ففَعلوا ذلك . فحُمل معروضاً على جَمل ، ورَكبتْ أختُه جَماء بنت الأسعر معه ، وجعل يقول : قتلتْنى بنو جَعدة . وتأتيه أختُه بالمَغْرة[٣] ليشربَها ، فيُقال : يُمْشِى[٤] بالدّم ، لأنَّ بنى جَعدة فَرثوا[٥] كَبِدَه فى جَوْفه . فلمّا بَلغوا أدنى بلاد بكر بن وائل ، قال الجَلّانيّون لمُعاذ وأصحابه : أَدام الله عزَّكم ، فقد وفيتُم فاُنصرفوا . وجعل هِلالٌ يُريهم أنه يُمْشى فى اللّيلة عشرين مرّة . فلمّا ثقُل الجَلّانىّ وتَخوّف هلالٌ أن يموت من ليلته أو يُصبح ميّتاً ، تبرّز هلالٌ كما كان يصنع وفى رجله الأدهم كأنه يَقضى حاجةً ، ووَضع كساءَه على عَصاه فى ليلة مُظلمة ، ثم اُعتمد على الأدهم فحطّمه ، ثم طار تحت ليلته على رجليه ، وكان أدلَّ الناس ، فتنكّب الطريق التى تُعرف و يُطلب فيها ، وجعل يَسْلُك المَسالك التى لا يُطمع فيها ، حتى اُنتهى إلى رجل من بنى أُثاثة بن مازن فَحَمله على ناقة له ، فركبها ثم تجنّب بها الطريق ، فأخذ نحو بلاد قَيْس بن عَيْلان تخوُّفاً من بنى مازن أن يتبعوه أيضاً فيأخذوه .

---

(١) الأدهم : القيد .
(٢) الأرش : دية الجراحات .
(٣) المغرة : طين أحمر يصبغ به .
(٤) أمشى الرجل : استطلق بطنه من دواء تناوله .
(٥) فرثوا : فتتوا .

فسار ثلاثَ ليالٍ وأيامها ثم نَزل اليومَ الرَّابع ، فنَحر النـاقةَ فأكل لحمَها كلَّه إلّا فَضلةً فَضَلت منها فاُحتملها . ثم أتَى بلادَ اليمن فوقع بها ، فلبث بها زماناً ، وذلك عند مَقدم الحجّاج بن يوسف العِراق ، فبلغ إفلاتُه مَن بالبصرة مِن بَكر ابن وائل، فاُنطلقوا إلى الحجّاج فاستعدَوْه وأخبروه بقَتْله صاحبَهم . فبعث الحجاجُ إلى عبد الله بن شُعبة بن عَلْقمة ، وهو يومئذ عَريف بنى مازن حاضرتِهم وباديتِهم ، فقال له : لتأتينِّى بهلال ولأفعلنّ بك ولأفعلنّ . فقال له عبد الله ابن شُعبة : إنّ أصحاب هِلال وبنى عمّه قد صنَعوا كذا وكذا ، فاقتصّ عليه ما صَنَعوا فى طلبه وأخذِه ودفعه إلى الجلّانيّين وتَشييعهم إيّاه حتى وردوا بلادَ بكر بن وائل . فقال له الحجّاج : ويلك ! ما تقول ؟ فقال بعضُ البكريّين : صدق ، أصلح الله الأمير ! فقال الحجّاج : فلا يُرْغِم اللهُ إلا أُنوفَكم ! اُشهدوا أنّى قد آمنتُ كلَّ قريب لهلال وحَميم، ومنعتُ من أخذ أحدٍ به ومِن طَلَبه حتى يَظْفَرَ به البكريُّون أو يموت قبل ذلك . وبعث هلالٌ إلى بنى رِزام بن مازن يُعاتبهم ويعظّم عليهم حقّه ويذكُر قرابته ، وذلك أنّ سائر بنى مازن قاموا ليحملوا ذلك الدَّم . فقال معاذ : لا أرضَى والله أن تَحملوا لجارى دماً واحداً حتى يُحمل له دَمٌ ولجوارى دمٌ آخر ، وإن أراد هلال الأمانَ وَسْطَنا حُمل له دم ثالث . وقال هلال فى ذلك قصيدتَه التى منها :

بَنى مازنٍ لا تطرُدُونى فإنّنى ... أخوكم وإن جرَّت جرائرَها يدِى
ولا تَجعلوا حِفْظى بظَهرٍ وتَحْفَظوا ... بَعيداً ببَغْضاء يَروح ويَغتدى
فإنّ القريبَ حيثُ كان قَريبُكم ... وكيف بقَطْعِ الكفِّ من سائر اليد
وإنّ البَعيدَ إنْ دنا فهو جارُكم ... وإن شطّ عنكم فهو أبعدُ أَبعد
وإنّى وإن أوْجدتُمونى[1] لحافظٌ ... لكم حِفْظَ راضٍ عنكمُ غير مُوجد

(١) أوجدتمونى : أغضبتمونى .

وأنّهمُ [1] لمـا أرادوا هَضِيمتى مُنُوا [2] بجميع القَلْب عَضْبٍ مُهنَّد
حُسامٍ متى يَعزِمْ على الأَمر يأتِه ولم يتوقَّف للعواقب فى غَـد

ولمّـا طال مُقامُ هِلال باليمن نَهضتْ بنو مازنٍ بأجمعهم إلى بنى رِزام بن مازن، رَهْط هِلال ورهطِ مُعاذ بن جَعْـدة ، فقالوا : إنكم قد أسأتُم بابن عمّـكم وجُزْتُم الحدّ فى الطلب بدم جاركم ، فنحن نَحمل لـكم ما أردتُم . فحَمل دَيْسم بن المِنْهال ، الذى طَلَب مُعاذُ أن يُحمَل لجاره ، وذلك ثلثمائة بعير . فقال هلالٌ يمدحه :

تداركَ دَيسمٌ حسباً ومجـداً رزاماً بعد ما انشقّتْ عَصَاهَا
همُ حَمَـلوا المِئين وأَلْحَقوها بأَهليها وكان لهم سَنَاهَا

ما يحكى عن أكله

وممّا ذُكر من أكل هِلال أنه قال : جُعتُ مرةً ومعى بعير فنحرتُه وأكلته ، إلا ما حملتُ منه على ظهرى . ثم أردتُ امرأتى فلم أقدر عليها ، فقالت . ويحك ! كيف تَصل إلىّ و بيننا بعير .

وقيل لهلال : كم تكفيك هذه الأَكلة ؟ قال : أربعة أيّام .

وقيل : إنه مرّ على رجل من بنى مازن بالبصرة ، وقد حَمل من بستانه رُطَباً فى زَواريق [3] ، فجلس على زورق صغير منهـا ، وقد كَثُر الرُّطب فيـه وغُطِّى بالبَوارى [4] ، فقـال له : يابن عَم ، آكُل من رُطَبك هـذا ؟ قال : نعم . قال : ما يكفينى ؟ قال : ما يكفيك . فجلس على صَـدر الزَّورق وجعـل يأكُل إلى أن اكتفى ، ثم قام فانصرف . فكُشف الزورقُ فإذا هو مِلْؤه نوًى ، وقد أكل رُطَبه وأَلْقى النَّوى فيه .

(١) البيت متصل ببيت سابق ، وهو :
وتعلم بكر أنكم حيث كنتم وكنت من الأرض الغريبة محتدى
(٢) منوا : ابتلوا . (٣) زواريق: جمع زورق ، أشبعت كسرته فولدت منها ياء .
(٤) البوارى : الحصر من القصب .

وحكى صَدقة بن عُبيد المازنىّ قال :

أَوْلَمَ علىَّ أبى (١) لما تزوّجتُ ، فعَمِل عَشْرة جِفَانٍ من ثَريد من جَزور . فكان أولَ من جاءنا هلالُ بن أسْعر المازنىّ ، فقدَّمنا إليه جَفْنةً فأكلها ، ثم أُخرى حتى أتى على العشرة ، ثم آستسْقى بقِرْبةٍ من نَبيذ ، فوضع طرَفها فى شِدْقه ففرّغها فى جَوفه ، ثم قام وخرج . واستأنفنا عَمل الطعام .

خير الشعر الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى يُغَنَّى فيه لهلال وآُفتتح به أبو الفرج أخبارَه ، هو :

يا رَبْعَ سَلْمى لقد هيَّجْتَ لى طَرَباَ ... زِدْتَ الفؤادَ على عِلّاته وَصَبَا

ربعٌ تبدّل ممّن كان يسكُنه ... عُفْرَ الظِّباء وظِلْمَاناً به (٢) عُصَبا

وذُكر أنّ إبراهيم الموصلىّ غنَّى الرَّشيدَ فى هذا الشعر ، فأُعجب به الرَّشيدُ وطَرِب له وآستعاده مراراً . فقال له إبراهيم : يا أمير المؤمنين ، كيف لو سمعتَه من عبدك مُخارق ! فإنه أخذه عنِّى، وهو يفضُلُ فيه الخلقَ جميعاً و يفضُلُنى . فأمر بإحضار مُخارق ، فأُحضر . فقال له غنِّنى :

* يا رَبْعَ سَلْمى لقد هَيجتَ لى طَرَباَ *

فغنّاه إيّاه. فبكى وقال: سَلْ حاجَتك . قال مُخارق: فقلتُ : تُعتِقنى يا أميرالمؤمنين وتُشرِّفنى بولائك ، أعتقك الله من النّار . قال : أنت حُرٌّ لوجه الله ! أعد الصوتَ . فأعدتُه . فبكى وقال : سَلْ حاجتك . فقال : يا أميرالمؤمنين ، ضَيْعَةٌ تقيمنى غلّتُها . فقال : قد أمرتُ لك بها . أعد الصوتَ . فأعدتُه ، فبكى وقال : سَلْ حاجتك . قلتُ : يا أمير المؤمنين ، تأمُر لى بمنزلٍ وفُرش وما يُصلحه ، وخادمٍ فيه . قال : ذلك لك ، أعده . فأعدتُه. فبكى وقال : سَل حاجتَك . فقلتُ: حاجتى يا أميرالمؤمنين

(١) أولم على أبى : عمل لى وليمة زواجى .

(٢) الظلمان ، بالضم والكسر : جمع ظليم ، وهو ذكر النعام . والعصب : الجماعات ؛ الواحدة : عصبة .

أن يُطيل الله بقاءك ، ويُديمَ عزّك ، ويَجعلَني من كل سُوء فِداك . فكان مُخارق إذا غنّاه يقول : أنا مولى هذا الصوت .

وذكر مُخارق قال : أقبل الرّشيدُ يوماً على المُغنّين وهو مُضطجع ، وقال : مَن منكم يُغنّى :

* يا رَبْع سَلْمى لقد هيّجت لى طَرَباً *

فقلت : أنا . فقال : هاتِه . فغنّيتُه ، فطَرِب وشَرِب ، ثم قال : علىَّ بهَرْثمةَ . فقلتُ فى نفسى : ما تُراه يُريد منه ! فجاءوا بهَرْثمة فأُدخل إليه ، وهو يَجُر سيفَه . فقال : يا هَرْثمة ، مُخارقٌ الشّارى الذى قَتلناه بناحيــة الموصل ما كُنْيته ؟ فقال : أبو المُهنّأ . فقال : انصرف . فانصرفَ . ثم أقبــل علىّ فقال : كَنّيتُك أبا المُهنّأ لإحسانك . وأمر لى بمائة ألفِ درهمٍ ، فانصرفتُ بها وبالــكُنْية .

أخبار عروة بن الورد

نسبه

وهو عُروة بن الوَرْد بن زيد . وقيل : ابنُ عمرو بن زَيد بن عبد الله بن ناشب ابن هَرِم بن لُدَيم بن عَوْذ بن غالب بن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغيض بن الرَّيث ابن غَطَفان بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار بن معدّ بن عَدنان .

شاعر فارس

شاعرٌ من شُعراء الجاهليّة ، وفارسٌ من فُرسانها ، وصُعلوكٌ[1] من صَعاليكها المَعدودين المُقدَّمين الأجواد .

لقبه

ويُلقّب : عُروةَ الصَّعاليك ، لِجَمْعه إيّاهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غَزواتهم ، ولم يكن لهم معاشٌ ولا مَغزًى . وقيل : إنما لُقِّب بذلك لقوله من أبيات :

ولله صُعلوكٌ صَفيحةُ وَجْهه ... كضوء شهابِ القابِسِ المُتنوِّرِ

لعبد الملك فيه

وحُكى أنّ عبدَ الملك بن مَروان قال : ما يَسُرّنى أحدٌ من العرب لم يلدْنى أنه وَلدَنى إلّا عُروةَ الصَّعاليك بن الوَرد ، لقوله :

إنّى امرؤٌ عافِى إنائىَ شِرْكةٌ ... وأنت امرؤٌ عافِى إنائك واحدُ

أتهزأ منِّى أن سَمِنتَ وأنْ ترى ... بجسمىَ مَسَّ الحقِّ والحقُّ جاهِد

أُفرِّق جِسْمى فى جُسومٍ كثيرةٍ ... وأَحْسُو قَراح الماء والماءُ بارد

بين عمر بن الخطاب والحطيئة فى حديث يتصل به

وقال عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه للحُطيئة : كيف كُنتم فى حَرْبكم ؟ قال : كُنّا ألفَ حازم . قال : وكيف ؟ قال : كان فينا قيسُ بن زُهير وكان حازماً ، وكنّا لا نَعْصيه ، وكُنّا نُقْدِم بإقدام عَنْترة ، ونأتمّ بشعر عُروة بن الوَرْد ، وننقاد لأمر الرَّبيع بن زِياد .

---

(١) الصعلوك : الفقير . وصعاليك العرب : لصوصها .

لعبد الملك فى جوده

وقال عبدُ الملك : مَن زَعم أنّ حاتماً أسمحُ الناسِ فقد ظَلَم عُروة بن الوَرْد .

نهى ابن جعفر لمعلم ولده عن بيت له

وكان عبدُ الله بن جَعفر يقول لمُعلِّم ولده : لا تُروِّهم قصيدةَ عُروةَ بن الوَرْد التى يقول فيها :

دَعِينى للغِنَى أَسعى فإنّى ... رأيتُ النـاسَ شرُّهم الفَقِيرُ

ويقول : إنّ هذا يَدْعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم .

خبره مع امرأة سباها

ذُكر أنّ عُروة سَبى اُمرأةً وولدتْ له ، وكانت تُعيَّر بالسِّباء . وقد تقدَّم ذِكْرُ ذلك[1] . وأنّ قومها سَقَوه الخمر ، فلما سَكِر طلبوا منـه أن يُفادِىَ بها ، وأغْلوا له فى الفِداء ، فأجاب . فلما صَحا نَدِم . فشُهد عليه بالفداء، فلم يَقدر على الامتناع . وجاءت المرأةُ تُثْنى عليه ، فقالت : إنّك والله ما علمتُ لضَحوكٌ مُقبلاً ، كَسُوبٌ مُدْبراً ، تُرْضى الأهل والجانب[2] . ما أعلم اُمرأةً من العرب ألقتْ سِتْرها على بَعل خيرٍ منك ، أغَضَّ طَرْفاً ، وأقلَّ فُحشاً ، وأجودَ يداً ، وأحمَى لحقيقته ، فاستوص ببَنيك خيراً . ثم فارقتْه . فتزوّجها رجلٌ من بنى عمِّها . فقال لها يوماً من الأيّام : يا سَلْمى ، أَثْنى علىَّ كما أثنيتِ على عُروة — وقد كان قولُها فيه شُهِر — فقالت له : لا تُكلِّفْنى ذلك ، فإنى إن قلتُ الحقَّ غضبتَ ، ولا واللّاتِ والعُزَّى لا أَكذبُ . فقال : عزمتُ عليكِ لتأْتيِنّى فى مجلس قومى فَلَتُثْنِنَّ علىَّ بمـا تعلمين . وخرج فجلس فى نَدِىّ القوم ، وجاءت ، فرماها الناسُ بأبصارهم ، فوقفتْ عليهم وقالت : أَنْعموا صباحاً ، إنّ هذا عَزم علىّ أن أُثنى عليه بما أعلم . ثم أَقبلتْ عليه فقالت : والله إنّ شِمْلَتك لَاُلْتِحاف ، وإنّ شُرْبك لاُشْتفاف[3] ، وإنك لَتنام ليلةَ تخافُ ، وتَشبع ليـلةَ تُضاف ، وما تُرضى الأهلَ ولا الجانبَ . ثم انصرفت . فلامه قومُه وقالوا : ما كان أغناكَ عن هذا القولِ منها !

(١) انظر ص ٣٢٧ من هذا الجزء . (٢) الجانب : الغريب .
(٣) الاشتفاف : شرب كل ما فى الإناء .

كان يجمع إليه الصعاليك

وقيل : كان عُروة بن الوَرْد إذا أصابتِ الناسَ سنةٌ شديدةٌ تركوا فى دارهم المريضَ والكبيرَ والضَّعيف . وكان عُروة يجمع أَشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته فى الشدّة ثم يَحْفر لهم الأَسرابَ وَيكنُف لهم الكُنُفَ[١] ، و يكسُوهم . ومَن قَوِى منهم — إمّا مريضٌ يبرأ من مرضه ، أو ضعيف تثُوب قُوتُه — خَرج به معه فأغار ، وجَعل لأصحابه الباقين فى ذلك نَصيباً ، حتى إذا أخصب الناسُ وأَلْبنوا وذَهبت السنةُ ، ألحق كُلَّ إنسان بأهله ، وقَسم له نصيبَه من غَنيمةٍ ، إن كانوا غَنموها. فربما أتى الإنسانُ منهم أهلَه وقد استغنى ، فلذلك سُمِّى : عُرْوة الصَّعاليك. فقال فى ذلك فى بعض السنين ، وقد ضاقت حالُه :

لعَلَّ ارتيادى فى البلاد و بغْيَتى ... وشَدِّى حيازيمَ المطيَّةِ بالرَّحْلِ
سيَدْفَعُنى يوماً إلى ربِّ[٢] هَجْمة ... يُدافع عنها بالعُقوق وبالبُخْلِ

وهى طويلة ، ومنها :

أليس ورائى أن أدِبَّ على العَصا ... فيَشْمَتَ أعدائى و يسأَمَنى أَهْلى
رَهينةَ قَعْر البيت كُلَّ عشية ... يُطيف بىَ الوِلْدانُ أَهْدجَ[٣] كالرَّأْل
أَقِيمُوا بَنى لُبْنَى صُدورَ رِكابكم ... فكُلّ مَنَايا القوم خيرٌ من[٤] الهَزْل
فإنّكُم لن تبلغُوا كلَّ هِمّتى ... ولا أَرْبى حتى تَرَوْا مَنْبِتَ الأَثْل

فقيَض الله له ، وهو مع قوم من هُلّاك[٥] عَشيرته فى شتاء شديد ، ناقتين دَهْماوَيْن، فنَحر لهم إحداهما وحَمَل متاعَهم وضُعفاءهم على الأُخرى ، وجَعل يَنْتقل

(١) يكنف لهم الكنف : يتخذ لهم حظائر يؤويهم فيها .
(٢) الهجمة من الإبل : من أربعين إلى سبعين ، أو إلى مائة . فإذا بلغت المائة ، فهى هنيدة.
(٣) الرأل : ولد النعام . وهدجانه : أن يمشى فى ارتعاش . شبه الشيخ به فى مشيته .
(٤) الهزل : الضعف ، وهو نقيض السمن .
(٥) الهلاك : الصعاليك .

بهم من مكان إلى مكان . فنَزل بموضع يقال له : ماوان[1] . فقيّض الله له رجلاً صاحبَ مائة من الإبل قد فرَّ بها من حُقوق قومه ، وذلك أوّل ما ألبن الناسُ ، فقتله وأخذ إبلَه وامرأته ، وكانت من أحسن الناس . فأتى بالإبل أهلَ الكنيف فحَلَبها لهم وحمَلهم عليها ، حتى إذا دنَوْا من عَشيرتهم أقبل يَقْسمها بينهم ، وأخذ مثلَ نصيب أحدهم ، فقالوا : لا واللاتِ والعُزَّى ، لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيباً ، فمن شاء أخذها . فغَضب وجعل يَهُم بأن يَحمل عليهم فيقتلَهم ، وينتزعَ الإبلَ منهم ، ثم يذكر أنهم صنيعتهُ ، وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان يَصنع . فأفكر طويلاً ثم أجابهم إلى أن يَرُدَّ عليهم الإبل إلّا راحلةً يحملُ عليها المرأةَ حتى يَلْحق بأهله . فأبَوْا ذلك عليه ، حتى انتدبَ رجلٌ منهم فجعل له راحلةً من نَصيبه .

بين ثمامة والمنصور فى حديثه

وحُكى أن ثمامة بن الوليد دَخل على المنصور فقال : يا ثمامة ، أتحفظ حديثَ ابن عمك عُروة الصَّعاليك بن الوَرْد العبسيّ ؟ فقال : أى حديثه يا أمير المؤمنين ؟ فقد كان كثير الحديث حسنَه . قال : حديثه مع الهذليّ الذى أخذ فرسه . قال : ما يحضُرنى ذلك فأرويه يا أمير المؤمنين . فقال المنصور : خَرج عُروة حتّى دنا من مَنازل هُذيل ، وكان منها نحواً من ميلين ، وقد جاع ، فإذا هو بأرنب فرماها ، ثم أوْرى ناراً فشَواها وأكلها ، ودَفن النار على مقدار ثلاثة أذرع ، وقد ذهب الليلُ وغارت النُّجوم . ثم أتى سَرْحةً[2] فصَعدها وتخوَّف الطَّلب . فلما تغيّب فيها إذا الخيلُ قد جاءت وتخوّفوا البَياتَ[3] . فجاءت منهم جماعةٌ ومعهم رجل على فَرس، فجاء حتى رَكز رُمْحه فى موضع النار وقال : لقد رأيتُ النار هاهنا . فنزل رجلٌ فحفر قَدْر ذراع فلم يجد شيئاً . فأكبَّ القومُ على الرَّجل يَعذُلونه ويَعيبون

(١) ماوان : قرية من أرض اليمامة .

(٢) السرحة : من الشجر الكبير العظيم الطويل .

(٣) البيات : الإيقاع بالقوم ليلا دون ان يعلموا .

أمره ويقولون : عَنَّيتنا فى مثل هذه الليلة القَرَّة وزَعمت لنا شيئاً كذبتَ فيه ! فقال : ما كذبتُ ، ولقد رأيتُ النَّار فى موضع رُمْحى . فقالوا : ما رأيت شيئاً ، ولكنَّ تحذْلُقك هو الذى حَمَلك على هذا ، وما نَعْجب إلّا لأنفسنا حيث أطعنا أمركَ واتَّبعناكَ . ولم يزالوا بالرجل حتى رَجع عن قوله لهم . واتَّبعهم عُروة ، حتى إذا وردوا منازلهم جاء عُروة فكَمن فى كِسْر[1] بيت ، وجاء الرجلُ إلى امرأته وقد خالفه إليها عبدٌ أسود ، وعُروة ينظرُ ، فأتاها العبدُ بعُلْبة فيها لبن ، فقال : تشربين ؟ فقالت : لا ، أوْ تبدأَ . فبدأ الأسودُ فشَرب . فقالت للرجل حين جاء : لعن الله صَلَفك[2] ! عنَّيت قومَك منذ الليلة . قال : لقد رأيتُ ناراً . ثم دعا بالعُلبة ليشرب ، فقال ، حين ذهب ليكرعَ : ريحُ رجلٍ وربِّ الكعبة ! فقالت المرأة : وهذه أُخرى ، أىَّ ريحِ رجلٍ تجده فى إنائك غيرَ ريحك ! ثم صاحتْ . فجاء قومُها ، فأَخبرتهم بخَبَره وقالت : يتّهمنى ويظُنّ بى الظُّنون . فأقبلوا عليه يلُومونه حتى رَجع عن قوله . قال عُروة : هذه ثانية . ثم أَوى الرجلُ إلى فراشه ، فَوثب عُروة إلى الفرس وهو يُريد أن يَذهب به ، فضرب الفرسُ بيده ونَخر . فرجع عُروة إلى موضعه . ووَثب الرجلُ ، فقال : ما كنت لتكذبنى[3] ، فمالك ؟ فأقبلت امرأتُه عليه لوماً وعَذلا . قال : فصَنع عروةُ ذلك ثلاثاً . ثم أَوى إلى فراشه وضجر من كثرة ما يقُوم ، فقال : لا أقوم إليكَ الليلة . فأتاه عروةُ فجال[4] فى مَتْنه وخَرج ركضاً . وركب الرجل فرساً غيرَه أُنثى . قال عروةُ : فجعلتُ أَسمعه خَلفى يقول : الِحَقى فإنك من نَسله . فلما انقطع عن البُيوت، قال له عروة بن الَورد : أيها الرجل ، قِف ، إنك لو عرفتَنى لم تُقْدم علىّ ، أنا عروةُ ابن الورد ، وقد رأيتُ الليلةَ منك عجباً ، فأَخبرنى به وأَرُدّ عليك فرسك . قال :

(١) كسر البيت : جانبه .
(٢) الصلف : مجاوزة الرجل قدرا الظرف وادعاؤه العجب والتكبر .
(٣) يريد الفرس . (٤) جال فى متنه : وثب وركب .

وما هو ؟ قال : جئتَ مع قومك حتى ركزت رُمحك فى مَوضع نار كنتُ أوقدتُها ، فتَثْنوكَ عن ذلك ، وقد صدقتَ ، ثم اتّبعتُك حتى دخلتَ منزلك و بينك و بين النار ميلان فأبصرتَها منهما . ثم شممتَ رائحةَ رجل فى إنائك ، وقد رأيتُ الرجلَ حين آثرتْه زوجتُك بالإناء ، وهو عبدكَ الأسودُ ، وأظنّ أن بينهما مالا تُحب . فقلتَ : ريح رجل ! فلم تزل تَثْنيك عن ذلك حتى اُنثنيت . ثم خرجتُ إلى فرسك فأردتُه ، فاُضطرب وتحرّك ، فخرجتَ إليه ، ثم خرجتَ وخرجتَ ، ثم أَضربتَ عنه . فرأيتُك فى هذه الخصال أكملَ الناس ولكنّك تَنْثني وتَرجع . فضحك وقال : ذاك لأَخْوال السّوء ، والذى رأيتَ من[1] كَعَاعَتى فمن قِبل أخوالى ، وهم بَطن من خُزاعة . والمرأةُ التى رأيتَ عندى امرأةٌ منهم ، وأنا نازل فيهم ، فذلك الذى يَثنينى عن أشياء كثيرة، وأنا لاحقٌ بقومى وخارجٌ عن أَخوالى هؤلاء ، ومُخَلٍّ سبيلَ هذه المرأة . ولولا ما رأيت من كعاعتى لم يَقْوَ على مناوأة قومى أحدٌ من العرب .

فقال عروة : خُذ فرسَك راشداً . فقال : ما كنتُ لآخذَه منك وعندى من نَسله جماعةٌ مثله . فخُذْه مُبارَكاً لك فيه .

قال ثمامة : إنّ له عندنا أحاديثَ كثيرة ما سمعنا له بحديثٍ هو أظرف من هذا . فقال المنصور : أفلا أُحدِّثك له بحديث هو أظرفُ من هذا ؟ قال : بلَى يا أمير المؤمنين ، فإنّ الحديث إذا جاء منك كان له فضلٌ على غيره . قال :

خرج عُروة وأصحابُه حتى أتى مَاوانَ ، فنزل أصحابهُ وكَنَف عليهم كَنيفاً من الشَّجر ، وهم أصحاب الكَنِيف الذى سمعتَه قال فيهم :

ألَا إنّ أصحابَ الكَنيف وجدتُهم   كما الناسُ لمّا أَمرعوا وتَموّلُوا

---

(١) الكعاعة : الجبن والضعف .

وفى هذه الغَزاة يقول :

أقُول لأصْحاب الكَنِيف تروَّحوا عَشيَّةَ بِتْنا حَول ماوانَ[١] رُزَّح

وفى هذه القصيدة يقول :

لِيَبْلُغَ عُذراً أو يُصيبَ غَنيمةً ومُبْلِغُ نفسٍ عُذْرَهامِثْلُ مُنْجِح

ثم مَضى يَبْتَغى لهم شيئاً وقد جُهِدوا ، فإذا هو بأبياتِ شَعَرٍ وامرأة قد خَلا من سنِّها ، وشيخٍ كبير كالحِقَاء[٢] الْمُلْقَى. فكَمن فى كِسْر بيتٍ منها . وقد أجدب الناسُ ، فإذا هو فى البيت بسُحُورٍ ثلاثةٍ مَشْوِيّة — فقال ثُمامة : وما السُّحور ؟ قال : الحُلقوم بما فيه — والبيتُ خالٍ . فأكلها ، وقد مكث قبل ذلك يومَيْن لا يأكل شيئاً ، فأشبعتْه وقَوِى ، وقال : لا أبالى مَن لَقِيتُ بعد هذا . ونظرتِ المرأةُ فظنّت أنّ الكلب أكلها ، فقالت للكلب : أفعلتَها يا خبيثُ ! وطردتْه . فإنه لكذلك و إذا هو عند المساء بإبلٍ قد ملأتِ الأرضَ ، و إذا هى تَلْتفت فَرَقاً . فعلم أنّ راعيَها شديدُ الضَّرب لها . فلما أتت المُناخَ بركتْ . ومكث الرّاعى قليلاً ثم أتى ناقةً منها ، فَمرَى[٣] أخلافَها ، ثم وضع العُلْبة على رُكْبتيه وحَلب حتى مَلأها ، ثم أتى الشيخَ فسقاه ، ثم أتى ناقةً أُخرى ففعل بها ذلك . ثم أتى أخرى ففعل بها كذلك ، فشرب هو ، ثم التفع بثوب واضطجَع ناحيةً ، فقال الشيخُ للمرأة وأعجبه ذلك : كيف تَرَيْن ابنى ؟ فقالت : ليس بابنك . قال : فابن مَنْ وَيْلك ؟ قالت : ابنُ عُروة بن الوَرْد . قال : ومن أين ؟ قالت : أتذكرين يومَ مَرَّ بنا ونحن نُريد سُوق ذى المَجاز ، فقلتَ : هذا عُروة ابن الوَرْد ، ووصفتَه لى بجَلَد ، فإنى أستطرفته[٤] . قال : فسكَت . حتى إذا نَوّم

(١) رزح : جمع رازح ، وهو الهالك هزالا . (٢) الحقاء : الإزار .
(٣) مرى أخلافها : مسح ضرعها لتدر .
(٤) استطرفته : عددته طريفاً .

وثَب عروةُ وصاح بالإبل فاُقتطع منها نحواً من النِّصف ومضى ، ورجا ألّا يَتْبعه الغُلام — وهو غلام حين بدا شاربه — فاتّبعه فَلحِقه . فعالجه فضَرب به الأرضَ فوقع قائماً . فتخوّفه على نفسه . ثم واثبه فضَرب به الأرضَ فبادره ، فقال : أنا عُروة بن الوَرد ، وهو يريد أن يُعْجِزه عن نَفسه . قال : فاُرتدع ثم قال : مالك ويلك ! لستُ أشك أنك قد سمعتَ ما كان من أمى . قال : قلت : نعم . فاُذهب معى أنت وأُمك وهذه الإبل ودَع هذا الشَّيخ ، فإنه لا يَنهاك(1) عن شىء . فقال : الذى بَقِى من عُمر هذا الشيخ قليلٌ ، وأنا مُقيم معه ما بقى ، فإنّ له حقًّا وذِماماً ، فإذا هَلك فما أَسرعنى إليك ، وخُذ من هذه الإبل عيراً . قلت : لا يكفينى ، إنّ معى أَصحابى قد خلَّفتُهم . قال : فاثنان . قلت : لا . قال : فثلاثة ، والله لا زِدْتُك على ذلك . فأخَذها ومضى إلى أصحابه . ثم إن الغلام لَحِق به بعد هَلاك الشيخ .

فقال ثُمامة : والله يا أمير المؤمنين ، لقد زيَّنته عندنا وعظَّمته فى قُلوبنا . قال : فهل أعقب عندكم ؟ قال : لا ، ولقد كُنا نَتشاءم بأبيه ، لأنّه هو الذى أوقع الحرب بين عَبْس وفَزارة بمُراهنته حُذيفة ، ولقد بلغنى أنه كان له ابنٌ أسنُّ من عُروة يُؤْثره على عُروة فيما يُعطيه ويُقرِّبه . فقيل له : أتُؤثر الأكبرَ مع غَنائه عنك على الأصغر مع ضَعْفه ! فقال : أترَوْن هذا الأَصغر ، لئن بقى مع ما أرى من شدّة نَفسه ليصيرنّ الأكبرُ عيالاً عليه .

الشعر الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغِناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارَ عُروة ، هو :

وخِلٍّ كنتُ عينَ الرُّشد منه إذا نظرتْ ومُستمعاً سَمِيعا
أطاف بغَيِّه فعدلتُ عنه وقلت له أرى أمراً فَظِيعا

(1) أى لا غناء فيه ، فلا ينهاك عن تطلب غيره .

أخبار ذى الإصبع العدوانى

نسبه و شىء عنه

وهو حُرثان بن عمرو بن بن الحارث بن مُحرِّث بن ثعلبة بن سيّار بن رَبيعة ابن هُبيرة بن ثَعلبة بن ظَرِب بن عمرو بن عبّاد بن يَشْكر بن عَدْوان بن عمرو ابن سَعد بن قَيس بن عَيلان بن مُضَر بن نِزار بن مَعدّ بن عَدنان . أحد بنى عَدْوان ، وهم بطن من جَديلة . شاعر فارس من قُدماء الشعراء فى الجاهلية، وله غارات كثيرة فى العرب ووقائع مَشهورة .

شعره فى فناء عدوان

وكانت عَدْوان كثيرة العَدد ، فرُئى أنهم نَزلوا على ماء فأَحصوا فيهم سَبعين ألف غلام أغرل[1] ، سوى من كان مختوناً لكثرة عَددهم ، ثم وقع بأسُهم بينهم فتفانَوْا ، فقال ذو الإصبع :

عَذير الحىِّ من عَدْوا ... نَ كانوا حيةَ[2] الأَرْضِ

بغَى بعضُهم بَعضاً ... فلم يُبْقُوا على بَعض

فقد صاوَوا أحاديثَ ... بِرَفْع القول والخَفْض

فمنهم كانتِ السّادا ... تُ والمُوفُونَ بالقَرْض

ومنهم مَن يُجيز النّا ... سَ بالسُّنةِ والفَرْض

ومنهم حَكَمٌ يَقْضى ... ولا يُنْقَض ما يَقْضى

شىء عن عامر ابن الظرب

والحَكم الذى عَناه أبو الإصبع فى شعره هو عامر بن الظَّرب العَدْوانى ، وهو الذى كانت العَصا تُقْرع له . وكان قد كَبِر ، فقال له الثانى من ولده : إنك ربما أخطأتَ فى الحُكم فيُحمل عنك . قال : فاجعلوا لى أمارة أعرفها، فإذا زغتُ فسمعتُها رجعتُ إلى الحُكْم والصّواب . فكان يجلس قُدّام بيته و يقعد ابنُه فى البيت ومعه العصا ، فإذا زاغ أو هَفا قَرع له الجَفْنة، فَرجع إلى الصواب . وفى ذلك يقول المتلمِّسُ :

---

(١) الأغرل : الذى لم يختن . (٢) يقول : هات عذراً فيما فعل بعضهم ببعض من التباعد و التباغض و القتل ، بعد ما كانوا حية الأرض التى يحذرها كل أحد .

لذِي الحِلْمِ قبل اليوم ماتُقْرع العصا وما عُلِّم الإنســانُ إلّا ليَعْلمَا

وربيعةُ تدّعيه لعبد الله بن عمرو بن الحْارث بن همّام . واليمنُ تدّعيه لربيعة ابن مُخاشن ، وهو ذو الأعواد ، وهو أول مَن جَلس على مِنبر أو سرير وتكلّم . وفيه يقول الأسود بن يَعْفُر :

ولقد علمتُ لَوَ انّ علمِىَ نافِعِى أنّ السَّبيلَ سبيلُ ذى الأَعوادِ

سؤال عبد الملك عنه

وذُكر أنّ عبد الملك بن مَروان لمّا قَدِم الكوفَةَ بعد قَتْله مُصعَبَ بنَ الزُّبير جَلس يَعْتَرض أحياء العَرب ، فقام إليه مَعبدُ بن خالد الجَدَلىّ ، وكان قصيراً دَمياً . قال معبد : فتقدّم إليه رجلٌ منّا حَسَنُ الهيئة . فنَظر عبدُ الملك إلى الرّجل فقال : من أنت ؟ فسكَت ولم يقُل شيئاً . فقلتُ مِن خلفه : نحن يا أمير المؤمنين من جَديلة . فأَقبل على الرجل وتركنى، وقال : من أيّكم ذو الإصبع ؟ فقال الرجل : لا أدرى . فقلت : كان عَدوانيًّا . فأقبل على الرجل وتركنى وقال: لِمَ سُمِّى ذا الإصبع ؟ قال الرجل: لا أدرى . فقلت : نهشتْه حيةٌ فى إصبعه فَيبِست . فأقبل على الرجل وتركنى ، وقال : وبِمَ كان يُسمَّى قبلَ ذلك ؟ قال الرجل : لا أدرى . قلت : كان يُسمَّى حُرْثان . فمال إلى الرجل وتركنى، وقال : مِن أىّ عَدْوان كان ؟ قلت مِن خَلفه : من بنى ناجٍ الذى يقول فيهم الشاعر :

وأمّا بنو ناجٍ فلا تَذْكُرنَّهم ولا تُتْبِعَنْ عينيكَ ما كان هالـكَا

إذا قلتُ معروفاً لأُصْلِحَ بينهم يقول وُهَيبٌ لا أُسالِمُ ذلـكا

فأَقبل على الرجل وتركنى ، وقال : أنشدنى قولَه :

عَذِيرَ الحىّ مِن عَدْوا نَ كانُوا حَيَّةَ الأَرْضِ

فقال الرجلُ : لست أَرويها . قلت : يا أمير المؤمنين ، إن شئتَ أنشدتُك . فقال : اُدْن منّى ، فإنّى أراك بقومك عالماً . فأنشدتُه :

وليس المرء فى شىء من الإبْرام والنَّقْضِ
إذا أبرم أمــراً خا له يَقضِى وما يَقْضى

وذكر بعد هذه الأبيات :

ومِمَّن وَلَدُوا عامـ ـرُ ذو الطَّول وذو العَرْض
وهم بَوَّوْا[1] ثَقيفاً دا رَ لا ذُلٍّ ولا خَفْض

فأَقْبل على الرّجل وتركنى ، وقال : كم عطاؤُك ؟ قال : ألفان . فأقبل علىّ ، فقال : كم عطاؤك ؟ فقلتُ : خمسمائة . فأقبل على كاتبه وقال : أجعل الألفين لهذا خمسمائة ، والخمسمائة لهذا . فانصرفتُ بها .

وقوله « ومنهم من يُجيز الناس » فإنّ إجازة الحجّ كانت لخزاعةَ ، فأخذتْها منهم عَدوان ، فصارت إلى رجل منهم يقال له : أبو سيّارة ، وله يقول الراجز :

خلُّوا السَّبيل عن أبى سَيّارهْ وعَن مواليــه بنى فَزارهْ
حتى يُجيز ســالمًا حِمــارهْ مُسْتَقبِل الكعبةِ يَدْعو جارهْ

وكان أبو سيّارة يُجيز الناسَ فى الحج بأن يتقدَّمهم على حِمارٍ ، ثم يَخْطُبهم فيقول : اللهم أَصْلح بين نسائنا ، وعادِ بين رِعائنا ، واُجْعل المـال فى سُمَحائنا . أوفُوا بعَهْدكم ، وأكرِمُوا جارَكم ، واقْرُوا ضَيفكم . ثم يقول : أشْرِقْ ثَبير ، كيما نُغير[2] . فكانت هذه إجازتَه .

هو وبناته الأربع

وذُكر أنّه كان لذى الإصْبع أَرْبعُ بناتٍ ، وكُنّ يُخْطَبنَ ، فَيعْرِض ذلك عليهنّ فيَسْتحيِين ، ولايُزوِّجهنّ . وكانت أُمهنّ تقول : لو زوّجتَهنّ ! فلا يَفعل .

---

(١) بووا : أنزلوا ، الأصل فيه الهمز ثم خفف .

(٢) ثبير : جبل مكة . وأشرق ، أى ادخل فى الشروق . ونغير : نسرع . ومعنى المثل : ادخل ياثبير فى الشروق حتّى نسرع للنحر . وكان المشركون يقولون ذلك ولا يفيضون حتّى تطلع الشمس ، فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمثل يضرب فى الإسراع والعجلة .

فخرجن ليلةً إلى متحدَّث لهنّ . فاُستمع إليهنّ ، وهنّ لا يعْلمن . فقُلْن : تعالَيْن نتمنَّى ، ولنَصْدُقْ . فقالت الـكُبرى :

ألا ليْتَ زَوجى مِن أُناسٍ ذوِى غِنًى حديثُ الشَّباب طيِّب الرِّيح والعِطْرِ
طبيبٌ بأدواء النســـاء كأنّه خليفةُ جانٍ لا ينامُ عَلَى[1] هُجْرِ

فقُلن لها : أنتِ تُحبِّين رجلاً ليس من قومك . فقالت الثانية :

ألَا هـل أراها مرّةً وضَجِيعُها أَشَمُّ كنَصْل السَّيْفِ غيرُ مُبلَّدِ
لَصُوقٌ بأكباد النِّساءِ وأصـلُه إذا ما انتمى من سِرِّ أهلى ومَحْتِدِى

فقُلن لها : أنت تُحبِّين رجلاً من قومك . فقالت الثالثة :

ألَا ليتَه يَملَأ الجِفانَ لضَيْفه له جَفْنةٌ يَشْقى بها النِّيبُ[2] والجُزْرُ
له حَـكَماتُ الدَّهْرِ[3] من غيرِ كَبْرةٍ تَشِين ولا الفانِى ولا الضَّرِعِ[4] الغمر

فقلن لها : أنت تُحبِّين رجلاً شَرِيفاً .

وقُلن للصُّغْرى : تمنَّى . فقالت : ما أُريد شيئاً . قُلن : والله لا تبْرحين حتى نَعلمَ ما فى نفسك . فقالت : زَوْجٌ مِنْ عُودٍ خَيْرٌ مِن القُعُودِ .

فلمَّا سَمِع ذلك أبوهُنَّ ، زوَّجهنَّ أربعتَهن ، فـكُنّ عنده . فقال للـكُبرى : يا بُنَيَّة ، ما مالُـكم ؟ قالت : الإبل . قال : فـكيف تجدُونها ؟ قالت : خير مال ، نأكل لُحومها مُزَعا[5] ، ونَشرب ألبانَها جُرَعا ، وتَحملنا وضعيفَنا معا . قال :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وتر » مكان « هجر » .

(٢) النيب : جمع ناب ، وهى الناقة المسنة . والجزر ، بضمتين وسكن للشعر : جمع جزور ، وهى الناقة المجزورة .

(٣) الحكمات : جمع حكمة ، وهى حديدة اللجام يكبح بها الفرس . والمراد بحكمات الدهر : تجاربه التى ترد الإنسان عن فعل ما يشين . والذى فى الأصل : « به محكمات الشيب» . وما أثبتنا من الكامل للمبرد . (٤) الضرع : الضعيف . والغمر ، مثلث الغين : غير المجرب .

(٥) مزعا : قطعاً : الواحدة : مزعة .

فكيف تجدين زوجَك ؟ قالت : خيرُ زوج ، يُكرم الحليلة ، ويُعطى الوسيلة . قال : مالٌ عَميم ، وزوجٌ كريم .

ثم قال للثانية : يا بُنية ، ما مالُكم ؟ قالت : البَقر . قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : خير مال ، تألف الفِناء ، وتُوَدِّك السِّقاء[1] ، وتملأ الإناء ، ونساء مع نساء . قال : فكيف تجدين زوجَك ؟ قالت : خير زَوج ، يُكرم أهله ، ويَنْسى فضلَه . قال : حَظِيتِ وبَظِيت[2] .

ثم قال للثالثة : ما مالُكم ؟ قالت : المِعْزَى . قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : لا بأسَ بها ، نُولدها فُطُماً[3] ، ونَسلخها أُدما . قال : فكيف تجدين زَوجك ؟ قالت : لا بأس به ، ليس بالبَخيل الحَكِر[4] ولا بالسَّمْح البَذِر . قال : جَدْوَى[5] مُغْنِية .

ثم قال للرابعة : ما مالُكم ؟ قالت الضَّأْن . قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : شرّ مال : جُوفٌ[6] لا يَشْبَعن ، وهِيمٌ[7] لا يَنْقَعن ، وصُمٌّ[8] لا يَسمعن ، وأَمْرَ مُغْوِيتهنّ يَتْبعن[9] . قال : فكيف تجدين زوجَك ؟ قالت : شرّ زوج ، يُكرم نفسَه ، ويُهين عِرْسه . قال : أَشبه أَمْرَأً بَعضُ بَزِّه .

---

(١) أى تجعل فيه الودك ، ، وهو الدسم .

(٢) الكلمة للإتباع ، وليس فى كلام العرب « بظى » .

(٣) فطم : جمع فطيم ، وهو ما يفصل عن الرضاع .

(٤) الحكر : المستبد بالشىء . والذى فى الأصل : « الختر » وهو المقيم فى الحى لايخرج مع القوم للميرة .

(٥) الجدوى : الغناء . وفى الكامل : « جذو » . وجذو : جمع جذوة ، وهى الخشبة ما كانت فيها نار .

(٦) جوف : عظام الأجواف . (٧) هيم : عطاش . ولا ينقعن : لا يروين .

(٨) تشبه الضأن بالصم لبلادتها .

(٩) فى الكامل للمبرد : « قال على بن عبد الله : قلت لأبى عائشة : ما قولها : « وأمر مغويتهن يتبعن » ؟ فقال : أما تراهن يمررن فتسقط الواحدة منهن فى ماء أو وحل وما أشبه ذلك فيتبعنها إليه » .

شعره وقد خرف

وحُكى ، أنه عُمِّر ذو الإصبع عُمْراً طويلاً ، حتى خَرِف وأُهْتِر[١] ، فكان يُفرِّق ماله . فعذَله أصهارُه ولاموه ، وأخذوا على يديه . فقال قصيدتَه التى منها :

أَهْلَكَنا الليلُ والنهار معاَ والدَّهر يَعْدو مُصمِّماً[٢] جذَعَا
فليس فيما أصابنى عَجَبٌ إن كنتُ شَيباً أنكرتُ أو صَلَعا
وكنت إذ رَوْنق الشباب به ماء شَبابى تخَاله شَرِعا
والحىُّ فيه الفتاةُ تَرْمُقنى حتّى مضَى شَأْوُ ذاك فانقَشعا

ومنها :

آبَى فلَا أقرَبُ الخِباء إذا ما رَبُّه بعد هَدْأةٍ هَجَعا
ولا أروم الفتاةَ زَوْرَتَها إنْ نام عنها الحَليل[٣] أو شَسعا

وصيته لابنه فى احتضاره

ولمّا اُحتضِر دعا ابنه أُسيداً[٤] ، فقال : يا بُنى ، إنّ أباك قد فَنِى وهو حَىّ ، وعاش حتى سَئم العَيش ، وإنّى مُوصيك بما إنْ حفظتَه بلغتَ فى قومك ما بلغتُه : أَلِنْ جانبَك لقومك يُحبّوك ، وتواضعْ لهم يَرفعوك ، وابسُط لهم وجهَك يُطيعوك ، ولا تَستأثر عليهم بشىء يُسَوِّدوك ، وأكرم صِغارهم كما تُكرم كِبارَهم ، يُكْرِمْك كبارُهم ، ويَكْبَرْ على مودّتك صغارُهم ، واُسمح بمالك ، واُحْمِ حريمَك ، وأعِزَّ جارَك ، وأعِنْ من اُستعان بك ، وأكرم ضيفَك ، وأسرع النَّهضة فى الصريخ ، فإنّ لك أجلاً لا يَعْدُوك ، وصُنْ وجهَك عن مَسألة أحدٍ شيئاً ، فبذلك يتم سُؤْدَدُك .

(١) أهتر : فسد عقله من الكبر وصار خرفا .
(٢) الجذع : الشاب الحدث .
(٣) شسع : بعد .
(٤) سموا : « أُسيدا » ، كزبير ، و« أَسيدا » ، كأمير .

ثم أنشأ يقول :

أأسيدُ إنْ مالاً ملكْـ ... ـتَ[1] فسِرْ به سَيْراً جميلا
وأشرَبْ بكأسهمُ وإنْ ... شربوا به السُّمّ[2] الثَّميلا
أهِنِ اللِّئامَ ولا تكنْ ... لإخائهم جَمَلاً ذَلُولا
ودَع الذى يَعِد العشيـ ... ـرةَ أن يَسيلَ ولن يَسيلا
أأسيدُ إنْ أزمعتَ مِنْ ... بلدٍ إلى بلدٍ رَحيلا
فاحفظْ وإنْ شَحط المَزا ... رُ أخا أخيك أو[3] النَّزِيلا
وأركبْ بنفْسك إن هَمَمْـ ... ـتَ بها الحُزونةَ والسُّهولا
وصِلِ الكِرامَ وكُنْ لِمَنْ ... ترجو مودَّته وَصولا
ودَعِ التَّوانىَ فى الأمو ... رِ وكُن لها سَلِسًا ذَلُولا
وأبسُط يمينَك بالنَّدَى ... وامدُدْ لها بَاعاً طَويلا
وأعزِمْ إذا حاولتَ أمْـ ... ـرًا يفْرِجُ الهمَّ الدَّخيلا
وابذُل لضَيْفك ذات رَحْـ ... ـلِكَ مُكْرِماً حتى يَزُولا
واحلُلْ على الأيْفاع لْلْـ ... ـعافِينَ وأجْتنِب المَسيلا
وإذا القُروم تخاطرتْ ... يوماً وأرْعدت[4] الخَصيلا
فاهصِرْ كهَصْر اللَّيْث خضَّـ ... ـب من فَريسته[5] التَّليلا
وأنزِل إلى الهَيْجا إذا ... أبطالُها كرِهوا النُّزولا
وإذا دُعِيتَ إلى المُهِمِّ فكُنْ لفَادِحِه حَمُولا

(١) فى الأصل : « إما تنعمن » مكان « إن ما لا ملكت » .
(٢) الثميل : أى الناقع . لم ترد فى كتب اللغة .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الزميلا » مكان « النزيلا » .
(٤) الخصيل : جمع خصيلة ، وهى كل لحمة فيها عصب .
(٥) التليل : العنق .

تمثـل معاوية بشعر له

وذُكر أنّه جَرى بين عبد الله بن الزُّبير وعُتبة بن أبى سُفيان لِحاءٌ[1] بين يدَى معاوية بن أبى سفيان ، فجعل ابنُ الزُّبير يَعْدِلُ عن عُتبة ويُعرِّض بمعاوية ، حتى أطال وأكثر من ذلك . فالتفتت إليه مُعاوية متمثِّلاً وقال :

ورَامٍ بعَوْراء الكَلام كأنّها ... نوافرُ صُبْحٍ نفَّرتها المَراتِعُ
وقد يَدْحَض[2] المرءُ المُوارِبُ بالخَنا ... وقد تُدرِكُ المرءَ الكريمَ المَصانِع

ثم قال لابن الزُّبير : من يقول هذا ؟ قال : ذو الإصبع . قال : أتَرويه ؟ قال : لا . قال : فمَن هاهنا يَروى هذه الأبيات ؟ فقام رجل من قَيس فقال : أنا أرويها يا أمير المؤمنين . قال : أَنشِدْنى. فأنشده حتى أتى على قوله :

وساعٍ برجليه لآخَر قاعدٍ ... ومُعْطٍ كريمٌ ذو يسارٍ[3] ومانِعُ
وبانٍ لأَحساب الكِرام وهادمٌ ... وخافضُ مولاه سَفَاهًا ورافع
ومُغْضٍ على بعض الخُطوب وقد بدَت ... له عَوْرةٌ من ذى القَرابة ضاجع
وطالب حُوبٍ باللِّسان وقَلْبُه ... سِوَى الحقِّ[4] لا تخفَى عليه الشرائع

فقال له معاوية : كم عطاؤك ؟ قال : سَبعمائة . قال : أجعلوها ألفاً . وقطع الكلام بين عبد الله وعُتبة .

سبب الفرقة بين عدوان

وكان سَبب تفرُّق عَدوان ، وقِتال بَعضهم بعضاً حتى تفانَوْا ، أن بنى ناج ابن يَشْكر بن عَدْوان أغاروا على بنى عَوْف بن سعد بن ظَرب بن عمرو بن عبّاد ابن يَشْكر بن عَدْوان ، ونَذِرتْ[5] بهم بنو عَوف ، فاقتتلوا . فقَتل بنو ناجٍ ثمانيةَ نفرٍ من بنى عَوف ، منهم عُمَر بن مالك ، سيِّد بنى عوف . وقتل بنو عَوْف من بنى ناجٍ رجلًا منهم ، يقال له : سِنان[6] بن جابر . ثم اصطلحوا على دياتٍ

(١) اللحاء : المنازعة . (٢) يدحض : يزل . (٣) فى الأصل : « مقال » مكان « يسار » . (٤) سوى الحق : خيره ووسطه . (٥) نذرت : علمت .
(٦) فى الأصل هنا : « يسار » . وفيما سيأتى بعد قليل : « ياسر » .

يتعاطَوْنها ، ورضُوا بذلك . وأبى مَرِيرُ بن جابر أن يَقبلَ لأخيه سنان بن جابر ديةً ، واعتزل هو و بنو أبيه ومَن أطاعهم ومالأهم(١) . فمشى إليهم ذو الإصبع وسألهم قَبول الدِّية وقال : قد قُتل منّا ثمانيةُ نَفر فقبِلْنا الدية ، وقُتل منكم رجلٌ واحد فاْقبلوا ديتَه . فأَبَوْا ذلك وأقاموا على الحرب . فكان ذلك مبدأ حرب بعضِهم بعضاً حتى تفانَوا وتقطَّعوا . فقال ذو الإصبع فى ذلك :

فيابُؤْس للأيّام والدهرِ هالكاَ ... وصَرْفِ اللَّيالى يَخْتلفن كذلكاَ
أبعدَ بنى ناجٍ وسَعْيِكَ فيهمُ ... ولاتُتْبِعَنْ عينَيْك من كان هالكاَ
إذا قلتُ معروفاً لأُصْلِحَ بينهم ... يقولُ مَريرٌ لا أُحاول(٢) ذَلِكا
فأضحَوا كظَهْرِ العَوْدِ جُبَّ سَنامُه ... تَحُوم عليه الطيرُ أحدبَ بارِكا
فإنْ تكُ عَدْوانُ بن عمرو(٣) تفرَّقت ... فقد غَنِيتْ دهراً مُلوكاً هُنالكا

شعره فى مرير وفيه الغناء

وفى مَرِير بن جابر يقول ذو الإصْبع قصيدتَه التى منها الشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارَ ذى الإصبع ، وهو :

أزْرى بنا أنّنا شالتْ نَعامتُنا ... فخالنى دُونه بل خِلْتُه دونِى

ومنها :

فإنْ تُصِبْك من الأيام جائحةٌ ... لم أبْكِ منك على دُنْيا ولا دِينِ
لاهِ(٤) ابنُ عَمِّك لا أفضلتَ فى حَسبٍ ... شيئاً ولا أنتَ(٥) ديَّانى(٦) فتَخزونى
ولا تَقُوت عِيالى يوم مَسْغبةٍ ... ولا بنفسك فى العَزَّاء(٧) تَكْفينى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « والاهم » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « لاتحاول » .
(٣) فى الأصل : « عوف » تحريف .
(٤) لاه ، أصله : لله ، حذفت منه اللام الخافضة .
(٥) الديان : القائم بالأمر .
(٦) تخزونى : تقهرنى . (٧) العزاء : الشدة .

إنّ الذى يَقْبِض الدُّنيا ويَبْسُطها ... إن كان أغناكَ عنّى سوف يُغنينى
الله يَعلمنى والله يعلمكم ... والله يَجْزِيكمُ عنّى ويَجْزِينى
ماذا علىّ وإن كنتم ذوى رَحِمِى ... ألّا أُحبّكم إذ لم تُحِبّونى
لو تَشربون دَمى لم يَرْوَ شاربُكم ... ولا دِماؤُكمُ جمعاً تُرَوّينى
ولِى ابنُ عمٍّ لو انّ الناسَ فى كَبِدى ... لظَلّ مُحتجزاً (١) بالنَّبْل يَرْمِينى
يا عمرُو إنْ لا تَدَعْ شَتْمى ومَنْقَصتى ... أَضْرِبْكَ حتى تقول الهامةُ اسْقُونى
كل امرئٍ صائرٌ يوماً لشيمته ... وإن تَخلّق أخلاقاً إلى حين
إنّى لعَمْرك ما بابِى بذى غَلَقٍ ... على الصَّديق ولا خَيْرى بمَمْنُون
ولا لسانِى على الأدنى بمُنْطلق ... بالمُنْكرات ولا فَتْكى بمأْمون
لا يُخرج القَسْرُ منّى غيرَ مَغْضبةٍ ... ولا أَلينُ لمن لا يَبْتغى لِينى
وأنتمُ معشرٌ زَيْدٌ على مائةٍ ... فأجمِعوا أمْرَكم شتّى فكيدُونى
وإن علمتم سبيلَ الرُّشد فانطلِقوا ... وإن غَبِيتُم طريقَ الرُّشد فأْتُونى
ماذا علىّ إذا تدعوننى (٢) ضَرَعاً ... ألاّ أُجيبَكم إذ لم تُجيبونى
قد كنتُ أُعطيكم مالِى وأَمْنحكم ... وُدّى على مُثْبَتٍ فى الصَّدْر مكنون
ياصاحِ (٣) لو كنتَ لى ألفيتَنى (٤) يَسَراً ... سَمْحاً كريماً أُجازى مَنْ يُجازينى

قصيدته فى رثاء قومه

ورثَى أبو الإصبع العدوانى قومه بالقصيدة الضاديّة التى تقدّم ذكرُها (٥)، ومنها :

جديدُ العَيش مَلْبوسٌ ... وقد يُوشك أن (٦) يُنْقَضَى
فأَمْرَ اليوم أَصلحه ... ولا تَعرِض لما يَمضِى
فبينا المرء فى عَيش ... له من عِيشةٍ خَفْض

(١) المحتجز : الذى يشد مئزره على وسطه . وهو كناية عن التهيؤ للأمر والتشمر له .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فزعا » مكان « ضرعا » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « يا عمرو » .
(٤) اليسر : السهل الانقياد .
(٥) انظر (ص ٣٥٣) من هذا الجزء .
(٦) فى البيت إقواء.

أَتاه طَبَقٌ[١] يومـــاً على مَزْلقـــة دَحْض
وليس المـــرء فى شىء من الإبرام والنَّقض

ومنها :

وهم كانوا فـلا تُكْذَبْ ذوى القُـــوَّة والنَّهض
وهم مَن ولد[٢] أَشْبَوْا بسِرِّ الحسب المَحْض
فمن ساجَلهم حَـــرْباً ففى الخَيْبـــة والخَفْض
وهم نالُوا على الشَّـــنآ نِ والشَّحْناء والبُغْض
مَعـــالِى لم ينَلْهَـا النا سُ فى بَسْطٍ ولا قَبْض

لأمامة بنته ترثى قومهـــا

وقالت أُمامة بنت ذى الإصبع ، وكانت شاعرةً ، ترثى قومها :

قد لَقِيتْ فَهْمٌ وعَدْوانُها قَتْلاً وهُلْـكا آخرَ الغابرِ
كانوا ملوكاً سادةً فى الذُّرى دهراً لها الفَخْر على الفاخر
حتى تساقَوْا كأسَهم بينهم بَغْيا فيا لِلشَّارب الخاسر
بادوا فمن يَحْلُل بأوطانهم يَحْلُل برَسْم مُقفِرٍ داثر

(١) الطبق : الشدة . (٢) أشبى فلان : ولد له كيس .

أخبار غريض اليهودي

نسبه

(*) هو غَريض بن السَّموءل بن غَريض بن عاديا اليهوديّ .

شعر له يغنى فيه

ذكر له أبو الفَرج شِعراً يُغنّى فيه ، وهو :

أرفعْ ضَعيفَك لا يحُرْبك ضَعْفُه   يوماً فتُدْرِكَه العواقبُ قد نَما
يجْزيكَ أو يُثْني عليكَ و إنّ مَن   أثْنىَ عليك بما فعلتَ كمن جزَى

وقيل : هذا الشعرُ لأبنه سَعْية . وقيل : إنه لزَيد بن عمرو بن نُفَيل . وقيل : إنه لوَرَقة بن نَوفل . وقيل: لزُهير بن جنَاب .

لعائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم فى شعر لغريض

ثم رَوى أبوالفَرج بإسناده عن عائشة رضى الله عنهـا قالت : دَخل عليّ رسولُ الله صلّي الله عليـه وسلّم وأنا أتمثّل بهذين البيتَيْن — تَعْنى البيتَيْن اللّذين لغَريض — فقال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم : رُدِّى عليَّ قولَ اليهوديّ ، قاتلَهُ الله ! لقد أتانى جبريلُ برسالةٍ من ربِّى : أيُّما رجل صنَع إلى أخيـه صَنيعةً فلم يجد له جَزاءً إلّا الثَّناء عليه والدعاءَ له ، فقد كافأه .

دخول اليهود الحجاز

ثم ذكر أبو الفَرح سببَ دُخول اليهود إلى الحجاز ومُقامهم بها إلى أن بُعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : إنّ موسى بن عِمْران عليه السلام وجَّه جيشاً إلى العَماليق ، وكانوا قد طغَوْا و بلغت غارتُهم إلى الشأم ، وأمرهم إن ظَفروا بهم أن يَقتلوهم أجمعين . فظفِروا بهم فقَتلوهم أجمعين ، سوى أبنٍ لملكهم كان غُلاماً جميلا ، فرَحِموه واستَبقْوه . وقَدِموا الشأم بعد وفاة مُوسى عليه السلام،

(*) ساق أبو الفرج قبل أخبار الغريض هذا بعض كلمات عن قيل مولى العبلات ، لاتبلغ مبلغ التراجم وليست على سياقتها ، ويظهر أن ابن واصل اطرحها لهذا .

وأخبروا بنى إسرائيل بما فَعلوا . فقالوا : أنتم عُصاةُ الله ، لا تدخلون الشأم علينا أبداً ! وأخرجوهم عنها . فقال بعضُهم لبعض : ما من بلد غيرِ الذى ظَفِرْنا به وقتلنا أهلَه ! فرجَعوا إلى يَثْرب فأقاموا بها . وذلك قبل وُرود الأَوس والَخزرج إيّاها عند وُقوع السَّيل العَرِم[1] باليمن . وهؤلاء اليهود هم بنو قُريظة والنَّضِير و بنو قَيْنقاع وغيرهم . وقُريظة والنَّضِير من ولد هارون عليه السلام ، وستأتى لهم أخبار وذِكْر فى هذه الكتاب .

تعقيب للمؤلف

قلت : هذا ما ذَكره أبو الفَرج . وقال الأكثرون : إنّ هؤلاء إنما وقعوا بالحجاز بعد أن أجْلاهم بُختنصّر عن بيت المَقْدس ، وكانت عندهم صِفَة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم و بَعْثه ، وأنه يُبْعث بمكة ويُهاجر إلى يثرب . فأقاموا حول يثرب يتوكّفون[2] ظهوره ليكونُوا أولَ مُؤمنٍ به . فلما بَعثه الله تعالى وهاجر إلى المَدينة ، حَسدوه و بَغَوْا له الغوائل . فنصَره الله تَعالى عليهم ، فأجلَى بنى النَّضير و بنى قَيْنُقاع ، وأوْقع ببنى قُرَيظة ، فقَتل مُقاتلهم وسَبى ذَرَاريهم ونِساءَهم .

---

(١) كذا فى الأصل . وفى بعض أصول الأغانى : « سيل العرم » . وعلى هذه الرواية ، فالعرم : اسم واد . وعلى رواية الأصل ، فالعرم : السيل الذى لا يطاق . وقيل : الشديد .

(٢) يتوكفون : يتوقعون .

أخبار ورقة بن نوفل

نسبه وشيء عنه

هو ورقة بن نَوفل بن أَسد بن عبد العُزَّى بن قُصىّ بن كِلاب . وأمه هِنْد بنت أبى كَبير[1] بن قُصىّ بن كِلاب . وهو أحدُ المُعتزلين لعبادة الأوثان فى الجاهليّة . وكان قرأ الكُتب وامتنع من أكل الذَّبائح للأوثان .

للنبي صلى الله عليه وسلم فيه

وقد رَوى عُروة بن الزُّبير أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم سُئل عن وَرقة ابن نَوفل ، فقال : « لقد رأيتهُ فى المَنام كأنّ عليه ثِياباً بِيضاً ، فقد أظُن أن لو كان فى النّار لم أرَ عليه البياضَ » .

وروت عائشةُ رضى الله عنها أن خديجةَ بنت خُويلد رضى الله عنها انطلقتْ بالنبىّ صلّى الله عليه وسلّم حتى أتت ورقةَ بن نوفل ، وهو ابن عمّها ، وكان تَنصّر فى الجاهليّة ، وكتب الكتابَ[2] العِبرانىّ ، [فيكتب بالعبرانية] من الإنجيل ما يشاء أن يكتب . وكان شيخاً كبيراً قد عَمِى . فقالت له خديجة : يابن عمِّى ، اسمع ما يقولُ ابنُ أخيك . فقال ورقة : يابن أخى ، ماذا ترى ؟ فأخبره رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم خَبر ما رأى . فقال ورقة : هذا الناموس الذى أنزله الله تعالى على مُوسى ، يا ليتنى فيها جَذَع[3] ! يا ليتنى أكون حيًّا إذ يُخرجك قومُك ! فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أوَ مُخْرِجىّ هم ؟ قال : نعم ، لم يأتِ رجلٌ قطُّ بما جئت به إلّا عُودى ، وإن يُدركنى يومُك أنصرْك نصراً مُؤزّراً . ثم لم ينْشَب ورقةُ أن مات .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « كثير » .

(٢) الكتاب : الكتابة ، مصدر .

(٣) الجذع : الشاب الحدث . أى ياليتنى أكون حدثاً حين تظهر نبوتك فأبالغ فى نصرتك .

في تعذيب بلال وشعر له

وقيل : إن بلالاً رضى الله عنه كان لجارية من بنى جُمَح ، وكان المُشركون يُعذِّبونه لمّا أسلم برَمْضاء[١] مكة ، يُلصِقون ظَهْرَه بالرَّمضاء ليُشْرِكَ بالله ، فيقول : أَحدٌ ! أَحدٌ ! فيمرّ عليه ورقةُ بن نوفل فيقول: أحدٌ ! أحدٌ والله يا بلالُ ! والله لئن قتلتموه لأتخذنّه حَنَاناً[٢]. كأنه يقول : لأتمسحنّ به . وقال ورقةُ بن نوفل :

لقد نَصحتُ لأقوام وقلتُ لهم ... أنا النّذيرُ ولا يَغْرُرْكُم أحدُ

لا تَعْبُدنّ إلٰهاً غيرَ خالقكم ... فإنْ دَعَوْكم فقُولوا بيننا[٣] حَدَدَ

سُبحانَ ذى العَرْش سُبحاناً[٤] نَعود له ... وقبلُ قد سبَّح الجُوديّ[٥] والجُمُد

مُسخَّرٌ كلُّ ما تحت السماءِ له ... لا يَنبغى أن يُناوِى مُلْكَه أَحد

لا شيءَ ممّا تَرى تبقى بَشاشتُه ... يبقَى الإلٰهُ ويُودِى المالُ والوَلَد

لم تُغْنِ عن هُرْمُزٍ يوماً خزائنُه ... والخُلْدَ قد حاولتْ عادٌ فما خَلَدوا

ولا سُليمانَ إذ دانَ الشُّعُوبُ له ... والجِنُّ والإنْس تَجْرى بينها[٦] البُرُد

ورُوِى أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال لأخى وَرقة بن نَوفل ، أو لابن أخيه : « شَعرتُ أنّى رأيتُ لوَرقةَ جنّةً أو جنّتين » . شك الراوى ، وهو هِشام ابن عُروة بن الزُّبير .

(١) الرمضاء : الأرض الحامية من شدة حر الشمس.

(٢) الحديث ضعيف ، فإن ورقة مات قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم . ولم يعذب بلال إلا بعد أن أسلم .

(٣) حدد : منع .

(٤) نعود له ، نعاوده مرة بعد أخرى. وفى بعض أصول الأغانى : « نعوذ به » .

(٥) الجودى : جبل بالجزيرة ، استوت عليه سفينة نوح . والجمد : جبل بنجد .

(٦) البرد : جمع بريد ، وهو الرسول .

أخبار زيد بن عمرو

نسبه

هو زَيد بن عمرو بن نُفيل بن عبد العُزَّى بن رِياح بن عبد الله بن قُرط بن رَزاح بن عَدىّ بن كَعْب بن لُؤىّ بن غالب . وأُمه جَيداء بنت خالد بن جابر بن أبي حَبيب بن فَهْم . وكانت جَيْداء هذه عند نُفيل بن عبد العُزَّى ، فولدت له الخطّابَ ، أبا عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه . ثم مات عنها نُفيل فتزوّجت ابنَه عَمْراً ، فولدت له زيدَ بن عمرو . وكان هذا نِكَاحاً يَنْكِحه أهلُ الجاهليّة . فكان الخطّاب عمَّ زيد وأخاه لأُمه .

شيء عنه

وكان زَيد أحدَ من اُعتزل عبادةَ الأوثان ، واُمتنع من أكل ذبائحهم ، وكان يقول : يا معشرَ قُريش ، أيُرسل الله قَطْر السماء ، ويُنْبت بقلَ الأرض ، ويخلُق السائمة فترعى فيه وتَذبحونها[1] لغيره ! والله ما أعلم أحداً على ظَهر الأرض على دين إبراهيم غيرى .

إخراج أخيه له من مكة

وكان أخوه الخطّاب قد أخرجه من مكة هو وجماعةٌ من قُريش ومَنعوه أن يدخُلها حين فارق عبادةَ الأوثان ، وكان أشدّهم عليه الخطابُ . وكان زيد إذا خلصَ إلى البيت اُستقبله ثم قال : لبّيك حقًّا حقًّا ، تعبُّدًا ورِقًّا ، البِرَّ أرجو لا الخالَ[2] ، وهل مُهجِّرٌ[3] كمن قال . ثم يقول :

عُذْتُ بما عاذ به إبراهِمُ ... مُسْتقبلَ الكعبةِ وهو قائمُ

يقول أنفِى لك عانٍ راغِم ... مهما تُجَشِّمنى فإنى جاشِم

ثم يسجد .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وتذبحوها » .

(٢) البر : الطاعة . والخال : الخيلاء . (٣) المهجر : السائر فى الهاجرة .

شعره فى ترك الأوثان

وقال زيد بن عَمرو بن نُفيل :

عزلتُ الجنَّ والجِنَّانَ عنِّى ... كذلك يفعل الجَلْد الصَّبُورُ
ولا العُزَّى أَدِينُ ولا ٱبْنَتَيْها ... ولا صَنَمَىْ[1] بنى غَنْمٍ[2] أُدير
أربًّا واحداً أم ألفَ ربٍّ ... أدينُ إذا تُقُسِّمتِ الأُمور
ألم تعلَمْ بأنَّ اللهَ أَفْنَى ... رجالاً كان شأنَهمُ الفُجور
وأَبْقى آخرين ببرِّ قومٍ ... فيَربو منهمُ الطِّفلُ الصَّغير

لورقة يخاطب زيداً

وقال ورقةُ بن نوفل يخاطب زيدَ بن عمرو بن نُفيل :

رَشَدْتَ وأَنعمت ٱبنَ عمرٍو وإنما ... تجنَّبْتَ تنُّوراً من النار حامِياَ
بدِينك ربًّا ليس ربٌّ كمثله ... وتَرْكك جِنَّانَ الجبال[3] كما هيا
أقول إذا ما زُرْتُ أرضاً مَخوفةً ... حنَانَيْك لا تُظْهِر علىَّ الأَعاديا
أَدِينُ لربٍّ يَستجيب ولا أُرَى ... أَدِينُ لمن لم يسمع الدّهرَ داعيا
أقول إذا صلَّيتُ فى كُل بِيعةٍ ... تباركتَ قد أَكثرتَ[4] بٱسمِك داعيا

اعتناقه دين إبراهيم

ورُوى أنّ زيد بن عَمرو خَرج إلى الشأم يسأل عن الدِّين ، فلقى عالماً من اليهود ، فسأله عن دينهم وقال : لعلِّى أدين بدينكم . فقال اليهودى : إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنَصيبك من غَضب الله . فقال زيد : ما أفرّ إلّا من غَضب الله ، ولا أَحمل من غَضب الله شيئاً أبداً وأنا أستطيع ، فهل تدلُّنى على دينٍ ليس فيه هذا ؟ قال : ما أعلمه ، إلا أن يكون حَنيفاً . قال : وما الحَنيف ؟ قال : دينُ إبراهيم . فَخرج من عنده وتَركه وأتى عالماً من عُلماء النَّصارى ، فقال له نحواً

(١) فى الأصل : « بنى طسم » مكان « بنى غنم » . وما أثبتنا من الأصنام لابن الكلبى .
(٢) فى الأصنام : « أزور » مكان « أدير » .
(٣) جنان الجبال : الذين يأمرون بالفساد من شياطين الإنس والجن .
(٤) أى خلقت خلقاً كثيراً يدعون باسمك .

ممّا قاله لليهودى . فقال له النصرانى : إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذَ بنصيبك من لعنة الله. فقال : لا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً وأنا أستطيع ، فهل تدلُّنى على دين ليس فيه هذا ؟ فقال له نحواً مما قاله اليهودى : لا أعلمه إلّا أن يكون حنيفاً . فخرج من عندهما وقد رَضى بما أخبراه واتفقا عليه من دين إبراهيم عليه السلام . فلما برَز رفع يدَيْه وقال : اللهم إنّى على دين إبراهيم .

إقباله ليسلم ومقتله

وقيل : إنّه بلغه ظُهور النبىّ صلّى الله عليه وسلم بمكة ، فأقبل يُريده ، فقتله أهلُ ميْفَعَة[1] .

النبى صلى الله عليه وسلم فيه

وروى ابنُه سَعيد بن زيد رضى الله عنه ، وهو أحدُ العشرة المبشَّرين بالجنّة ، قال :

سألت أنا وعمرُ بن الخطّاب رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم عن زَيد ، فقال : يأتى يومَ القيامة أُمةً وحدَه .

عمرو وورقة

و إنما أجرى أبو الفرج ذكر زَيد بن عمر ، وورقة بن نوفل ؛ لأنّ الشعر الذى فيه « أُرفع ضَعيفك[2] » البيتين . قد رُوى لكلّ واحد منهما . ورُوى أيضاً عن زُهير بن جَناب . وعامر الجَرْمى مَدْرَج الرِّيح ، فذكرهما أيضاً .

شيء عن زهير ابن جناب

فأما زُهير بن جَناب الكَلْبىّ فقال : إنه أحد المُعمَّرين . عاش مائةً وخمسين سنة . فقال ذات يوم : إن الحىّ ظاعِن . فقال له ابن أخيه عبدُ الله بن عُلَيم ابن جَناب : إنّ الحىَّ مُقيم . فقال زُهير : إنّ الحىّ مُقيم . فقال عبدُ الله : إن الحىّ ظاعن . فقال زُهير : مَن هذا الذى يُخالفنى منذُ اليوم ؟ قيل . ابنُ أخيك عبد الله بن عُلَيم . فقال : أَوَ ما ها هنا أحدٌ ينهاه عن ذلك ! قالوا : لا . فغَضِب

(١) ميفعة : قرية من أرض البلقاء من الشام .
(٢) انظر الشعر فى أخبار « غريض » (ص ٢٨٧) من هذا الجزء .

وقال : لا أُراني قد خولفتُ ! ثم دَعا بالخمر فشَربها صِرفاً بغير مِزاج وعلى غير طعام حتى قَتلتْه . وهو الذى يقول :

المَوتُ خيرٌ للفتى فَلْيهلَكنْ و به بَقيّهْ
أبَنيّ إنْ أَهلِكْ فقد أورثتُكم مجداً بَنِيّه
وتركتُكم أبناء سا داتٍ زنادُكُم وَرِيّه
من كُلِّ ما نال الفتى قد نِلتُهُ[1] إلا التَّحيّه

شىء عن مدرج الريح

وأما عامر الجرْمى مَدْرج الرّيح، فإنما سُمِّى « مدْرَج الرِّيح » بشعر قاله فى اُمرأة كان يزعُم أنه يهواها من الجنّ ، وأنها تسكُن الهواء وتتراءى له ، وكان محمَّقاً ، وشعرهُ هذا :

لأُبنةِ الجِنّىّ فى الجوّ طَلَلْ دارسُ الآياتِ عافٍ كالخَلَلْ
دَرَسَتْه الرِّيحُ من بين صَباً وجَنُوبٍ دَرَجَتْ حِيناً[2] وطَلّ

(١) التحية : الملك ، والبقاء . والمراد هنا الثانى ، لأن زهير بن جناب كان ملكاً .

(٢) وزاد أبو الفرج بعد هذين « سعية بن غريض » فساق عنه قليلا . ثم ترجم لابن صاحب الوضوء المغنى ترجمة صغيرة . ولكن ابن واصل أغفل هذا وذاك .

أخبار بشّار بن برد

نسبه

ألحق أبو الفرج نَسبه بيسْتاسب بن لهراسف ، ملك الفُرس ، وذَكر أنّ جدّه يَرْجوخ من طُخَارُستان[1] من سَبْى المُهلَّب بن أبى صُفرة ؛ وأن زَوجة المُهلّب وهبتْ ابنه بُرْداً بعد أن زوّجته لامرأة من بنى عُقَيل ، فولدت له امرأتُه ، وهو فى مِلْكها ، بشّاراً ، فأعتقته العُقَيلية .

وقيـل : بل كان بُرْد مولًى لامرأة سَدُوسيَّة ، فادّعى أنه مولى بنى عُقَيل ، لنزُوله فيهم .

كنيته ولقبه ومنزلته بين الشعراء

ويُكنى بشّار أبا مُعاذ . وهو مُقـدَّم طبقة الشعراء المُحدثين ورئيسهم ، بلا خلاف . وهو مُخضرم الدَّولتين : الأموية والعباسيَّة . وكان يُلقَّب المُرعَّث . فقيل : إنما سُمِّى بذلك لقوله :

قال رِيمٌ مُرَعَّثٌ ... سامرُ الطَّرف والنَّظَرْ
لستَ واللهِ نائـلى ... قلتُ أو يَغلِبُ القَـدَر
أنتَ إن رُمْتَ وصلنا ... فانْجُ هل تُدْركُ القمر

وقيل : إنمـا سُمى بذلك لأنه كان لقَميصه جَيْبان : جَيب عن يَمينه ، وجَيب عن يساره ، فإذا أراد لُبْسَه ضَمَّه عليـه من غير أن يُدخِل رأسه فيه ، وإن أراد نَزْعه حَلَّ أزراره وخرج منه ، فشُبِّهت تلك الجُيوب بالرِّعاث ، لاسترسالها وتدلِّيها . وسُمِّى من أجلها المُرَعَّث .

وقيل : كان فى أُذنه ، وهو صَغير ، رِعاث ، وهى القِرَطة .

(١) ضبطها ابن خلكان بضم الطاء ، وضبطها ياقوت بفتحها .

وصفه وشعر الباهلى فى هجائه

وكان ضخماً عظيم الخَلق والوَجه ، مجدوراً ، طويلًا ، جاحظ الحدقتين قد تغشّاهما لحم أحمر ، وكان أقبح الناس عَمًى وأفظعهم مَنْظراً ، وكان إذا أراد أن يُنْشِد صَفَّق بيديه وتنحنح وبَصق عن يمينه وشماله فيأتى بالعَجب . ووُلد وهو أعمى ، وهو الأكمه . وفى ذلك يقول أبو هِشام الباهلىّ يهجوه :

وعَبْدى فقا[1] عَيْنَيك فى الرِّحْم أيْرُه ... فجئتَ ولم تعلم لعينيك فاقيا

أأمُّك يا بشّار كانت عفيفةً ... علىّ إذَنْ أمْشى[2] إلى البيت حافيا

ولم يزل بشّار منذُ قال فيه هذين البيتين مُنكسراً .

بدء قوله الشعر

وذُكر أنه قال بشّار الشِّعر وله عَشر سنين ، ثم بلغ الحُلُم وهو مَخْشِىٌّ مَعَرَّة اللِّسان .

هجاؤه جريرا

وكان يقول : هجوتُ جريراً فأعرض عنّى واستَصْغرنى ، ولو أجابنى لكنت أشعرَ الناس .

رأى الأصمعى فيه

وكان الأصمعىّ يقول : بشّار خاتمةُ الشُّعراء ، والله لولا أن أيّامه تأخرتْ لفضَّلته على كثير منهم .

رأيه فى عيون شعره

وقال بشّار : لى اثنا عشر ألفَ بيتٍ عَيْنٍ . فقيل له : هذا مالم يدّعه أحدٌ قطُّ سواك ! فقال : لى اثنتا عشرةَ ألفَ قصيدةٍ ، لعنها الله ولعن قائلها إن لم يكن فى كل واحدة منها بيتٌ عَيْن .

دينه

وقيل : كان بشّار يَدين بالرَّجْعة[3] ، ويكفّر جميعَ الأُمم[4] ، ويصوِّب رأىَ إبليس فى تقديمه النارَ على الطِّين ، وذكر ذلك فى شعره فقال :

(١) يريد « فقأ » بالهمز ، فسهل .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « مشيى » .

(٣) الرجعة : الإيمان بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت . وهو مذهب قوم من عرب الجاهلية . وعليه طائفة من أهل البدع من المسلمين ، يقولون : إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حيا .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « الأمة » .

الأرضُ مُظلمةٌ والنارُ مُشرقةٌ والنارُ مَعْبودةٌ مُذ كانت النارُ

قلت : وقد رُوى له أيضاً :

إبليسُ أفضلُ من أبيكم آدمٍ فتَنَبّهوا يا مَعشرَ الأشرارِ

النارُ عُنْصره وآدمُ طِينةٌ والطِّينُ لا يَسْمُو سُمَوَّ النارِ

كذب ، لعنه الله إن كان قالها .

لواصل بن عطاء فيه

و بلغ إلحادُه وكفرُه أبا حُذيفة واصلَ بن عطاء . شيخَ المُعتزلة ـ وكان ألثغ بالراء ، فكان يتجنّبها ولا يَنطق بها — فقام خطيباً وقال : أما آنَ لهذا الاعمى المُلحد المُشنَّف المكْنِيّ بأبى مُعاذ مَن يقتله ؟ أمَا والله لولا أن الغِيلة سجيّة من سَجايا الغَالية لدَسَسْت إليه من يَبعج بطنَه فى جوف منزِله أو فى[1] حَفْله ، ثم كان لا يتولّى ذلك إلّا عُقيليّ أو سَدُوسيّ !

شيء عن واصل ابن عطاء

فقال « أبا مُعاذ » ولم يقل «بشارا» . وقال «الأعمى» ولم يقل « الضرير » . وقال « الملحد » ولم يقل « الكافر » . وقال « المشنف » ولم يقل « المرعث » . وقال « الغالية » ولم يقل « الرافضة » . وقال « يبعج » ولم يقل « يبقر » . وقال « منزله » ولم يقل « داره » .

وحَذْف الراء من كلامه كلّه غاية الأقتدار على الكلام ، والتمكّن من العبارة . وفى ذلك يقول بعضُ الشعراء فى مَدْح الصاحب بن عَبّاد :

نَعم تجنّبَ لا يومَ العَطاء كما تجنّبَ أبنُ عَطاء لَثْغة الراء

هو أحد أصحاب الكلام الستة

وقيل : كان بالبصرة ستّة من أصحاب الكلام : عمرو بن عُبيد ، وواصل ابن عطاء ، وصالح بن عبد القُدُّوس ، وعبد الكريم بن أبى العَوْجاء ، وجرير ابن حازم ، و بشّار بنُ بُرد ، فكانوا يَجتمعون فى منزل جرير و يَختصمون عنده . فأمّا عمرو وواصل فصارا إلى القول بالاعتزال ، وأما عبدالكريم وصالح فقالا بمقالة

(١) الحفل : الجمع من الناس . « والعبارة فى بعض أصول الأغانى : « أو فى يوم حفلة » .

الثَّنَوِيّة . وأمّا جابر فقال بمقالة السُّمَنيّة(١) . وأما بشّار فبقى متحيِّراً مخلِّطاً . وكان عبد الكريم يُفْسد الأَحداثَ . فقال له عمرو بن عُبيد : قد بلغنى أنك لا تَزال تَخْلو بالحدَث من أحداثنا فتفْسده وتُدْخله فى دينك ، فإن خَرجتَ من مصرنا وإلّا قُمتُ فيك مَقاما آتِى فيه على نفسك . فلَحِق بالكوفة . فدُلَّ عليه محمدُ ابن سليمان فقتَله وصلَبه .

رأى ابن العلاء فيه

وذكر أنه لقى أبو عمرو بن العلاء بعضَ الرُّواة ، فقال له : يا أبا عمرو ، مَن أبدعُ الناس بيتاً ؟ قال : الذى يقول :

لم يَطُلْ ليلى ولكن لم أنَمْ ... ونَفَى عنِّى الكَرَى طيفٌ أَلَمّْ
رَوِّحى عنِّى قليلاً واعلمى ... أنّنى يا عَبْدَ من لحم ودَمّ
وإذا قلتُ لها جُودى لنا ... خرجتْ بالصَّمت عن لا ونَعم
إنّ فى بُرْدَىَّ جسماً ناحلاً ... لو توكّأتِ عليه لانْهدم
خَتَم الحُبُّ لها فى عُنقى ... موضع الخاتَم من أهل الذِّمم

قال : فمن أمدحُ الناس ؟ قال : الذى يقول :

لَمستُ بكفِّى كفَّه أبْتغى الغِنى ... ولم أدْرِ أنّ الجود من كَفِّه يُعْدِى
فلا أنَا منه ما أفاد ذَوُو الغِنَى ... أفدتُ وأعدانى فبدَّدتُ(٢) ماعندى

— وذُكر أنّ هذا الشِّعر لابن الخيّاط فى المهدىّ . وسنذكره(٣) —

قال : فمن أهجى الناس ؟ قال : الذى يقول :

رأيتُ السُّهَيلَين استوى الجودُ منهما ... على بُعْد ذا من ذاك فى حُكْم حاكِمِ

---

(١) السمنية ، بضم ففتح : قوم من أهل الهند دهريون . وقيل : من عبدة الأصنام ، يقولون بالتناسخ ، وينكرون وقوع العلم بالأخبار . نسبة إلى « سومنات » بلد بالهند .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فأتلفت » . وفى بعض آخر : « فبذرت » .

(٣) هو فى الجزء (١٨ ص ٩٤ بلاق) ولا ندرى أين سيكون مكانه من كتابنا هذا .

سُهَيل بن عثمانٍ يجود بماله ... كما جاد بالوَجْعا[1] سُهَيلُ بن سالمِ

وهذه الأبيات كلها لبشّار .

له وقد سئل عن إحسانه فى تشبيه

وقيل لبشّار وقد أنشد :

كأنّ مُثار النَّقْع فوق رُءوسنا ... وأسيافَنا ليلٌ تَهاوَى كواكبُهْ

ما قال أحدٌ أحسنَ من هذا التَّشبيه ! فمن أين لك هذا ولم تَرَ الدُّنيا قطّ ولا شيئاً فيها ؟ فقال : إن عدم النظر يُقوِّى ذكاء القلب ويقطَع عنه الشغلَ بما يَنظر إليه من الأشياء ، فيتوفّر حِسّه وتذكو قريحتُه . ثم أنشدهم قولَه :

عَمِيتُ جَنيناً والذَّكاء من العَمَى ... فجئتُ عَجيبَ الظنّ للعِلْم مَوْئلاَ

وغاضَ صفاء العَيْن للعلْم فاقتدى ... بقلب[2] إذا ماضَيَّع الناسُ حَصّلا

وشِعْرٍ كنَوْر الرَّوض لاءمتُ بينه ... بقولٍ إذا ما أحزن الشعرُ أسْهلا

عتابه لامرأة واعدته فأخلفت

وقيل : كان بشّار يهوى امرأة من أهل البصرة ، فراسلها يسألها زيارتَه . فوعدتْه بذلك وأخلفته . وجعل يَنتظرها ليلةً أجمعَ حتى أصبح . فلمّا لم تأته كتب إليها يُعاتبها . فاعتذرت بمرض أصابها . فكتب إليها :

يا ليلتى تزداد نُكْرَا ... من حُبّ من أحببتُ بِكْرَا

حَوْراء إن نَظَرت إليـ ... ـك سقتكَ بالعينين خَمرا

وكأنّ رَجْعَ حديثها ... قِطَعُ الرِّياض كُسِينَ زَهْرا

وكأنّ تحت لسانها ... هاروتَ يَنْفُث فيه سِحْرا

وتَخال ما جمعَتْ عليـ ... ـه ثيابَها ذَهباً وعِطْرا

وكأنّها بَرْدُ الشّرا ... ب صَفَا ووافق منك فِطْرا

(١) الوجعاء ، ممدودة ، وقصرت للشعر : السافلة ، وهى الدبر .

(٢) هذه رواية الأصل . وفى بعض أصول الأغانى :

« وغاض ضياء العين للعلم رافداً * لقلب » .

رأى إسحاق فيه

قيل : وكان إسحاق الموصليّ لا يعتدّ بشعر بشّار ويقول : هو كثير التّخليط في شِعره ، وأشعارُه مُختلفة لا يُشبه بعضُها بعضاً . أليس هو القائل :

إنما عَظمُ سُليمى حِبّتى قَصَبُ السُّكَّرِ لا عَظْمُ الجَمَلْ

وإذا أدنيتَ منها بَصلاً غَلبَ المِسكُ على ريح البَصل

لو قال كُلَّ شيء جيّد ثم أُضيف إليه هذا لزَيَّفه . وكان يُقدِّم عليه مروان ابن أبي حفصة ، ويقول : هو أشدُّ استواءَ شِعْر منه ، وكلامُه ومذهبُه أشبهُ بكلام العرب ومذاهبها . وكان لا يَعُدّ أبا نُوَاس البتةَ ولا يَرى فيه خيراً .

غير هجاء له في المنصور وجعله في أبي مسلم

وذُكر أنه دَخل بشّار على إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، عليهم السلام ، وأنشده قصيدةً يهجو فيها أبا جَعفر المنصور ، ويُشير عليه برأي يَستعمله في أمره . فلما قُتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن خاف بشّار ، فقلب الكُنية وأظهر أنه كان قالها في أبي مُسلم صاحب الدعوة ، فجعل مكان « أبا جعفر » «أبا مسلم» ومكان « سلامة » أم المنصور : «وشيكة» وهي أم أبي مُسلم . وحَذف منها أبياتاً صرّح فيها بولد فاطمة عليها السلام ، وأولها :

أبا جعفر ما طُولُ عَيْشٍ بدائمٍ ولا سالمٌ عمّا قَليلٍ بسالمِ

على المَلك الجبَّار يَقْتحِمِ الرَّدى ويَصرعه في المأزِق المُتلاحم

كأنّك لم تَسمع بقتل مُتوَّجٍ عظيمٍ ولم تَعلم بقَتْل[1] الأعاجم

تَقَسَّم كِسْرى رهطُه بسُيوفهم وأمسى أبو العبّاس[2] أحلامَ نائم

مُقيماً على اللذّات حتى بَدَت له وجوهُ المَنايا حاسرات العَمائم

ومَرْوانُ[3] قد دارتْ على رأسه الرَّحى وكان لِما أجرمْتَ نَزْر الجَرائم

فأصبحتَ تَجْرى سادراً في طريقهم ولا تتّقي أشباهَ تلك النَّقائم

(١) هذه رواية الأصل . والذي في بعض أصول الأغاني : « ولم تسمع بفتك » .

(٢) أبو العباس : هو الوليد بن يزيد . (٣) مروان ، هو مروان الحمار ، آخر ملوك بني أمية .

تجرّدتَ للإسلام تَعْفو[1] طريقه ... فتُعْرِى مَطاه[2] للّيوث الضّراغِمِ
فما زلتَ حتى اُستَنْصر الدينُ أهلَه ... عليك فعاذُوا بالسّيوف الصّوارِمِ
فَرُمْ وَزَرًا يُنْجيك[3] يابن سَلامةٍ ... فلستَ بناجٍ من مَضِيم وضائمِ
لحى الله قوماً رأّسوك عليهمُ ... وما زِلتَ مَرْءوساً خَبِيثَ المَطاعمِ
أقولُ لبسّامٍ عليه جلالةٌ ... غدا أَرْيحيًّا عاشِقاً للمَكارمِ
مِن الفاطميّين الدُّعاةِ إلى الهُدى ... جِهاراً ومَن يُنْجيك مثلُ ابن فاطمِ[4]
سِراجٌ لعين المُستضِىء وتارةً ... يَكُون ظلاماً للعدوِّ المُزاحِمِ
إذا بلغَ الرأيُ المَشورةَ فاُستعنْ ... برأيِ نَصيح أو نَصيحة حازِمِ
ولا تَجعلِ الشُّورى عليك غَضاضةً ... فإنّ الخَوافى قُوَّةٌ للقوادمِ
وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغلُّ أُختَها ... وما خَيرُ سيفٍ لم يُؤيَّد بقائمِ
وخَلِّ الهُوَينا للضَّعيف ولا تكُن ... نَؤوماً فإن الحزم ليس بنائمِ
وحارِبْ إذا لم تُعْطَ إلّا ظُلامة ... شَبَا الحربِ خيرٌ من قَبول المظالمِ

بينه وبين الأصمعى فى المشورة

وقال الأصمعىّ لبشار : يا أبا مُعاذ ، إن الناس يعجبون من أبياتك فى المَشورة فقال : يا أبا سَعيد ، إنّ المُشاوِرَ بين صوابٍ يفوز بثمرته أو خطأٍ يُشارِكُ فى مكروهه . فقلت : أنت واللهِ فى قولك هذا أشعرُ منكَ فى شعركَ .

بينه وبين بعض موالى المهدى فى تفسير بعض الآيات

وقيل : كان بشّار جالساً فى دار المَهدىّ والناسُ ينتظرون الإذنَ . فقال بعضُ موالى المهدى لمن حَضر : ما قولُكم فى قول الله عزّ وجلّ : (وأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا) ؟ فقال بشّار : النّحلُ التى يعرفها الناسُ . فقال : هيهات يا أبا مُعاذ ! النحلُ : بنو هاشم . وقوله (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) يعنى العِلم . فقال له بشّار : أرانى اللهُ شرابَكَ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « سبيله » مكان « طريقه » . (٢) المطا : الظهر .
(٣) جعل مكانها : « بابن وشيكة » . (٤) يريد « فاطمة » فرخم .

وطعامَك وشرابَك فيما يخرج من بطون بنى هاشم ، فقد أوسعْتنا غثاثةً . فغَضِب وشَتم بشّاراً . و بلغ المهدىَّ الخبرُ ، فدعى بهما فسألهما عن القصّة ، فحدّثه بشّار بها ، فضحك حتى أمسك على بَطنه ، ثم قال للرجل : أجلْ ! فجعل الله طعامَك وشَرابَك ممّا يخرُج من بُطون بنى هاشم ، فإنك باردٌ غثٌّ .

هو ويزيد الحميرى والمهدى

وقيل : دخل يزيدُ بن مَنصور الحِمْيرىّ ، خال المَهدى ، على المهدىّ و بشّار بين يديه يُنشده قصيدةً يَمدحه بها ، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيدُ بن مَنصور ، وكانت به غفلة ، فقال له : يا شيخ، ما صِناعتُك ؟ فقال : أثقُب اللُّؤلؤ . فضَحك المهدىُّ . ثم قال لبشار : أتَتنادر على خالى ! فقال له : وما أصنع به ! يرى شيخاً أعمى يُنشد الخليفة شعراً و يسأله عن صناعته !

بينه وبين بعضهم فى شعره

وقال بعضُهم : قلتُ لبشّار : بينما تقول شعراً تُثير به النَّقع وتَخلع به القُلوب ، مثل قولك :

إذا ما غَضِبنا غَضْبةً مُضريَّةً ... هَتَكنا حجابَ الشَّمس أو تُمْطِر الدَّما
إذا ما أعَرْنا سيِّداً من قَبيلة ... ذُرى مِنْبرٍ صلّى علينا وسلّما

تقول :

ربابةُ ربَّةُ البيتِ ... تَصُبُّ الخلَّ فى الزَّيتِ
لها عَشْرُ دَجاجاتٍ ... ودِيكٌ حَسَنُ الصَّوت

فقال : لكُلِّ شىء وجهٌ وموضعٌ ، فالقولُ الأولُ جِدٌّ ، وهذا قلتُه فى رَبابة جاريتى، وأنا لا آكُل البيضَ من السُّوق ، وربابةُ هذه لها عَشْر دجاجاتٍ وديكٌ، وهى تَجْمع لى البيضَ عندها ، فهذا عندها من قولى أحسنُ من :

* قِفَا نَبْك من ذِكْرى حَبيبٍ ومنزل *

عندك .

هو وقد سئل عن حشوه شعره

وقيل : كان بشَّار يحشُو شعرَه إذا أعوزتْه القافيـةُ والمعنى بالأشياء التى لا حقيقة لها ، فمن ذلك أنه أنشد يوماً شعراً له ، فقال فيه :

* غَنِّى للغريض يابنَ قنانِ *

فقيل له : مَن ابنُ قنان هذا ؟ لسنا نَعرفه من مُغَنِّى البصرة ؟ فقال : وماعليكم منه ! ألـكم قِبَـله دَيْنٌ فتطلبُوه به ، أو ثأرٌ تريدون أن تُدركوه ، أو كَفلتُ لـكم به فإذا غاب[١] طالبتُمونى بإحضاره ؟ فقالوا : ليس بيننا و بينه شيء من هذا ، و إنما أردنا أن نعرفه . فقال : هو رجل يُغَنِّى لى ولا يَخرُج من بيتى . فقـالوا له : إلى متى ؟ فقال : من يوم وُلد إلى أن يموت .

قيل : وأنشدنا يوماً :

. . . . ووافا * نى هلالُ السماء بالبَرْدان *

فقُلنا : يا أبا مُعـاذ ، أين البردان هـذا ؟ لسنا نعرفه فى البصرة . فقال : هو بيت فى دارى سميتهُ البردان ، أفعليـكم من تَسميتى دارى و بيوتهـا شى فتسألونى عنه ؟

وقال راويةُ بشّار : كُنّا عنده يوماً فأنشدنا قولَه :

وجاريةٍ خُلقتْ وحـدَها	فـكُلّ[٢] النِّساء لديها خَدَمْ
دُوَار[٣] العَذارَى إذا زُرْنها	أطَفْن بحَـوْراءَ مِثل الصَّنم
ظَمِئتُ إليهـا فلم تَسْـقنى	برىٍّ ولم تَشْفِنى من سقَم
وقالت هَوِيتَ فُمتْ راشِـداً	كما مات عُـروةُ غمًّا بغَمّ
فلما رأيتُ الهـوَى قاتلى	ولستُ بجـارٍ ولا ابنِ عَمّ

---

(١) فى التجريد : « جاء » .

(٢) رواية بعض الأصول : « كأن » .

(٣) دوار : صنم للعرب كانوا ينصبونه ويدورون به . وهو هنا على التشبيه .

دَسستُ إليهـا أبا مِجْلَزٍ ... وأىّ فتى إن أصاب اُعـتَزم
فمـا زال حتى أنابتْ له ... فراح وحـلّ له ما حَرُم

فقال له رجل : من أبو مجلز هذا يا أبا مُعاذ ؟ قال : وما حاجتك إليه ! أَلكَ عليه دَين فتُطالبه به ! هـذا رجل يتردّد بيني و بين مَعارفى فى رسالة[١] .

قال : وكان كثيراً ما يحشُو شعرَه بمثل هذا .

شعره فى قينـة

وقيل : كانت بالبصرة قَينة لبعض ولد سُليمان بن علىّ ، وكانت مُحسنة بارعةَ الظَّرف ، وكان بشّار صديقاً لسيّدها ومدّاحاً له ، فحضر مجلسَه يوماً والجارية تُغنِّى ، فسُر بحُضوره فشَرب حتى سَكر ونام ، ونهض الناس ونَهض بشار ، فقالت له : يا أبا مُعاذ ، أُحِبّ أن تذكُر يومَنا هـذا فى قصيدة ولا تذكُر فيها اُسمى ولا اُسم سيّدى وتكتُب بها إليه . فاُنصرف وكتب إليه :

وذاتِ دلٍّ كأنّ البـدرَ صُورتُها ... باتتْ تُغنِّى عميدَ القَلْب سكرانا:
(إنّ العُيون التى فى طَرفها حَورٌ ... قتلننــا ثم لم يُحْيين قَتْلانا)
(يَصْرعْن ذا اللُّب حتى لاحَراك به ... وهُنّ أضعفُ خَلْق الله أركانا)
فقلت أحسنتِ ياسُؤلى و يا أملى ... فأسْمِعينى جـزاكِ الله إحسانا :
(يا حبّذا جَبلُ الرَّيان[٢] من جَبلٍ ... وحبّذا ساكنُ الريّان مَنْ كانا)
قالت فهلّا فدتْك النفسُ أحسن مِنْ ... هذا لِمَنْ كان صبَّ القلب حَيْرانا:
(ياقوم أُذنى لبَعض الحىّ عاشقةٌ ... والأُذن تَعْشق قبل العَين أحيانا)
يا ليتنى كنتُ تُفّاحا تُفلِّجه ... أو كنتُ من قُضُب الرَّيحان ريحانا
حتى إذا وجدتْ ريحى فأعجبها ... ونحن فى خلوةٍ مُثِّلتُ إنسانا
فحركتْ عُودَها ثم اُنثنت طَرباً ... تَشْدو به ثم لا تُخْفيـه كِتْمانا :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فى رسائل » .

(٢) الريان : جبل فى ديار طيء . (٣) فى بعض أصول الأغانى : « مفلجة » .

(أصبحتُ أطوعَ خَلْق الله كُلِّهِمِ ... لأكثر الخلق لى فى الحب عِصْيانا)
فقلتُ أطربتِنا يا زينَ مجلسنا ... فهاتِ إنك بالإحسان أَولانا
لو كنتُ أعلم أنّ الحب يقتلنى ... أعددتُ لى قبل أن ألقاكَ أكفانا
فغنَّت الشَّرْبَ صوتاً مُؤْنقاً[١] رَمَلاً ... يُذْكى السُّرورَ ويُبْكى العينَ ألوانا:
(لا يَقتلُ اللهُ من دامتْ مودَّتُه ... والله يقتُل أهلَ الغَدر أحيانا)

ووجّه بالأبيات إليها . فبعث إليه سيدُها بألفَىْ درهم[٢] وسُرَّ بها سُروراً شديداً .

بينه وبين هلال ابن عطية

وذُكر أنّ هلالَ بن عطية قال لبشّار ، وكان صديقاً له يُمازحه : إنَّ الله لم يُذْهِب بصرَ أحدٍ إلّا عوّضه شيئاً ، فما عوّضك ؟ قال : الطويلَ العريضَ . قال : وما هو ؟ قال : ألّا أراك ولا أمثالك من الثُّقلاء . ثم قال له : يا هلال ، أتُطيعنى فى نَصيحة أخصك بها ؟ قال : نعم . قال : إنك كنت تَسرق الحميرَ زماناً ثم تُبت وصِرت رافضيًّا ، فعُد إلى سرقة الحَمير ، فهو والله خيرٌ لك من الرِّفْض[٣] .

بينه وبين رجل من عكل

وقال بعضُهم : مَررت أنا ورجلٌ من عُكْل بقَصر أوس[٤] ، وإذا نحن ببشَّار فى ظِلّ القَصر وحدَه ، فقال لى العُكْلى : لا بُدَّ لى من أن أعبث ببشَّار . فقلت : ويحك ! مَهْ ، لا تُعرِّض نفسَك وعِرْضك له . فقال : إنى لا أجده فى وقتٍ أخلَى منه فى هذا الوقت . فوقف ناحيةً ودنا منه وقال : يا بشَّار . فقال : من هذا الذى لا يَكْنينى ويَدعونى باُسمى ؟ قال : سأُخبرك من أنا ، فأخبرنى أنت عن أُمك ، أولدتْك أعمى أم عَمِيتَ بعد أن ولدتْك ؟ قال : وما تُريد من ذلك ؟ قال : وددتُ لو فُسِح لك فى بَصرك ساعةً لِتنظرُ إلى وجهك فى المرآة ، فعسى أن تُمسك

(١) مؤنقاً : معجباً . والرمل : ضرب من الأغانى . (٢) فى بعض الأصول : « دينار »
(٣) الرفض ، بالكسر : مذهب الرافضة . وهم فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن على ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين ، فأبى فرفضوه وانفضوا عنه ، فسموا الرافضة .
(٤) قصر أوس بالبصرة ، وهو منسوب إلى أوس بن ثعلبة ، ولى خراسان فى عهد الأمويين .

عن هِجاء الناس وتعرفَ قدرك . فقال : ويحكم ! مَن هذا ! أما أحدٌ يُخبرنى من هذا ؟ فقال له : على رِسْلِك ، أنا رجل من عُكْل وخالِي يبيع الفَحْم ، فما تقدر أن تقول فىّ ؟ قال : لا شىء ، بأبى أنت أذهب فى حِفْظ الله .

له فى مدح خالد البرمكى

وقيل : كان المُستَرْفِدون[1] يُسمَّون فى قديم الزّمان السؤّال ، إلى أيام خالد بن برمك ، فقال خالد : هذا والله اسم أَستقبحه[2] لطالب الخير ، وأرفع قَدر الكريم أن يُسمِّى به هؤلاء المؤمِّلين ، لأنّ فيهم الأشرافَ والأحرارَ وأبناءَ النِّعم ، ومن لعلّه خيرٌ ممن يقصِد وأفضلُ أدباً ، ولكنّا نُسميهم الزُّوار . فقال بشّار يَمدحه :

حذا خالدٌ فى فِعله حَذْوَ بَرْمكٍ ... فمجدٌ له مُستطرف[3] وأَثيلُ

وكان ذَوُو الآمالِ يُدْعون قبله ... بلفظ على الإعدام فيه دليل

يُسمَّون بالسُّؤّال فى كلّ موطن ... وإن كان فيهم نابهٌ وجَليل

فسمّاهم الزُّوارَ سَتْراً عليهمُ ... فأَستارُه فى المُجتدين سُدُول

وقال بشّار هذا الشعر فى مَجلس خالد فى الساعة التى تَكلّم فيها خالد بهذا الكلام فى أمر الزوّار ، فأعطاه لكُل بيت ألف درهم .

هجاؤه جاراً له

وقيل : نَهق حمار ليلةً بقُرب بشّار ، فخَطر بباله بيتٌ ، فقال :

ما قام أيرُ حمارٍ فامتلا شَبقاً ... إلّا تحرّكَ عِرقٌ فى اُست « تَسْنيم »

ولم يُرد تَسْنيماً بالهِجاء ، لكنه لمّا بلغ إلى قوله « إلا تحرك عرق » قال : فى اُست من ؟ فى اُست من؟ ومرّ تسنيم بن الحوارى ، وكان صديقَه فسلّم . فضحك ثم قال : فى اُست تسنيم عَلِم الله . فقال له : أيش[4] ويحك ! فأنشده البيتَ .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الزوار » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « أستثقله » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « وأصيل » مكان « وأثيل » .
(٤) أيش ، بمعنى : أى شىء . سمع عن العرب . وقيل : إنه مولد .

فقال له : عليك لعنة الله ! فما عندك فرق بين صديقك وعدوّك ! أىّ شىء حملك على هذا ؟ ألا قلتَ : فى اُست حمّاد الذى هجاك وفضحك وأعياك ، وليست قافيتك على الميم فأَعْذِرَك ! فقال : صدقتَ والله فى هذا كُلِّه ، ولكن ما زلتُ أقول : فى اُست مَن ؟ ولا يخطُر ببالى أحدٌ حتى مررتَ فسلّمت فرُزِقته . فقال له تسنيم : إذا كان هذا جوابَ السّلام ، فلا سلّم اللهُ عليك ولا علىّ حين سلّمتُ عليك . وجعل بشار يَضحك و يُصفّق بيديه ، وتَسنيم يشتُمه .

بينه وبين زوجه فى هيبة الناس له

وقيل : قالت اُمرأة بشار : ما أَدْرى لِمَ يهابُك الناسُ مع قُبح وجهك ! فقال لها بشّار : ليس من حُسنه يُهاب الأسدُ .

بينه وبين عقبة ابن رؤبة فى الرجز

وقيل : دَخل بشّار على عُقبة بن سَلْم وعنده عُقبة بن رُؤبة بن العجّاج، فأَنشده عُقبة بن رُؤبة رَجزاً يمدحه به . فَسمعه بشّار وجَعل يَستحسن ما قال إلى أن فرغ . ثم أَقبل على بشّار فقال : هـذا طِراز لا تُحسنه أنت يا أبا مُعاذ . فقال بشّار : إلىّ يُقال هذا ! أنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدِّك . فقال له عُقبة بن رؤبة : أنا والله وأبى فَتحْنا بابَ الغَريب والرَّجز ، و إنِّى لخليقٌ أن أسُدَّه عليهم . فقال له بشّار : اُرحمهم يرْحمك الله . قال عُقبـة : أتستخفُّ بى يا أبا مُعاذ وأنا شاعر اُبن شاعر اُبن شاعر ! فقـال بشّار : فأنت إذن من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرِّجْس وطهَّرهم تطهيراً ! ثم خَرج من عند عُقبةُ بن سَلْم مُغضَباً . فلما كان من الغدِ غدَا على عُقبة بن سلم وعنده عُقبة بن رُؤبة ، فأَنشده أرجوزته التى أولها :

يا طَلَلَ الحىِّ بذاتِ[1] الصَّمْدِ ... بالله خَبِّر كيف كنت بعـدِى

يقول فيها :

قامتْ تَراءى إذ رأتْنى وحْدِى ... كالشَّمس بين الزِّبْرِج[2] المُنْقَدِّ

(١) الصمد : موضع فى ديار بنى يربوع . وقيل: هو ماء للضباب .

(٢) الزبرج : السحاب . والمنقد : المتقطع .

صدَّت بخدٍّ وجَلَت عن خَدِّ ... ثم أنثنت كالنَّفَس المُرتدِّ
عَهْدى بها سَقياً له من عَهد ... تُخلف وعداً وتَفى بوعد
فنحنُ من جَهْد الهوى فى جَهْد ... وزاهرٍ من سَبِط وجَعْد

ومنها :

وافق حظًّا مَن سَعَى بجدِّ ... ماضرَّأهلَ النَّوْكِ ضَعْفُ[1] الكَدِّ
الحرُّ يُلْحَى والعَصا للعبدِ ... وليس للمُلحف مثلُ الرَّدِّ
والنَّصْفُ يَكْفيك من التعَدّى ... وصاحبٍ كالدُّمَّل[2] المُمِدِّ
حملتُه فى رُقعة من جِلْدِى ... أرقُب منه مثل يوم[3] الوِرْد
حتّى مضى غيرَ فقيد الفَقْد ... وما دَرَى ما رَغْبتى من زُهْدى

يقول فى مَديحها :

مُشترِكَ النَّيْل ورِىَّ الزَّند ... أغرَّ لبّاسَ ثيابِ الحَمْد
ما كان منِّى لك غيرُ الوُدِّ ... ثم ثناءٌ مثلُ ريح الوَرْد

فطرب عُقبة بن سَلْم وأجزل صِلَته ، وقام عُقبة بن رُؤْبة فخَرج عن المجلس بخِزْى ، وهَرب من تحت ليلته فلم يَعُد إليه .

هو والمنصور فى الحج

وقال بعضهم :

حَجَّ المَنصورُ فاُستقْبلناه بالرَّضْم[4] الذى بين زُبالة[5] والشُّقوق[6] . فلما رحل من الشُّقوق رَحل فى وقت الهاجرة ، ولم يَركب القُبَّةَ[7] وركب نَجيباً ، فسار

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الجد ».
(٢) النصف : الإنصاف . والممد : الذى حدثت فيه المدة . (٣) الورد : من أسماء الحمى.
(٤) الرضم : الحجارة البيض المتراكبة . وهو يريد مكاناً بعينه .
(٥) زبالة : منزلة معروفة بطريق مكة من الكوفة .
(٦) الشقوق : منزل بطريق مكة بعد واقصة من الكوفة . (٧) القبة : الهودج .

بيننا ، فجعلت الشمسُ تصُكّ[(١)] بين عينيه . فقــال : إنى قائل بيتاً فمن أجازه وهبتُ له جُبّتى هذه . فقُلنا : يقول أمير المؤمنين . فقال :

وهاجرةٍ نَصبْتُ لهــا جَبِينِى يُقَطِّع حرُّها ظهرَ[(٢)] العِظايَهْ

فبدرَنا بشّار الأعمى فقال :

وقفتُ بها القَلُوصَ ففاضَ دَمْعى على خَــدِّى وأَقْصر واعظايهْ

فنزع الجُبة وهو راكبٌ فدفعَها إليه . قال : فقلت لبشّار بعد ذلك : ما فعلتَ بالجُبة ؟ فقال : بعتُها والله بأربعمائة دِينار .

حديث تأخر جائزة عقبة لبشار عن أرجوزته

وقيل : لمّــا مَدح بشّار عُقبةَ بن سَلم بأرجوزته التى تقــدّم ذكرُها أَمر له بخَمسين ألف دِرهم . فأَخَّرها عنه وكيلُه ثلاثة أيّام . فأمر بشّارٌ غلامَه أن يكْتُب على باب عُقبة عن يمين الباب :

ما زالَ ما مَنّيتنى من هَمِّى والوعدُ غَمٌّ فاَستَرِح[(٣)] مِن غَمِّى

* إن لم تُرِد مَدْحى[(٤)] فراقِبْ ذَمّى *

فلمــا خَرج عُقبة رأى ذلك ، فقال : هذه من فَعَلات بشّار ! ثم دعا بالقَهْرمان[(٥)] ، فقال له : هل حملتَ إلى بشّار ما أمرتُ له به ؟ فقال : أيها الأمير ، نحن مُضِيقونَ ، وغداً أحمله إليه . فقال : زد فيه عشرةَ ألف دِرْهم أُخرى واُحمِلْها الساعة . فحَمَلها من وقته .

وذُكر أنّ المَهــدىّ نَهى بشّاراً أن يذكُر النِّساء فى شِعْره لاُفتتانهنّ به[(٦)] ،

(١) فى بعض أصول الأغانى : « تضحك » بمعنى تتلألأ .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ظهرها » مكان «حرها» . والعظاية : دويبة تشبه سام أبرص .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « فأزح » .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « حمدى » مكان « مدحى » .

(٥) القهرمان : الوكيل ، أو أمين الدخل والخرج . (٦) به ، أى بشعره .

هو والمهدى وقد نهاه عن ذكر النساء فى شعره

وكان المهدىّ أشدّ الناس غَيْرةً . فقيل للمهدىّ : ما أحسبُ هـذا يكون أبلغ من شعر جَميل ، وكُثيِّر ، وعُروة بن حِزَام ، وقيس بن ذَريح ، وتلك الطَّبقة . فقال المهدىّ : ليس كُل من يَسمع تلك الأشعار يَفهم المُراد منها ، وبشّار يُقارب النساء حتى لا يَخفى عليهنّ ما يقول وما يُريد ، وأى حُرّة حَصَانٍ تَسمع قولَ بشّار ولا يؤثّر فى قلبها ، فكيف بالمرأة الغزِلة والفَتاة التى لا هَمَّ لها إلا الرِّجال ! ثم أنشد المهدىُّ قولَه :

قَد لامَنى فى خَليلتى عُمَـــرُ ... واللَّومُ فى غَـــير كُنْهه ضَجَرُ
قال أفِقْ قلتُ لا فقـــال بلَى ... قد شَاع فى الناس منكمُ[1] الخبر
قلتُ وإنْ شاع ما اُعتذارىَ[2] مــمّـا ... ليس لى فيــه عندهمُ عُـذُر
ماذا عليهم وما لهم خَرِسُـــوا ... لو أنهم فى عُيـــوبهم نَظَروا
أعشَق وَحْـدى ويُؤْخَذون به ... كالتُّرك تَغزو فيُقْتـــل الخزر
حَسْبى وحَسْبُ التى كَلِفتُ[3] بها ... مـــنّى ومنهـا الحديثُ والنَّظَر
أو قُبلة فى خِـــلال ذاك وما ... بأسٌ إذا لم تُحَلَّلِ[4] الأُزر
أو عَضَّـــة فى ذِراعها ولها ... فوق ذِراعى من عَضِّها أثَر
أو لَمْسة دون مِرْطها[5] بيـدى ... والبـابُ قد حال دونه السُّتُر
والســـاقُ برّاقة[6] خَلاخلُها ... أو مَصٌّ رِيقٍ وقد عَلا[7] البُهر
واسترختِ الـكفُّ للعِراك وقا ... لتْ إيهِ عنِّى والدّمعُ مُنْحَدر

(١) فى بعض أصول الأغانى : « منكما » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وإذ شاع ما اعتذارك » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الذى كلفت به » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « لم تحل لى » .
(٥) المرط : كساء من خز أو كتان يؤتزر به .
(٦) فى بعض أصول الأغانى : « مخلخلها » مكان « خلاخلها » .
(٧) البهر ، بالضم ، وحرك للشعر : تتابع النفس وانقطاعه من الإعياء .

أُنْهض فما أنتَ كالّذى زعَموا ... أنت وربِّى مُغازلٌ أشِرُ
قد غابتِ اليومَ عنكَ حاضِنتى ... واللهُ لى فيك مِنْك ينتصر
يا ربِّ خُذْ لى فقد ترى ضَرَعى ... مِن فاسقٍ جاء مابه سَكَر
أَهْوَى إلى مِعْضَدى[1] فرَضَّضه ... ذو قُوة ما يُطاق مُقْتدِر
ألصقَ بى لحيةً له خَشُنت ... ذاتَ سَوادٍ كأنها الإبر
حتى عَلانى وأُسْرتى[2] غَيَبٌ ... وَيْلى عليهم لو أنّهم حضَروا
أُقسم بالله لا نجوتَ بها ... فاذهبْ فأنت المُساوِر الظَّفِر
كيف بأُمِّى إذا رأت شَفَتى ... أم كيف إن شاع منك ذا[3] الأثر
قلتُ لها عند ذاك يا سَكَنى ... لا بأسَ إنّى مُجرَّب خَبِر
قُولِى لها بَقَّةٌ لها ظُفُر ... إن كان فى البَقِّ ماله ظُفُر

ثم قال المهدىُّ : مثلُ هذا الشّعر يُميل القُلوب ويُلين الصَّعب .

هو وخالد بن برمك وقد وعده فطله

وقيل: ورَدَ بشّار على خالدبن برمك ، وهو بفارس، فامتدحه ، فوعده ومَطله، فوقف على طريقه وهو يُريد المَسجد ، فأخذ بلجام بَغلته وأنشده :

أظلّت علينا منكَ يوماً سحابةٌ ... أضاءت لنا برقاً وأبطا رِشاشُها
فلا غَيمُها يُجْلى فييأسَ طامعٌ ... ولا غيثُها يأتِى فيرْوَى عِطاشُها

فحَبس بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال له : لن تنصرف السحابةُ حتى تَبُلَّك إن شاء الله تعالى .

هو وابن القعقاع

وقيل :

كان رجلٌ يُقال له سَعْد بن القَعْقاع يَتقدَّم بشاراً فى الخَلاعة[4] . فقال

---

(١) المعضد : الدملج . وهو حلى يلبس فى المعصم . (٢) غيب : جمع غائب .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الخبر » مكان « الأثر » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « فى المجانة » .

لبشّار ، وكان يُنادمه : ويحك يا أبا مُعاذ ! وقد نَسبنا الناسُ إلى الزَّنْدقة ، فهل لك أن تَحُج بنا حِجَّة تَنفى ذلك عنّا . قال : نِعْم ما رأيتَ ! فاشتريا بعيراً ومَحْمِلاً ، وركبا ، فلما مرَّا بزُرارة قال له : ويحك يا أبا مُعاذ ! ثلثمائة فرسخ متى نقطعها ! مِلْ بنا إلى زُرارة نتنعّم فيها ، فإذا قفل الحاجُّ عارضناهم بالقادسيّة وجزَزْنا رُءوسَنا ، فلم يَشُكَّ أحدٌ من الناس أنّا جِئنا من الحجّ . فقال له بشّار : نِعْم ما رأيتَ لولا خبثُ لسانك ، فإنى أخاف أن تَفْضَحنا . قال : لا تخفْ . فمالا إلى زُرارة ، فما زالا يَشْربان الخمر ويَفْسُقان ، فلما نَزل الحاجُّ بالقادسية راجعِين ، أخذا بعيراً ومَحْمِلاً وجَزَّا[1] شُعورهما وأقبلا ، وتلقّاهما الناسُ يُهنِّئونهما . فقال سعدُ بن القَعقاع :

ألم تَرَنى وبَشّاراً حَجَجْنا وكان الحجّ من خير التِّجارَهْ
خرجْنا طالبىْ سَفَرٍ بعيدٍ فمال بنا الطريقُ إلى زُراره
فآب الناسُ قد حَجُّو[2] جميعاً وأُبْنا مُوقَرين من الخَساره

هو وقوم حضروه فعابوا عليه أشياء

وحَكى داود بن رَزِين قال :

أتينا بشّاراً فأذن لنا والمائِدة بين يديه ، فلم يَدْعُنا إلى طَعامه ، فلما أكل دَعا بطَسْت فكَشف عن سَوْءته فبال . ثم حضرتِ الظهرُ والعصرُ والمغرب[3] فلم يُصلِّ . فدنونا منه فقُلنا له : أنت أستاذُنا وقد رأينا منك أشياء[4] نَكرهها . قال : وما هى ؟ قلنا : دَخلنا والطعامُ بين يديك فلم تدعُنا إليه . فقال : إنما أذنتُ لكم لتأكلوا ، ولو لم أُرد أن تأكلوا ما أذنتُ لكم ؟ قلنا : ودعوتَ بالطَّسْت فبُلْتَ فيه ونحن حُضور نَراك . فقال : أنا مكفوف وأنتم بُصراء ، وأنتم المأمورون

(١) فى الأصل : « واستأصلا » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وبروا » مكان « جميعاً » .
(٣) هذه الكلمة « والمغرب » ساقطة من أكثر أصول الأغانى .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « أنكرناها » مكان « نكرهها » .

بغَضّ الأَبصار دونى ، ثم مَهْ[١] ؟ قلنا: حضرتِ الظُّهر والعصرُ والمَغرب فلم تُصلِّ . قال : إنّ الذى يَقْبلها تفاريقَ يَقْبلها جُملةً .

هو وثقيل جلس إليه

وقيل :

قَعد رجلٌ إلى جَنْب بشّار ، فاُستثقله بشّار . فضَرط عليه بشّار ضَرْطة ، فظنّ الرجلُ أنها أفلتت منه . ثم ضَرط أُخرى . فقال : أفلتت . ثم ضَرط ثالثة[٢] . فقال : يا أبا مُعاذ ، ما هذا ؟ قال : مه ! أرأيتَ أم سمعت ؟ قال : بل سمعتُ صوتاً قَبيحاً . قال : فلا تُصدِّق حتى تَرى .

شعر له فى ثقيل

وأَنشد بشّار فى ثَقيل يقال له أبو سُفيان :

ربما يثقُل الجليسُ وإن كا	ن خفيفاً فى كِفَّة المِيزانِ
كيف لا تَحمل الأمانةَ أرضٌ	حَمَلتْ فوقها أبا سُفيان

طرب الوليد بشعر له

وقيل : أُنشد الوليدُ بن يزيد قولَ بشّار الأَعمى :

أيها السّاقيانِ صُبّا شَرابى	واُسْقِيانى من رِيق بَيْضاءَ[٣] رُودِ
إنَّ دائى الظّمَا وإنّ[٤] شِفائى	شَرْبةٌ من رُضاب ثَغْرٍ بَرُود
ولها مَضْحكٌ كغُرِّ الأَقاحى	وحديثٌ كالوَشْىِ وَشْىِ البرُود
نزلتْ فى السّواد من حَبّة القَلْـ	ـب ونالتْ زِيادةَ المُستزيد
ثم قالت نَلْقاك بعد ليالٍ	واللّيالى يُبْلين كُلَّ جَديد
عندها الصبرُ عن لقائى وعندى	زَافراتٌ يأْكُلْن قلبَ الجَليد

فطرب الوليدُ وقال : مَن لى بمِزاجِ كأسى هذه من رِيق سَلْمى فَيرْوَى ظَمئى وتَطفأَ غُلّتى ! ثم بكى حتى مَزج الكأس بدَمعه وقال : إنْ فاتَنا ذاك فهذا .

---

(١) مه ، أصلها «ما» فأبدلت الألف هاء للسكت . (٢) فى بعض أصول الأغانى : «أخرى» .

(٣) الرود ، بالهمز وسهل : الشابة الحسنة الشباب . (٤) فى بعض أصول الأغانى : «وإنى» .

هو وصديق طلب منه ثيابا

وقيل : كان لبشّار صديقٌ بزاز ، فبعث إليه ذات يومٍ يطلبُ منه شيئاً من الثّياب بنَسيئة ، فلم يُصادفها عنده . فقال يهجوه :

ألا إنَّ أبا[1] بَدْر زَنَى فى ليلةِ القَدْرِ
ولم يَرْعَ تعالى اللـه حُرمة ذلك[2] الشّهر

وكتب بها فى رُقعة و بعث بها إليه . وكان أبو بدر ممن يقُول الشّعر . فقَلَبها وكتب فى ظهرها :

ألا إنّ أبا بَدْر له فى ذلكم عُذْرُ
أتته أُمُّ بشّار وقد ضاق بها الأَمْر
فواثبها فجامعها وما ساعده الصّبر

فلما قُرئت على بشّار غَضب ونَدم على تعرّضه لرجل لا نَبَاهَةَ له، فجعل يَنْطح برأسه غيظاً ، ثم قال : لا تَعرَّضتُ لهجاء سَفِلَةٍ مثل هذا أبداً !

شعر له فى جارية للمهدى

وذُكر أن بشّاراً دخل على المهدىّ ، وقد عُرضت عليه جاريةٌ مُغنّية ، فسَمع غناءها فأطرب به ، وقال لبشّار : قُل فى صِفتها شعراً . فقال :

ورائحةٍ للعَيْن فيها[3] مَخيلةٌ إذا بَرقتْ لم تَسْقِ بَطْنَ صَعيدِ
مِن المُستهلات السُّرور على الفتى خَفَا[4] بَرْقُها فى عُصفر[5] وعُقود
كأنَّ لساناً ساحراً فى كَلامها أُعين بصَوتٍ للقلوب صَيُود
تُميتُ به ألبابَنا وقلوبَنا مِراراً وتُحْييهن بعد هُمود

أنشد عقبة فوصله

وقيل : .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « زيد » مكان « بدر » هنا وفيما سيأتى .
(٢) فى بعض أصول الأغانى :
ولم يرع تعالى الله ربى حرمة الشهر
(٣) الرائحة : السحابة تجىء رواحا . والمخيلة : الظن . (٤) خفا البرق : لمع وظهر .
(٥) فى عصفر ، يريد ثيابها المعصفرة . وفى بعض أصول الأغانى : « فى عبقر » .

دخل بشّار يوماً على عُقبة بن سَلْم فأنشده قولَه فيه :

إنما لذّةُ الجَواد ابن سَلْمٍ ... فى عَطاء ومَرْكَب لِلقاء

ليس يُعطيك للرّجاء ولا الخو ... فِ ولكنْ يلذّ طَعْم العَطاء

يسقُط الطيرُ حيث يَنْتثر الحَـ ... ـبُّ وتُغْشَى منازلُ الكُرماء

فعلى عُقْبة السلامُ مُقيماً ... وإذا سار تحت ظِلّ اللِّواء

فوَصله بعشرة آلاف دِرْهم .

مدح خالد بن برمك فوصله

وقيل :

مَدح بشّارٌ خالدَ بن بَرمك ، فقال فيه :

لَعَمْرِى لقد أَجْدَى علىّ ابنُ بَرْمَك ... وما كُلُّ من كان الغِنَى عنده يُجْدِى

إذا جِئْتَه للحَمد أَشرق وجهُه ... إليك وأعطاك الكريمةَ[1] بالحَمد

له نِعَمٌ فى الْحَمد[2] لا يَسْتَثيبها ... جزاءً وكَيْلَ التاجرِ المُدَّ بالمُدِّ

مُفِيدٌ ومِتْلافٌ سبيلُ تُراثه ... إذا ما غدا أو راح كالجَزْر والمَدّ

أَخالد إنّ الحمد[3] يَبْقى لأهله ... جَمالاً ولا تَبقى الكُنوز على الكَدّ

فأَطْعِم وكُلْ من عارةٍ مُستردّةٍ ... ولا تُبْقِها إنّ العوارِىَ للردِّ

فأعطاه خالدٌ ثلاثين ألف درهم ، وكان قبل ذلك يُعطيه فى كُل وِفادة خَمسة آلاف درهم . وأمر خالد أن يُكتب هذان البَيْتان فى صدر مجلسه الذى كان يَجلس فيه، وقال ابنهُ يحيى بن خالد : آخرُ ما أَوصانى به أبى العملُ بهذين البيتين[4] .

هو وأبو الشمقمق

وقيل : إنّ بشّار كان يُعطى أبا الشَّمَقْمق فى كُل سنة مائتَى دِرهم ، فأتاه أبو الشَّمقمق فى بعض تلك السِّنين . فقال : هلم الجزيةَ يا أبا مُعاذ . فقال : ويحك !

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الكرامة » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فى القوم » مكان « فى الحمد » .
(٣) فى الأصل : المدح « مكان » « الحمد » . (٤) يريد البيتين الأخيرين .

أوَ جَزية منى أيضاً ! قال : هو ما تَسمع . فقال له بشَّار يُمازحه : أنت أفصح منّى ؟ قال : لا . قال : فأعلم منّى بمثالب النـاس ؟ قال : لا . قال : فأشعرُ منى ؟ قال : لا . قال : فـلِمَ أُعطيك ؟ قال : لئلا أهجُوك . فقال : إن هجوتنى هجوتُك . فقال له أبو الشَّمقمق : وهكذا هو ؟ قال : نعم ، فقُل ما بدا لك . فقال أبو الشَّمقمق :

إنى إذا ما شـاعرٌ هَجانيَـهْ ... ولَجَّ فى القَول له لِسانيَـهْ

أدخلتُه فى أستِ أُمِّه علانيَهْ ... بشَّـار يا بشَّـار . . . .

وأراد أن يقول « يا بن الزَّانية » . فوثب بشَّـار وأمسك فاه وقال : أراد والله أن يشتُمنى . ثم دفع إليه مائتى دِرهم وقال : لا يَسمعنَّ هذا منك الصِّبيان .

وقيل :

أمر عُقبة بن سَلم لبشَّار بعَشرة آلاف دِرْهم ، وأُخبر أبو الشَّمقمق بذلك، فوافى بشَّاراً فقال له : يا أبا مُعاذ ، إنِّى مررتُ بصبيان يَلعبون فسمعتُهم يُنشدون :

هَلِّينَـهْ هَلِّينَـهْ ... طَعْنَ قِثَّاةٍ لِتينَـهْ

إنَّ بشَّار بن بُرد ... تَيسٌ أعمى فى سَفينهْ

فأخرج إليه بشَّار مائتى درهم وقال : خُذ هذه ولا تكونن راويةً للصِّبيان .

هجاؤه للعباس ابن محمد

وقيل :

استمنح بشَّارٌ العبّاسَ بن محمد بن علىّ بن عبـد الله بن العبّاس فلم يمنحه ، فقال يهجوه :

ظِلُّ اليَسار على العبّاس مَمْدودُ ... وقَلبُـه أبداً بالبُخل[1] مَعقودُ

إنَّ الكريمَ ليُخفى عنك عُسْرته ... حتى تَراه غنيًّا وهو مَجْهود

وللبخيـل على أمواله عِلَلٌ ... زُرْق العُيون عليها أوجُهٌ سُود

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فى البخل » مكان « بالبخل » .

إذا تكرّهت أن تُعطى القليلَ ولم ... تقْدر على سَعَة لم ينْفع[١] الجُودُ

أورِقْ بخَير تُرَجَّى للنَّوال فما ... تُرْجَى الثمار إذا لم يُورِقِ العود

بُثَّ النَّوال ولا تَمْنَعْك قِلَّتُه ... فكُلُّ ما سَدَّ فقراً فهو محْمود

بين إسحاق الموصلى وبعضهم فى شعر بشار

وقال بعضهم :

كان إسحاقُ الموصلىُّ يضَع من شعر بشّار ويقول : إن كلامه مُختلف لا يُشبه بعضُه بعضاً . فقلت : أتقول هذا القولَ لمن يقول :

إذا كنتَ فى كُلّ الأُمور مُعاتباً ... صديقَك لم تَلْقَ الذى لا تُعاتبُه

فعِشْ واحداً أوصِلْ أخاك فإنّه ... مُقارِفُ[٢] ذَنْبٍ مرةً ومُجانبُه

إذا أنت لم تَشرب مِراراً على القَذَى ... ظمئْتَ وأىُّ الناس تَصْفو مَشاربه

شعر له نسب للمتلمس

وهذه الأبيات من قصيدة يمدح بها بشّارٌ أبنَ هُبيرة ، منها :

أحلَّت به أُم المَنايا بناتِها ... بأسيافنا إنّا رَدَى مَن نُحاربه

وكنَّا إذا دَبَّ العدوُّ لسُخطنا ... وراقَبنا فى ظاهرٍ لا نُراقبه

ركبْنا له جَهْراً بكُل مثقَّفٍ ... وأبيضَ تَستسقى الدِّماء مَضاربه

وذُكر أنه أدعى شُبَيل بن عَزْرة[٣] أن هذه الأبيات الثلاثة المذكورة للمتلَمّس . وذكر ذلك لأبى عُبيدة . فأخبر أبو عُبيدة بذلك بشَاراً . فقال : كذب واللهِ شُبيل ! لقد مدحت أبن هُبيرة بهذه القصيدة فأعطانى أربعين ألفاً .

سؤال طاهر عن عقب بشار ليبرهم

وذُكر أنه لما خَلع محمدٌ الأمين أخاه عبدَ الله المأمون عن ولاية عَهده ، ونَدب لقتاله علىَّ بن عيسى بن ماهان ، نَدب المأمون للقاء علىِّ بن عيسى طاهرَ بن الُحسين

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لم يظهر » مكان « لم ينفع » .

(٢) مقارف : مرتكب .

(٣) فى الأصل : « عروة » . والتصويب من شرح القاموس والطبرى .

ابن مُصعب، وجلس لعَرْضه وعَرْض أصحابه . فمرّ ذو اليمينين[١] مُعترضاً وهو يُنشد :

رُوَيدَ[٢] تصاهَلْ بالعِراق[٣] خيولُنا كأنّك بالضحّاك قد قام نادبُهْ

فتفاءل المأمونُ بذلك ، وأستدناه فدنا منه ، وأستعاده البيت ، فأعاده عليه . فقال ذو الرّياستين : يا أمير المُؤمنين ، هو حَجَر العراق[٤] . قال : أجل . فلما صار ذو اليمينين طاهرٌ إلى العراق سأله : ألَا هل بَقِى من ولد بشّار أحد ؟ فقالوا : لا . قال الراوِى : فتوهّمْتُ أنه قد كان همّ لهم بخير .

رضاؤه عن سلم بعد غضب

وقيل :

غضب بشّار على سَلْم الخاسر ، وكان من تَلامذته ورُواته ، فأستشفع عنده بجَماعة من إخوانه . فجاءوه فى أمره . فقال : كُل حاجة لكم مَقْضية إلا سَلْما . قالوا : ما جئناك إلّا فى سَلم ، ولا بُد أن تَرْضى عنه لنا . قال : فأين هو الخبيث ؟ قالوا : ها هو ذا . فقام إليه سَلم وقبّل رأسه ومَثَل بين يديه وقال له : يا أبا مُعاذ ، خِرّيجك وأَدِيبُك . قال : يا سَلْم ، من الذى يقول :

مَن راقب الناسَ لم يَظْفر بحاجته وفازَ بالطّيّبات الفاتكُ اللَّهِجُ

قال : أنت يا أبا مُعاذ ، جَعلنى الله فِداك . قال : فمن الذى يقول :

مَن راقب الناسَ مات غَمًّا وفاز باللّذة الجَسُورُ

قال : خِرّيجك يقول ذلك — يعنى نفسه — قال : أفتأخذ معانىَّ التى قد عُنيت بها وتَعبت فى أستنباطها ، فتكسوها ألفاظاً أخفَّ من ألفاظى ، حتى يُرْوى

(١) قيل : لقب ذا اليمينين ، لأنه ضرب شخصا فى وقعته مع على بن ماهان فقده نصفين ، وكانت الضربة بيساره . فقال فيه بعض الشعراء :

* كلتا يديك يمين حين تضرب به *

(٢) رويد ، إذا أردت بها الوعيد نصبتها بلا تنوين .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « جيادنا » مكان «خيولنا » . (٤) يريد أن عليه المعول .

ما تقولُ ويذهبَ شعرى ! لا أرضى عنك أبدا . قال : فما زال يتضرَّع إليه ويَشفع له القومُ حتى رَضِى عنه .

وهذا البيتُ الذى ذكره بشّار من قصيدة له ، منها :

لو كنتِ تَلْقينَ مانَلْقى قسمتِ لنا   يوماً نعيش به منكم ونَبْتهجُ
لاخَيرفى العَيشِ إن كُنا(١) كذاأبداً   لا نَلْتقى وسبيلُ المُلتقى(٢) نَهَج
قالوا حرامٌ تلاقِينا فقُلت لهم   مافى التَقاء(٣) ولا فى قُبْلة حَرَج

هو وحماد والأعشى مع عقبة فى مثل أراده

وحَكى بشار قال :

دعانى عُقبة بن سَلم ودَعى بحمّاد عَجْرد وأَعشى باهلة ، فلما اُجتمعنا عنده قال لنا : إنه خَطر ببالى البارحة مَثَل يتمثَّله الناسُ : « ذهب الِحمار يطلبُ قرنين فَرجع بلا أُذنين » فأَخْرجوه لى من الشعر ، ومَن أَخرجه فله خمسةُ آلاف دِرهم ، فإن لم تفعلوا جَلَدْتُكم خمسمائة . فقال حماد : أَجِّلنا أعزَّ الله الأمير شَهراً . وقال الأعشى : أجِّلنا أعزَّ الله الأَمير أسبوعين . وبشّار ساكتٌ لا يتكلّم . فقال له عُقبة : مالك يا أعمى لا تتكلَّم ! أعمَى الله قَلبك ! قال : قد حَضرنى — أصلح الله الأَمير — شىء ، فإن أَمرتنى قلتُه . قال : قُل . فقال :

شَطَّ بسَلْمى عاجلُ البَيْنِ   وجاورتْ أُسْدَ بَنى القَيْنِ
ورنَّتِ النفسُ لها رَنَّةً   كادتْ بها تَنشقُّ نِصفْين
يابِنْتَ مَن لاأَشْتهى ذكرَه   أَخْشى عليه عُلَقَ الشَّيْن
والله لو ألقاكِ لا أَتَّقى   عيناً لقبَّلْتُك أَلْفين
طالبتُها دَيْنى فراغتْ به   وعَلَّقتْ قَلْبى مع الدَّين

(١) فى معاهد التنصيص : « إن دمنا » .
(٢) نهج : بين واضح .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ما فى التلاق » .

فصرتَ كالعَيْرِ غدا[(١)] يَبتَغى قَرْنَا فلم يَرْجِع بأُذْنين

فانصرف بشّار بالجائزة .

هو وإخوته

وقيل :

كان لبشّار أَخَوان يُقال لأحدهما : بِشْر ، والآخر : بشير ، وكانا قصّابين ، وكان أبوهما طَيَّانا ، وكان بشّار برًّا بأخَويْه ، على أنه من ضَيِّق الناس صدراً مُتبرِّماً بكل أحد ، فكان يقول : اللهم إنى قد تبرّمت بنفسى وبالنّاس جميعاً ، اللهم فأَرِحْنى منهم . وكان إخوتُه يَستعيرون ثيابه فيوسّخونها ويُنْتِنون ريحَها ، فاتخذ قميصاً له جَيْبان وحَلف ألّا يُعيرهم ثوباً من ثيابه ، فكانوا يأخذُنها بغير علمه ، فإذا دعا بثوبه فلَبسه فأنكر رائحته يقول ، إذا وجدَ رائحةً كريهةً من ثوبه : « أينما أتوجّهْ أَلْقَ سَعداً »[(٢)] . فإذا أعياه الأمر خَرج على الناس فى تلك الثِّياب على نَتْنها ووسَخها ، فيقال : ما هذا يا أبا معاذ ؟ فيقول : هذه ثمرةُ صلة الرَّحم .

لأبيه فى تيمنه به

وقيل : إنّ بشاراً كان يقول الشِّعر وهو صَغير ، وكان أَبوه يقول : ما رأيت مولوداً أعظم بركةً منه ، لقد وُلد لى وما عندى دِرهم واحد ، فما حال الحَوْلُ حتّى جمعتُ مائتى درهم .

فى صباه

وكان بشار فى صغره إذا هجا قوماً جاءوا إلى أبيه فشكَوْه ، فَيضْربه ضرباً شديداً ، وكانت أُمه تقول له : لِمَ تَضْرب هذا الصغير ؟ أما ترحمه ! فيقول : بلى والله ، إنى لأَرحمه ولكنّه يتعرّض للناس فيشكُونه إلىّ . فسمعه بشار فطَمع فيه وقال له : يا أبتِ ، إنّ هذا الذى يشكونهُ إليك منّى قولى الشعر ، وإنّنى إن أَلممتُ عليه أَغنيتُك وسائرَ أهلى . فإذا شَكَوْنى إليك فقُل لهم : أليس الله جلّ وعزّ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « طالبا » مكان « يبتغى » .

(٢) هذا مثل يضرب لمن يلقى سوء المعاشرة فى كل مكان . أصله أن الأضبط بن قريع كان سيد قومه ، فرأى منهم جفوة فرحل عنهم إلى آخرين . فرآهم يصنعون بساداتهم مثل ذلك ، فقال هذا القول .

يقول : (ليسَ عَلى الأَعْمى حَرَج) . فلمّا عاودوا شَكْواه قال لهم بُرد ما قاله له بشار ، فانصرفوا وهم يقولون : فِقْه بُرد أغيظُ لنا من شِعْر بشار .

بينه و بين بعض الشعراء وقد أباحه مالا له

وحكى بعضُ الشعراء قال:

أتيت بشاراً الأعمى و بين يديه مائتا دينار . فقال : خُذ منها ما شئتَ ، أو تَدْرى ما سببُها ؟ قلت : لا . قال : جاءنى فتًى فقال لى : أنت بشار ؟ فقلت : نعم . قال : إنى آليتُ أن أدفع إليك مائتى دينار ، وذلك أنِّى عَشقتُ امرأةً وجئتُ إليها وكلَّمتُها ، فلم تَلتفتْ إلىّ ، فهممتُ بأن أتركها . ثم ذكرتُ قولك :

لا يُؤْيسنَّكَ من مُخبَّأةٍ قولٌ تُغلِّظه وإن جَرَحا
عُسْر النِّساء إلى مُياسرةٍ والصَّعبُ يُمكن بعدما جَمحا

فعدتُ إليها ولازمتُ فناءَها ، فلم أبرح حتى بلغتُ منها حاجتى .

هجاؤه يزيد ابن مزيد وسبب ذلك

وقيل :

وَرد بشّارٌ بغدادَ ، فقَصد يزيدَ بن مَزْيد ، وسأله أن يذكره للمهدىّ ، فسوَّفه أشهراً . ثم وَرد رَوْحُ بن حاتم ، فبلغه خبرُ بشار ، فذكره للمهدىّ من غير أن يلقاه . فأمر بإحضاره . فدَخل إلى المهدى فأنشده شعراً مَدحه به ، فوصَله بعشرة آلاف دِرهم ، ووهَب له عبداً وقَينة وكَساه كُسًا كثيرة . فقال بشار يهجو يزيد ابن مَزيد :

ولما اُلتقَيْنا بالُجنَينة غرَّنى بمَعْروفه حتى خَرجتُ[1] أفُوقُ
حَبانِى بعبدٍ قَعْسَرىّ[2] وقَينةٍ ووَشْيٍ وآلافٍ لهن بَريقُ
فقُل ليزيدٍ يَلْعق الشُّهدَ خالياً لنا دونه عند الخليفة سُوق
رقدتَ فَنَم يا بن الخبيثة إنَّها مكارمُ لا يَسْطِيعُهنّ لَصِيق

(١) أفوق : قد أصابنى الفواق . يشير إلى ما أثقله به من العطاء . (٢) القعسرى : الصلب الشديد .

أَبَى لك عِرْقٌ من فُلانة أن تُرَى جواداً ورأسٌ حين شِبْتَ حَلِيق

هو وبعض الكوفيين فى بيت له

وحكى بعضُ الكوفيّين قال :

مررتُ ببشار وهو مُتبطِّح فى دِهليز كأنه جاموس ، فقلت له : يا أبا مُعاذ ، مَن القائلُ :

فى حُلّتى جِسمُ فتًى ناحلٍ لو هَبَّت الريحُ له طَاحَا

قال : أنا . قلت : فما حَمَلك على هذا الكذب ؟ والله إنِّى لأَرى أن الله جلّ وعزّ لو بعث الرياحَ التى أَهلك بها الأُمم الخالية ما حرّكتْك من مَوضعك ! فقال بشار : مِن أين أنت ؟ قلت : من أهل الكُوفة . فقال : يا أهل الكوفة ، لا تَدَعون ثِقَلَكم ومَقْتَكم على كُل حال !

هو والمهدى وقد طلب إليه أن يجيز شعراً له

وقيل :

دخل المهدىُّ إلى بعض حُجر الحُرَم فنظر إلى جاريةٍ منهنّ تغتسل ، فلما رأته اُستَحْيت ووضَعَت يدَها على فَرْجها . فأنشأ المهدىُّ يقول :

* نظرتْ عَيْنى لَحيْنى *

ثم أُرتج عليه فقال : مَن بالباب من الشُّعراء ؟ فقالوا : بشار . فأذن له . فدخل . فقال له : أجز :

* نظرتْ عَيْنى لَحيْنى *

فقال :

« نظرت عينى لحينى » نظراً وافق شَيْنى

سترتْ لما رأتْنى دونَه بالرَّاحتَين

فَضَلتْ منه فُضُولٌ تحت طَىِّ العُكْنتَين

فقال له المهدى : قَبحك الله ! ويلك ! أ كُنت ثالثَنا ؟ إيه ؟ ثم ماذا ؟ فقال :

فتمنّيتُ وقلْــبى للهوَى فى زَفْرتَيْنِ
ليتنى[1] كنتُ عليه ساعةً أو ساعتَيْن

فضحك المهدىُّ وأمر له بجائزة . فقال له : أقنعت يا أمــير المؤمنين من مِثل هذه الصفة بساعة أو ساعتين ؟ قال : فــكم ويلك ؟ قال : سنةً أو سنتين . فقال : اخرجَ عنّى قبحك الله ! فخَرج بالجائزة .

هو وامرأة هويها فكادت له

وقيل : كان لبشار مجلسٌ يَجلس فيه بالعشى يقال له : البَرْدان . فَدخل إليه نِسوة فى مجلسه هذا فسمعْن شعره . فعشِق اُمرأةً منهن وقال لغُلامه : عَرِّفها محبَّتى لها ، واُتبعها إذا اُنصرفت لتعرف منزلَهَا . فَفعل الغلامُ وأخبرها بما أمره به . فلم تُجبه إلى ما أحبّ ، وتَبعها إلى مَنزلها حتى عَرفه . فكان يتردّد إليها حتى برمتْ به ، فشكَتْه إلى زوجها . فقال لها . أجيبيه وعِديه أن يَجيئك إلى هاهنا . ففعلتْ . وجاء بشّار مع اُمرأة وجهتْ بها إليه . فدخل وزوجُها جالسٌ وهو لا يعلم ، فجعل يُحادثها ساعةً ثم قال لها : ما اُسمك بأبى أنت ؟ قالت : أُمامة . فقال :

أُمامةُ قد وُصفتِ لنا بحُسن وإنّا لا نَراكِ فأَلْمسِــــينا

فأخذتْ يَده فوضعتْها على أير زوجها وقد أنعظ . ففَزِع ووثب قائماً . وقال :

علىّ أليّــةٌ ما دمتُ حيًّا أَمَسُّكِ طائعاً إلّا بعُــودِ
ولاأُهدِى لأَرضٍ أنت[2] فيها سـلامَ الله إلّا من بَعيد
طلبتُ غَنيمةً فوضعت كفِّى على أيرٍ أشَدَّ من الحديد
فخيرٌ منكِ مالا خــيرَ فيه وخيرٌ من زيارتكم قُعودى

وقَبض زوجُها عليه. وقال: هممتُ بأن أفضحَك . فقال له : قد كفانى، فديتُك،

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أننى » مكان « ليتنى » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : * ولا أهدى لقوم أنت فيهم *

ما فعلتَ بى، ولستُ والله عائداً إليها أبداً، فحسبُك ما مضى . وتركه وانصرف .

شعره فى حبه

وقيل :

كان بشار مُغرماً بامرأة تجيئه إلى مجلسه ، فقال فيها :

يا قومُ أُذْنى لبعض الحىّ عاشقةٌ ... والأُذن تَعشق قبل العين أحياناَ

قالوا بمن لا ترى تهذى فقلتُ لهم ... الأُذن كالعين تُوفى القلبَ ما كانا

هل من دواء لمَشْغوف بجاريةٍ ... يلقَى برُؤيتها(١) رَوحاً وريْحانا

وقال بشار أيضاً فى هذا المعنى :

قالت عُقَيل بن كَعب إذ تعلَّقها ... قَلبى فأَضْحى به من حُبِّها أَثَرُ

أَنَّى ولم ترها تَهْذِى فقلتُ لهم ... إنّ الفُؤاد يَرى مالا يرَى البَصر

أصبحتُ كالهائم(٢) الحَيرانِ مُجتنباً ... لم يقضِ وِرْداً ولا يُرْجَى له صَدَر

وقال أيضاً فى هذا المعنى :

يُزهِّدنى فى حُبّ عَبْدَة مَعْشَر ... قلوبُهمُ فيها مخالفةٌ قَلْبى

فقلتُ دَعوا قَلْبى وما اختاروارْتَضى ... فبالقلبِ لا بالعَين يُبصر ذو الحُبِّ

فما تُبصر العينان فى مَوضع الهَوى ... ولا تَسمع الأُذْنان إلّا من القلب

أنشد المهدى فى غير الغزل فلم يجزه

قيل :

وكان المهدىُّ قد نَهى بشاراً عن قول الغَزل ، فاستأذن على المهدىّ يوماً . فقال له الرَّبيع : قد أَذِن لك وأمركَ أَلّا تُنشد شيئاً من الغَزل والنَّسيب ، فادخُل على ذلك . فأنشد قوله :

يا منظراً حَسَناً رأيتُه ... مِن وجه جاريةٍ فديتُه

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بلقيانها » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « كالحائم » .

بعثتْ إلىّ تَسُومنى ... بُرْدَ الشَّباب وقد طويتُه
واللهِ ربِّ مُحمَّد ... ما إن غَدرتُ ولا نَويتُه
أمسكتُ عنك وربّما ... عَرض البلاء وما ابتغيتُه
إنّ الخليفة قد أَبَى ... وإذا أَبَى شيئاً أبيتُه
ومُخضَّبٍ رَخْص البنا ... ن بكَى علىَّ وما بكيتُه
ويشوقُنى بيتُ الحبيـ ... ـب إذا غدوتُ[١] وأين بَيْتُه
حالَ[٢] الخليفةُ دونه ... فصَبَرْتُ عنه وما قَلَيْتُه
ونهانىَ الملكُ الهُما ... م عن النِّساء فما عَصَيتُه
وأنا المُطِلُّ على العِدَى ... وإذا غَلا الحَمْدُ اشْتَريْتُه
أُصْفِى الخليلَ إذا دَنا ... وإذا نأَى عنّى[٣] رعيتُه

ثم أنشده ما مدحه به بلا تَشْبيب ، فحرَمه ولم يُعطه شيئاً . فقيل له : إنه لم يَستحسن شعرَك . فقال : والله لقد مدحتُه بشعر لو مُدح به الدَّهر لم يُخش صرفُه على أحد ، ولكنّه كذّب أملى لأنى كذَبت فى قولى . ثم قال فى ذلك :

خَليلىَّ إنّ العُسر سوف يُفيقُ ... وإنّ يساراً فى غدٍ لَخليقُ
وما كنتُ إلّا كالزّمان إذا صَحا ... صحوتُ وإنْ ماقَ[٤] الزمانُ أَمُوق
خليلىَّ إنّ المالَ ليس بنافعٍ ... إذا لم يَنلْ منه أخٌ وصَديق
وكنتُ إذا ضاقَتْ علىّ مَحَلّةٌ ... تَيممتُ أُخرى ما علىّ تَضيق
وما خاب بين الله والنّاس عاملٌ ... له فى التُّقى أو فى المَحامد سُوق
ولا ضاق فَضلُ الله عن مُتعفِّفٍ ... ولكنّ أَخلاق الرجال تَضيق

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ادكرت » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « قام » مكان « حال » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « نأيته » مكان « رعيته » .
(٤) ماق : حمق .

مدح المهدى ثم هجاه

ثم مَدح المهديّ بعد ذلك بقصيدة يقول فيها :

إلى ملكٍ من هاشم فى نبوّة ومن حِمْيَرٍ فى المُلك والعَدَد[١] الدَّثْرِ
مِنَ المشترين الحمد تَنْدى من النّدى يداه ويَنْدى عارضاه من العِطْرِ
بَنَى لك عبدُ الله بيتَ خلافةٍ نزلتَ بها بين الفَراقد والنَّسر
وعندك عهدٌ من وَصاة محمد فَرعت[٢] به الأملاكَ من وَلد النَّضر

فلم يَحْظَ منه بشيء ، فقال يهجُوه :

خليفةٌ يَزْنى بعمّاته يَلعب بالدَّبُّوق[٣] والصَّوْلجانْ
أبدلنا اللهُ به غيرَه ودسّ مُوسى فى حِرِ[٤] الخَيْزُران

هجاؤه المهدى ويعقوب بن داود

وكان بشّار قد قصد المهديَّ ووزيرَه يَعقوب بن داود بن طُهمان ، فمَدح يعقوب فلم يُعطه شيئاً ، ومرّ يعقوب ببشّار يريد منزلَه ، فصاح به بشار :

بنى أُميةَ هُبُّوا طال نومُكمُ إنّ الخَليفةَ يعقوبُ بن داودِ
ضاعتْ خلافتكم يا قوم فالتَمِسوا خليفةَ الله بين الزِّق والعُود

هجاؤه صالح ابن داود

وكان المهديّ ولّى صالحَ بن داود ، أخا يعقوب ، البصرةَ . فقال بشّار يهجوه :

هُمُ حَملوا فوق المَنابر صالحاً أخاك فضجّت من أخيك المنابرُ

سبب هجائه المهدى

ولازم بشّار بابَ يَعقوب مُدةً ، فلم يُعْطه شيئاً . فانصرف إلى البصرة مغضباً . فلما قدم المهديّ البصرة أعطى عطايا كثيرة ووصل الشعراء . وكان ذلك كُله على يَدى يعقوب . فلم يُعط بشارا شيئاً من ذلك . فجاء بشار إلى حَلقة يونُس النَّحوى . فقال : هل هاهنا أحد يُحْتَشَم ؟ فقالوا : لا . فقال: « خَليفة يَزْنى بعمّاته » . البيتين .

---

(١) الدثر : الكثير من كل شيء .
(٢) الوصاة : الوصية . وفرعت : علوت بالشرف .
(٣) الدبوق : من لعب صبيان العرب .
(٤) الخيزران : من جوارى المهدى ، و هى أم ولديه : موسى ، وهارون .

فبلغ ذلك يعقوبَ . فدخل على المهدى، فقال : يا أمير المؤمنين، أبَلَغ من قَدْرهذا الأعمى المُشرك أن يهجو أميرَ المُؤمنين ! قال : ويحك، وما قال : قال : يُعفينى أمير المؤمنين من إنشاده . فقال : لا بحياتى أنشدنى . فقال : والله لو خَيَّرتنى بين إنشادى إيّاه وضَرب عُنق لاخترتُ ضَرب عنق . فَحلف عليـه المهدىّ بالأَيمان التى لا فُسحة فيهـا أن يُخبره . فقال : أمّا لفظاً فلا ، ولـكنّى أكتبُ بذلك . فكَتب ودَفعـه إليه . فكاد يَنْشقّ غيظاً .

وقد قيل إنّ ذلك كان قبل أن يَنحدر المهدىّ إلى البصرة . فَعزم على الانحدار إليها والنَّظر فى أمرها . وما وَكْدُه[1] غير بشار . فلما بلغ إلى البَطيحة سَمِع ذاناً فى وقت ضُحى النّهار ، فقال : انظروا ما هذا الأَذان ! فإذا بشار يؤذِّن سكران . فقال له: يا زِنْديق ! يا عاضّ بَظْر أُمه ! عجبتُ أن يكون هذا لغيرك . أتلهو بالأذان فى غَير وقت الصـلاة وأنت سكران . ثم دعا بابن نَهيك فأَمره بضربه بالسَّوط . فضُرب بين يديه على صَدر الحَرّاقة[2] سَبعين سوطاً أتلفه فيها . وكان إذا أصابه يقول : حَسِّ — وهى كلمة تقولهـا العربُ للشىء إذا أوجع — فقال له بعضهم : انظُر إلى زَنْدقتـه يا أمير المؤمنين ، يقول : حس ، ولا يقول : باسم الله . فقال : ويلك ! أطعامٌ هو فأُسمّى الله عليه . فقال له آخر : أفلا قلتَ : الحمد لله . فقال : أَوَنعمة هى حتى أحمد الله عليها ! فلما ضَربه سَبعين سوطاً بانَ الموتُ فيـه ، فأُلقى فى سفينة حتّى مات ثم رُمى فى البَطيحة . فجاء أهلُه فحملوه إلى البصرة فدُفن بها .

وقيل : لمـا ضُرب بالسياط وطُرح فى السَّفينـة قال : ليت عين أبى الشّمقمق رأتنى حيث يقول :

إنّ بشّـــار بنَ بُرْد تَيْسٌ أعمى فى سَفينَهْ[3]

---

(١) وكده : قصده . (٢) الحراقة : سفينة فيها مرامى نيران يرمى بها العدو .

(٣) قال الجاحظ فى الحيوان : كان العرب إذا هجوا إنساناً بالغباوة أو بالنتن قالوا : إنما هو تيس . فاذا أرادوا الغاية فى الغباوة : قالوا : ما هو إلا تيس فى سفينة .

وقيل : إنه لمّا ضُرب ما بقى بالبصرة شريفٌ إلا بَعث إليه بالفَرْش والكُسوةَ والهدايا .

وفاته

وكانت وفاته وقد ناهز التِّسعين سنة .

وقيل : مات سنة ثمانٍ وستين ومائة ، وقد بلغ نَيِّفاً وتسعين سنة .

وحَكى سالمُ بن عليّ قال : كُنَّا عند يونُس ، فنَعى بشّارا لنا ناعٍ . فأنكر يونُس ذلك وقال : لم يَمُت . فقال الرجل : أنا رأيتُ قَبره . فقال : أنت رأيته ؟ قال : نعم، و إلّا فعليّ وعليّ . وحلَفَ له حتى رَضِي . فقال يونُس: لليَديْن وللفم[1] .

وحَكى بعضهم قال : لما مات بشار أُلقيت جُثته فى البَطيحة . فحمله الماء فأخرجه إلى دِجلة البصرة . فأُخذ وأُتى به منزله ، فدَفنه أهلُه . وكان كثيراً ما يُنشدنى :

ستَرى حول سَريرى حُسَّراً يَلْطِمن لَطْما
يا قَتيلاً قتلتْه عَبْدةُ الحوراء ظُلما

فخرجت جنازتُه فما تَبعها أحدٌ إلا أَمة له سِندية عَجماء ، رأيتُها خلفَ جنازته تَصيح : وا سيّداه ! وا سيداه ! ما تُفصح .

وحَكى سالم بن عليّ قال :

لما مات بشار ونُعى إلى أهل البصرة تباشَر عامّتُهم وهنّأ بعضُهم بعضاً وحَمدوا الله وتصدّقوا ، لما كانوا مُنُوا به من لسانه .

شعر الباهلى فى الشماتة بموته

قال أبو هاشم الباهلّى فى قَتله :

يا بُؤسَ مَيْتٍ لم يَبْكه أحدُ أجَل ولم يَفْتقده مُفْتَقَدُ
لا أُمٌّ أولاده بكَتْه ولم يَبْكِ عليه لفُرقةٍ وَلد
ولا ابنُ أختٍ بكَى ولا ابنُ أخٍ ولا حَميمٌ رقّت له كَبِد

(١) مثل يقال عند الشماتة بسقوط إنسان . والمراد : أسقطه الله على يديه ورجليه .

بل زَعموا أنّ أهــلَه فرحاً ... لـمّـا أتاهم نَعيُه سَـــــجدوا

وقال أيضاً فى ذلك :

قد تبِـع الأعمى قفَا عَجْرَدٍ ... فأصـبحا جارَيْن فى دَارِ

قالت بِقاع الأرض لا مَرحباً ... برُوح حمّـاد وبشّـــار

تجاورا بعـــد تَنائيهما ... ما أبغض الجـارَ إلى الجار

صارا جميعـاً فى يدَىْ مالكٍ ... فى النّار والـكافرُ فى النّار

ندم المهدى على قتـله

وقيل :

لما قَتل المهدىُّ بشاراً بعث إلى منزله من يُفَتّشه ، وكان يتهم بالزّندقة ، فوُجد فى منزله طُومار[1] فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . إنّى أردتُ هجاء آل سُليمان ابن علىّ فذكرتُ قرابتهم من رسول الله صلّى الله عليـه وسلّم فأمسكتُ عنهم إجلالاً له صلّى الله عليه وسلّم . على أنّى كنتُ قد قُلت فيهم :

دِينارُ آل سُــليمانٍ ودِرْهمهمُ ... كالبابليّين حُفَّا بالعَفاريتِ[2]

لا يُبصران ولا يُرْجَى لقــاؤُهما ... كما سمعتُ بهاروتٍ وماروُت[3]

فلما قرأه المهدىُّ بكَى ونَدم على قتْله ، وقال : لا جزَى الله يعقوب بن داود خيراً ! فإنّه لمـا هَجاه لفّق عندى شُهوداً على أنه زِنديقٌ فقتلتُه ، ثم ندمتُ حين لا يُغنى النَّدم .

شعره الذى فيه الغنـاء

وقد ذكر أبو الفَرج أخباراً لبشّار مع عَبْدة ، ومع حمّاد عَجرد ، ومع أبى هاشم الباهلى ، فى مواضع من كتابه تُذكر إن شاء الله فى مواضعها .

والشعر الذى فيه الغناء لبشار ، وافتتح به أبو الفرج أخباره هو :

* حَوراءُ إن نظرت *

وقد تقدّم ذِكْر هذه الأبيات .

(١) الطومار : الصحيفة .

(٢) نسبة إلى بابل ، وهى ناحية فيها الكوفة والحلة ، تعرف بالسحر والخمر .

(٣) هاروت وماروت : ملكان . وقد ورد ذكرهما فى القرآن الكريم فى قوله تعالى (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) .

أخبار يزيد حوراء

ولاؤه وطبقته في الغناء

هو رجل من أهل المدينة . ثم من موالى بنى لَيث بن بَكْر بن عبد مَناة ابن كِنانة . ويُكنى أبا خالد . مُغنٍّ محسن كثير الصَّنعة . من طَبقة ابن جامع وإبراهيم الموصليّ . وكان ممن قَدِم على المهديّ فى خلافته وغنّاه . وكان حسنَ الصَّوت حُلو الشمائل .

غنى المهدى فى شعر أبى العتاهية فى عتبة

وذُكر أنه كان صديقاً لأبى العتاهية . فقال أبو العتاهية أبياتاً فى أمر عُتبة يتنجّز بها المهديَّ ما كان وعده إيّاه من تزويجه بها ، فإذا وَجد من المهديّ طِيب نفس غنّاه بها ، وهى :

ولقد تَنَسَّمتُ الرِّياح لحاجتى ... فإذا لها من راحتَيْك نَسيمُ

أعلقتُ[1] نفسى مِن رَجائِك ماله ... عَنَقٌ إليك يَخُبّ بى[2] ورسيمُ

ورَميتُ نحوَ سماءِ جَوْدِك[3] ناظِرى ... أَرْعَى مخايلَ بَرْقها[4] وأَشِيم

ولربما أستيأستُ ثم أقول لا ... إنّ الذى وعَد[5] النَّجاح كريم

فَصنع فيه لحناً وتوخّى لها وقتاً وجد المهديَّ فيه طيِّبَ النَّفس ، فغنّاه به . فدعا بأبى العتاهية وقال له : أمّا عُتبة فَلا سبيلَ إليها ، لأن مولاتَها قد مَنعت منها[6] ، ولكن هذه خمسون ألف درهم فاشتر ببعضها خيراً من عُتبة . فحُملت إليه وأنصرف .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أشربت » .
(٢) العنق والوسيم : ضربان من ضروب السير .
(٣) الجود ، بالفتح : المطر الغزير . ويصح أن يكون بضم الجيم . والذى فى زهر الآداب : « صوبك » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « برقه » .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « ضمن » مكان « وعد » .
(٦) فى بعض أصول الأغانى : « من ذلك » مكان « منها » .

وكان أبو العتاهية قبل ذلك قد سأل يزيدَ حَوْراء أن يكلِّم المهدىَّ فى أمر عُتبة . فقال : إن الكلام لا يُمكننى ، ولكن قُل شعرا أُغنِّيه به . فقال :

نَفْسى بشىء من الدُّنيا مُعلَّقةٌ اللهُ والقائمُ المَهدىُّ يَكْفيها
إنّى لأيأسُ منها ثم يُطْمعنى فيها احتقارُك للدُّنيا وما فيها

قال : فعملتُ فيه لحناً وغنّيته به . فقال : ما هذا ؟ فأخبرتُه خبرَ أبى العتاهية . فقال : نَنْظر فيما سأل . فأخبرتُ بذلك أبا العتاهية . ثم مَضى شهرٌ فجاءنى فقال : هل حَدث خبر ؟ فقلتُ : لا . قال : فاذكرنى للمهدىّ . فقلت : إن أحببتَ ذلك فقل شعراً تُحرّكه به وتُذكِّره وعدَه حتى أُغنِّيه به . فقال :

ليت شِعرى ماعندكم ليت شِعْرى فلقد أُخِّر الجوابُ لأمرِ
ما جوابٌ أولى بكُلّ جميل من جوابٍ يُرَدُّ من بعد شَهر

قال يزيدُ : فغنَّيتُ به المهدىَّ . فقال : علىَّ بُعتبة . فأُحضرتْ . فقال : إن أبا العتاهية كلَّمنى فيك ، فما تقولين ، وعندى لك وله كل ما تُحبّان مالا تبلغهُ أمانيكما ؟ فقالت له : قد علم أميرُ المؤمنين ما أَوجب الله علىَّ من حقّ مولاتى ، وأُريد أن أذكُرَ هذا لها . قال : فأَفْعلى . وأعلمتُ أبا العتاهية . ومضتْ أيّام . فسألنى معاودة المهدىّ . فقلتُ : قد عرفتَ الطريقَ فقُل ماشئت حتى أُغنِّيه به . فقال الأبيات الميمية المُتقدمة[1] . قال يزيد : فغنَّيتُه الشعر . فقال : علىّ بعُتبة . فجاءتْ . فقال : ما صنعتِ ؟ فقالت : ذكرتُ ذلك لمولاتى فكرهتْه وأبتْه ، فَلْيفعل أميرُ المؤمنين ما يُريد . فقال : ما كنتُ لأفعل شيئاً تكرهه ، فأعلمتُ أبا العتاهية بذلك . فقال :

قَطَّعْتُ منكِ حبائلَ الآمالِ وأَرحتُ من حِلّ ومن ترْحالِ

---

(١) انظر (ص ٤٠٧) من هذا الجزء .

ما كان أشأمَ إذ رجاؤكِ[1] قاتِلِي ... و بناتُ وَعْدكِ يَعْتلجْن[2] ببالِي

ولئن طمعتُ لَرُبَّ بَرقةِ خُلَّبٍ ... مالتْ بذى طَمَعٍ ولَمعَةِ آلِ

هو وجارية أحبها

وحَكى يزيدُ حوراء قال: كنت أجلس بالمدينة على أبواب قُرَيش، فكانت تمرُّ بى جاريةٌ تختلف إلى الزرقاء تتعلّم منها الغناء، فقلت لها يوماً: أفهمى ورُدِّى جوابى وكونى عند ظنِّى. فقالت: هاتِ ما عندك؟ فقلتُ: باللهِ ما اُسمُك؟ فقالت: مُمنَّعة. فأطرقتُ طِيَرَةً[3] من اُسمها، مع طَمعى فيها. ثم قلت: بل باذلة أومبذولة[4] إن شاء الله، فاسمعى منّى. فقالت: وهى تبْتسم، إن كان عندك شىء فقُل. فقلت:

لِيَهْنِك[5] منّى أننى لستُ مُفْشِياً ... هواكِ إلى غيرى ولو مِتُّ من كَرْبِ

ولا مانِحاً خَلقاً سِواكِ مودّتى ... ولا قائلاً ما عشْتُ من حُبّكم حَسْبى

قال: فنظرت إلىّ طويلاً ثم قالت: أَنشُدك الله، أعن فرط مَحبّة أم اُهتياج غُلْمة تكلمتَ؟ فقلت: لا والله، ولكن عن فَرط محبة. فقالت:

فواللهِ ربِّ الناس لا خُنْتك الهَوَى ... ولا زلْتَ مخصوصَ المحبَّة من قَلْبى

فثِقْ بى فإنّى قد وثِقْتُ ولا تكنْ ... على غيرِ ما أظْهَرْتَ لى يا أخا الحُبِّ

قال: فوالله لكأنما أضرمتْ قلبى ناراً. فكانت تلقانى فى الطَّريق التى كانت تَسلُكه فتحدّثنى وأتفرّج[6] بها. ثم اُشتراها بعض أولاد الخُلفاء. فكانت تُكاتبنى وتلاطفنى دهراً طويلاً.

(١) فى زهر الآداب: «قادنى» مكان «قاتلى».
(٢) يعتلجن: يخطرن. (٣) طيرة: شؤما.
(٤) فى بعض أصول الأغانى: «ومبذولة».
(٥) المسموع: ليهنئك» و «ليهنيك» وعدوا «ليهنك» من كلام العامة. وقال الزبيدى: إنها وردت فى صحيح البخارى.
(٦) أتفرج بها، أى أصير بها ذا فرج.

وحكى عبدُ الله بن العبّاس بن الفضل بن الرّبيع قال :

من صفته

كان يزيدُ حَوراء نَظيفاً ظريفاً حسَن الوجه شَكِلًا[١] ، لم يَقْدَم علينا من الحجاز أنْظَفُ منه ولا أشكل ، وما كنتَ تشاء أن ترى خَصْلةً جميلة لا تراها فى أحد إلّا رأيتَها فيه ، وكان يتعصب لإبراهيم الموصليّ على ابن جامع ، فكان إبراهيم يَرْفع منه وينبّه على مواضع تقدُّمه وإحسانه ويَبْعث ابنه إسحاق فيأخذُ عنه .

موته ورثاء أبى مالك له

وكان صديقاً لأبى مالكٍ التّميمى الأعرج لا يكاد يفارقه ، فمَرض مرضاً شديداً واحتُضر ، فاُغتمّ عليه الرشيدُ وبعث بمَسرورٍ مراتٍ يسأل عنه . ثم مات . فقال أبو مالك يَرْثيه :

لم يُمتَّع من الشّباب يزيدُ	صار فى التُّرب وهو غَضٌّ جديدُ
خانَه دهرُه وقابَله منـ	ـه بنَحْسٍ ودابرَته[٢] السُّعود
حين زُفت دُنْياه من كُلّ وَجْهٍ	وتَدانَى منها إليه البعيد
فكأنْ لم يكُنْ يزيدُ ولم يشْـ	ـجُ نديمًا يَهُزُّه التغْريد

(١) شكل : ذو دل وغزل .

(٢) دابرته : ولته دبرها ولم تقبل عليه .

أخبار عكاشة العمى

أصله وأصل قومه

هو عُكاشة بن عبد الصَّمد . من أهل البَصرة من بنى العمّ . وأصل بنى العمّ كالمَدفوع ، يقال: إنهم نزلوا فى بنى تَميم بالبصرة فى أيام عُمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأسلموا وغَزَوْا مع المُسلمين وحُمد[1] بلاؤهم . فقال النـاسُ لهم : أنتم وإن لم تكونوا من العرب ، إخواننا وأهلنا ، فأنتم الأنصار والإخوان و بنو العمّ . فلُقِّبوا بذلك . فصاروا فى جملة العرب .

مكانته فى الشعر

وعُكَّاشة شاعر مُقل من شُعراء الدولة العباسية ، ليس ممن شُهر وشاع شعره عند الناس ، ولا ممّن خَدم الخُلفاء ومَدحهم .

شعر فى امرأة هويها

وكان يَهوى امرأة يقال لها : نُعيم . وله فيها :

علامَ حبلُ الوفاء[2] مُنصرمُ ... وفيمَ عنِّى الصُّدود والصَّمُ
يا ربِّ خُذ لى من الوُشاة إذا ... قاموا وقُمنا لديك[3] نَختَصم
من حَلّ[4] حَبْل الوفاء سيِّدتى ... مِنكِ ومَن سامنى له العَدَم
قد عِيل صَبْرى وأنتِ لاهيةٌ ... عنّى وقَلبى عليكِ يَضْطرم
دَبُّوا إليها يُوسوسون لها ... كى يستزلُّوا حَبيبتى زَعموا
هيهات مِن ذاك ضَلَّ سعيهمُ ... ما قلبها المستعارُ يُقْتَسم
يا حاسدينا موتُوا بغيظِكمُ ... حَبْلى متينٌ بقولها نَعَم
بالله لا تُشْمِتى العُداةَ بنا ... كُونى كقَلْبى فلستُ أَتّهم

(1) فى بعض أصول الأغانى : « وحسن » .
(2) فى بعض أصول الأغانى : « الصفاء » .
(3) فى بعض أصول الأغانى : « إليك » مكان « لديك » .
(4) فى بعض أصول الأغانى : « جد » مكان « حل » .

ولَه فيها من أبيات يصف مجلساً كان له معها :

إذا نحن نُسْقاها شَمولاً قَرْقَفا تدع الصَّحيحَ بعَقْـلة مُرْتابَا
حَمْراء مثـل دم الغَزال وتارةً بعـد المِزاج تخالُها زِرْيابا
من كفِّ جاريةٍ كأنّ بنانهـا من فِضَّة قد قُمِّعتْ عُنَّابا
والعودُ مُتَّبِعٌ غِنـاءَ خَريدةٍ غَرِداً يقول كما تقول صَوابا
وكأنّ يُمنـاها إذا نَطقتْ به تُملي[1] على يدها الشِّمالِ حِسابا

هو والمهدى وقد أراد حده

وذُكر أن عُكّاشة أنشد المهديّ قولَه فى الخمر :

حَمراء مثـل دَم الغزَال وتارةً عنـد[2] المِزاج تخالُها زِرْيابا

فقال له المهـديّ : لقد أحسنتَ فى وَصْفها إحسان من قد شربها ، ولقد استحققتَ الحدَّ . فقال : أيؤمِّننى أميرُ المُؤمنين حتى أتكلّم بحُجتى ؟ فقال : قد أمّنتك . قال : وما يُدريك يا أميرَ المُؤمنين أننى أحسنتُ وأجدتُ صِفتَها إن كنتَ لا تعرفها ؟ فقال المهْديُّ : اعْزب قَبحّك الله .

من شعره

ومن جيِّد شعره قولُه :

وجاءوا إليـه بالتَّعاويذ والرُّقى وصَبُّوا عليه الماءَ من شِدة[3] النُّكْسِ
وقالُوا به من أَعين الجنِّ نَظرةٌ ولو صَدقُوا قالوا به أعيُن الإنْسِ

وقال أيضاً :

طَرْفى يذُوب وماءُ طَرفِك جامدُ وعليّ من سِيما هواكِ شَواهـدُ
هـذا هواكِ قَسمتِه بين الورى ومنحتِنى أرقاً وطَرفُكِ راقـد
فعليّ منـه اليومَ تسعةُ أسْهُمٍ وعلى جميع الناسِ سَهمٌ واحد

(١) فى بعض أصول الأغانى : « تلقى » مكان « تملى » .
(٢) فيما مر : « بعد » .
(٣) النكس ، بضم النون : العود فى المرض .

ذكر الحادرة (*)

نسبه ولقبه

وهو قُطْبة بن أوس بن مِحْصَن بن جَرْول بن حَبيب الغَطفانى، ثم المازنى. والحادرة، والحُويدرة: لقبان له.

بعض شعره

وهو شاعر جاهلىّ مُقِلّ. ذكر أبو الفرج شيئاً من أخبـاره وأشعاره. ولم أرتض شيئاً منها. والشِّعر الذى يُغنَّى به وافتتح به أبو الفرج أخباره، هو:

بكرتْ سُميَّـــة غُدوةً فتمتَّعى ... وغدتْ غُدوَّ مُفارق(١) لم يرْبَـع

وتعرَّضتْ لك فاستبَتْكَ(٢) بواضحٍ ... صَلْتٍ كمُنتصِّ الغزال الأَتْلع

وهذا من قصيدة، منها:

أسُمىّ ما يُدْريك كم من فِتْيـةٍ ... باكرتُ(٣) لذَّتهم بأدكن مُترَع

بكَروا علىَّ بسُحرة فصبَحتُهم ... من عاتقٍ كَدَمِ الذَّبيح(٤) مُشَعْشع

وذكر بعضُ أهل المدينة أنه كان حسّان بن ثابت الأنصارى رحمه الله، إذا تُنوشدت الأشعار فى موضع كذا وكذا، يقول: فهل أُنشدت كلمة الحُويدرة:

* بكرتْ سُميَّة غدوةً فتمتّعى *

قيل: هذه القصيدة من مُختار الشِّعر، أصمعية مُفضَّلية(٥).

(*) أسقط ابن واصل قبل أخبار الحادرة «أخبار عبد الرحيم الدفاف». وهو مغن كان فى أيام الرشيد. ولم يورد له أبو الفرج غير كلمات قليلة.

(١) فتمتعى، يخاطب نفسه. أى تمتعى منها قبل فراقها. ولم يربع: لم يقم.

(٢) استبتك: غلبتك. والواضح الصلت، أى عنقها الطويل. والمنتص: المنتصب.

(٣) فى بعض أصول الأغانى: «بادرت» مكان «باكرت». والأدكن المترع، يعنى الزق.

(٤) المشعشع: المرقرق.

(٥) أى ذكرها الأصمعى فى أصمعياته. والمفضل فى مفضلياته.

أخبار ابن مِسْجح

نسبه ومنزلته فى الغنـاء

هو سَعيدبن مِسْجح ، أبو عُثمان، مولى بنى جُمَح . وقيل : مولى بنى نَوفل بن الحارث بن عبد المُطلب . مكّى أسود ، مُغنٍّ متقدّم من فُحول المُغنِّين وأ كابرهم ، ومن أول مَن صنع الغِناء منهم . ونَقل غِنـاء الفُرس إلى غناء العرب ، ثم رحل إلى الشأم فأَخذ ألحان الرُّوم وتعلَّم منهم الضَّرب ، ثم قَدم الحجاز وقد أخذ محاسنَ تلك النَّغم . وأَخذ عنه عُبيد بن سُريج ، وأخذ الغريضُ عن ابن سُريج .

سبب تعلمه الغناء

وقيل : لمّا حُصِر ابنُ الزُّبير بمكة ، وهو الحصار الأول فى زمن يزيدَ بن مُعاوية ، سمع ابنُ الزُّبير أصواتاً من الليل فوق الجبل ، فخاف أن يكون أهل الشأم قد وصلوا إليه ، وكانت ليلةً ظلماء ذات رِيح صَعبة ورعد و برق ، فرفع ناراً على رأس رُمح لينظرُ إلى النـاس . فأطارتْها الرِّيح فوقعت على أستار الـكعبة فأَحرقتها ، واُستطالت فيها ، وجَهد الناسُ فى إطفائها فلم يقدروا . فأصبحت الـكعبة تتهافت[1] . وماتت اُمرأة من قُريش، فخَرج الناسُ كلّهم فى جنازتها خوفاً من أن ينزل العذابُ عليهم . وأصبح عبدُ الله بن الزُّبير ساجداً يدعو و يقول : اللهم إنّى لم أعتمد ما جَرى ، فلا تُهلك عبادَك بذَنبى ، وهذه ناصيتى بين يَدَيْك . فلما تعالى النّهار أَمِن وتراجع الناسُ ، فقال لهم : اللهَ اللهَ أن يَنْهدم فى بيت أحدكم حجرٌ أو ينزل عن مَوضعه فيبنيَه و يصلحه وأترك الـكعبةَ خراباً . ثم هَدم الـكعبةَ مُبتدئاً بيده ، ثم تَبعه الفَعَلةُ حتى بلغوا قواعد إبراهيم عليه السلام . ودعا ببنّائين من الفُرس والرُّوم فبناها . وكانوا يبنون الـكعبة و يتغنَّون بالفارسيَّة ، فسمع ابنُ مِسجح ذلك ، فتعلَّم الغِناء منهم .

---

(١) تتهافت : تتساقط حجرا حجرا .

للمؤلف فى هدم ابن الزبير الكعبة

قلت : لمّا هدم ابنُ الزُّبير الكعبة أدخل فيها الحجر، وجعل لها بابَيْن متقابلَين يُدخل من أحدها ويخرج من الآخر، وذلك لحديثٍ بلغه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهو أنه قال عليه السلامُ لعائشة رَضى الله عنها : لولا أن قومك حديثُو عهد بالكُفر لأدخلتُ الحجر فيها، وجعلتُ لها بابَين يُدخل من أحدها ويُخرج من الآخر . و بقى الأمرُ على ذلك إلى آخر أيام أبن الزُّبير، فلما قُتل وُصف الأمر لعبدِ الملك بن مروان، ووَلى الحجازَ الحجّاجُ بن يوسف، هَدم الحجاجُ الكعبة ثانياً وأخرج منها الحجر وأبقى لها باباً واحداً، على الأمر الذى كانت عليه فى زمن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . ولم يَعرض للكعبة شرّفها الله بعد ذلك شىء إلى سنة سَبْعَ عشرة وثلثمائة، فى خلافة المُقتدر، فقَصدها أبو طاهر القَرْمطىّ الجَنّابى[1]، لعنه الله، صاحب هَجر، فى الموسم، فقَتل الناسَ فى الطّواف وألقى جُثث القتلى بزَمزم، واقتلع الحجر الأسود وحمله إلى هَجر، و بَقى عنده إلى أن هَلك ووَلِى أولادُه . ثم اشتُرى منهم بمبلغ كبير ورُدّ إلى مَوضعه[2] .

اتصاله بعبد الملك

وذُكر أنّ عبد الملك بن مروان بلغه أن عبداً أسود يقال له : سَعيد بن مِسجح، قد أفسد فِتيان قُريش وأنفقوا عليه أموالهم، فكتب إلى عامله بمكة : أن أقبِض ما لَه وسيِّره . ففَعل . فتوجّه أبنُ مسجح إلى الشأم . فلما دَخل مسجدَها سأل : مَن أخصُّ الناس بأمير المؤمنين ؟ فقيل : هؤلاء النَّفر من قُريش و بنى عَمِّه . فوقف عليهم وسلّم . ثم قال : يا فِتيان، هل فيكم من يُضيف رجلاً غريباً من أهل الحجاز ؟ فنَظر بعضُهم إلى بعض، وكان عليهم مَوعدٌ أن يذهبوا إلى قَينة يقال لها : « بَرْق الأُفق » فتثاقلوا به إلّا فتًى منهم تذمَّم[3] . فقال له : أنا أُضيفك، وقال

(١) هو أبو طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابى، زعيم القرامطة . ينسب إلى جنابة، بلد فى فارس . مات سنة ٣٣٢ هـ .   (٢) كان ذلك سنة (٣٣٩ هـ) أيام المطيع لله .

(٣) تذمم : خشى الذم واللوم .

لأصحابه : انطلقوا أنتم وأنا أذهب مع ضَيفى . قالوا : بل تجىء معنا أنت وضيفُك . فذهبوا جميعاً إلى بيت القَينة . فلما أُتُوا بالغَداء ، قال لهم سَعيد : إنى رجلٌ أسودُ . ولعلّ فيكم من يَقْذَرُنى ، فأنا أجلس وآكل ناحيةً ، وقام . فاستَحْيوا منه و بعثوا إليه بما يأكل . فلما صاروا إلى الشَّراب قال لهم مثلَ ذلك فى أمر الشراب . ففعلوا به كذلك . وأخرجوا جاريتَين فجَلستا على سَرير قد وُضع لهما . فغنّتا إلى العشاء ، ثم دَخلتا . وخَرجتْ جاريةٌ حسنةُ الوجه والهيئة ، وهى معهما ، فجلستا أسفل السَّرير عن يمينه وشماله ، وجلستْ هى على السَّرير . قال ابنُ مِسجح : فتمثّلت هذا البيتَ :

فقلتُ أشَمْسٌ أم مَصابيحُ بِيعةٍ بدتْ لك خلفَ السِّجف أم أنت حالمُ

فغضبتْ الجاريةُ وقالت : أيَضْرب مثلُ هـذا الأسود بى الأمثال ! فنظروا إلىّ نظراً مُنكراً . ولم يزالوا يسكِّنُونها . ثم غنَّت صوتاً . فقال ابنُ مِسجح : أحسنتِ والله ! فغَضِب مولاها وقال : أمثل هـذا الأسود يُقْدِم على جاريتى ! وقال لى الرجل الذى أنزلنى عنده : قُم فانصرف إلى منزلى ، فقد ثَقُلت على القوم . فذهبتُ أقوم ، فتذمّم القومُ وقالوا : بل أقِم وأَحْسن أدبك . فأقمتُ ، وغنَّت . فقلتُ : أخطأتِ والله يا زانية وأسأتِ ! ثم اندفعتُ فغنَّيت الصوتَ . فوثبت الجاريةُ وقالت لمولاها : هـذا أبو عثمان سعيد بن مسجح ! فقلتُ : إى والله أنا هو ، ووالله لا أُقيم عندكم . فوثب القرشيّون ، فقال هذا : يكون عندى ، وقال هذا : يكون عندى ، وقال هذا : بل عندى . فقلت : والله لا أُقيم إلا عند سيّدكم — يعنى الرجلَ الذى أنزله منهم — وسألوه عما أقدمه ، فأخبرهم . فقال له صاحبه : إنى أسمُرُ الليلةَ مع أمير المومنين ، فهل تُحسن أن تَحْدُوَ ؟ قلتُ : لا والله ، ولكنّى أستعمل[1] حُداء . قال له : فإنّ منزلى بحِذاء مَنزل أمير المُؤمنين ، فإذا

(١) فى الأصل : « أصنع » .

وافقتُ منه طِيب نَفس أرسلتُ إليك . ومضَى إلى عبد الملك بن مَروان ، فلما رآه طيِّب النَّفس أرسل إلى أبن مِسجح ، فأَخرج رأسه من وراء شُرَف القَصر وحَدَا . فقال عبدُ الملك للقُرشيّ : مَن هـذا ؟ قال : رجلٌ حجازىّ قَدم علىّ . قال : أَحضرْه . فأَحضرَه . فقال له : أُحْدُ . فَحدا : ثم قال له : هل تغنِّى غِناء الرُّكبان ؟ قال : نعم . قال : غنِّه . فغنّى . فقال له : هل تُغنى الغناء الُمتْقَن ؟ قال : نعم . قال : غنِّه . فغنَّى . فاُهتزّ عبدُ الملك طرباً ثم قال له : أُقسم إنّ لك فى القوم أُسماً كبيراً[1] ، من أنت ؟ ويلك ! قال : أنا المَظلوم، المَقبوض مالُه المُسيَّر عن وطنه ، سَعيد بن مِسجح ، قَبض مالى عاملُ الحجاز ، ونَفانى . فتبسّم عبدُ الملك وقال : قد وَضح عذرُ فتيان قُريش فى أن يُنفقوا عليك أموالهم . وأمَّنه ووصَله، وكتب إلى عامله بردّ ماله عليه ولا يَعرِض له بسوء .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لأسماء كثيرة » مكان « اسما كبيراً » .

أخبار ابن المولى

ولاؤه وصفته ومنزلته فى الشعر

هو محمد بن عبد الله بن مُسلم بن المَولى ، مولى الأنصار ، ثم من بنى عمرو ابن عوف . شاعر متقدّم مُجيد بن مُخضرَمى الدّولتين ومدّاحى أهلهما . قدِم على المهدىّ فَمدحه بعدّة قصائد ووَصله بصلاتٍ سنيّة ، وكان ظريفاً عفيفاً نظيفَ الثياب حسنَ الهيئة ، وكان مسكنُه بقُباء .

سئل عن ليلاه فأجاب

وذَكر عبدُ الملك بن عبد العَزيز قال : خرجتُ أنا وأبو السّائب المَخزومىّ ، وعبيدُ الله بن مُسلم بنُ جندب ، وأَصبغ بن عبد العزيز بن مروان إلى قُباء ، وابن المولى متنكِّب قوساً[1] عربيّة ، فأنشدنا ابنُ المولى لنفسه :

وأبكى فلا لَيلى بكتْ من صَبابةٍ … إلىّ ولا ليـلَى لذى الوُد تَبذُلُ

وأخنع بالعُتبى إذا كنتُ مُذنباً … و إنْ أذنبتْ كنتُ الذى يتنصّلُ

فقال له أبو السائب وعُبيدُ الله بن مُسلم بن جُندب : مَن ليلى هذه حتى نقودها لك ؟ فقال ابنُ المولى : والله ما هى إلا قَوْسى هذه سميتُها لَيلى .

مدح يزيد بن حاتم فأجازه

وقيل : وَفد ابنُ المَولى على يزيدَ بن حاتم ، فَمدَحه بقصيدته التى يقول فيها :

يا واحـدَ العرب الذى … أضحى وليس له نَظـيرُ

لو كانـ مثلَك آخرٌ … ما كان فى الدُّنيا فقـير

فدعا بخازنه وقال : كم فى بيت مالى ؟ فقال : فيه من العَيْن والوَرِق[2] قيمةُ عشرين[3] ألف دينار . فقال : ادفعها إليه . ثم قال له : يا أخى ، المَعْذرة إلى الله و إليك ، والله لو أن فى مِلكى أكثرَ ما احتجبتُه[4] عنك .

(١) تنكب القوس : ألقاها على منكبه . (٢) العين : الذهب . والورق : الفضة .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « بقية عشرون » . (٤) لم يرد هذا الفعل فى كتب اللغة متعديا .

وقيل : كان ابنُ المَولى مدّاحاً لجعفر بن سُليمان ، وقُثَم بن العبّاس، الهاشميَّيْن ، ويزيدَ بن حاتم ، وآستفرغ مدحَه فى يزيد ، فقال فيه قصيدتَه التى يقول فيها :

هو ويزيد بن حاتم فى مصر

يا واحدَ العرب الذى دانتْ له قَحطانُ قاطبةً وساد نِزَارَا

إنّى لأَرجو إنْ لقيتُك سالمًا ألّا أُعالج بعدَك الأَسفارا

رِشْتَ النَّدى[1] ولقد تكسَّر ريشُه فَعلا النّدى فوق البلاد وطارا

ثم قَصده بها إلى مصر وأَنشده إياها ، فأَعطاه حتى رَضى . ثم مرض ابنُ المَولى عنده مرضاً طويلا وثقُل حتى أشفَى[2] ، فلما أفاق من علّته ونَهض ، دَخل عليه يزيدُ بن حاتم مُتعرِّفاً خبرَه ، فقال له : لوددتُ والله يا أبا عبد الله ألّا تعالج بعدى الأسفار حقًّا ، ثم أَضعف له صِلتَه .

وحَكى ابنُ المَولى قال : كنتُ أَمدح يزيدَ بن حاتم من غير أن أَعرفه ولا أَلقاه ، فلما ولّاه المَنصور مِصْر ، أَخذ على طريق المدينة . فلقيتُه فأَنشدتُه ، وقد خَرج من مَسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أن صار إلى مسجد الشَّجرة . فأَعطانِى رِزْمتَى[3] ثياب وعَشرة آلاف دينار ، فاشتريتُ بها ضياعاً تُغِلّ ألف دينار ، أقوم فى أدناها وأُصيح بقَيِّمى، فلا يسمعنى[4] وهو فى أقصاها .

أعطاه يزيد ضيعتين

وقيل : قَدم ابنُ المَولى العراقَ فى بَعض السِّنين ، فأَخفق وطال مُقامه وغَرِض[5] به وتشوّق إلى المدينة ، فقال فى ذلك :

حنينه إلى المدينة

ذهب الرجالُ ولا أُحسّ رِجالَا وأَرى الإقامةَ بالعراق ضَلالَا

وأَرى المرجِّى للعراق وأهلَه ظمآن هاجرةٍ يؤمِّل آلا

(١) راش : جعل له ريشا . (٢) أشفى : أشرف على الموت .
(٣) الرزمة من الثياب : ما شد فى ثوب واحد .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « يسمعنى » .
(٥) غرض : ضجر وقلق .

وطَربتُ إذ ذكر المَدينة ذاكرٌ ... يومَ الخميس فهاج[١] لى بَلْبالا

فظللتُ أنظُر فى السماء كأننى ... أبغى بناحيــة السَّماء هِلالا

طرباً إلى أهل الحجاز وتارةً ... أبكى بدمع مُسْبَلٍ إسبالا

مدح المهدى فأجازه

وذُكر أنه قدم ابنُ المولى على المهدىّ وقد مَدحه بقصيدته التى يقول فيها :

وما قارَع الأَعــداءَ مثــلُ محمدٍ ... إذا الحربُ أبدت عن حُجول الكواعب

فتًى ماجدُ الأَعراق من آل هاشمٍ ... تبَحْبح[٢] منها فى الذُّرى والذَّوائب

أشمُّ من الرَّهط الذين كأنهم ... لدَى حِنْدس الظَّلْماء زُهْر الكواكب

إذا ذُكرتْ يوماً مَناقبُ هاشم ... فإنكمُ منها بخَــير المَناصب

ومَن عِيب فى أَخلاقه[٣] وصِــفاته ... فما فى بنى العبّاس عَيْبٌ لعائب

وإنّ أمــير المُؤمنين ورهطَــه ... لأهلُ المَعالى من لُؤىّ بن غالب

أولئك أَوتاد البــلاد ووارثوا الــنَّــبىّ بأمر الحقّ غــير التَّكاذُب

ثم ذَكر أولادَ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقال :

وما نَقَمــوا إلّا المودةَ منهمُ ... وأنْ غادروا فيهم جزيلَ المَواهب

وأنهمُ نالــوا لهم بدمائهم ... شفاءَ النُّفـوس من قَتيـل وهارب

وقامُــوا لهم دُون العِــدا وكفَوْهمُ ... بسُمْر القَنـا والمُرْهفـات القَواضب

وحامَوْا على[٤] أحســابهم وكَرائم ... حسانِ الوُجــوه واضحاتِ التَّرائب

وإنّ أمــيرَ المُؤمنين لعــائدٌ ... بإنعامــه فيهم على كُلّ تائب

إذا ما دَنَوْا أدناهمُ وإذا هَفَــوْا ... تجـاوز عنهم ناظراً فى العــواقب

شَفيقٌ على الأَقْصَيْن أن يردوا[٥] الرَّدى ... فكيف به فى واشجات[٦] الأقارب

---

(١) البلبال : شدة الهم. (٢) تبحبح : تمكن.

(٣) فى بعض أصول الأغانى : «ونصابه» مكان «وصفاته». والنصاب : الأصل.

(٤) يريد «حاموا عن» فضمن. (٥) فى بعض أصول الأغانى : «يركبوا» مكان «يردوا».

(٦) الواشجات : الصلات المتصلة.

فوصله المهدىُّ صلةً سنيةً . وقدم المدينةَ فأنفق و بنَى دارَه ولَبس ثياباً فاخرة . ولم يزل كذلك مُدةً حتى ذهب ما جاء به .

ثم دخل على الحسن بن زَيد بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب ، وكانت له عليهم وَظيفة فى كُل سنة ، فأنشده قولَه فيه يَمدحه : هو والحسن بن زيد

هاج شوقى تفرّقُ الجِيرانِ ... وأعترتْنى طوارقُ الأحزانِ

يقول فيها :

ولو أنّ امرأً ينالُ خُلوداً ... بمحلٍّ ومَنْسب[1] ومكان

أو ببَيتٍ ذُراه تَلصق بالنّجْـ ... ـم قِراناً فى غير بُرج قِران

أو بمجد الحياةِ أو بسماحٍ ... أو بحلمٍ أوفَى على[2] ثَهلان

أو بفَضل لنالَه حَسَنُ الخَيْـ ... ـر بفضلِ الرّسول ذى البُرهان

فضْلُه واضحٌ بفضْل أبى القا ... سم رهطِ اليقينِ والإيمان

هم ذَوُو النُّور والهُدَى ومَدى الأمْـ ... ـر وأهلُ البرهان[3] والفُرقان

مَعْدِن الحقِّ والنبوّة والعدْ ... ل إذا ما تَنازع الخَصْمان

وأبنُ زَيدٍ إذا الرجال تَجارَوْا ... يوم حَفْل وغايةٍ ورِهان

سابقٌ مُغْلِقٌ مُجيز رِهانٍ ... وَرِث السَّبْق عن أبيه[4] الهِجان

فلما أنشده إيّاها دَعى به خالياً ثم قال له : يا عاضّ كذا من أمه ! إذا ماجئت إلى الحجاز تقول لى هذا ، و إذا ما مضيت إلى العراق تقول :

و إنّ أمير المُؤمنين وَرهطه ... لأهلُ المَعالى من لُؤىّ بن غالبِ

أولئك أوتادُ البلاد ووارثُوا النّـ ... ـبىّ بأمر الحقّ غير التكاذُب

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ومنصب » . (٢) ثهلان : جبل بالعالية .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « والعرفان » مكان « والفرقان » .

(٤) مغلق : أى يوجب الخطر لنفسه . والهجان : الكريم الحسيب .

فقال : أتُنصفنى يا بن رسول الله أم لا ؟ قال : بلى . قال : ألم أقُل :

* و إن أمير المُؤمنين و رَهْطه *

ألستم رهطه ؟ قال : فدع هذا ، ألم تَقْدِر أن ينفُق شعرُك ومديحُك إلّا بتهجين أهلى ، والطَّعنِ عليهم حيث تقول :

وما نَقموا إلّا المــودّة منهمُ ... و إن غادروا فيهم جز يلَ المواهبِ

وأنهمُ نالوا لهم بدمائهــم ... شِفاء النُّفوس من قَتيلٍ وهارب

فوجمَ ابنُ المولى وأطرق، ثم قال . يابن رسول الله ، إن الشاعر يقُول و يتقرّب بجُهده . ثم قام فخَرج من عنــده مُنكسراً . فأمر الحسنُ وكيلَه أن يحمل إليــه وظيفَته و يزيدَه مثلَها . ففَعل ذلك . فقال : والله لا أَقبلهــا وهو علىَّ ساخطٌ ، فأمّا إن قَرنها بالرضى قبلتُها ، وأما إن أقام على أمره فأرُدّها عليــه . فعاد الرسولُ إلى الحسن فأخبره . فقال : قُل له : رضيتُ ، فاقْبلها . فقَبلها .

قدومه على يزيد ابن حاتم الأهواز ومدحه له

وقيل: لما انصرف يزيدُ بن حاتم المُهلّبى من حَرب الأَزارقة[1]، وقد ظَفر ، خُلع عليه وعُقد له لواءٌ على كُور الأَهواز وسائر ما افْتتحه . فدخل عليه ابنُ المولى وقد مَدحه . فاستأذن فى الإنشاد ، فأذن له . فأنشده قصيدتَه التى أولها :

ألا يا لَقومى هل لِمَا فات مَطْلبُ ... وهل يُعْـذَرنْ ذو صَبْوة وهو أَشْيَبُ

ومنها :

يَحِنُّ إلى لَيْلى وقــد شَطَّت النَّوى ... بليلَى كما حَنَّ اليراع[2] المُثقَّب

تقرَّبتُ منهــا[3] كى تُثيب فَزادنى ... بعــاداً على بُعـــدٍ إليها التقرُّب

فداويتُ وَجْدى باجتنــابٍ فلم يكُن ... شفاءً لمــا أرجوه[4] منها التجنُّب

(١) الأزارقة : من الخوارج ، أصحاب نافع بن الأزرق .

(٢) اليراع : المزمار .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « تقربت ليلى » والفعل غير معدى بنفسه .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « ألقاه » مكان « أرجوه » .

يقول فيها فى مَدحه :

وليــلٍ خُدارِىّ [1] الرّواق جَشِمتُه ... إذا هابه الأعــــداء لا أتهيَّبُ
لأظفرَ يوماً من يزيد بن حاتم ... بحَبْل جِوارٍ ذاك ما كنتُ أطلب
وصَــعَّدنى هَمّى وصَوَّب مَرةً ... وذو الهمّ يوماً مُصْـعَدٌ ومُصوَّب
لأعرفَ ما آتِى فلم أَر مثــلَه ... من الناس فيمن [2] حاز شرقٌ ومَغرب
أكَرَّ على جيشٍ وأعظم هَيبــةً ... وأوهبَ فى جُودٍ لمـا ليس يُوهب

ومنها :

كواكبُ دَجْن كُلَّما انقضَّ كوكبٌ ... بدَا منهمُ بَدْرٌ مُنِـيرٌ وكَوكب
وما زال إلحـاحُ الزّمانِ عليهمُ ... بنائبــةٍ كادت لهـا الأرض تَخرَب
فلو أبقتِ الأيّامُ حيًّا نَفاسةً ... لأبقـــاهمُ للجُود نابٌ ومِخلب
وكنتَ ليومَىْ نِعمة ونِكايةٍ ... كما فيهما للنَّاس كانَ المُهلَّب
ألَا حَبَّذا الأحيـاء منكمُ وحَبّذا ... قُبورٌ بهـا موتاكُم حين غُيِّبوا

فأمر له يزيدُ بن حاتم بعشرة آلاف دِرهم، وفَرس بسَرجه ولجامه، وخِلْعة، وأقسم على من بحَضْرته من أهله أن يُجيزه كُلُّ واحد منهم بما أمكن . فانصرف بملء يديه .

استحسان عمرو ابن أبي عمرو لشعره

وقيل : كان عَمرو بن أبي عمرو يَستحسن قول ابن أبى المَولى :

حَيِّ المَنـازلَ قد بَلِينا ... أَقْوَيْنَ عن مَرِّ السِّنينَا
وسَـلِ الدِّيار لعلَّهــا ... تُخبِرْك عن أُمِّ البَنينا
بانتْ وكُل قرينــةٍ ... يوماً مُفـارِقةٌ قَرينـا
وأخُو الحياةِ من الحيا ... ةِ مُعــالجٌ غِلَظًا ولِينا

(١) خدارى : مظلم . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « فيما » مكان « فيمن » .

وتَرى المُوكَّل بالغوا ... نى راكباً أبداً فُنونا
ومن البَليَّـة أن تُدا ... نَ بما كرهتَ وأن تَدينا(١)
والمرءُ تُحرم نفسُـه ... ما لا يزال به حَزينا
وتَراه يَجمع مالَه ... جَمْعَ الحريص لوارِثينا
يسعَى بأفضـلِ سَعْيه ... فيصيرُ ذاكَ لقَاعدينا
لم يُعطِ للنَّسب(٢) القَريـ ... ـبِ ولم يَجُد للأبْعدينا
قد حلّ مـنزلَه الذَّميـ ... ـمَ وفارق المُتنصِّحينا

مدحه للمهدى بعد ما ولى

وقيل : لمّا ولى المهدىُّ الخلافة بعد أبيه المنصور حَجَّ وفرّق فى قُريش والأَنصار وسائر الناس أموالاً عظيمة ، فحسُنت أحوالُ الناس بعـد جَهد أَصابهم من أيّام أبيه ، فكانت سَنةُ ولايته سـنةَ خصْب ورِخَص ، فأحبَّه الناسُ وتبرّكوا به ، وقالوا : هذا هو المهدىُّ ! وهذا ابنُ عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسميُّه ! فلما دخل المدينةَ تلقّوه ودعَوا له وأثنوا عليه ومَدحه الشُّعراء . فمدَّ عينَه فى الناس فرأى ابنَ المولى ، فأمر بتقريبه ، فقُرِّب منه . فقال : هات يا مولى الأنصار ما عندك . فأنشده قولَه فيه :

يا ليلَ لا تبْخـلِى يا ليلَ بالزَّاد ... وأشفِى بذلك داءَ الحائم الصَّادِى
وأنجِزى عِـدَةً كانت لنا أملاً ... قد جاء ميعادُها من بعدِ ميعادِ
ما ضَرَّه غـيرُ أن أبدى مَودَّته ... إنَّ المُحبَّ هـواه ظاهرٌ بادى

يقول فيها :

تَطوى البـلادَ إلى جَمّ منافعُه ... فعّالِ خَـيْرٍ لفِعْل الخير عوّاد

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ولن » مكان « وأن » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ذا النسب » .

للمُجْتدين[١] إليه من مَنافعه خيرٌ يَروح وخيرٌ با كرٌ غادى
أَغْنَى قُريشاً وأنصارَ النبيِّ ومَنْ بالمَسْجدين بإسعاف[٢] و إحفاد

حتى أتى على آخرها . فأمر له بعشرة آلاف دِرهم وكُسوة ، وأمر له بأن يُجرَى له ولعياله ما يكفيهم ، وألحقهم فى شرف العطاء .

شعره الذى فيه الغنـــاء

والشِّعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخباره ، هو :

سَلَا دار لَيْلَى هل تُبين فَتنطقُ وأنَّى ترُدّ القَولَ بيــداء سَمْلَقُ
وأنَّى ترُد القــولَ دارٌ كأنها لطُول بِلاها والتقــادمِ مُهْرَق

وهذا البيتان من أول قصيدة يَمدح بها ابنُ المولى المهدىَّ ، يقول فيها :

و إنسانُ عَيْنِى فى دوائرِ لُجَّــة من الدَّمع يبدو تارةً ثم يَغرَق

ومنها :

فلا تجْزعنْ للبَين كُلُّ جماعةٍ وجَدِّك مكتوبٌ عليهــا التفرّق
وخُذ بالتعزِّى كُلُّ ماأنت لابسٌ جــديداً على الأيام بالٍ ومُخْلِق
فصـــبرُ الفتَى عما تولَّى فإنه من الأمر أولى بالسَّداد وأوْفق

ومنها :

وقال خَليـــلى والبُكا لىَ غالبٌ أقاضٍ عليك ذا الأسى والتشوّق
وقد طال تَوْقافِى أُكفكفُ عَبْرةً على دِمْنة كادتْ لها النفسُ تَزْهَق

(١) فى بعض أصول الأغانى : « للمهتدين » مكان « للمجتدين » .
(٢) إحفاد : إسراع فى مرضاتهم وقضاء حاجاتهم .

أخبار عَطَرد

ولاؤه وشىء عنه

هو مَولى الأَنصار . ثم مولى بنى عمرو بن عَوف . وكان يَنزل قُباء . وكان جَميلَ الوجه ، حَسنَ الغِناء ، طيِّب الصوت ، جيِّد الصَّنْعة ، حسنَ الزِّيّ والمُروءة . وكان فَقيهاً قارئاً للقُرآن ، يُغَنِّى مُرتجلاً . أدركَ دولةَ بنى أُميَّة . و بَقِى إلى أيّام الرَّشيد . وكان مُعدَّلَ الشهادة بالمَدينة .

غناؤه لعباد ابن سلمة

وحُكى أنّ سَلمة بن عبّاد وَلِى القضاءَ بالبَصرة ، فقَصد ابنُه عبّادُ بن سَلمة منزلَ عَطَرَّد ، وكان قد قَدِم البَصرةَ قاصداً آل سُليمان بن علىّ وأقام معهم . فأتى عبّادٌ بابَه ليلاً فدقّ عليه ومعه جماعةٌ من أصحاب القَلانس . فخَرج عَطَرَّدٌ إليه ، فلمّا رآه ومَن معه فَزِع . فقال : لا تُرَع :

إنِّى قصدتُ إليك من أهلى في حاجةٍ يأتى لها مِثلِى

قال : وما هى ؟ أصلحك الله ! فقال :

لا طالباً شيئاً إليكَ سِوَى «حَىِّ الحُمولَ بجانب[1] العزْلِ»

فقال : انزِلُوا على بركة الله . فلم يزل يُغنِّيهم هذا وغيرَه حتى أصبحوا .

والذى طلبوا أن يُغنِّيهم فيه شعرُ امرىء القيس الكِنْدىّ ، وهو :

حَىِّ الحُمولَ بجانب العَزْلِ إذ لا يُوافق شَكْلُها شَكْلِى
الله أنجحُ ما طلبتَ به والبِرُّ خيرُ حَقيبة الرَّحْل
إنِّى بحبلك واصلٌ حَبْلى و بِريش نَبْلك رائشٌ نبْلى
وشَمائِلى ما قد علمت وما نَبحتْ كلابُك طارقاً مِثلى

(١) العزل : موضع فى ديار قيس .

هو والوليد بن يزيد حين استقدمه

وذُكر أنه لمّا ولى الوليدُ بن يزيد بن عبد الملك الخلافةَ كتب إلى عامله بالمدينة يأمره بإشخاص عَطرَّد المُغنِّى إليه . قال عَطرَّد : فأقرأنى العاملُ الكتابَ وزَوَّدنى بنفقة وأشخصنى إليه . فأُدخلت عليه وهو جالسٌ فى قصره على شَفير بِرْكة مُرصَّصةٍ مملوءة خمراً ، ليست بالكبيرة ولكنها يَدُور الرجلُ فيها سِباحةً ، فوالله ما تركنى أُسلِّم حتى قال : عَطَرد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين . قال : لقد كنتُ إليك مُشتاقاً يا أبا هارون ، غنِّنى :

* حَىِّ الُحمول بجانب العَزْل * الأبيات

قال : فغنَّيتُه إيَّاه ، فوالله ما أتممتُه حتى شقّ حُلَّةَ وَشْى كانت عليه لا أدرى كم قِيمتُها ، فتجرّد منها كما ولدتْه أمه ، وألقاها نِصفين ورمى بنفسه فى البِركة ، فنَهِل فيها حتى تبيَّنْتُ — علم الله — نقصانها ، وأُخرج منها كالميّت سُكْراً ، فأُضجع وغُطِّى ، وأخذتُ الحُلّة وقُمت . فوالله ما قال لى أحدٌ : دَعْها ولا خُذها . فانصرفتُ إلى منزلى متعجِّباً مما رأيتُ من ظَرْفه وفعله . فلما كان من الغَد جاءنى رسولُه فى مثل الوقت فأحضرنى . فلما دخلتُ عليه قال : يا عَطرّد . قلت : لبّيك يا أمير المؤمنين . قال : غنِّنى :

أيذهبُ عُمرى هكذا لم أنَلْ به مَجالِسَ تَشفى قَرْح قلبى من الوَجْدِ
وقالوا تَداوَ إنّ فى الطبِّ راحةً فعلّلتُ نفسى بالدواء فلم يُجْدى

فغنَّيتُه إيّاه . فشَقّ حُلة وَشْى كانت عليه ، كانت تَلتمع عليه بالذَّهب الِتماعاً ، احتقرتُ والله الأُولى عندها . ثم ألقى نفسه فى البركة ، فنَهِل فيها حتى تبيَّنتُ — علم الله — نُقصانها ، وأُخرج كالميّت سُكراً . فأُلقى وغُطِّى ونام . وأخذتُ الحُلة ، فوالله ما قال لى أحدٌ : دَعْها ولا خُذها ، وانصرفتُ . فلما كان اليومُ الثالث جاءنى رسولُه . فدخلت إليه وهو فى بَهْو قد أُلقيت سُتوره ، فكلّمنى من

وراء السُّتور وقال : يا عَطَرَّد . قلتُ : لَبَّيك يا أمير المؤمنين . قال : كأنى بك قد أتيتَ المدينــة فقُمتَ فى مجالسها ومَحافلها وقعــدتَ وقلتَ : دعانى أميرُ المؤمنين فدخلتُ إليه، فاُقترح علىّ، فغنيتهُ فأَطربتهُ ، فشقّ ثيابه وأخذتُ سَلَبه، وفَعل وفعل، والله يا بن الزّانية ، لئن تحرّكتْ شَفَتاك بشىء مما جرى فبلَغنى لأَضربنّ ما فيــه عَيناك . ياغُلام ، أَعطه ألفَ دينار . خُذها واُنصرف إلى المدينة . فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى تَقبيل يده و يُزَوِّدنى نظرةً منه وأُغنِّيه صوتاً ! فقال : لاحاجةَ بى ولا بك إلى ذلك ، فاُنصرف . قال عَطَرّد : فخرجتُ من عنده وما أعلم أنِّى ذكرتُ شيئاً مما جرى حتى مَضت من دولة بنى العبَّاس[1] مُدة .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بنى هاشم » .

أخبار الحارث بن خالد المخزومى

نسبه

هو الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كعب بن لُؤى بن غالب . وأمه فاطمة بنت أبى سعيد ابن الحارث بن هشام . وأُمها بنت أبى جهل بن هشام .

حديث مقامرة أبى لهب للعاص ابن هشام

وكان العاص بن هشام قامَر أبا لَهَب بن عبد المُطلب فى عشر من الإبل فقَمره ، ثم فى عشر فقَمره ، ثم فى عشر فقَمره ، إلى أن خَلعه من ماله فلم يَبق له شىء . فقال : إنى أرى القِداح قد حالفتْك يا بن عبد المُطلب ، فهلمّ أقامرك . فأيُّنا قَمر كان عبداً لصاحبه . قال : أفعل . ففعل . فقَمره أبو لهب ، فكره أن يسترقّه فتغضبَ بنو مخزوم ، فمَشى إليهم وقال : أفتدُوه منّى بعشرٍ من الإبل . فقالوا : لا والله ولا بوَبَرة . فاُسترقّه . فكان يَرْعى له إبلاً إلى أن خرج المُشركون إلى بَدْر — وقيل : اُسترقّه وأجلسه قَيْناً يعمل الحديدَ — فلمّا خرج المُشركون إلى بَدر كان مَن لم يخرج أخرج بديلاً ، وكان أبو لهَب عليلاً فأخرجه وقَعد، على أنه إن عاد أعتقه. فحضر بدراً وقَتله علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه يومئذ .

مذهبه فى الغناء وشىء عنه

وكان الحارث بن خالد أحدَ شعراء قُريش المَعدودين الغَزِليِّين ، وكان يذهب مذهبَ عُمر بن أبى ربيعة لا يتجاوز الغَزل إلى مديح ولا هجاء . وكان يهوَى عائشةَ بنت طلحة بن عُبيد الله ويَنْسُب بها . وولّاه عبدُ الملك بنُ مروان مكةَ . وكان ذا قَدْر وخَطر فى قُريش .

أخواه وشىء عنهما

وأخوه عِكرمة بن خالد مُحدِّث جليل القدر من وُجوه الناس ، وقد رَوى عن جماعة من الصحابة . وله أخ يقال له : عبد الرحمن بن خالد ، شاعر ، وهو الذى يقول :

رَحل الشـبابُ وليته لم يرْحَلِ وغدا لِطيَّـةِ ذاهبٍ[١] مُتحمِّلِ
ولّى بلا ذمٍّ وغادَر بعـــدَه شَيباً أقام مكانَه فى المَـنزل
ليت الشبابَ ثَوى لدينا حِقْبـةً قبـلَ المَشيب وليتـه لم يَعْجَل
فنُصِيبَ من لذّاته ونَعيمـه كالعَهد إذ هو فى الزّمان الأوّل

من شعراء قريش الخمسة

وقيل : كانت العرب تفضِّل قريشاً فى كلّ شىء إلّا الشِّعر ، فلما نَجم فيهم عُمر بن أبى ربيعة ، والحارثُ بن خالد المخزوميَّان ، والعَرْجىّ ، وأبو دَهْبَـل ، وعبد الله[٢] بن قَيس ، أقرّت لها العربُ بالشِّعر أيضاً .

هو وابن عمر وقد أنشده

وذُكر أنّ الحارث بن خالد أَنشد عبدَ الله بن عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه قولَه :

إنِّى وما نَحروا غـداةَ مِنًى عند الجِمار تَؤُودها[٣] العُقْلُ
لو بُدِّلتْ أعلى مَساكنِها سُـفْلًا وأصبح سُفْلُها يَعْـلو
فيكاد يَعرفهـا الخَبيرُ بهـا ويرُدّه الإقواءُ[٤] والمَحْـل

فقال له ابنُ عُمر : قُل: إن شاء الله . قال : إذن يَفْسُد الشعر يا عَم . فقال له : يا بن أخى ، إنّه لا خيرَ فى شىء يفُسده « إن شاء الله » .

تمثل أشعب بشعره فى تفضيل الزبيريين على العلويين

وقيل : دَخل أشعبُ مسجدَ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فجعل يطُوف[٥] الحِلَق. فقيل له : ما تُريد ؟ قال : أستَفْتى فى مسألة . فبينا هو كذلك إذ مَرَّ برجل من ولد الزُّبير ، وهو مُستند إلى سارية و بين يديه رجل عَلَوىّ، فخَرج أشعبُ مبادراً ، فقال له الذى سأله عن دُخوله وتَطوافه : أوجدت من أفتاكَ فى مسألتك ؟ قال :

(١) الطية : المنتأى ، والقصد ، والنية . والمتحمل : الراحل . (٢) فى بعض الأصول : « عبيد الله ». وذكر البغدادى أن لقيس ابنين : عبيد الله ، وعبد الله ، واختلفوا فى الشاعر منهما .
(٣) تؤودها : تثقلها . والعقل : جمع عقال . (٤) الإقواء : المحل .
(٥) الحلق : جمع حلقة ، وهى دائرة القوم وحلقتهم ، جمع نادر .

لا ، ولكن علمتُ ما هو خيرٌ لي منها . قال : وما ذاك ؟ قال : وجدتُ المدينةَ قد صارت كما قال الحارثُ بن خالد :

قد بُدِّلت أعلَى مَساكنِها سُفْلًا وأصبح سُفلُها يعْلُو

رأيتُ رجلًا من ولد الزُّبير جالساً في الصدر ، ورجلاً من ولد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه جالساً بين يديه ، فكفاني هذا عجباً وانصرفتُ .

كان مرواني الهوى ووفوده على عبد الملك وتوليه مكة وحديثه مع بنت طلحة

وقيل : إن بني مخزوم كُلهم كان هواهم مع ابن الزُّبير إلا الحارثَ بن خالد ، فإنّ هواه كان مع بني مَروان . فلما قُتل عبد الله بن الزُّبير وصَفا الأمرُ لعبد الملك ابن مَروان ، وفَد إليه الحارثُ في دَين كان عليه ، وذلك في سنة خَمس وسبعين . فلما انصرف عبدُ الملك رحل معه الحارثُ إلى دمشق ، فظهرتْ له منه جَفوة ، فأقام ببابه شهراً لا يَصل إليه . فانصرف عنه وقال فيه :

صَحِبتُك إذ عَيْني عليها غِشاوةٌ فلما انجلتْ قطّعتُ نفسي ألومُها
وما بِي وإن أقْصَيتني من ضَراعةٍ ولا افتقرتْ نفسي إلى مَن يَضيمُها
عَطفتُ عليك النفسَ حتى كأنما بكفَّيْكَ بُؤسى أو إليك نَعيمُها

وبلغ عبدَ الملك خبرُه ، وأُنشد الشِّعر ، فأرسل إليه مَن ردّه مِن طريقه . فلما دَخل عليه قال له : يا حارِ[1] ، أخبرني عنك : هل رأيتَ عليك في المُقام ببابي غَضاضةً أو في قَصدي دناءةً ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين . قال : فما حَملك على ما قلتَ وفعلتَ ؟ قال : جَفوةٌ ظهرتْ لي وكنتُ حقيقاً بغيرها . قال : فاختَرْ : إن شئتَ أعطيتُك مائة ألف دِرهم ، أو قضيتُ عنك دَيْنَك ، أو وليتُك مكّةَ سنةً ؟ قال : بل تُولِّيني مكة . فولاه إيّاها . فحجّ بالناس وحجّت عائشة بنت طلحة ، وكان يهواها ، فأرسلت إليه : أخِّر الصلاة حتى أفرُغَ من طَوافي . فأمر

(١) أي : يا حارث ، فرخم .

المُؤذّنين فأخّروا إقامة الصلاة حتى فرغت من طوافها . وجعل الناسُ يَصيحون ويضجّون . ثم أُقيمت الصلاةُ وصلّى بالناس . وأنكر أهلُ الموسم ذلك من فِعله وأعظموه . وبلغ عبدَ الملك فعزَله ، وكتب إليه يؤنبه فيما فعله . فقال : ما أهونَ واللهِ غضبَه علىّ إذا رضيتْ . والله لو لم تفرغْ من طوافها إلى الليل لأخرتُ الصلاة إلى الليل . فلما قضتْ حجّها أرسل إليها : يا بنة عمّ ، ألِمّى بنا أو عِدينا مجلساً نتحدثْ فيه . فقالت : فى غدٍ أفعل ذلك . ثم رحلتْ من ليلتها . فقال الحارث فيها:

ما ضَرَّكم لو قلتمُ سَدَداً إنّ المَطايا عاجِلٌ غَدُها
ولها علينا نعمةٌ سَلَفتْ لسنا على الأيام نَجْحدها
لو تَمّمت أسبابَ نِعمتِها تَمّت بذلك عندنا يَدُها

الغريض بينه وبين بنت طلحة

وقيل : لما قال الحارث هذه الأبياتَ بعثَ بها مع الغَريض ، فلَحقها[١] بعُسْفان أو قريبٍ منه ، ومعه كتابُ الحارث وفيه هذه الأبيات . فلما قرأتْها قالت : ما يَدَع الحارثُ باطلَه ! ثم قالت للغريض : هل أحدثْت شيئاً ؟ قال : نعم ، فاُسمعى . ثم اُندفع يُغنّى فى هذا الشعر :

زَعمُوا بأنَّ البَيْن بعد غدٍ والقلبُ ممّا أحدثوا يَجِفُ
والعينُ منذ أُجِدّ بَيْنُهُم مثلُ الجُمان دُموعُها تَكِف
تَشكو ونَشكوا ما ألَمّ[٢] بنا كُلٌّ بوشْك البَيْن مُعترف

فأمرتْ له بخمسة آلاف دِرْهم . ثم قالت له : غنّنى فى غير شعره . فغنّاها بشعر عُمر بن أبى ربيعة :

أجمعتْ خُلّتى مع الفَجر[٣] بَيْنا جَلّل الله ذلك الوَجهَ زَيْنا

(١) عسفان : منهلة بين الجحفة ومكة . وقيل : هى قرية على مرحلتين من مكة .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ما أشت » أى ما فرق .
(٣) أجمعت : اعتزمت . والخلة : الصديقة . والبين : الفراق .

أجمعتْ بينَهـا ولم نَكُ منهـا لذةَ العيش والشّباب قَضَيْنا
فَتولّتْ حُمولُهـا واُسْتقلّت لم نَنَـلْ طائلًا ولم نُقْضَ دَينـا
ولقـد قلتُ يومَ مكة لمّـا أرسلتْ تقرأ السلامَ عَلَيْنا
أنعم اللهُ بالرّسول الذى أرْ سَلْتِ والمُرْسِلِ الرِّسـالةَ عَيْنا

فضحكتْ ثم قالت : وأنت يا غَريض ! فأنعم الله بك عَيْناً ! وأنعمْ بأبن أبى ربيعة عَيناً ! لقد تلطّفتَ حتى أديت إلينا رسالته ، وإنّ وفاءك له لمّا يزيدنا رغبةً فيك وثقةً بك .

تتمة حديث الغريض مع عاتكة بنت يزيد

وقد كان عُمر سأل الغَريض أن يُغنِّيها هـذا الصوتَ ، لأنه قد تَركَ ذِكرها لمّا غَضبت بنو تَيم من ذلك ، فلم يُحبّ التَّصريح بها وكَرِه إغفالَ ذكرها ، وقال له عمر : إنْ أبلغتَها هـذه الأبيات فى غناء فلَكَ خمسةُ آلاف درهم . فوفى له بها ، وأمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أُخرى . فأنصرف الغريضُ من عنـدها ، فلقى عاتكةَ بنت يزيد بن مُعاوية بن أبى سُفيان ، زوجةَ عبـد الملك بن مروان ، وقد كانت حجّت فى تلك السنة ، فقالت لها جَواريها : هـذا الغَريض . فقالت لهنّ : علىّ به . فجِئْن به إليها . قال الغريض : فلمّا دخلتُ وسلّمتُ ردّت وسألتنى عن الخبر . فأقتصَصْتُه عليها . فقالت : غنِّنى بما غَنّيتَها به . ففعلتُ . فلم أرها تَهشّ لذلك . فغنّيتُها مُعرِّضاً بها ومذكِّراً بنفسى فى شـعر مُرّة بن مَحْكان السّعدى يُخاطب أمرأته ، وقد نَزل به أضياف :

أقول والضّيفُ مَخشىٌّ[1] ذِمامَتُـه على الكريم وحَقُّ الضّيف قد وَجبَا
يا ربّةَ البيتِ قُومى غيرَ صـاغرةٍ ضُمِّي إليـك رِحالَ القوم والقرَبا
فى ليـلةٍ من جُمادى ذات أنديةٍ لا يُبصر الكلبُ فى ظَلمائها الطُّنُبا
لا يَنبح الكلبُ فيهـا غيرَ واحدةٍ حتى يَلُفَّ على خَيْشومه الذّنبـا

(١) الذمامة ، بالكسر والفتح : العهد والذمة .

فقالت ، وهى مُتبسِّمة : نعم قد وجَب حقُّك يا غَريض ، فغَنِّنى . فغنَّيتُها :

يا دهرُ قد أكثرتَ فَجْعتنا بسَراتنا ووقَرْتَ[1] فى العَظْمِ
وسَلَبْتنا ما كنتَ[2] مُخْلِفَه يا دهرُ ما أنصفتَ فى الحُكْمِ
لو كان لى قِرْنٌ أُناضلُه ما طاش عند حَفيظةٍ سَهْمى
أو كان يُعطِى النَّصْفَ[3] قلتُ له أحرزتَ قِسْمك[4] فالْهُ عن قسْمى

فقالت له : نُعطيك النّصْف ولا يَطيش[5] سهمُك عندنا ، ويحقّ[6] لك قِسمك . وأمرت له بخَمسة آلاف درهم وثياب وغير ذلك من الألطاف . فأتيتُ الحارثَ بن خالد وقصصتُ عليه القصةَ ، فأمر لى بمثل ما أمرَتا به جميعاً . وأتيتُ أبن أبى ربيعة فأعلمتُه بما جَرى ، فأمر لى بمثل ذلك . فما أنصرف أحدٌ من الموسم بمثل الذى أنصرفتُ به ، و بنَظْرة من عائشة ونَظرة من عاتكة ، وهما أجلُّ نساء عالَمِهما .

هو ومكى حمله رسالة إلى بنت طلحة

وقيل : قدم المدينةَ قادمٌ من مكة فدَخل على عائشة بنت طلحة ، فقالت له : من أين أقبل الرجلُ ؟ فقال : من مكَّة . فقالت له : فما فَعل الأعرابىّ ؟ فلم يفهم ما أرادتْ . فلمّا عاد إلى مكة دَخل إلى الحارث بن خالد فقال : من أين أقبلت ؟ قال : من المدينة . قال : فهل دخلتَ على عائشة بنت طلحة ؟ قال : نعم . قال : فعمّاذا سألَتْك ؟ قال : قالت لى : ما فعل الأعرابىّ ؟ فقال له الحارث : فعُد إليها

---

(١) وقر : صدع . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « مالست » مكان « ماكنت » .

(٣) النصف ، مثلثة : الانتصاف .

(٤) القسم . بالكسر : النصيب والحظة . والذى فى بعض أصول الأغانى : « سهمك ... سهمى » .

(٥) فى بعض أصول الأغانى : « ولا يضيع » .

(٦) فى بعض أصول الأغانى : « ونجزل » .

ولك هذه الحُلة والراحلة ونَفقتُك لطريقك، وادفع إليها هذه الرُّقعة. وكتب إليها فيها:

مَن كان يَسأل عنّا أين منزلُنا ... فالأُقحوانةُ منّا منزلٌ[(١)] قَمَنُ

إذ نَلبس العيشَ صفواً ما يُكدِّره ... طَعْنُ الوُشاة ولا يَنْبو بنا الزَّمن

(*)ليت الهَوى لم يُقرِّبنى إليك ولم ... أعرفْك إذ كان حظِّى منكُم الحَزَن

(١) الأقحوانة : موضع قرب مكة . وقمن : خليق .

(*) تبدو أخبار الحارث كأنها مقطوعة : فهى كما أوردها أبو الفرج تزيد كثيراً . ولم يختم ابن واصل الترجمة بما عودنا عنه من ذكر الشعر الذى فيه الغناء .

أخبار الأبجر

اسمه ولقبه وولاؤه وحسن غنائه

هو عُبيد الله بن القاسم . مولى بنى كِنانة ، ثمّ بنى بكر . ويُكنى أبا طالب . وكان مَدنيًّا منشؤه مكة . وقيل : مكّيًّا منشؤه المدينة . وكان حسن الهيئة والبِزّة. وكانت حُلته بمائة دينار ، وفَرسه بمائة دينار ، ومركبه بمائة دينار . وكان حسنَ الصوت، جيّد الغِناء، يقف بين المَأْزِمَيْن[1] فيرفع صوتَه فيقف الناسُ له ، يركب بعضُهم بعضاً .

نشط الوليد لغنائه

وحَكى أشعبُ قال : دُعى ذاتَ يومٍ بالمُغنِّين للوليد بن يزيد ، وكنت نازلاً معهم ، فقلتُ للرسول : خُذنى فيهم . فقال : لم أُومَر بذلك ، إنما أُمرت بأَخْذ المُغنِّين ، وأنت بطّال لا تدخل فى جُملتهم . فقلت : أنا والله أحسن غناءً منهم . فأندفعتُ فغنّيت . فقال : لقد سمعتُ حسناً ولكنّى أخاف . فقلتُ له : لا خوفَ عليك ، ولَك مع هذا شَرط . قال : وما هو ؟ قال : كُل ما أصبتُه فلك شَطْره . فقال للجماعة : أشهدوا عليه . فشَهدوا . ومَضينا فدخلنا على الوليد ، وهو ضيِّق الصَّدر . فغنّاه المُغنون فى كُل فنٍّ من ثقيل وخَفيف ، فلم يتحرَّك ولا نَشِط . فقام الأبجر ، وكان خَبيثاً داهياً ، فسأل الخادمَ عن خَبره و بأىّ سَبب هو خاثر . فقال : بينه و بين أمرأته شرّ، لأنه عَشِق أُختها فغضبتْ عليه ، وهو إلى أُختها أَميل ، وقد عَزم على طَلاقها وألّا يذكُرها أبداً بمُراسلة ولا مُخاطبة ، وخَرج على هذه الحال من عندها . فعاد الأبجر إلينا وجَلس . فما أستقرّ به المجلسُ حتى أندفع فغنّى :

فبِينى فإنّى لا أُبالى وأَيْقنى	أصعَّد باقى حُبِّكم أم تَصوَّبا
ألم تَعلمى أنّى عَزُوفٌ عن الهوى	إذا صاحِبى من غير شىء تَغضَّبا

---

(١) المأزمان : جبلا مكة .

فطرب الوليدُ وأُرتاح، وقال : أصبتَ والله يا عُبيد مافى نَفسى ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وشَرب حتى سَكر . ولم يحظ أحدٌ بشىء إلا الأبجر . فلما أيقنتُ بأنقضاء المَجلس وثبتُ فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنْ رأيتَ أن تأمر مَن يضر بنى الساعةَ بحَضرتك مائةَ سوط ! فضحك وقال : قبَحك الله ! وما السبب فى ذلك ؟ فأخبرتُه بقصّتى مع الرسول ، وقلت له : إنه بدأنى بالمكروه فى أول يومه بما اتّصل علىّ إلى آخره ، فأُريد أن أُضرب مائة سوط و يُضرب بعدى مثلَها . فقال : لقد لَطُفت ! أعطوه مائةَ دينار ، وأعطُوا الرسول خمسين ديناراً من مالنا عوضاً من الخمسين التى أراد أن يأخذَها من أشعب . فقبضتُها . وقام . وما حَظى أحدٌ بشىء غيرى وغير الأبجر .

أخبار موسى شهوات

ولاؤه وكنيته وسبب تلقيبه

هو مُوسى بن يسار، مولى قُريش. وقيل: إنه مولى بنى سَهم. وقيل: مولى بنى تَيم. وقيل: مولى بنى عَدىّ. وكُنيته أبو محمد، وشَهوات لقب غَلَب عليه، لأنه كان سَئُولا مُلِحًّا مُلْحِفا، فكان كلما رأى مع أحد ما يُعجبه من مالٍ أو مَتاع أو ثَوب أو فَرس يَتباكى، فإذا قيل له: مالك؟ قال: أشتهى هذا. فسُمِّى: شهوات. وهو من شُعراء الدولة الأُموية.

استعان ابن أسيد فى ثمن جارية فأعانه فمدحه

وذُكر أنّ موسى شَهوات هَوى جاريةً بالمدينة، فاستُهيم بها وساوم مولاها فيها، فأستام بها عشرةَ آلاف دِرهم. فجمع كُل مايملكه وأستماح إخوانَه. فبلغ ذلك أربعةَ آلاف درهم. فأَتى سعيدَ بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان فأخبره بحاله وأستعان به، وكان صديقَه وأوثق الناس عنده، فدافعه[1]، وأعتلّ عليه. فخَرج من عنده، فلمّا ولّى تمثّل سعيدٌ بقول الشاعر:

كتبتَ إلىّ تَستهدى الجَوارى لقد أنعَظْتَ من بلدٍ بَعيـدِ

فأَتى موسى شهوات سعيدَ بن خالد بن عبد الله بن أَسيد، فأخبره بقصّته. فقال: تعُود إلىّ. ثم أتاه. فسهّل من إذنه. فلما أستقرّ به المجلس قال: يا غلام، قُل لقيِّمتى: هاتى وَديعتى. ففُتح باب بين بَيتين، فإذا بجارية. فقال له: أهذه بُغْيتك؟ قال: نعم، فِداكَ أبى وأُمى! ثم قال: يا غلام، قُل لقيِّمتى هاتى ظَبْيةَ[2] نفقتى. فأُتى بظَبية، فنُثرت بين يديه فإذا فيها مائةُ دينار ليس فيها غيرها.

---

(١) دافعه: ماطله.

(٢) الظبية: جراب صغير من جلد ظبى.

فرُدّت إلى الظَّبية . ثم قال : عَتيدةَ[١] طِيبى . فأُتى بها . فقال : مِلْحفةَ فِراشى . فأُتى بها ، فصَرّ ما فى الظَّبية وما فى العَتيدة فى حواشى المِلْحفة . ثم قال : شأنَك بهواك . وٱستعِن بهذا عليه . فقال يمدحه ويُعرِّض بالعُثمانى :

أبا خالد أعْنِي سعيدَ بن خالدٍ ... أخا العُرف لاأعنى ٱبن بنت سَعيدِ

ولكنّنى أعْنِي ٱبنَ عائشة الذى ... أبو أبَوَيه خالدُ بن أسِيد

عَقيدُ النَّدى ما عاش يَرْضى به النَّدى ... فإن مات لم يرضَ النَّدى بعَقيد

دَعوه دَعوه إنكم قد رقدتُم ... وما هو عن أحسابكم برقود

قتلتَ أناساً هكذا فى جُلودهم ... من الغَيظ لم تقتلهم بحَديد

هو والسعيدان مع عبد الملك

فأتى سعيدُ بن خالد العُثمانىُّ سليمانَ بن عبد الملك مَروان فقال : يا أمير المؤمنين، أتيتُك مستعدياً . فقال : ومن بك ؟ فقال : موسى شهوات . قال : وماله ؟ قال : سَمّع بى وٱستطال فى عِرْضى . فقال : يا غُلام ، علىّ بموسى . فأُتى به . فقال : يا عاضّ كذا من أمه ، أتهجو سعيدَ بن خالد ! فقال : ما فعلتُ يا أمير المؤمنين ، ولكنّى مدحتُ ٱبن عمه ، فغَضب هو . فقال : وكيف ذلك ؟ فقال : علقتُ جاريةً لم يبلغ ثمنَها جِدَتى[٢] ، فأتيته وهو صديقى ، فشكوتُ إليه ذلك فلم أُصب عنده فيه شيئاً ، فأتيت ٱبن عمه سَعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فشكوتُ إليه ما شكوتُه إلى هذا ، فقال : تَعود إلىّ . وحَكى له القصة التى جرت له معه وأنشده الشعر . فقال سليمان : يا غلام ، علىّ بسعيد بن خالد . فأُتى به . فقال : أحقٌّ ما وَصفك به موسى ؟ قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فأعاد عليه . قال : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين . قال : فما طَوّقتْك عواقبُ هذه الأُمور ؟

(١) العتيدة : الحقة يكون فيها طيب الرجل أو العروس .

(٢) الجدة : اليسار والسعة .

فقال : دَيْنٌ ثلاثين ألفَ دينار . فقال له : قد أمرتُ لك بها و بمثلها و بمثلها وثُلث مثلها . فحُمل إليه مائةُ ألف دينار .

سعيد بن خالد وقد سئل عن مال أفاده من سليمان ابن عبد الملك

وقال بعضُهم : فلقيتُ سعيدَ بن خالد بعد ذلك فقلتُ له : ما فعل المال الذى وصلك به سليمان ؟ فقال ما أصبحتُ والله أملك منه إلا خمسين ديناراً . قلت : فما اغتاله ؟ . قال خَلَّة [1] من صديق ، أو فاقةٌ من ذى رَحِم .

لسليمان فى ابن أسيد

وكان سُليمان بن عبد الملك إذا نَظر إليه بعد ذلك يقول : لعمرى والله ، ما أنت عن أحسابنا برَقُود !

تعقيب على شعر موسى

وقول موسى « ابن بنت سعيد » يعنى أُم سعيد العُثمانى ، وهى آمنة بنت سعيد بن العاص . و« أُم عَقيد النَّدى » : عائشة بنت عبد الله بن خَلَف الخُزاعية ، أُخت طلحة الطلحات ، وأُمها صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبى طلحة ، من بنى عَبد الدار بن قُصى . ولما اشتبه المَمدوح والمهجوّ ، فى الاسم واسم الأب ، فرّق بينهما بذكر أُمهاتهما ليرتفع اللَّبس .

بينه وبين سليمان فى شعره فى خالد ابن سعيد

وقيل : لمّا أنشد موسى شهوات سُليمانَ بن عبد الملك شعرَه فى سعيد بن خالد قال له : اتفقت أسماؤهما وأسماء آبائهما ، فتخوفتُ أن يذهب شعرى باطلاً ، ففرّقتُ بينهما بأُمهاتهما ، فأغضبه أن مدحتُ ابنَ عمّه . فقال له سليمانُ : بلى والله لقد هجوتَه ، وما خَفِى ذلك علىّ ، ولكنّى لا أجد إليك سبيلاً ، وأَطلقه .

شعره فى حمزة وغناء معبد فيه

وقيل : قال موسى شَهوات لمَعبد : قد قلتُ فى حمزة بن عبد الله بن الزُّبير فغنِّ فيه ، حتى يكون أجزلَ لِصلتَيْنا : ففعل ذلك مَعبد .

والأبياتُ التى قالها موسى فى حَمزة هى التى فيها الغِناء ، وافتتح بها أبو الفَرج أخبار موسى ، وهى :

---

(١) الخلة : الحاجة والفقر .

حَمزةُ المُبْتاعُ بالمال(١) النَّدى ويرَى فى بَيْعه أنْ قد غَبَنْ
فهو إنْ أعطى عَطاءً فاضلًا ذا إخاء لم يُكَدِّرْه بمَنّْ
وإذا ما سَنَةٌ مُجْحِفَةٌ بَرَتِ النَّاس كبَرْى(٢) بالسَّفَن
حَسَرتْ عنه نَقِيًّا عِرْضُه ذا بلاءٍ عند مُخْناها(٣) حَسَن
نُور صِدْقٍ بَيِّنٌ فى وَجهه لم يدنِّس ثوبَه لونُ الدَّرَن
كنتَ للنَّاس رَبِيعاً مُغْدِقاً ساقِطَ الأكناف إن راحَ أرْجَحَنّْ

شىء عن حمزة ابن عبد الله

ثم ذكر أبو الفرج بعض أخبار حَمزة هذا فقال :

كان فتًى جواداً كريماً على هَوَج وتَخليط كان فيه . وكان مُصعب بن الزُّبير والى العِراق من قِبَل أخيه عبد الله بن الزُّبير ، فتزوّج سُكينة بنت الُحسين ابن على بن أبى طالب عليهم السلام ، وعائشةَ بنت طلحة بن عُبيد الله ، وكانتا أجملَ أهل عصرهما ، وأمهر كُلَّ واحدة ألفَ ألفِ دِرهم . و بلغ أخاه عبدَ الله بن الزُّبير ذلك ، فغَضب عليه وقال: إنّا بَعثنا مُصعباً إلى العِراق فأغمد سيفه وسَلَّ أيْرَه . ودعا بابنه حَمزة فولّاه البَصرة وعَزل مُصعباً . و بلغ عبدَ الملك بن مروان قولُ عبد الله فى مُصعب . فقال : ولكنّ أبا خُبيب أغمد سيفه وأيْره وخَيره . فلمّا قدم حمزةُ البصرة أساء السِّيرة وخلّط تخليطاً شديداً . فوفدت إلى أبيه الوُفودُ فى أمره . وكتب إليه الأحنفُ بن قيس : إن كانت لك بالبصرة حاجةٌ فاصرف ابنك عنها وأعد إليها مُصعباً . ففعَل ذلك . وكانت أُم حمزة بنت مَنظور بن زَبّان ، وكان ابن الزُّبير يُحبها حُبًّا شديداً . وسيأتى ذكرُها فى أخبار الفرزدق الشاعر إن شاء الله .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الثنا » مكان « الندى » .
(٢) السفن : الفأس العظيمة .
(٣) مخناها ، من أخنى عليه الدهر ، إذا أهلكه .

تعقيب لابن واصل عن قتل مصعب

قلت :

ولم يزل مُصعب بعد ذلك على العراق إلى أن قدِمها عبـدُ الملك بن مروان فملـكها وقَتل مصعب ووضع رأسه بين يديه ، ثم سـيَّر الُجنود مع الحجّاج ابن يوسف إلى مكة ، فحصَر ابنَ الزُّبير بها إلى أن ظَفِر به وقتله وصَلبه مُنكَّسًا، وصفت الدُّنيا لعبد الملك بن مَروان .

انتهى الجزء الأول من القسم الأول

من كتاب تجريد الأغانى لابن واصل الحموى

يتلوه ان شاء الله

الجزء الثانى من القسم الأول

وأوله أخبار أبى العتاهية

فهرست أول

لتراجم الجزء الأول

من القسم الأول من تجريد الأغانى

فهرست ثان

لتراجم الجزء الأول

من القسم الأول من تجريد الأغانى